

الأمير شكيب أرسلان

الحمد للسننسية

في الأخبار والآثار الأندلسية

وهي مغلقة أندلسية تحيماً بكل ما جاء عن ذلك الفردوس المفقود

المجلد الأول



دار الثقافة

الجلد السنڊسٽيه

في الأخبار والآثار الأدبية

ومن سنته الأولى تحيلاً بكل ما جاء من ذلك العروض المعنوة



مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ

رابطہ بدیل
lisanerab.com

أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com



الأمير شكيب أرسلان / الخلل السُّنْدُسِيَّة في الأخبار والآثار الأندلسية

جميع الحقوق محفوظة

الدار التقدمية

المختارة - الشوف - لبنان

هاتف، ٩٦١_٥/٣١١٥٥٥ - ٩٦١_٥/٣١٠٥٥٥

E - mail: moukhtarainf@terra.net.lb

http://www.daraltakadounya.com

الطبعة الأولى ٢٠٠٨

الإمير شكيب أرسلان

الحل السُّنْدُسِيَّة
في الأخبار والآثار الأندلسية
وهي مغلّبة أندلسية تحيط بكل ما جاء
عن ذلك الفردوس المفقود

الجزء الأول



مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

lisanerab.com

رابطہ بدیل

كلمة لا بدّ منها

إنَّ هذا التراث القيّم مدين بالتنقيب عنه وجمعه وتنظيمه إلى الأمانة: المرحوم الدكتور يوسف إيش، والدكتور يوسف خوري، والمحامي الأستاذ توما عريضه، الذين لم يتوانوا عن شقّ المسافات الطوال وتكبُّد العناء في السفر إلى أقطار عدّة في البلاد العربية والأوروبية بحثًا واستقصاءً عن تلك المآثر المجيدة، التي، لولاها، لكانت ذكرى أمير البيان، الأمير شكيب أرسلان، طيّ النسيان والضياع. فلهم دائم العرفان لما بذلوه من تضحيات في سبيل جمع هذا التراث ونقله.

الدار التقدّمية

مقدمة الناشر

يشهد التاريخ، قبل أن نُلقي بشهادتنا هذه، أن زمن الأُمَّة العربية، في ما سلف من أيام، كان زمن الدعوة والفتح والبسالة ونقل المعارف. فَمَن مَّنَّا يجهل زمن خلافة المسلمين للأندلس، وآثارهم العظيمة لا تزال شاهدة شهود الشمس في وسط السماء؟! آثارهم الجليلة التي إن دَلَّت على شيء، فهي تدلّ على جامع ومدرسة وحركة نقل العلوم إلى أم كانت لا تزال غارقة في بحر الجهل وسواد الانحطاط.

الأندلس، حفيظة عبد الرحمن الداخل، صقر قریش، التي لا تزال تضحّ بأنغام الماضي على وقع حوافر جيش جرّار اجتاح الأصقاع ليصلها بمكارم أخلاقه قبل سيفه، وبعلمه وإسلامه قبل نصاله، يقارع من خلالها عالمًا جديدًا، غريبًا عنه، فينتصر بحُسن المسؤولية والتعاطي مع بني الإنسان، على الرغم من تداعيات النهاية المؤلمة ودور الانحسار.

هذا الموضوع الأسر اللافت كان مثار اهتمام الأمير شكيب أرسلان الذي وزّع اهتماماته على تاريخ المسلمين في الأندلس، فجاء بالصورة الناصعة والخبر اليقين لينقل القراء إلى أروقة قصور بني الأحمر ومسجد قرطبة، حيث كانت خلية النحل تضحّ بالعلماء والفقهاء والمفكرين، فألتقط الأمير شكيب من هذا ما لَدَّ وطاب في ديوان تسجيله وروايه، ونقله بكلّ أمانة ضمن مجلّدات ثلاث حملت عنوان "الحلل السندسيّة في الأخبار والآثار الأندلسيّة"، والتي تفخر الدار التقديمية أن تقدّمها إلى القارئ الكريم، والباحث المُجيد، لتكون مرجعًا هامًا من ذاك الجيل الغابر الذي أغنى الحضارة العالمية بحقبات تتصل بيومنا هذا، فنقرأ فيه ما مضى، وقد نأسف وقد نترحم، ولكنّ الأهم هو ما أُراده أمير البيان نفسه، وهو أن نتعلّم من التجربة، ونحمل من الدرس العِبَر.

يقول الأمير شكيب أرسلان: "فإذا كان علم التاريخ ضرورة من ضرورات البقاء، فضلًا عن الارتقاء، وشرطًا من شروط اللحاق، فضلًا عن السباق، فأية أُمَّة أجدد

بمدارسته من هذه الأمة العربية ذات التاريخ الأمجد، والسنام الأقدس، والعرق الأنجب،
واللسان الأذرب، والجهاد الذي شرّق وغرّب؟!«.

سؤال نحمله معنا، على أمل أن نجد الإجابة عنه يوماً، في زمن مغاير لهذا الزمن
وما فيه، وفي عالم لا ينغص عيشه انكسار أو إجحاد أو أنانية. لعلّ هذا الزمان قريب،
ولعلّه في لغة الأمير، زمنٌ ولّى وانقضى؛ ولكن، تبقى للتاريخ كلمة: لقد جاء الزمان
بقوم أقحاح، وقد حقّقوا حضارةً لا تُنسى، وفجرًا حضاريًا لا يزال نستظلّ بفيثه إلى
يوماً هذا، ولا زالت الأطلال في تلك الربي الأوروبية تنادي بأعلى صوتها: «أجل،
قد مرّ العرب المسلمون من هنا»!

الدار التقدمية

في، ٢٧ أيلول ٢٠٠٨

الإهداء

هدية روحية من المؤلف

إلى روح

أبي المطرف الخليفة أمير المؤمنين

عبد الرحمن الناصر الأموي

الذي يُعجَب به المؤلف أكثر من كلّ خليفة

حاشا الخلفاء الراشدين.

شكيب أرسلان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ
وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا

الحمد لله قبلة الكلام ، والصلاة على رسول الله باب السلام ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تشفي الأوام ، وتقشع الظلام ، وتكون لنا العدة الراقية في حشرة الأنفس وسكرات الحماة ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، النبي العربي الأمي الذي كرمه بنى آدم بنعمة الاسلام ، وجتبيهم عبادة الأصنام ، وسنهم من التوحيد نعمة دائمة لا تريم ، وذروة عالية لا ترام ، والذي نثر بدعوته يافوخ الشرك نثراً ليس له من بعده نظام ، النبي الذي تمخض لظهوره السكون قبل أن تلج الأيام في الليالي والليالي في الأيام ، والرسول الذي بلغت به الرسالة أمدتها الأقصى فانطوت من بعده الصحف السماوية وجفت الأقلام ، إذ ليس وراء توحيد الله تعالى مذهب ولا بغير حبه تعالى هيام ، صلى الله عليه وسلم صلاة لباسها العوام وشعارها اللزام ، وسلم سلاماً نفعه الرئد ونشره الخزام . ورضى الله عز وجل عن آله وأصحابه بنجوم الهدى و بدور التمام ، وأنصاره الذين أزمهم كلمة التقوى وكانوا بها أحق الأنام ، الذين أقبلوا على الأمم بالمقيدة الحق والأخلاق المظلم ، وطلعوها بحيل الله على المشرق والمغرب بسهام غير حطاء . وسيوف غير كهام ، ونشروا علم الفرقان الذي فرقت له قلوب الطوائف وخفقت من الحواف سائر الأعلام ، فنتحوا عذارى الممالك وأدركوا غرر الأمانى بشدة الخزام لا بشدة الخزام .

وبعد ، فإن من غرائز الجبلة البشرية التي لا جدال فيها ، تذكر الحوادث

الماضية ، والتحدث بالوقائع الخالية ، والوقوف على الرسوم العافية ، والاعتناء بحفظ الغابر إلى الحد الذي جعل الناس ينقشون الأخبار على الأحجار ، ويزبرون القصص على الجاد ، فضلا عن أن يكتبوها في الأوراق ويحفظوها ضمن الأجلاد ، خشية عليها من الضياع بتقادم المهد ، وذهاباً بها عن النسيان بتداول الدهر ، وذلك بما فطر الله عليه هذا النوع من حب الاشراف والاطلاع ، والغرام بالرواية والسمع ؛ وبأن الإنسان يجتهد أبدأً أن يحفظ الماضي ، كما يجتهد أن يستدرك الآتى ، فحياته عبارة عن وصل آخر بأول ، وربط ماضٍ مع مستقبل ، وتمليل حديث بقديم ، فلننا لا يبرح بين أثر دارس يقف عنده ، ورسم طامس يتعرف خطبه ، وكتابة مطلوسة يفك حروفها ، وحكاية مأثورة يتندس نصوصها ، تارة يمرضها على أصولها ، وطوراً يقيسها بشكولها ؛ وهو لا يزال يجمع بين قرانها ، حتى يدرك مبادئها ويقفه مغازيها ، وكم للانسان من سهر ليلال ، وبذل غوال ، وأعمال حَلّ وترحال ، وراء قصة مغلقة يستوحى حديثها ، وقضية مُرْتَبِجَةٍ يستوحى نَجِيئِها ؟ وكَم من واقعة مبهمة ينشد عند الهير وغليف سرها ، ولدى القلم المسارى بَحِيئِها ؟ سنة الله الذى أقام للناس عليها بإزاء أى علم ولعلم أى سر ، لا يتقيدون فيها بقرب دون بعيد ، ولا يقصرونه على حاضر دون غابر ، ولا يختصون به موضعاً دون موضع ؛ بل استشراف الأسرار ، واستشفاف الأستار ، هما من لوازم الانسان أيّاً كان متعلق العلم ومتعلق الفكر . إلا أنه إذا تعلق بالأباء والأجداد كانت النفوس به أولع ، وإليه أنزع ؛ وإذا اتصل بالقرابات والكلالات ، أو اتسب إلى الديارات والمباعدات ، كان الحنين إليه أعظم ، والتهافت عليه أسرع ؛ فان المرء ليحرص على مآثر آباهه ، ما لا يحرص على مآثر سواهم ، ويُبغى بالقصص وراء أصوله ما لا يُعنى وراء من تقدم ؛ بل إن قسط همه من هذا الأمر هو على نسبة القرب والبعد ، وبمقدار الفصل والوصل .

وكل أمة من الأمم تدرس تواريخ البشر أجمع ، إلا أنها تجمل تاريخ سلفها هو العلم للقدم ، والدرس المقدس ، والبغية التى يجب أن تتوجه إليها خواطر ناشتها ،

والغاية التي يتمين أن تُستَعَثَّ نحوها ركاب نابهتها؛ لما في ذلك من وصل حديث بقديم، وربط آخر بأول، وإعادة فرع إلى أصل، ورد عجز على صدر. فان كان الحاضر مماثلاً للماضي، والظريف غير مختلف عن التليد، فمفزي التاريخ هو حفظ التسلسل ومنع التخلف، وحث الأَخلاف على متابعة الأسلاف، وبناء المجد سائفاً من فوق ساف، فان الأمم هي في تنازع بقاء لا يفتر، وتزاحم ورد لا يسكن، وكل منها يبني أن يحفظ كيانه، ويوطد بنيانه، ويحمي حقيقته، ويخلد سجيته. بل يحاول أن يتقدم عما كان، وأن يطاول كل درجة إمكان. وإن كان الخالي مقصراً عن الخالي، وقد عادت الدور أهلة، وذهب المجد إلا آفة، وصارت الأوساط أطرافاً، واستحالت الأنواب أطياراً، ولم يبق من تلك الممالى السواف إلا أخبار وسيير ومثلات، وذكور وحكايات، يستبر بها من اعتبر، كان درس تاريخ السلف أحسن وسائل النشاط من المقال، وأفضل حوافز الاستباق إلى السكال، ليقال للناسي: هكذا كان آباؤك، فأين إباؤك؟ وهذا ما فعله أجدادك، فأين جهادك؟ وإذا كان هذا فرى آباتك، فكيف ترضى أن تقصر عنهم، وإذا رضيت بأن تقصر عنهم، فقد يستبعد العقل أن تكون منهم. أيرضى أصحاب النفوس الأبية أن يقصدوا مع الخواف، وقد كان أوائلهم من السابقين الأول؟ أو أن يكونوا تابعين، بعد أن كانوا متبوعين، وأن يسودم من كان لهم من جملة الخول؟

فاذا كان علم التاريخ ضرورة من ضرورات البقاء، فضلاً عن الارتقاء؛ وشرطاً من شروط الاحاق، فضلاً عن السباق؛ فأية أمة أجدر بمداسته من هذه الأمة العربية ذات التاريخ الأجد، والسنام الأقس، والرق الأنجب، واللسان الأذرب، والجهاد النى شرق وغرب. أيام ملأت من النهر مسعفيه، وضربت كل جبار في أخديه، وفرضت الذلة على جماجم الأكاسرة، وأطارت النيرة من معاطس القيامرة.

قوم ابتلوا للموت نفوسهم، فرفضوا في الحياة رؤوسهم؛ يركبون من البر والبحر

كل غارب ، ويلتمسون بالجيش دار المحارب ؛ أحمت أنوفهم حياة القفر ، وأعزّت نفوسهم الرمال العفر ؛ فكانت بلادهم عذارى تُخلف ظن كل فاتح ، وعقائل لا ينتهى إليها الطيف فضلاً عن الطائف .

ثم لما جاءهم الإسلام بمزائم القرآن ، وعزز ما فيهم من خيم كريم ، وطبع سليم ، بصلافة الايمان ؛ اندقت سيولهم من منابها ، وخرجت سنابلهم من قنابها ؛ وملكوا ما بين الصين وبحر الظلمات فى أقل من مائة عام ، وأتوا من الأعمال ما لو حدثوا أنفسهم به من قبل لقييل إنه من الأحلام . طلى أنهم لم يلبثوا بعد ذلك العز الأمتع ، والسناء الأسنع ، أن انصاعوا انصياع الكواكب عند انكسارها ، وأسرعوا إلى الهبوط سرعة المياه عند انحسارها . وذلك بتجردهم عما كان قد كسبوا الإسلام من فضائل ، وأهّب فيهم القرآن من عزائم ، وبسقوطهم فى مثل ما كان قد سقط فيه أعداؤهم من الأعاجم ؛ وبانفاسهم فى الشهوات البدنية ، وانصرافهم إلى السفسفات الزمنية ؛ وولوعهم بالانتقاص طلى أمرائهم ، واشتغال الأمراء بأغراضهم وأهواتهم ، وتختلف العلماء عن تقويم منّاهم ، وردعهم عن فسادهم . فشى الفساد فى جنباتهم ، وطار الطيش بمدّباتهم ، وتنازعا فشت ريمهم ، وجاءت تباريمهم ؛ وتنكروا ؛ حتى لو عرضوا على السلف فى أجدانهم لجهلهم ، وتغيروا ، حتى لو نُشِر الآباء وتلاقوا بأبنائهم لأهلوم ؛ فجنوا من انقلاب أخلاقهم فقد خلّاقهم ، ونالوا من اعوجاج مسالكهم ، ضياع ممالكهم ؛ وبعد أن كانت أفئتهم ملء العرائين ، وحميتهم ملء الحيازيم ، صاروا يرضون بكل حطة ، ويسلكون من الموان كل خطة ، وهووا عن صهوات ذلك المجد العظيم ، وأخرجوا من جنّات وعيون وكنوز ومقام كريم .

وكان من أنفس ما سدّهم الله إلى فتحه ، وقبض لهم بالجهاد الطويل وسائل ربحه ، هذه الجزيرة الأندلسية الخضراء ، الخطة المنراء ، والبردة الدهماء ، والبقعة الجامعة بين الشمس والأفياء ، الرافلة فى حلل موشية من حوك الأرض وطرّاز السماء ، فاتوها من كل فج ، بين محتسب ومكتسب ، وراغب فى الدنيا وماهد للأخرة ،

وساموا ولايتها بالنفقات الوجيمة ، والبعشات الذريمة ؛ والنفوس السائلة أنهارا ، والجواهر الطائرة أسرابا ، والجيش يتلو الجيش ، والبث يردف البث ، وما زالوا يناورونها بحيل لا تحط لبودها ، وفوارس لا تفارقها زرودها ، ويريفونها من بين أيديها ومن خلفها ، وعن أيامها وشمالها ، إلى أن ذلّوا أعرافها ، والألوان أعطافها ؛ فخيّم الإسلام بعقرتها تخييم من أجمع الاعتمار ، وسكن إليها سكنى من أتى عصا التسيار ، وأمدتهم جزيرة العرب بأفلاذ أكبادها ، ورمت أعداءهم بأنجاد أجنادها ؛ وكانوا لولا المصيبة بين القيسية واليمنية ، والخلاف على الخلافة بين الأموية والعباسية ، وما أضيف إلى ذلك من ملاحم بين القبائل العربية والبربرية ؛ قد ألحقوا بالأتدلس جميع الأرض الكبيرة ، وصارت لهم جوف جبال البرانس أتدلسات كثيرة ؛ ولكن استغلّهم بفنهم الداخلية ، وأنهما كهم بمشاجرتهم المائلية ، وبقاء ما بقي في طباعهم من حمية الجاهلية ، واستبدلهم ملوك الطوائف ، بجيوش الصوائف ، وحركات النساد ، بحركات الجهاد ، ورضاهم عن تحمل الهزائم ، بدلا من نجر يد العزائم ؛ كل ذلك أعاد تقدمهم تأخرًا ، وردّ تجمعهم بتمترًا ، حتى صار عدوهم في الجزيرة قسبا لهم مشاركا ، وخليطًا معهم مشابكا ؛ وكان هو لم يبق له من البلاد إلا الجبال والصخور ، ولم يملك إلا ما تركه له العرب من مسارج الفزلان وأوكار النسور ؛ وكانوا هم رتموا في كل روض نصير ، وملك كبير ، ومالوا إلى طعام أنيق وفراش وثير ، وجرّروا من التيه مطارف سندس وحرير ، وأغرّتهم السمة بالدعة ، وأفضى بهم الرخاء إلى الارتخاء ، وأورثتهم رفاهية العيش قلة الانتخاء . وشتان بين من ألف الترف ومال إلى الهوى ، وبين من لزم الشظف وطوى على الطوى . ولله در من قال عن وقمة بطرنة بقرب بلنسية ، وقد مُعّص فيها المسلمون :

لبسوا الحديد إلى الوغى ولبستمُ حُللَ الحرير عليكم أوانا

ما كان أقبحهم وأحسنكم بها لو لم يكن يطرنة ما كانا

وهكذا لم يزل المحشوشن يفتك بالتمتم ، حتى دوّخه ؛ والمحروم يوقع بالترف ، إلى

أن ربحه ؛ والشقاق مع ذلك بين المسلمين لا تنطفيء ناره ، ولا تنقطع أخباره ، والإصلاح بينهم تُغفَق مَسَاعِيه ، والشر أبدأً تَجَادَعُ أَعَايِيه ؛ لا ينجع في عقولهم بليغ نصح ، ولا يموج بأساعهم نذير خطب ؛ ولا يمولون على شاهد نقل ، ولا دليل عقل ، ولا يعتبرون بحلول بشرق واقع على بشرق . تنزل بهم كل هذه القوارع وهم في سكرتهم يسهون ، ويقرأ عليهم الدهر كل يوم سورة الفاشية فلا يتدبرون ، ولا يسمعون ، (و يُتَنَوَّنُ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتَوَبُّونَ ، وَلَا هُمْ يَدْرِكُونَ) وأخيراً تناثروا بددا ، وتطابروا قيدا ، فلكل بلدة دولة وأمير ، ومنبر وسرير ؛ وكل جار لجاره مناظر لا نظير ، يجور عليه ولا يُجِير ، ولا يشار عليه بل يُغِير !
وتفرقوا شيمًا فكلُّ مَدِينَةٍ فِيهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْبَرٌ

وهم في أثناء هذا يتسابقون في ميدان الاستعانة ، بعضهم على بعض ، بالطاغية الذي يساومهم على المناصرة بتسليم الحصون ، وتمطيل الثغور ، والانهزام بلا سيف ، والرضى بكل حيف ، ويواطئون على حوزة الإسلام علنًا (و يأخذون عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سِنْفَرْنَا) والمدو كل يوم يتقدم ، وحوض الإسلام كل يوم ينهدم ؛ والخلاصة : ما زال يطنى وهم يمحرون ، ويمد وهم يمحزون ، ويطول وهم يقصرون ، إلى أن عادوا إلى علم ناكس ، وصوت خافت ، وباتوا - كما يقال - طوع كل شامت ؛ وتوقع كل عاقل الفارقة الكبرى ، وأن من هو باق بسيف البحر ليس بثابت ؛ وما كانت إلا شغافة في إناء الأندلس أراد المدو أن يستصفي سُورَهَا ، وبقية فيما وراء البحر صمم أن يقطع جندها ، وجاءه ذلك حينما لم يبق مرابطون ولا موحدون ، ولا أبطال مجاهدون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون ، بل حينما كل ملك بالمدوة مشغول بسد فتوقه ، وحفظ حقوقه ؛ سعيد بأن يثبت في مكانه ، راض بأن يخلص من عادية جيرانه ، بل من غائلة إخوانه . فكيف يستطيع أن يركب البحر لينازل الطواغيت ، ويجمع من الاسلام ذلك الشمل الشثيت ؟ فأراد الله أن يتركهم وشأنهم ، وهو تعالى الهبي المبيت . واستأسد بذلك المدو ، فلم يزل يواتهم

ويكافهم ، ويفادهم القتال ويراوحهم ، حتى أجهضهم عن أمّاكنهم ، وجفاهم عن مساكنهم ، وأركبهم طبقاً عن طبق ، واستأصلهم بالقتل والأسر كيفما اتفق ؛ وردوا في الحافرة ، وصاروا رهن هوى الأمة الظافرة . ومن اختار منهم الدجن انتقلوا تدريجاً إلى دين الطاغية ولسانه ، فحسروا الدنيا والآخرة ، وصاروا عبرة في العالمين (وتلك الأيام نداولها بين الناس ، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ، والله لا يحب الظالمين)

نعم ؛ حواضر كالبهار الزاخرة ، كانت تموج بالبشر ؛ وحصون كالجبال الشاغخة ، تمحى بالألوف وتكبو فيها جياذ الفكر ، وجيوش كانت حصى الدهناء ، ورمال البطحاء ، ومساجد كانت في الجمع المشهورة تنصُّ بألوف الألوف من المصلين ، ومدارس كانت مكتنظة بالألوف من القراء والطلالين ، وما شئت من إسلام وإيمان ، وحديث وفرقان ، وأذان يملأ الآذان ، وما أردت من نحو ولفظ وطب ، وحكمة وممان وبيان ، بلغة عربية عرباء ، يجرسها علماء كنجوم السماء ^(١) ؛ وما أردت من عيش خصل

(١) قال العلامة دوزى المستشرق الكبير الهولاندى . أوثق أوربي كتب عن الأندلس ، وذلك في كتابه « مباحث عن تاريخ اسبانية وآدابها في القرون الوسطى »
Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le moyen âge ما يلي :

« انهم كتبوا (يعنى الاسبانيول) تاريخ وطنهم الذى منه عدة مقاطعات تولها العرب مدة ثمانية قرون ، وذلك بدون أن يعرفوا لغة العرب . ولما لم يكونوا قادرين على مراجعة الكتب العربية كان لا مناص لهم من الخط عند كل خطوة كلما أرادوا الكلام عن الدول العربية أو عن الحرب والسلم بين المسيحيين ، ولهذا تجد كثيراً من الحقائق التى هى فى الدرجة القصوى من البال مجهولة عندهم مع أنها متعلقة بأخبار ممالك النصرى ، وذلك لأن هذه المعلومات لا توجد فى الكتب اللاتينية ولا الاسبانيولية بل فى كتب مؤرخى العرب وأدبائهم وشعرائهم ، لأن اسبانية المسئلة هى البلاد الاوربية التى فى القرون الوسطى كتب فيها أكثر من الجميع ، والتى كان فيها المذهب التاريخى أكل وأدق منه فى أى مكان ،

وزمن نفس ، وحَزَرَاتِ أَنْفَسٍ ، وَضَحِيكَاتِ قُلُوبٍ . كل هذا عاد كهشيم المحتظر ، كأن لم يغنَ بِالْأَمْسِ ، ولم يبقَ منه إلا آثار صوامت ، وأخبار تتناقلها الكتب ، كأنه لم يعمر الأندلس من هذه الأمة عامر ، ولا سمر فيها سامر . قال تعالى : (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا وَهَمًا كِتَابٌ مَعْلُومٌ) .

وبقيت الأمة العربية تنوح على هذا الفردوس المفقود الذي هبط منه أهله بأعالمهم ، نحواً من أربعمائة عام ، نواح الثاكل لولده لا يريد أن يندى مصابه ، ولا يفنأ يذكر فضاله ؛ ولما كنت من جملة هذه الأمة الباكية على ذلك الفردوس الضائع ، أولعت من أوائل صباى بقراءة تاريخ الأندلس ، والتنقيب عن كل ما يتعلق بالعرب فى تلك الجزيرة ، حتى إنى لما اطلعت على رواية « آخر بنى سراج » للسكانب الأفراسى الكبير « رينه شانوبريان » بادرت بنقلها إلى العربية وذياتها بتاريخ الأندلس نشرته من أربعين سنة ؛ ثم نفذت نسخته بأجمعها ، فأعدت طبعه منذ إحدى عشرة سنة ، وقد قلت فى خاتمة كتابى ذاك ما يناسب أن أعيده هنا ، رعيًا لكون الغرض الذى حدانى يومئذ إلى نشر ذلك الملتخص ، هو نفس الغرض الذى يحدونى اليوم إلى نشر هذا المطول ؛ فالروح التى أملت ذاك هى التى قد أملت هذا ، وكلامى الأول هو كلامى الآخر ، ولو كررت الأيام وتمددت الأعوام ، قلت :

« ولا أكرم القارى . الذى هو خليف بأن لا ينجى عليه ذلك بشفوف بصره ولطف حسه ، أن الأمر غير خال فى هذا الإملاء . من نزعة جنسية ، وحنوة عصبية ، وهفوة للمؤاد وراء آثار بنى الجلدة ، مما تستشر فيه مرضاة هذه النفس ، العظيمة السر ، البعيدة مهوى الغرض ، الغريبة شكل الهم ، وتوفر به اللذة والراحة لهذا الوجدان الداخلى ، السائح فى إثر ما يتعلق بالنفس من جميع جهاتها ، على ترجيح الأقرب فالأقرب ؛ وقد طبع الخالق الحكيم هذا المرء على حب جنسه ، والميل للاتصال بأبناء أبيه ، فكأنما يمثل بذلك صورة نفسه التى هى جزء من هذا المجموع ، لما يُحس من أن أقرب أنواع الدم إلى دمه ، هو الجارى فى عروق قومه ؛ فهو يمن إليهم ويحنو

عليهم، ويتألم لألهم، ويستزّ بزم؛ وتراه إذا غابت أشخاصهم استأنس بآثارهم بمد الأعيان، وارتاح إلى مواطنهم ورغب في الدوس على مواطنيهم. أقدامهم ولو بعد أزمان. وقد عهدنا الذي يصاب بعزيم أو بذى قرابة يختلف إلى قبره، ويشقى بالكاء، عنده حرارة صدره؛ وإذا ظفر بقطعة من ملبوسه، أو مفروشه أو برقعة من خطاه، احتفظ بها، وغالى في قيمتها، وجعلها مدار أنسه، في خلوات نفسه، وروّح حياته في متبذ مناجاته. وبناء على هذا الشعور أولع الخلق بمحفظ آثار الغابرين، ونظلموا بفريزة فيهم إلى معرفة بيير السالفين، ووقفوا على الأطلال الدوارس، وبكوا على الدمن البوائى، كأنما يجددون عندها عهدهم مع آبائهم، وبشدون لديها معهم عروة وفأهم.

إلى أن أقول: « فياليتنا تتبع الآن سنن من قبلنا، ونقتدى بسلطاننا، ونبنى بناء أوائلنا، ونعتبر بحمراء غرناطتنا، وخضراء دمننا، وتأمل في سالف عزمها، وسابق أمرها، وتتجنب الفرقة التي آلت إلى قدها، ونسأل رسومها عما مضى من نعيمها، فهي رسوم إن لم تجبك حواراً أجايتك اعتباراً؛ فلا يكونن دائماً من شأننا أن نتباهى بمجد الأوائل ونفاخر بالمعظم الرميم، دون أن تقتص أثر الآباء، ونحجي ذكر القديم، ولا يبقى من نصيبنا في المجد إلا حديث سمر، ومجرد ذكر. وما أحسن ما قال شوقي شاعر العصر:

وذا تـ دلالي من بنى الروم حولها	إذا ما تبدت إخوة سبمة مُردُ
عُنت بها حتى التقينا فهزها	ففى عربى مله برده مجدُ
قالت: أطيب بعد عسر وشدة؟	قللت نمم مسك الأحاديث والتدُ
عطلنا من النعمى وطوق غيرنا	تداولت الأيام وانتقل المقدُ
وما ضاعت الدنيا علينا وحسنا	ولكن عن أغصانه رحل الوردُ

هذا، وكان الفراغ من كتابة هذا التاريخ، ليلة السبت الواقع في السادس

والعشرين من المحرم سنة خمس عشرة وثلاثمائة بعد الألف « اه

فأنت ترى أن الكتاب الأول قد مضى عليه أربعون سنة ، وهي مدة تسمى عمراً ، ولقد سمعت من كثير من أعيان الأمة العربية أنهم قرءوا كتابي ذلك في وقته ، وتبعوا حوادث سقوط مملكة غرناطة وجلاء المسلمين الأخير عن الأندلس باهتمام عظيم ، ودمع سجب . وقال لي بعضهم أنهم قرءوه مرتين ، وإن منهم من كان يبكي ، ومنهم من كان يتلهب وجداً ، ومنهم من كانت مهبته تذوب حسرة عند قراءته . وقد تضاعفت الآن هذه الذكرى ، و بعد مضي هذه السنين الأربعين ازداد الولوج بتاريخ الأندلس ، بازدياد الناشئة المقبلة على العلم ، وبنمو الشعور العربي في جميع طبقات هذا الشعب ، سواء منهم من في الشرق ومن في الغرب ، ولا يزال هذا الشعور في نمو ، وما برحت هذه المهم في سمو ؛ ولا عجب فإن قوة الأمة هي على قدر ما نجت من مشارب العلم ، وارتقت من درجات الثقافة الجلم ، والأمة العربية في هذه المدة قد اجتازت عقبات جياداً ، وقطعت أشواطاً طويلاً ، وسارت السير النجاء ، وشمرت التشمير الباعث على الرجاء ؛ فأخذت تُعنى سؤال التاريخ عن ماضي أحوالها ؛ كما صرفت معظم بالها ، في توطيد استقبالها .

ولهذا رأيت أنه من أمثل ما يمكنني أن أخدم به هذه الأمة ، قبل انصرافي من هذه الدنيا ، هو أن أهدى ناشئتها عن هذه القطعة النفيسة من تاريخها ، كتاباً شافياً للقليل ، جامعاً لأفطار هذا البحث ، ناظلاً بين القديم والحادث ، مقابلاً بين ما قاله العرب وما قاله الأفرنج .

وكنت قدّمتُ بين يدي هذا التأليف رحلة قمت بها من ست سنوات في أكثر أنحاء أسبانية ، لأقرن الرواية بالرؤية ، وأجمل القَدَم رِذءَ اللقلم ، ونويت أن أجمل الرحلة أساس الكلام وواسطة النظام ، وأن أضم التاريخ إليها ، وأفرغ التخطيط عليها .

ومن أجل ذلك كنت نويت أن أسمي هذا الكتاب « بالرحلة السندية في رحلة الأندلسية » وأشرت إلى هذا الاسم في كتابي المنشور من سنتين ، للموسم

« بغزوات العرب في جنوبي فرنسا وشمالى إيطاليا وفي سويسرة وجزائر البحر المتوسط » الذى عدده جزءاً من كتابى الأندلسى . إلا أنى رأيت فيما بعد أن ما نحن بسبيله قد اتسع جداً عن الرحلة ، وأن الاسم قد ابتعد عن المسمى ، وأن الكتاب قد يقع في عدة مجلدات كبار ، وقد يكون أوسع كتاب عربى كتب عن الأندلس ؛ هذا إذا فسح الله في الأجل ، ووفق للعمل ، فعدلت إلى اسم آخر يشعر ما أنا متوخيّه من الإحاطة بقدر الطاقة ، وهو « الحلل السندسية ، في الأخبار والآثار الأندلسية » وآليت لأبأنّ فيه جهيداًى ، وأعقل به ما شرد عن سواى . ولم أقصد في ذلك تنبلاً على الخلق ، ولا تزيّداً فيما ليس بحق ، وإنما أردت النصح ما استطعت ، والتحريض ما قدرت . والعلم أمانة ، من حملها قد حمل إداً ونجشم بهراً . والتاريخ من عاجله فقد رعى حزنناً ، وركب حشناً . فان كنت قرطست أو قاربت ، فقد بلغت من عملى المراد أو بعض المراد ؛ وإن كان سهى قد طاش ، فسكمتى حامّ وما ورد ، وغنىّ وما أطرب ، ولكن شفعم له الاجتهاد .

ولقد سهرت في هذا التأليف ليالى متعطيات بأصلاها ، بتحقيقاً عن لفظ ، أو تنقيباً عن اسم ، أو ضبطاً لرواية مختلف فيها ، أو لمدد أقلّ فيه الواحد وأكثر الآخر ، أو تعييناً ليوم واقعة من أىّ شهر أو من أية سنة ، أو مقابلة بين ما قاله عربى وما قاله أوربى عن الحادثة الواحدة ، أو تعريباً لعم اسبانيولى على الوجه الذى كان يقوله العرب ، أو تبيناً لعم عربى كيف كان يلفظ به الاسبانيول ، وما أشبه ذلك مما أذبت له سواد العيون ، وأحييت كثيرا من الليالى الجلون . ولا أزعم مع ذلك أنى بلغت به الأمد الذى ينجيه من تعنت الحساد ، أو يمليه على تصفح النقاد ، ولكنى بلغت فيه الجهد ، وأبليت المنذر ، ولم أبق في القوس منزع ظفر .

ومما لا بد لى من الإشارة اليه في هذه المقدمة أنى اخترت النقل عن المؤلفين ما استطعت ، لتكون هذه الموسوعة في هذا الموضوع مرضاً للآراء ، ومجمماً للأفكار التى يطلع منها القارىء على الصور المختلفة التى كانت عن مملكة العرب في الأندلس ،

في أذهان الذين عاشوا في ذلك العصر وكتبوا عنه ، أو في أذهان من كانوا على مقربة منه . ولم أتأ أن أصنع ما يصنعه الكثيرون من أخذ الشيء . عن الآخرين وإبرازه للناس كأنه من ورى زنادم ، وفيض قرائمهم ؛ فليس هذا مذهبي في الكتابة ، ولا أراء الطريقة المثلى في التأليف ؛ وإنما ينقل الانسان ما يستطيع الاتصال به من آراء الناس ورواياتهم ، ثم يشفها برأيه الخاص ، وبالرواية التي يكون قد جزم هو بها ، أو رجحها على غيرها بحسب اجتهاده ؛ وله أن يستدل على صحة رأيه أو ثبوت روايته بما وجد من قرائن ، وآس من شواهد ، وللقارى ، بعد ذلك أن يذهب في الترجيح والتجريح كيفما شاء بحسب ما يؤديه اليه نظره .

ولهذا نقلت ما قدرت أن أعتبر. عليه من الفصول المتعلقة بالأندلس ، عن المسعودى ، وابن حوقل ، والمقدسى ، والشريف الادريسي ، وابن الأثير ، وياقوت الحموي ، وابن عذارى ، وابن بشكوال ، وابن عميرة ، وابن الأبار ، وابن خلدون ، ولسان الدين بن الخطيب ، وصاعد الطليطلى ، والهمداني ، والقلقشندى ، والمقرئ صاحب نفع الطيب ، وغيرهم من مؤلفي العرب ؛ ونقلت أيضاً عن دوزى المستشرق الهولندي ، وعن رينو المستشرق الأفرنسي ، وعن أيزيدور الباجي ، وغيره من مؤلفي القرون الوسطى ، وعن أصحاب الانسيكلويدية الاسلامية ، وعن لاوي بروفنسال من المعاصرين ، وعن المسيوجوسه P. Goussset صاحب جغرافية اسبانية والبرنتفال ، وعن بديكر ، وعن بعض علماء الاسبانيول مثل سيمونه Simonet وكوندي Conde وعن ألبار دوسبركور صاحب تاريخ المدجّنين ، والموريسك Albert de Circourt وعن دو مارليس de marlès وعن كتب أخرى اسبانيولية استغنت طي ترجمتها ببعض أصحابي من الأسبان ، ومن غيرهم . وعزوت الروايات إلى أصحابها ، وقلت كثيراً من الفصول بنصوصها ، أو تلخيصاً مع التعليق عليها في الخواص بما يعين لي مخالفاً أو موافقاً .

وهناك اصطلاح آخر ، جرى عليه بعض مؤلفي الافرنجة ، ونابههم فيه الشرقيون

وهو إرسال الكلام من عندهم في الموضوع ، ثم الاستشهاد بأقوال الآخرين بادماج بعض الجمل المأخوذة عنهم ، وذلك في صلب الكلام مع الاشارة في الحاشية إلى مأخذ تلك الجمل ؛ ولست أرى في ذلك بأساً ، وإنما ألاحظ هنا أن المؤلف قد يكون له رأى خاص في مسألة من المسائل ، فيهمه تأييد رأيه ، فينقب في الكتب على كل ما يعزّز وجهة نظره ، وكما وقع على جملة مؤلف رأى فيها تقوية لنظريته نقلها دون سواها ، وأدججها في كلامه ، فربما جاءت بتراء لا يعرف ما تقدمها ولا ما تأخر عنها ، وربما جاء نقل تلك الجملة من قبيل « ولا تقرّبوا الصلاة » وحذف « وأنتم سكارى » فن المعلوم أن الحكم لا يصح باعتبار جملة واحدة لمؤلف ، وإنما يصح باعتبار مجموع كلامه بعد تصفحه بمخالفه . وهذا الذي حداني إلى نقل فصول بأصبارها ، أخذ العذق بشاريحه ، ولو كان في خلالها ما ليس عندي بثبت ، وما اضطررت أحياناً إلى رده .

وإتماماً للعائدة رأينا تزيين هذا الكتاب باطالس جغرافية ، محررة فيها أسماء البقاع والمدن ، باللغة العربية ؛ ورسمناه بتصادير لم يسبق أن اطلع عليها العرب ، وذلك لأن التصوير بالريشة قد يفعل ما لا يفعله لتصوير بالقلم ، ولأن الصورة المحسوسة في العين هي أوقع من الصورة المجردة في الذهن ، فما ظنك إذا كانت الواحدة رديفاً للأخرى ؟

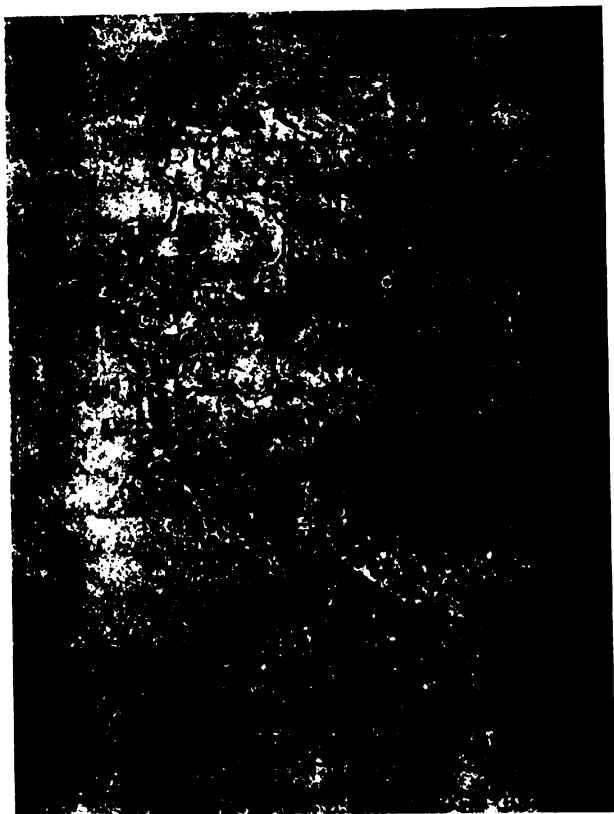
ولما كان المقصود بهذا الكتاب التوسع في الموضوع بقدر الطاقة ، قسمناه إلى قسمين : جغرافية وتاريخ . وبدأنا بالجغرافية لأنها سابقة للتاريخ ، ولم تقتصر في الجغرافية على ما كانت عليه إسبانية في أيام العرب أو في القرون الوسطى ، غير ناظرين إلى أحوالها الجغرافية الحاضرة ، بل جمعنا القديم إلى الحديث ونظمتنا بين الخالي والحالي وقرننا ما كتبه العرب بما كتبه الأفرنج ، وإن كنا لم نحب أن نملأ الكتاب بالأرقام والاحصائيات ، في الكليات والجزئيات ، مما قد عمل الأنفس مطالعته .

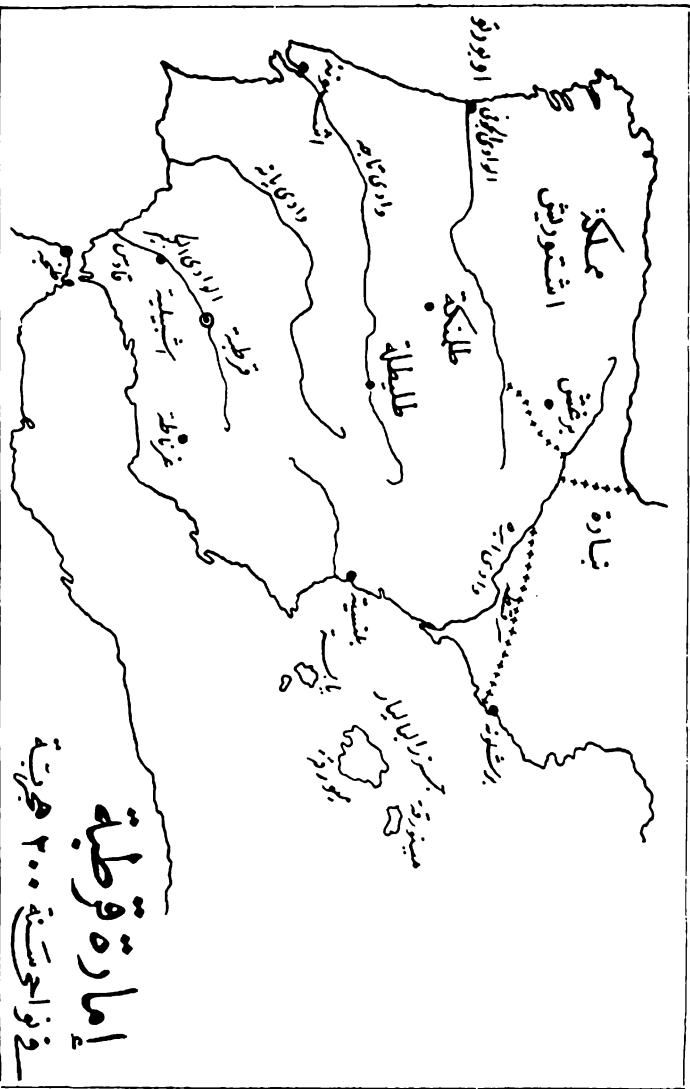
وقد أدخلنا في القسم الجغرافي ذكر من نبع من أهل العلم في كل بلد من البلدان التي ذكرناها؛ ولم نحصر ذلك في العرب، بل تجاوزناه إلى الأسيان، ولكننا استقصينا في أسماء العرب بالبديهة، ما لم نستقص في أسماء أولئك، واكتفينا من الأسيان بالمشاهير، لأن قراءنا هم من العرب وغرضنا إنما هو تعريف ناشئة العرب بالأندلس العربية، ولن يقرأ كتابنا من غير العرب إلا من شاء من المتخصصين. وقد كان مرادنا بادي ذي بدء أن نسرده أسماء العلماء والأدباء المنسوبين إلى كل بلدة سرداً مجرداً من دون ترجمة، ثم نرد تراجم أحوالهم إلى جزأين في الآخر، مخصصين بذلك الموضوع؛ ولكننا رأينا في ما بعد أن السرد المجرد لا يفيد شيئاً ولا يبلغ في صدور القراء حاجة، وأنه لا بد من شذو شيء من ترجمة كل واحد منهم، ومن تبين العلم الذي كان متخصصاً به، وذلك في الأجزاء الأولى. وإن كنا عوّلنا على هذا الأسلوب فهو لا يمتنعنا من أن ننتخب من هؤلاء المترجمين طبقة عبقرية وفئة ممتازة نكتب لهم في الآخر سيراً ضافية، إن شاء الله، تأتي فيها بمختارات من أقوالهم وأنموذجات من نظمهم ونثرهم.

هذا ولقد أحببت أن أتوجّح هذا الكتاب الذي تعبت فيه هذا التعب كله، باسم أحد أمراء الإسلام وأقطاب الشرق، الذين يتفق في شأنهم الكلام ممن يملأ الميرون والصدور، ولا يكون الثناء عليه تنميق جمل وتشقيق ألفاظ، بل يكون نفس فعله هو هو الماتف بمدحه بدون منةٍ لقاتل، ولا فضلٍ لنتوه، وتكون سيرته الشخصية وما تراه المستمرة هي المخلّدة له في الأعتاب وعلى طول الأقطاب، وإذا رأى الناس اختبرته لتتويج هذا الكتاب باسمه قالوا بأجهمهم : نالقه لقد أحسن الاختيار وأتى الأمر من بابيه، وما أطرى ولا بالغ، ولا تملق ولا داهن، وإنما هو الحق الذي لا يجهله أحد. ولا يأتي على هذا الشرط عظيم من عظام الإسلام قبل الأمير الكبير الملازمة الخطير صاحب السمو الأمير عمر طوسون حفظ الله مهجته للإسلام والمسلمين وأمتع بطول حياته الشرق والشرقيين فقد أصبح هو في هذا العصر أمين هذه الأمانة

في كل ملئة ، ومفرغها في كل مهمة . وإليه ارتاحت جميع الضائير ، وعليه حامت جميع الخواطر ، وما من بَزْلَاءَ إلا وقد نهض بها يشار إليه بالبنان في جميع أنحاء العالم الاسلامي ليعمل شيئاً مما يعمله رثاء . ولا سمعة ولا ابتغاء . شهرة ولا أمانة ، هو الذي يزينها وليس بالذي يتزين بها ، وإنما يعمل ما يعمله ابتغاء وجه الله تعالى ، وخدمة لهذه الأمة التي أبي أن يكون من أعظم أمرائها نسباً وجلاء ، بدون أن يكون من أجل أمرائها علماً وعملاً وجَدَاءَ ، فكان قدوة لكل أمير لا يعرف العيب ، ولا يريد أن يضع من عمره لحظة واحدة بدون فائدة للبشر . وما أقول هذا عن متابعة للناس في شأن هذا الأمير المنقطع النظير ، ولا عن روايات مفضنة ولا عن شهرة طائفة وإن كان التواتر يفيد اليقين وإن كان الناس أكيس من أن يجمعوا على مدح رجل إن لم يكن لذلك أهلاً ، وإنما أقول ما أقوله عما خبرته بنفسى وشاهدته بعينى ، وتبادلت معه في الكتب المتصلة والرسائل المتواترة ، مدة تزيد على خمس وعشرين سنة ، من أيام الحرب الطرابلسية إلى الحرب البلقانية ، إلى الحرب الكبرى إلى جميع الخطوب والنوازل التي حلت بالاسلام من بعدها مما قيدت خلاصته في ترجمة حياتي التي أوصيت بأن تنشر من بعدى ، واستودعتها مكتب المؤتمر الاسلامي في بيت المقدس ، وكذلك مما سجلته في تاريخ الدولة العثمانية الذي حررته تطبيقاً على تاريخ الملامة ابن خلدون رحمه الله إجابة لطلب المتصدي لتجديد طبعه الحاج محمد المهدي الحبابي القاسمي وفقه الله ، ولست والله أعلم في شيء مما قيدته من أعمال الأمير الأوحدهم عمر طوسون مد الله ، في حياته بالذي وفاه إلا النزر الأقل مما يجب من حقه على هذه الأمة التي تعرف له من فضله عليها بقدر ما ينكر هو من ذاته ، ولست في جليل هذا الكتاب باسمه الكريم إلا الكتاب الذي عرف أن يسد ما نقصه من العلم ويتلافى ما فاته من براعة الانشاء بما وفق إليه من معرفة الفضل وألمه من براعة الاهداء .

ولأبدأ الآن بالموضوع مستمداً من الله الصواب والسداد (وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد) .





امارة قرطبة
 في فوجي سنة ٢٠٠ هجرية

لمحة عامة

من الأمثال المصروبة في أوربة أن جبال البرانس — كما يقول العرب^(١) — أو البيرانية Pyrenees كما يقول الأفرنج — هي الحد الفاصل بين أوربة وأفريقية . ويقولون : إذا تجاوزت معابر البيرانية فاعلم أنك قد دخلت في أفريقية . وربما يستغرب القارىء هذا القول بعد علمه أن في غرب البرانس (أو البيرانية) بلاداً طويلة عريضة هي من أكبر أقسام أوربة ، تتألف منها مملكتان أوربتان هما إسبانية والبرتغال فكيف يمكن أن تكون هذه البلاد من أفريقية ؟ وما الموجب ، ياليت شمري ! لضرب هذا المثل الذى قد يكون من باب المبالغة في تشبيه إسبانية والبرتغال الضاربتين في مناطق الجنوب بجاراتها سواحل أفريقية الشمالية ؟ والحقيقة أنه ليس في هذا المثل شيء من المبالغة . أما من جهة الشجر والحجر والتراب والماء . فإن الجزيرة الأيبيرية المنفصلة عن أوربة بجبال البرانس أشبه بشمالى أفريقية وبرى آسية . ولقد جرت هذا الشعور بنفسى فور دخولى إلى إسبانية ، إذ كان ذهابى إليها من طريق فرنسا أى من الشمال ، فاعبرت الحدود الواقعة بين فرنسا وإسبانية حتى خلت نهمى سائراً في سواحل الشام بلادى . فكيفما نظرت وقع نظرى على التين والزيتون والخروب والصنوبر والصبر وجميع الأشجار والنباتات الحرجية التى أعرفها في بلادى ، مع وجوه الشبه الكثيرة في منظر الأرضين ولون التراب ومحدّر الغدران يحف بها القصب والحلفاء ، ومع حنين النواعير في البقاع التى لا يصح لها الشرب من الغدران ، وغير ذلك مما يجئلك أنك ضللاً في سواحل سورية . ولا شك في أن هذا التشابه بين البلادين هو الذى حدا عرب سورية على اتجاع الأندلس أكثر من أى بلاد سواها ، لأن الانسان يجب إذا تقرب أن يقع في أرض تشبه مسقط رأسه .

وكان الجغرافيون القدماء يقسمون الكرة الأرضية إلى مناطق سبع ، وبحسب

(١) وقد يقول لها العرب جبال البرتات

هذه المناطق تكون اسبانية وجزائر البحر المتوسط مثل سردانية وصقلية وكريت وقبرص ، وكذلك البلاد الشامية والعراقية ، منطقة واحدة . وقد شاهدت شمالي المغرب فرأيت لا يفتقر عن جنوبي أسبانية . وكيف يختلف عنه وكل الفاصل بينهما مضيق لا يتجاوز في بعض الأماكن أكثر من مسافة ١٥ كيلو متراً ؛ وهذا الفاصل قد جرى الماء فيه حديثاً بالنسبة إلى الأدوار الجيولوجية . وأنت إذا نظرت إلى شكل الأرض في الجزيرة الخضراء وجبل طارق ، من جهة ، وإلى شكلها في طنجة وجبل موسى وسبتة تجده واحداً ، فهي بقعة خرقتها الماء من الأوقيانوس الاطلانطي إلى البحر المتوسط فجعلها شطرين ، ولكن لم ينزع من كل من الشطرين وحدته الطبيعية مع الآخر . وقد قيل لي : إن في برية جبل طارق نوعاً من القردة قديم الوجود فيها ، وهذا النوع نفسه يسكن في جبل موسى المقابل لجبل طارق وذلك من جهة افريقية .

هذا من جهة الجغرافية الطبيعية . أما من جهة الجغرافية السياسية التي تتعلق بالسكان والممالك ، أو من الجهة الانتوغرافية كما يقال ، فلا شك أن الاسبانين والبرتغاليين وإن كانوا أوريبيين في سلالتهم فانهم لاختلاطهم بالعرب والبربر والأمم السامية مدة قرون متطاولة أصبحوا أمة وسطاً بين الغرب والشرق ^(١) . وإذا صح

(١) يذهب كثير من المؤرخين إلى أن الابيريين الذين هم سكان أسبانية الاولون هم البربر من أصل واحد . ويستدلون على ذلك بالتشابه بين عادات الفريقين . من ذلك ما رواه سترابون من أن المرأة كان لها المقام الاول عندهم إلى زمن الرومانيين وهذه المادة معروفة الآن عند الطوارق في صحراء إفريقية . ثم إن السليتين جاءوا من أوربة الوسطى فاختلطوا بالابيريين ، كما أن قرطاجنة أرسلت إلى أسبانية مهاجرين كثيرين من إفريقية ، وقبل قرطاجنة كان الفينيقيون قد عمروها . فأنت ترى أن أسبانية ملتحق للعناصر الشرقية والغربية ، فمنها العناصر الغربية التي تأتيها من شمالي البرانس ومنها العناصر الشرقية التي تأتيها من جنوبي بحر الرقاق .

ثم إنه طراً على اسبانية جاليات يونانية نزلت في أقسامها الشرقية ، وتلاها

الافتراض الذى يذهب إليه بعضهم من أن السلالة البيضاء هي التي انتقلت من على عتقُ الدهر من المغرب إلى أوربة لم يكن العرب هم أول من أجاز من إفريقية إلى الأندلس .

إن شبه الجزيرة الايبيرية لا يتصل بأوربة إلا ببرزخ ، هو جبال البرانس ، وهي جبال شهيرة متوسط ارتفاعها سبعمائة متر عن سطح البحر تنكسر على أذيالها

جاليات رومانية غلبت على جميعها ، وفي أثناء ذلك دخلها العنصر السامى أيضاً بمجيء عدد كبير من اليهود .

وبعد أن تلاقى فيها الايبيريون والسليتون واللاتينيون واليونانيون من السلائل الأوربية ، والقرطاجنيون والفينيقيون واليهود من السلائل الآسيوية ، طرأت على اسبانية أمم جرمانية مثل السويف والالانيين والفندالس والقرط الذين ملكوها وكانوا الطبقة السائدة فيها عند ما فتحها العرب .

ولما جاء العرب دخلها ملايين منهم ومن البربر ، فاختلطت آسية وأفريقية بأوربة اختلاطاً شديداً ، وصار الغالب على اسبانية هو المدنية الشرقية ، ولا عبرة بما جرى من إجلاء العرب والبربر فيما بعد ، فإن هؤلاء قد بقى منهم في الجزيرة عدد كبير اندجروا في الأهالى في جميع المقاطعات ودانوا بالانصارية ولا يوجد في اسبانية مكان يخلو منهم حتى أن القشتاليين الذين هم أقل أهل اسبانية اختلاطاً بالعناصر الشرقية والذين يمثلون السلالة الايبيرية القديمة لا يخلون من عنصر دخيل من العرب والبربر .

وعلى وجه الاجمال السلالة الآرية هي الغالبة على القسم الشمالى الغربى من اسبانية ولذلك أجسامهم أقوى وعضلاتهم أصلب . ومنهم القشتاليون الذين يعدون أنفسهم محررى البلاد ، ففى أنوفهم نغرة شديدة . ومثل القشتاليين فى حية الأنوف أهل أراغون وأهل مقاطعة مرسية . أما الكتلونيون فهم أهل صناعة وعمل ، ولا يفترون كثيراً عن أهل اللندوق فى جنوى فرنسا لأنهم جيرانهم . وأما سكان الأندلس أى المقاطعات الجنوبية فيقلب على أهلها الذكاه والجمال والسرور وحب الترف ، وذلك لأنهم من بقايا العرب ومن كان اندمج فى العرب . اه تلخيصاً عن جوسه صاحب جغرافية اسبانية والبرتغال .

أمواج البحر المتوسط من الشرق والاطلانطايقي من الغرب ، وقد حفرت المياه على منحدرها سوهمين جهة الشرق أو من جهة الغرب مُسَلَّاتًا لا تحصى وأنها را تندفق وجرّدت صخورها من التراب الذي لا يزال يمحف به السيل من عشرات الآلاف من السنين .

والجيولوجيون يقولون : إنه لو حصل خلل في توازن قشرة الأرض الصلبة أدّى إلى اضطراب أعماق البحار لما أمكن أن تكون الجزيرة الايبيرية بمنجاة من هجوم البحر من جهة الوادى الكبير في الجنوب وجون نهر « إبره » Ebre في الشرق حيث أن طرطوشة ليست إلا على ارتفاع مترين فقط من مصب نهر « إره » كما أن إشبيلية لا تعلو إلا عشرة أمتار عن الوادى الكبير . ولو قدّر أن البحر ارتفع مائة متر عما هو الآن لضربت أمواجه حيطان قرطبة . ولو أن البحر انبسط على سهل اشبيلية لفسر أكثر سهول الأندلس ، ولم يقف إلا في سفوح جبال موربنة ، sierra - morena بحيث يعود إلى التشكل ذلك البوغاز القديم الذى بسبه العلماء بالبوغاز الينى D'étroit Bétique الذى كان يصل البحر المتوسط بالاقيانوس فاصلا بين جبال إسبانية الوسطى وبين جبال شليز الثلج ^(١) sierra nevada التى بعدها العلماء من جبال أفريقية والتي ذروتها المسماة بقمة مولاي الحسن تعلو عن البحر ٣٤٨١ مترا . وهذا قبل أن حصلت المزلّات الجيولوجية الكبرى التي نشأ عنها الحرق البحرى المسمى ببوغاز جبل طارق .

كذلك ضفاف نهر « إره » كضفاف الوادى الكبير الذى كان القدماء يقولون له نهر « بتيس » هى تحت تهديد البحر الدائم ، وذلك بحسب درجة ما يمكن أن يرتفع . فإذا ارتفع بضع مئات من الأمتار فان بنبلونة من نبارة ^(٢) Panpelune

(١) nevada معناها بالاسبانيولى المتلجة فالاسبانيون يعنون بقولهم Sierra nevada سلسلة جبال الثلج وأما العرب فكانوا يسمون سلسلة هذه الجبال شليز الثلج وكانوا يطلقون على مجموعها اسم الشارات أو الشرايا وهى تعريب للفظه Sierra مع الجمع navarre (٢)

لا تعلوا أكثر من أربعمائة متر ، ورسقه Huesca لا تعلوا أكثر من ٤٦٦ متراً . وكذلك لازدة هي من هذه الأماكن التي قد تضرها المياه ، وأهم من الجميع سرقسطة التي لا تعلوا أكثر من مائتي متر وتطيلة التي علوها ٢٥٧ متراً

ولقد ثبت وجود مواد مالحة في أعماق هذه الأودية تدل على أن البحر لم يتقلص عنها إلا من عهد قريب بالنسبة للاعمار الجيولوجية . فقلعة الجزيرة الايبيرية في وجه البحار هي في الجنوب جبال مورينه وجبال البشرات وفي الشرق جبال البرانس . وأما في الشمال فهناك جبال قنطيرية ^(١) Cantabrique التي تعلونحوماً من الفين وخمسمائة متر ثم تنقطع دفعة واحدة فوق سواحل الاطلانتيك ، حيث تصادم البحر سلسلة صخور لا تنتهي إلا عند الوادي الكبير في الجنوب . وإلى الاطلانتيك تنحدر الأنهر الأربع « مينو Minho » و « دورو Duero » ^(٢) و « تاجه Tage » « وادي يانه Guadiana » ومنها « دورو » و « تاجه » قدحفرأ أخاديد ضيقة في الأرض هي من العمق بحيث صارت فواصل طبيعية أبدية . ولاشك أنها لم تحل من تأثير في السياسة وأن لها بدأ في فصل البرتغال عن إسبانية ، على حين أنه لا يوجد من جهة السكان فاصل بين الفرقتين .

نم أن القسم الأعلى من جبال اسبانية يقسم البلاد إلى قسمين : قشتالة القديمة ، وقشتالة الجديدة ؛ ويقال لها وبلاد ليون Léon والاشتراما دور Estramadure « الميزيتا meseta » وهي أعلى اسبانية التي لولاها لدخل البحر على الجزيرة الايبيرية من جهات متعددة بارتفاع قليل ، ولجعل عاليها سافلها .

(١) الغالب على مؤلفي العرب أنهم كانوا يسمون هذه الجبال في شمال اسبانية بجبال اختورياس Asturias أو جبال جليقيه . وأما قنطيرية الأصلية فهي تمتد إلى الشمال الغربي حتى تلتقي بالبرانس . والطرف الشمالي الممتد من بلدة الفارو le Ferrol إلى بيوتة Bayonne على الساحل يقال له جبال شبية ،
(٢) يسميه العرب « بالوادي الجرفي » ،

ثم إن الفاصل بين القشتاليتين les deux Castilles سلسلة أهاضيب يقال لها شارات وادى الرمل ، لكثرة رملها ، والاسبانيول حرفوا « الرمل » فحلوها « الزامه » فهم يقولون « وادى الزامه » وهو التوجيه الأرجح Guadarrama وسلسلة أخرى يقال لها هضاب « غريدوس » Sicra de Gredos وهى متصلة بسلسة مثلها من جهة الغرب يقال لها شارات « غاتا » والشارات البرتغالية التى يقال لها « استريلأ » Estrella كما أنها متصلة من جهة الشرق نشوز « شوريه » Seoria ومرتفعات « ديمند » Demanda على نهر « ابره »

ولما كانت هضاب وادى الرمل عارية من الشجر الذى من طبيعته أنه يمسك الأرضين ، فقد تفككت أجزاءها بحرارة شمس القيظ وبرودة جلد الشتاء ، وتكون منها كتل كثيرة لاسيا فى الجنوب حيث هى البلاد التى يبر عنها بقشتالة الجديدة . وأن هذه الشارات التى فى وسط اسبانية هى التى تنحدر منها مياه وادى « الدوره » Duero الذى يجرى فى قشتالة القديمة ومياه النهرين الشقيقين « تاجه » Tage وادى « يانه » Gadiana^(١) اللذين يتحيفان فى جريهما جبال طليطالة Toléde وهضاب « وادى لب » Guadalupe ويخترقان البلاد إلى البرتغال ، إلا أن أحدهما « تاجه » ينصب فى خليج « اشبونة » Lisbonne والآخر يلتوى عن مجراه للاستقيم قاصداً إلى الجنوب ، بدلا من الغرب ، فينصب بحذاء « بطليوس » Badajoz بقرب خليج قادس cadix

وغير بعيد عن مصب وادى يانه ، ينصب الوادى الكبير Guadilquivir الذى ينبع من الجبال الوسطى فى اسبانية . ولكن انصباب الأنهار من جهة البحر

(١) فى اسبانية نهران هذا الاسم أحدهما يسير من شلير الثلج nevada ويمر ببلدة وادى آس guadia فى الجنوب والثانى الذى نذكره الآن يمر ببلاد البرتغال ويتصبب فى البحر المحيط

المتوسط في القسم الجنوبي من اسبانية هو قليل ، نظراً لاشراف شلير الثلج على البحر يتدلى إليه بدون فاصل ، فلا تسكاد تجدد الجداول مجالا للجرى . وذلك مثل وادى مالة Guadalhorce ونهر المرية ونهر شقورينه المشتق من نهر شقر Seegur والنهر المسمى بوادى الأبيار وادى بانسية Guadalaviar وغيرها ويندر في الدنيا وجود ساحل مضرّس مشقّق تشقّق هذا الساحل الذي هو شاطيء البحر المتوسط من اسبانية وهو معهد زلازل وموقد حركات بركانية لم تنطفئ . وآثار ذلك بارزة في الشقوق الهائلة التي تتخلله من جبل طارق جنوباً ، إلى كتالونية شمالاً ، وأعظمها الشق الذي ينحدر منه نهر « ابره » إلى البحر . ويرجع العلماء أن المرازخ البركانية هي التي فصلت جزيرة ميورقة عن راس « ناو » nao وأن ميورقة نفسها . إن هي وأخوانها ميورقة ويايسة إلا حلقات من سلسلة كان من جعلتها قورسيكا وسردانية .

ويظهر أن الزلازل البركانية التي شقت بوغاز جبل طارق ، وفصلت هذا الجبل عن أمه افريقية ، وجعلته من أوربة ، وأقامت وأقمدت أركان شلير الثلج ، وفتحت في ساحل اسبانية الشرقى فجاً ، وأحدثت فوق كثير من أقسام ذلك الساحل لججاً وأمواجاً ، لم تنقطع حركتها بالمرّة ولا سكن توهجها ؛ فانه لا يزال هذا الشاطيء في قلق إلى يومنا هذا . وكل يعلم أنه في ٢ دسمبر سنة ١٨٨٤ وقعت زلزلة عظيمة كان معظم شدتها في مالة وغرناطة ونواحيها ، وذهبت طائفة من العلماء حينئذ إلى هناك وحققوا منطقة الزلازل فوجدوا أنها لم تتجاوز اسبانية السفلى ، وأنها وقفت في حذاء شارات مورنيا فكان الحاجز الذي صدّ الزلازل عن شمول اسبانية العليا هو شفير « الميزيتا » meseta الايبيرية . وهكذا رجعت من أمام هذا الحاجز إلى الورا . تصديقاً لقوله تعالى (وجعلنا في الأرض رواسي أن تُميدَ بكم)

ولا تشتد الزلازل في اشبيلية وقرطبة شدتها في هذا الساحل من جبل طارق إلى برشلونه ، بل إن شارات الثلج أو الجبال التي يقول لها العرب جبال شلير Solair

بالرم من غلظ أعناقها وثبوت أركانها ، ليست بمنجاة تماماً من تأثير هذه الهزات الأرضية ، يظهر لك ذلك من أودية غرناطة و وادي آش ولورقة والوادي المسمى شافورينة عند مرسية . وتستمر آثار عمل الزلازل إلى بلنسية فبرشلونة . غير وند من كتلونية .

وكثيراً ما تتجاوز الشقوة مع السعادة ويسكن الخير مع الشر في بيت واحد ، فان هذه المنطقة هي مع زلازلها أخصب بقاع اسبانية ، ناهيك بمرج غرناطة وبساتين مالقة وجنان مرسية ولورقة وغيضة نخيل أش وحقول القنت ، وأخيراً غوطة بلنسية التي تضارع غوطة دمشق . وبالاختصار هذا الخط البديع الذي فوقه الماء ، وتحت النار والذي هو بين الشمس والأمطار قد بستت فيه عظام الأشجار وتهدلت فوقها أصناف الثمار ، وهو لجيد الجزيرة الايبيرية كالهمد لجيد الحساء بلا إنكار .

اسم الجزيرة الايبيرية

توخينا أن نطلق على اسبانية والبرتغال اسم « الجزيرة الايبيرية » لأنها فضلا جزيرة ، قد جزر البحر عنها من الجهات الأربع ، بل فراراً من تكرار جملة « شبه الجزيرة الايبيرية » ولقد كان العرب يسمون هذه البلاد بالجزيرة الاندلسية مع معرفتهم أيضاً بأنها شبه جزيرة وأنها متصلة بالأرض الكبيرة من ناحية جبال « البرتات » أو البرانس . وقد قالوا كذلك « جزيرة العرب » مع أنها محاطة بالبحر من جهات ثلاث لا غير مثل جزيرة الاندلس . هذا ولو ارتفع البحر المتوسط قليلا من جهة « أربونة » Narbone لتمر تلك البسائط إلى خليج « برديل » Bordeaux وصارت اسبانية والبرتغال جزيرة حقيقية

أما هذه النسبة وهي الايبيرية فهي نسبة إلى أمة قديمة يقال لها « الايبير » ibere كانت أقدم أمة عمرت تلك البلاد ، ولم يعرف قبلها هناك أمة أخرى . وجميع الذين أوطنوا هذه الجزيرة إنما جاؤا بعد أمة الايبير هذه .

اسم الجزيرة الأندلسية

أما الجزيرة الأندلسية التي كان العرب يسمون بها هذه البلاد فهي منسوبة إلى « الأندلس » وقد كثر الكلام في أصل هذه اللفظة ، ولكن أرجح الأقوال أنها مشتقة من اسم « الفاندالس » وهم جيل من الناس كانوا يسكنون بين نهر « الأودر » oder ونهر « الفيستول » vistule في شرقي المانية . ويقال إنهم من أصل جرمانى ، ويقال إن بعضهم من أصل سلافى أو صقالى كما تقول العرب . وهؤلاء الفاندالس زحفوا من الشمال إلى الجنوب حتى بلغوا بوغاز جبل طارق ، وذلك سنة ٤١١ قبل المسيح . ومن هناك أجازوا إلى افريقية . فلما عرفهم أهل افريقية أطلقوا اسمهم على البلاد التي جاءهم منها وسموا هذه البلاد بالأندلس . وقالوا أن عبورهم إلى المغرب كان من جهة « طريف » tarifa وقالوا بل من الجزيرة الخضراء .

وجاء في الانسيكلوبديا الاسلامية في الجزء الأول صفحة ٣٥٤ بقلم سيولد Seybold أن الفاندالس لم يقيموا في جنوبي اسبانية إلا ثمانى عشرة سنة لاغير ، وأن بلاد جنوبي اسبانية كان يقال لها إلى ذلك الوقت « باتيكة » Batique فصار يقال لها « فانداليسيا » ومنها جاءت لفظة الأندلس ، ولما جاء العرب وفتحوا اسبانية أطلقوا عليها هذا الاسم وصاروا يقولون أندلس ، لا لبقعة الجنوبية المقابلة للمغرب فحسب ، بل لجميع الجزيرة الايبيرية ولجميع ما فتحوه من البلدان بعد أن عبروا بوغاز جبل طارق . فالأندلس عند العرب هى من بحر الزقاق أو بوغاز جبل طارق . إلى جبال البرانس . وربما أطلقوا لفظة الأندلس على ما وراء البرانس من أرض الأفرنجية فاما الأسبان أنفسهم فكانوا لا يعرفون هذا الاسم قبل العرب وكانوا يسمون البقاع الجنوبية من الجزيرة الايبيرية باسبانية القديمة ، كما كانوا يسمون شمالي اسبانية بأسمائها المختلفة مثل استورية التي كان العرب يقولون لها اشتورية أو اشتورياس ومثل ليون وقشتالة وأراغون الخ . ولكن بعد أن غاب العرب على تلك الأقطار

واشتهر اسم الأندلس عند الإسبانول أنفسهم صاروا يطلقونه على جنوبي اسبانية ، لاسيا بمد أن بدأ العرب يترجعون إلى الجنوب ، إلى أن انحصر هذا الاسم في مملكة غرناطة الصغيرة . انتهى كلام الانسيكلوبيديا الاسلامية ملخصاً وقد نقل ذلك عنها المستشرق ليثي أو لاوي بروفنسال E. Levi - Provençal في كتابه (اسبانية المسلمة في القرن العاشر ^(١) المطبوع في باريس سنة ١٩٣٢)

قلنا أن هذا الاسم لا يزال يطلق إلى الآن على ولايات اسبانية الجنوبية ، مثل قرطبة واشبيلية وغرناطة ورُندة ومالقة وما جاورها . ولننظر الآن إلى مقاله مؤرخو العرب في أصل اشتقاق لفظة الأندلس :

قال ياقوت الحموي في معجم البلدان : الأندلس يقال بضم الدال وفتحها وضم الدال ليس إلا ، وهي كلمة معجمية لم يستعملها العرب في القديم وإنما عرفتها العرب في الاسلام وقد جرى على الألسن أن تلزم الألف واللام . وقد استعمل حذفها في شعر ينسب إلى بعض العرب فقال عند ذلك :

سألت القوم عن أنسٍ فقالوا بأندلسٍ وأندلسٌ بيميد

ثم أخذ ياقوت يبحث في بناء لفظة أندلس ومكانها من الأوزان العربية وكيف أنه لا يوجد لها وزن في هذه اللغة ، بحثاً ليس له طائل ، لأن هذه اللفظة هي أعجمية من أصلها كما قال هو فلا حاجة لرضها على وزن عربي . ولم يقل ياقوت مصدر هذه اللفظة كما ذكر غيره ، ولكن نقل المقرئ في نفع الطبيب عن ابن سديد أنها إنما سميت بالأندلس لأن هذا الاسم هو اسم ابن طوبال بن يافث بن نوح الذي نزلها كما أن أخاه سبت بن يافث نزل المدوة المقابلة لها وإليه تنسب مدينة سبتة (؟) قال : وقال ابن غالب : إنه أندلس بن يافث والله تعالى أعلم .

وقال القلقشندي في صبح الأعشى الجزء الخامس : وقد اختلف في سبب تسمية الأندلس بهذا الاسم ، قبيل ملكته أمة بمد الطارفان يقال لها الأندلس بالشين المعجمة

(١) L'Espagne musulmane au xème siècle

فسمي بهم ، ثم عرب بالسين المهملة . وقيل خرج من رومة ثلاثة طوابع في زمن الروم يقال لأحدم القندلش بالقاف في أوله وبالشين المعجمة في آخره ، فنزل القندلش هذه الأرض فعرفت به ثم عربت بابدال التاف همزة والشين المعجمة سيناً مهملة . ويقال أن اسمها في القديم « آفارية »^(١) ثم سميت « باطقه » ثم أشبانية^(٢) ثم الاندلس باسم الأمة المذكورة . قال في توويم البلدان : وسميت جزيرة لاحاطة البحر بها من الشرق والغرب والجنوب وإن كان جانبه الشمالى متصلا بالبر

(١) لا نعرف ما إذا أراد القلقشندي بهذه اللفظة « آفارية » ، وإن لم تكن محرفة أو مصحفة فيكون الأشبه بها أن تكون « آفاريه » ، والحال أن بلاد الآفاريين هي في شمال القوقاس . ثم إن الشعب الآفاري هو من أصل تركي زحف من الشرق إلى الغرب في القرون الوسطى لكنه لم يتجاوز بوهيميا غربا ووقع بين السلاف من جهة والغرب من جهة أخرى ثم اندمج في الشعوب الأخرى لاسيما في المغرب

(٢) الايبيريون السلتيون هم أقدم أمة في غربي أوربة اتجمعت شبه الجزيرة الايبيرية أي اسبانية والبرتغال الحاضرتين وقسما من بلاد الغال أي جنوبي فرنسا وبعض شمالي ايطالية . وقيل لاسبانية الحالية « ايبيرية » نسبة اليهم ثم تحولت هذه اللفظة إلى « هيسبرية » قلب الألف هاء Hespérie وهو اسم كان اليونانيون يسمون به شبه جزيرة ايطالية كما كان الرومانيون يسمون به شبه جزيرة إيبيرية وبعد ذلك تحولت « هيسبرية » إلى « هيسبانية » Hispanie ومنها صارت « اسبانية » Espagne والغرب كانوا يعرفون هذا الاسم إلا أنهم كانوا يحملون السين شيئا

وهناك توجه آخر لاسم اسبانية ، وهو أن اشيلية كانت في القدم مستعمرة ايبيرية ، وكان يقال لها « هيسباليس » Hispalis ولم تلبث أن صارت عاصمة بايكا ، أي اسبانية الجنوبية ، فلا عجب أن اشتق اسم اسبانية من هيسباليس لأن اللام والنون كثيرا ما يحصل التبادل بينهما ولا تنس أن أصل البلاد التي يقال لها اسبانية هو الجنوب من اسبانية الحالية وأن اسم اسبانية لم يشمل شمالي الجزيرة الايبيرية إلا حديثا فلا يبعد أن يكون اسم اشيلية القديم شمل البلاد التابعة لها ، وكثيرا ما نسمت المملكة باسم العاصمة .

وهذا التوجيه هو الذي ظهر لمحرر هذه السطور ولم أجده في كتاب وقد كاشفت

ما قاله دوزى عن اشتقاق اسم الأندلس

إيات دوزى فى هذه المسألة بشئ جديد ، فى كتابه المسمى « بمباحث عن تاريخ اسبانية وآدابها فى القرون الوسطى » المحرر بالفرنسية ، يقول : ان هذا الاسم كان يطلق على مقاطعة بتيكة وقد جعله العرب عاملاً لجميع اسبانية ، فترجح أن لفظة اندلس مشتقة من الفندالس الذين قبل أن أجازوا إلى افریقیة احتلوا جنوبى اسبانية . وهذا رأى فى هذا الاشتقاق هو قديم ، لأنه قد رواه الرازى ورد عليه بأن مقام الفندالس فى جنوب اسبانية كان قصيراً جداً ، ولكن الذى لا شك فيه هو أن أول من أطلق لفظ اندلس على مقاطعة بتيكة وعلى اسبانية كلها هم المسلمون ، فان مؤرخى شمالى اسبانية لا يعرفون هذا الاسم بل يسمون باسبانية Spania جميع البلاد التى كانت فى حوزة العرب . فاما مؤلفو العرب فيسمون البلاد بالاندلس ويذكرون وجه التسمية . وفى « أخبار مجموعة » يقول إن أندلس كان اسم الجزيرة التى نزل بها طريف ، ويقال لها جزيرة طريف من ذلك الوقت . وقال المؤرخ عريب : أن

به الأستاذ المدقق السيد محمد علال الفاسى من آل الجدد وهو من نقوب الذهن وأصالة رأى وسعة الاطلاع بالمكان الذى يعرفه له كل من عرفه فأجابنى بما على :

إن المحدثين تكلموا عن مصدر اشتقاق هذا الاسم واسبانية ، فذهب بعضهم إلى أنه مأخوذ من لفظة « شافان » السامية ومعناها الأرب وهو الحيوان المعروف قيل لأن الفينيقيين وجدوه بكثرة هناك . ويظن الآخرون أنها سميت واسبانية . من لفظة « أزبانيا » وهى لفظة باسكية معناها « شاطئ » ، ونفسى تظمن لهذا التعليل لأنه منطوق تماماً على حال الجزيرة وليس فيه تغير كبير . أما كونها سميت اسبانية باسم اشيلية التى كانت تدعى « هيسبليس » فتغير متعين لأنى أظن أن هذه اللفظة كانت من قبل ، أى بعد سقوط مملكة القرطاجنيين ، علماً على شبه الجزيرة كلها وأن اشيلية كانت ممروقة عند الفينيقيين باسم « سيفيلا » والرومان هم الذين أبغوا اسم المملكة على خصوص هذه المدينة اه فرأى السيد علال هو إذا اشتقاتها من ازبانيا بمعنى شاطئ . واقه أعلم .

طريقاً نزل قبالة طنجة في الأندلس التي يقال لها اليوم جزيرة طريف . إذا أصل الاسم كان لتلك المحل لا للبلاد كلها ، وقد ذكر غريغوار التورى Grégore de Tours ما يدل على أن اسم المكان الذي نزل فيه طريف كان طرادو كته Traducta وهو المكان الذي أجاز منه القانندالس إلى افريقية فلما جاء البربر ونزلوا في هذا المكان سموا باندلس كل البلاد وجاء طارق من بعده فكان هذا الاسم أصبح مستعملاً

تخليط الجزيرة الأندلسية

قال سيبولد في الانسيكلويدية الاسلامية : إن العرب لم يكونوا ليتخلصوا من المصور الجغرافي المعكوس المنحرف الذي وضعه بطليوس من قديم الزمان ، فكانوا يصورون اسبانية بشكل مثلث غير منتظم ، أطرافه هي : من الجنوب طريف ورأس مراکش ، ومن الشمال الشرقي رأس كريوس Créus ومرسى قاندر fort-Vendres وفي الشمال الغربي بلاد فينستير Finistère وكذلك كانوا يصورون جميع الشواطئ . المستدة من طريف إلى كريوس أو بالأقل إلى طركونة و برشولة كأنها ثغور جنوبية كما تعلم ذلك من كتاب المراكشي . فأما جبال البرانس فهي في تصورهم ثغور شرقية للأندلس ! ثم إنهم فيما بعد فهموا أن شرق الأندلس إنما هو سواحل بلنسية ومرسية وفهموا أن الحد الغربي هو الاقيانوس الاطلانتيكي الذي كانوا يقولون له بحر الظلمات أو البحر المظلم أو البحر المحيط الأعظم أو الاقيانوس أو القاموس أو البحر الغربي في مقابلة الشرق الذي كانوا يقولون له البحر الرومي أو البحر الشامي أو المتوسط . وكان الحد الغربي للأندلس عندهم ممتدا من طريف إلى رأس « سان فنسان » Cap Saint - Vincent أو رأس « روكه » Roca عند أشبونة Lisbonne ومن هناك يصير عندهم الحد الشمالي الذي يمتد وراء غاليسية Galice إلى جبال البرانس في بلاد « فونترابية » Fontarabie . وكانوا يقولون لجبال البرانس جبل البرتات أو الجبل الحاجز أو الفاصل ، ويسمون جبال قشتالة بجبل الشارات وجبال نيفاده

Névada بجبل الثلج أو جبل شاير chulair (واصل هذه اللفظة هو سولوروس
(Solorius

ولهذا جميع الاطالس الجغرافية المتعلقة باسبانية المرية المنشورة إلى اليوم هي غير صحيحة ، سواء أطالس « سبرونز » و « منكه » Spruner et menka المطبوعة سنة ١٨٨٠ وأطالس درايزن Draysen المطبوعة سنة ١٨٩٤ في كتاب اوغست مولر المسمى « بالإسلام في الشرق والغرب » أو أطالس ستانلي لانبول Sane-Poole في كتابه « العرب في اسبانية » وكأها قد تناقلت الأغلاط الجغرافية من أيام « كازيرى » و « كوندى » و « سوزة » و « جوبرت » و « غاينفوس » و « هامر » و « ملرن » وغيرهم ، حتى أن دورى Dozy نفسه برغم مجهوداته الكثيرة لم يترك أثراً يذكر في تصحيح جغرافية اسبانية ، وهو في ترجمته لكتاب الادريسي عن الأندلس والمغرب وتعليقه عليه لم يأت أيضاً بشئ من تصحيح الأغلاط التي وردت في نفس الأصل ^(١) نعم أنه في تضاعيف كتبه عن الأندلس حقق بعض أما كن

(١) علق دوزى بعض ملاحظات على الادريسي ، إلا أن جل همه كان تحقيق الإعلام التي ذكرها الادريسي وذكر ما يقال لها بالاسبانية ، وقد رمى فقرطس في جميع ما قاله إلا في مواضع معدودة توقف فيها أو كان في قوله نظر . وعلى كل حال فترجمته لكتاب الادريسي هي أحسن ترجمة ، وكفاها حسناً تصحيحه للأغلاط الفظيعة التي وقعت في ترجمة جوبر ، Joubert وذهبت بالمانى إلى أبعد ما يصل إليه التصور ومن أمثلة هذه الأغلاط أن الادريسي ذكر الروس فقال : إنهم يحملون اللحم ومنهم من يجمعها ويضفرها كاعراف الدواب . فوقع تصحيح في « اعراف » جعلها « اعراب » فترجم جوبر ذلك بما يلي :

la réunissent et la tressent à la manière des Arabes de Douab

أى يجمعونها ويضفرونها على نسق اعراب بلاد دواب

وجاء في كلام الادريسي عن أحد الظالمين انه « مسخ » وهو فعل مبنى للجهول فلم يفهم جوبر لفظة « مسخ » وظنها اسم علم وترجمها هكذا on dit que c'est masth هكذا il fut métamorphosé ووقع جوبر في اغلاط كثيرة من هذا

لا سيما في مبحثه المسمى « بملاحظات جغرافية على بعض مقاطعات الأندلس القديمة » وذلك في كتابه المسمى « بالتنقيبات عن تاريخ اسبانية وآدابها »

Recherches sur l'histoire et la litterature de l'Espagne

ولم تقدم جغرافية اسبانية العلمية في كتابات « سافيدرا » Soavedra ولا « سيمونه »

Simoner ولا « اغيلاز » Egilaz ولا « قديره » Codera ولا « باسه » Basser

وقد كان يجب جمع جميع ما تقدم من المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع ، ونحليها

نحلاً دقيقاً ، مع طرح جميع المجازفات والأخطاء التي تراكت من أيام كزيري Caisri

وكوندى Conde إلى أيام هامر Hamner وميرن Mehren فكما أن دوزي الكبير

عندما كتب التاريخ المسمى بتاريخ مسلي اسبانية ترك جميع ما كان تقدم عنها من

الكتابات ، وعدّها لغواً ، ورجع إلى المنابع العربية نفسها ؛ كذلك يجب العمل

الخط ، أتينا بأمثلة منها استدلالاً على خبط بعض المستشرقين ، ولكن بعض هؤلاء

تعقبوا جورر هذا في ترجمته السقيمة هذه ، ومن هؤلاء « كاترمار » Quatremère

ومنهم دوزي . إلا أن كاترمار وان أصاب في أكثر ما تعقب به جورر فقد أخطأ

في بعضه مثل أن أكثر خشب مسجد قرطبة هو من الصنوبر الطرطوشي ، فذهب

كاترمار إلى أن الطرطوشي هنا لا محل له وأنه قد يكون محرفاً عن لفظة « مرصوص »

والحال أنه هو الصنوبر الطرطوشي المنسوب إلى طرطوشة tortose الموصوفة بجودة

الصنوبر والتي فيها دار صنعة للسفن بسبب متانة خشب صنوبرها

وقد كانت ترجمة دوزي « لزهة المشتاق في اختراق الآفاق » عن نسخة مخطوطة

في مكتبة باريز ، وأخرى في مكتبة اكسفورد ، وفي كليهما أغلاط نسخ تحمير دوزي

وغير دوزي في ردما إلى الأصل . وأما على وجه الاجمال فقد كان اجتهاد دوزي

برغم بعض آراء تصف فيها ما أزاح الستار عن أكثر حقائق العلم بالأندلس سواء

من جهة تاريخها أم من جهة جغرافيتها ، وذلك في نظر الأوربيين الذين لم يكونوا

يعلمون عنها من قبله إلا معلومات نائمة وأخبارا مشومة ولم تكن لهم عنها إلا آراء

مشوبة باهواء رجال الكنيسة

نفسه في جغرافية هذه البلاد . وهذا العمل يحتاج إلى مراجعة الكتب اللاتينية والاسبانية والعربية نفسها . وذلك أنه وإن كان التعصب الأعمى ، بدسقوط مملكة غرناطة ، قد أخنى على كنوز أدبية هي فوق كل تقدير ، وبما كتباً ذهبت وأصبح لا يمكن إحياؤها ، فإنه لا بد أن يكون في الشرق وفي شمالي أفريقيا كتب عربية متعلقة بالأندلس يمكن الاستفادة ، جدُّ الاستفادة منها ؛ بل يجب جمع التأليف الجغرافية والتاريخية التي كتبها العرب ، من زمن ابن خورداذبه ، إلى اليعقوبي ، إلى المسعودي ، إلى ياقوت ، إلى المقرئ الذي أخذ عن مائة مصنف ، هذا مع مراجعة كتب التراجم التي فيها نسبة العلماء الأندلسيين إلى بلدانهم مما تؤخذ منه معلومات جغرافية كثيرة أيضاً ، وبما يدل على انتشار العلم في أسبانية العربية بصورة مذهشة . وبما لا شك فيه أنه قبل كل شيء تلزم مراجعة المكتبة العربية الاسبانية *Biblioteca Arabico - Hispana* لتُدِيرَة^(١) التي هي عشرة مجلدات وفيها تراجم علماء الأندلس ، وإن كان مع الأسف فيها تحريف أسماء كثيرة من أسماء البلاد التي ينسب إليها أولئك العلماء . انتهى ملخصاً .

وقال لاوي بروقتسال في كتابه « أسبانية الاسلامية في القرن العاشر » : إن جغرافيات العرب لم ترد فيها تفاصيل كافية شافية عن الأندلس ، ونحن مضطرون أن نتنعق بالموجود بين أيدينا منها ، مثل كتاب المهداني الذي كتب في نواحي سنة ٩١٠ مسيحية ، وكتاب الأصبخري الذي تاريخه ٩٢١ مسيحية ، أي أوائل عهد عبد الرحمن الناصر ، وابن حوقل الذي أكل جغرافيته سنة ٩٧٦ والمقدسي الذي كتب كتابه في أحسن التقاسيم . بعد ابن حوقل ، فالأصبخري ذكر أن أهم مدن

(١) *Franciscus codera* هو مستشرق أسباني يقال إنه من سلالة عربية واسمه قديرة دليل على ذلك . وقد علمنا من الأستاذ التمسيس آسين بالاسبوس *Acin palacius* المستشرق الاسبانيول المعاصر الذي أثبت أن ذاتي في المهزلة الالهية سرق رسالة الغفران للبري أن قديره هو أستاذه

الاندلس في أيامه كانت شنترين ، وجبل طارق وطليطلة ، و وادي الحجارة ، و ورية ،
 ونخص البلوط ، وقورية ، وماردة . وقال : إن أهم الثغور لذلك العهد كانت ماردة
 ونفزة ووادي الحجارة وطليطلة . وأما المقدسي فأحصى ثمان عشرة كورة الاندلس
 (سيأتي كلام المقدسي بحروفه نقلا عن الأصل)

أما محمد بن أحمد الرازي الاندلسي فله تاريخ وجغرافية للاندلس ، لا يوجد لها
 سوى ترجمة باللغة الاسبانية الفشتالية ، عن ترجمة برتغالية ، عن الأصل العربي الذي
 كتب في أوائل القرن الرابع عشر ، وقد أمر بهذه الترجمة إلى البرتغالية دنيس ملك
 البرتغال . وكتاب الرازي هذا كان عمدة ياقوت الحموي عن الأندلس . وبحسب
 كلام الرازي كانت الأندلس إحدى وأربعين كورة : قرطبة ، وقبرة ، والبيرة ،
 وجيان ، وتدمير ، وبلنسية ، وطرطوشة ، وطراكونة ، ولاردة ، وبرباطانية ،
 ووشقة ، وتطيلة ، وسرقسطة ، وباروشة ، ومدينة سالم ، وشنتبرية ، وراقوبيل ،
 وزوربتة ، ووادي الحجارة ، وطايطة ، واويط ، ونخص البلوط ، وقريش ، وماردة
 وبطليوس ، ويجه ، وافتشوبه ، وشنترين ، وقويمره ، واكشيتانية ، واشبونة ،
 واشبيلية ، وقرمونة ، ومورون ، وشذونة ، والجزيرة ، وربة ، واسجه ، وناكرونه .
 وأما الادريسي الذي كتب جغرافيته في القرن الثاني عشر فالأندلس عنده ستة
 وعشرون أقلية - وهو تقسيم جغرافي ليس بسياسي ولا إداري - وهذه الأقاليم هي :
 البحيرة ، وشذونة ، وجرف ، وقنباية ، واشونه ، وربة ، والبشرات ، وبجانه ،
 والبيرة ، وفريرة ، وتدمير ، وقونه ، وأرجيرة ، ومربيطر ، والقواطم ، والفالج ،
 والبلاطة ، والفخر ، وقصر أبي دنيس ، والبلاط ، وبلاطة ، والشارت ، وأرنيد ،
 والزيتون ، والبرتات ، ومرمرية . قال : وقد رأينا أن الشاميين نزلوا في البيرة ، وأن
 أهل الأردن نزلوا في مالقة ، وأن أهل فاسطين نزلوا في شذونة ، وأن أهل حمص
 نزلوا في اشبيلية ، وأن أهل قنسرين سكنوا جيان ، وأن أهل مصر كانوا في بيجة
 ومرسية ؛ فكانت هذه المدن في زمن الخلافة الأموية امصاراً . وأما سائر الكور

قتشكت فيما بعد ، مثل كور الجنوب العربي وهى : مورون ، ولبله ، وماردة ، وشترين ، وتاكرونه ، وريّة ، وبجّانه ، أى زُندة ، ومالقة ، والطرية . سنة ٣٥٠ عند ماتولى الحكيم المستنصر كانت الثغور خطأً منحنيًا ماراً بالقسم الشمالى من الأندلس من شرقية إلى الغرب ، يتدى من جنوبى برشلونه ويمتد شمالاً بغرب ، وذلك من عند برشتر ووشقة ، ثم يتصل بوادى إبره شمالى تطيلة ، ثم يصعد من هذا الوادى إلى هارو ، ثم يعود فينحى صوب الجنوب تابعاً مجرى الوادى الجوفى أى دورّه ، إلى المحيط الاطلانتيكى بعد أن يمر بالمدن التالية : أشمه ، وسبينكاس ، وزموره ، ولايفو ، وبورته . وأما السعوى فيقول فى مروج الذهب الذى تاريخه سنة ٣٢٧ للهجرة : إن الثغر الشمالى يمتد من طراطوشة إلى افراغة إلى لاردة . انتهى وسيأتى كلام السعوى بحروفه .

عدد سكان أسبانية

لا شك أن العصر الذى بلغت فيه أسبانية ذروة نموها هو العصر الرومانى ، فقد قيل أنه كان فيها أيام الرومان من ثلاثين إلى أربعين مليون نسمة . ولكن لم يوجد وثائق تاريخية تؤيد بلوغ أهالى الجزيرة الايبيرية هذا العدد . ثم أنها كانت فى نحو عظيم أيام العرب ، يستدل على ذلك بكثرة مدنها الحافلة لعهد العرب ، فقد كان فيها نحو من أربعين مدينة عربية ، ومنها قرطبة التى أحرز عدد سكانها بنحو من مليونى نسمة ، كما سيأتى الكلام فى هذا البحث . إلا أنه مع الأسف لا يوجد عندنا وثائق يعرف منها بالضبط عدد المسلمين الذين كانوا فى أسبانية لعهد الناصر مثلاً ولا عدد مجموع السكان من مسلمين ومسيحيين فى ذلك العصر

ومن باب الحزر والتخمين أقول إنه لا يمكن أن يكون عدد مسلمى الأندلس لعهد الناصر والمستنصر أقل من خمسة عشر مليوناً . ولما أجلى الاسبانيول المسلمين واليهود هبط عدد سكان أسبانيا ، لهذا السبب ولسبب آخر هو كشف امبركة التى هاجر والىها ، هبوطاً عظيماً . ففى سنة ١٥٩٤ كان عدد سكان أسبانية نيفاً وثمانية

ملايين ، ومضى على ذلك قرنان ولم يزد عدد الأهالي أكثر من مليون واحد ، ففي سنة ١٧٦٨ كان في أسبانية تسعة ملايين ومائة وستون ألفاً من السكان ، ثم ازداد هذا العدد في زمن آل بربون إلى عشرة ملايين ، وذلك في أوائل القرن الثامن عشر . وسنة ١٨٣٢ كانوا احد عشر مليوناً ، وسنة ١٨٤٩ كانوا ١٤ مليوناً ، وفي أوائل هذا القرن العشرين صاروا ٢١ مليوناً ، والآن هم ٢٢ مليوناً و٣٣٨ ألفاً ومعدل كثافة السكان بالنسبة إلى مساحة الأرض هو ٤٠ نسمة في الكيلومتر الواحد ، هذا بالتعديل المتوسط . وأسباب عدم تزايد السكان كما في الممالك الأخرى ، لا تنحصر في الهجرة ، بل هناك أسباب أخرى ، مثل عدم التناسب في توزيع الأراضي ، ومثل فدح الضرائب ، ومثل التعامل بالربا . ومن جملة هذه الأسباب ندور الحراج والغابات ، فالتناس يرحلون إلى اميركة من الفقر ولا سيما من بلاد البشكونس ولاردة ووشقة وجيرونة . وأكثر الذين يرحلون من الجنوب هم أهالي المرية والقنت ، ففي السنة يرحل زهاء مائتي ألف ، وهم يرحلون إلى المكسيك والارجنتين وصائر أمريكا . ومنهم من يرحل إلى المغرب وإلى الجزائر . وفي عمالة وهران ١٧٥ ألف اسبانيولى

أقوال العرب عنه جغرافية الأندلس

قول ابن حوقل

قال ابن حوقل الذي خرج راحلا من مدينة السلام سنة ٣٣١ ، ووصف جميع ماشاهده ؛ وأما الأندلس فجزيرة كبيرة فيها عامر وغامر ، وطولها دون الشهر في عرض نيف وعشرين مرحلة ، وتغلب عليها المياه الجارية والشجر والتمر والرخص والسعة في الأحوال من الرقيق الفاخر والخصب الظاهر ، إلى أسباب التملك الفاشية في أكثرهم ، ولما هم بها من رغد العيش وسعته وكثرته . يملك ذلك أهل مهنهم وأرباب صنائعهم لقلعة مؤنهم وصلاح بلادهم . ويساوى ملكهم بقلة شغلهم وتنقوت تكلفه بشئ . يحضره

وحال يخافه ، إذ لا خوف عليه ولا رقبة لأحد من أهل جزيرته مع عظم مراقبه وجباياته ووفور خزائنه وأمواله . ومما يدل بالقليل منه على كثيره أن سكة دار ضربه على الدنانير والدرهم ضربتها في كل سنة مائتا الف دينار ، يكون ، عن صرف سبعة عشر بدينار ، ثلاثة آلاف الف درهم ، وأربعمائة الف درهم ، هذا إلى صدقات البلد وجباياته وخرجاته واعشاره وضماناته ومراصده والأموال المرسومة الواردة والصادرة والجوالى والرسوم على بيوع الأسواق . ومن أعجب أحوال هذه الجزيرة بقاؤها على من هي في يدهم مع صغر أحلام أهلها وضعة نفوسهم وتقص عقولهم وبدم من البأس والشجاعة والفروسية والبسالة ولقاء الرجال ومراس الاتجاد والأبطال ، وعلم موالينا^(١) عليهم السلام بمحلها في نفسها ومقدار جباياتها ومواقع نفسها ولقائها^(٢)

(١) في النسخة التي عندنا من المسالك والممالك ، لابن حوقل وهي المطبوعة في ليدن سنة ١٨٧٣ يقول : وعلم موالينا عليهم السلام بمحلها في نفسها الخ ، وأما في نصح الطيب نقلا عن ابن حوقل فيقول : ، مع علم أمير المؤمنين بمحلها في نفسها الخ ،
(٢) كلام ابن حوقل هنا لا يقره عليه أحد من أهل العلم الذين أجمعوا على وصف أهل الأندلس بخلاف هذه الأوصاف التي ينزهم ابن حوقل بها ، وأقروا بمكان أهل الأندلس من سعة العقول وعلو المهتم وشدة البأس وسائر المناقب التي بلغوا بها ذرى أحسن مدينة وجدت في القرون الوسطى ، إلا خصتين كانتا بدون شك سبب بوارهم أحدهما كثرة الانتفاض على ملوكهم وحب الشقاق فيما بينهم ، والثانية شدة الانفاس في الترف الذي أدى إلى رجحان عدوم عليهم في الحروب بما كان عليه من الخشونة والصبر على الشدائد ، والذي يظهر لنا أن ابن حوقل إنما أراد تصغير شأن أهل الأندلس بربطه إغراء لبني العباس ، وهو من أتباعهم بشن الفارة عليها وإعادتها إلى إلى حضن الخلافة العباسية ، فقال ما قال على سبيل الدعاية لا غير ، وإلا فإن كثيراً مما قاله مخالف للحسوس ومنقوض بالاجماع ، وقد نقل المقرئ في نصح الطيب عن ابن سعيد مكملاً هذا الكتاب ما يلي :

لم أر بدأ من إثبات هذا الفصل وإن كان على أهل بلدى فيه من الظلم والتمصب ما لا يخفى ، ولسان الحال في الرد أنطق من لسان البلاغة ، وليت شعري إذ سلب أهل هذه الجزيرة العقول والآراء والمهم والشجاعة ، فن الذين دبروها بأرائهم وعقولهم

فأما مغرب هذه الجزيرة ، فن مدخل هذا الخليج المذكور ^(١) ومصب مائه

مع مرادة أعدائها المجاورين لها من خمسمائة سنة ونيف ؟ ومن الذين حووها ببساتهم من الأمم المتصلة بهم في داخلها وخارجها نحو ثلاثة أشهر على كلفة واحدة في نصرة الصليب ؟ وإن لا يعجب منه إذ كان في زمن قد دلفت فيه عباد الصليب إلى الشام والجزيرة ، وعانوا كل العيث في بلاد الاسلام ، حيث الجمهور والقبعة العظمى ، حتى أنهم دخلوا مدينة حلب . وما أدراك ، وفعلوا فيها ما فعلوا وبلاد الاسلام متصلة بها من كل جهة ، إلى غير ذلك مما هو مسطور في كتب التاريخ . ومن أعظم ذلك وأشدّه أنهم كانوا يتقبلون على الحصن من حصون الاسلام التي يتمكنون بها من بساطة بلادهم فيسبون ويأسرون فلا تجتمع همم الملوك المجاورة على حسم الداء في ذلك ، وقد يستعين به بعضهم على بعض فيتمكن من ذلك الداء الذي لا يطب ، وقد كانت جزيرة الأندلس في ذلك الزمان بالصد من البلاد التي ترك وراء ظهره . وذلك موجود في تاريخ ابن حبان وغيره اه قلت : لم يقصد ابن سعيد بما قاله عن تحاذل مسلمي الشام ، الحروب الصليبية المبهودة التي تجلت فيها هذه الحالة بعينها لأن ابن حوقل عاش قبل الحروب الصليبية بمائة وخمسين سنة ، وإنما قصد حروب الروم البيزنطيين التي كانت سجالا بينهم وبين المسلمين . وحادثة حلب هذه كانت سنة ٣٥١ هـ في عصر ابن حوقل ، وسي الدمشق من حلب بضعة عشر ألف صبي وصبية وفعل الأفاعيل ، ولكن المسلمين في أمر التحاذل سواسية لا شرق منهم يقدر أن يندد بغرب ولا غرب يقدر أن يندد بشرق إلا من رحم ربك (١) قوله المذكور بشير به إلى ما ورد له من كلام سابق عند ذكره لبلاد المغرب وذلك في الصفحة ٧٣ من كتابه المسالك والممالك طبعة ليدن ، فان ابن حوقل يقول في تلك الصفحة ما يلي : فأما ناحية البربر الذين بنواحي طنجة وأزيلة والبصرة وظاهو فاس فأكثرهم في ضمن ولد ادريس بن عبد الله وهو ادريس بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهم في غاية من طيب العيش ورفاهيته وخصبه ورخص الأسعار وطيب الاهوية والاعذية ، وكانت حالهم فيما تقدم أزيد من هذه الحال صلاحاً ، وفي وقتنا هذا فقد تداوت أحوالهم وصلحت أودهم وعمر طريقهم . ولم يزل أهل هذا النسب منظوراً اليهم مرعية حقوقهم عند بني أمية على سالف الدهر . وأدركت عبد الرحمن أبا المطرف بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ابن مروان يحافظ عليهم مرة ويسوقهم بالمصا مرة لما كان تظاهر به أبو العيش من

عند البحر المحيط من نواحي « لبلبة » (niebla) « وجبل الميون » (Gibraleon)
 آخذاً على « ألب » (Hielha) و « شلب » (Silves) إلى أن يتصل « بشترة »
 (cintre) ذاهباً على « سمورة » (Zamora) وليون (Léon) واربونة
 (narbonne) من بلاد جليقية^(١) إلى أقاصي (يياض بالأصل) ومشرقها . فن
 مشرق جليقية إلى الخليج الرومي على نواحي « سرقصة » وضواحي « وسكة »^(٢)
 وطرطوشة وجميع بلاد الأفرنجية من جهة البر ، وجنوبها الخليج المذكور من تجاه
 جزيرة صقلية إلى بلاد بلنسية ومرسية والمرية ومالقة والجزيرة إلى ركن البحر المحيط
 وأول أرضها المعمورة على الخليج الرومي ، فن أشبيلية إلى طرطوشة وهي آخر المدن
 التي على البحر المتصلة ببلاد الأفرنجية ، ومن جهة البر ببلاد (علبجكس) وهي بلاد
 حرب من النصراري ، ثم تتصل ببلاد (بسكونس) وهي أيضاً نصراري ، ثم ببلاد
 الجلائقة ، فتنتهي الأندلس إلى حدين : حد إلى دار الكفر ، وحد إلى البحر .
 وما ذكرته من المدن على البحر وغيره فمدن كبار عامرة ولم تزل الأندلس في أيدي
 بني مروان إلى هذه الناية . ومن مشاهير مدنها القديمة جيان (Jian) والاسبانيول

قيح السيرة وخبت المعاملة لبني السيل وكثرة الغيلة ، وذلك أن عبد الرحمن هذا
 (يعني به الخليفة عبد الرحمن الثالث الأموي الملقب بالناصر وكان ابن حوقل من
 أبناء عصره) وأمله يملكون الأندلس ويحاذون هذه الناحية وبينهم أصل الخليج
 الخارج إلى بلد الروم عن قرب مسافة ما بين العدوتين ، حتى أنهم ليرى بعضهم ماشية
 بعض وصور أشجارهم وزروعهم ويتبينون الأرض المفلوحة من الأرض البور وعرض
 الماء في ذلك يكون ١٢ ميلا

(١) المهود أن العرب كانوا يقولون جليقية لشمالي الأندلس ، وقد يقولون لها
 غاليسية كما يقول الاسبانيول ، وإذا كان كذلك فاربونة (Narbonne) ليست
 من بلاد جليقية المذكورة . والذي يظهر أن ابن حوقل أراد بجليقية هنا البلاد المسماة
 بلاد الغال من الأفرنجية وهي بلاد تقع أربونة فيها

(٢) الغالب أن أهل الأندلس يقولون سرقطة ووشقة ولكن ابن حوقل كثيراً
 ما يتابع اللفظ الاسبانيول فتجد بينه وبين جغرافي العرب بعض الاختلاف في الاسماء

يلفظونها الآن خيان (بالخاء على عادتهم في قلب الجيم خاء) وطليطلة (Toledo)
 ووادى الحجارة (والاسبانيون يكتبونها هكذا Guadajajara وكان العرب
 يسمونها أيضاً مدينة الفرج) وجميعها قديمة ولم يحدثوا بها بالاسلام غير مدينة بجاجة
 (Pechina) وهى المرية (نقل القلقشندى في صبح الأعشى عن تقويم البلدان أن
 مدينة مرسية هى إسلامية محدثة بنيت في أيام الأمويين) وهى على حدود رستاق
 البيرة وشتيرين على ظهر البحر المحيط . وبالاندلس سلاح كثيرة ترد إلى مصر والمغرب
 وأكثر جهازم الرقيق من الجوارى والغلمان ، من سبى أفرنجية وجلبقية والخدم
 الصقالبة .

وجميع من على وجه الأرض من الصقالبة الخصبان من جلب (١) الأندلس ،

(١) ذكر لافى بروفنسال في كتابه ، اسبانية المسلمة في القرن العاشر ، ان لفظه
 صقالبة كان يطلقها العرب على الأرقاء الذين كانوا يشترونهم من أوربة . وأصل ذلك
 أن الجيوش الجرمانية عندما كانت تغزو بلاد السلاف كانت تكثر من السبي منهم
 وإذا رجعت من غزواتها بالأسرى باعهم من عرب اسبانية . ولما كان هؤلاء الأرقاء
 من جنس السلاف سماهم العرب صقالبه ، وصارت لفظه الصقالبة تطلق على جميع هؤلاء
 الماليك . قال : وفي زمان الرحالة ابن حوقل في أواسط القرن العاشر كانوا يسمون في
 اسبانية صقالبة جميع الماليك الذين من أصل أوربي والذين كانوا يخدمون في الشرطة
 أو في الجند أو في قصر الخلافة . وقد ذكر أنه لما كان يجهول في الأندلس ، لعهد
 الحكم المستنصر ابن الناصر ، لم يكن الصقالبة أى الماليك كلهم من الجنس السلاف بل
 كان منهم جم فقير من سبى دكلابره ، و د لومباردية ، و د كتلونية ، و د غاليسية ،
 وكان أكثر وصولهم إلى الأندلس بواسطة غزاة البحر من المغاربة والأندلسيين ،
 وأما الذين منهم كانوا يرشحون لخدمة الحرم في القصور فقد كانوا يخدمونهم . وكان
 تجار اليهود عندهم كما قال دوزى معامل للخصى أهمها معمل فردون Verdan في فرنسا
 فكانوا بعد خصصهم يبيعونهم في الأندلس . ونظرا لأنهم كانوا يأتون بهم صفاراً
 فكانوا يتعلمون العربية بسرعة وينشأون في الاسلام انتهى .

وأقول إن ترجمة لفظه سلاف بصقالبة آتية من كون أحد أصناف الأئمة السلافية

لأنهم بها يمحسون ، ويفضل ذلك بهم تجار اليهود عند قرب البلد . وجميع ما يسبى إلى خراسان من الصقالبه فباقي على حالته ، ومقدود على صورته ؛ وذلك أن بلد الصقالبه طويل فسيح ، والخليج الآخذ من بحر الروم ممتداً على القسطنطينية واطرابزنده يشق بدم بالمرض ، فنصف بدم بالطول يسببه الخراسانيون ، والنصف الشمالى يسببه الأندلسيون ، من جهة جبلية وافرنبجة وانكبردة Lombardia وقلورية Calabria وبهذه الديار من سببهم الكثير باق على حاله

وريو ^(١) Rio كورة عظيمة خصيبة ، ومدينتها « ارجدونة » ومنها كان عمر ابن حفصون الخارج على بنى أمية ، ولخص البلوط متصل بديار ابن حفصون كورة واسعة خصيبة . واسقفة رستاق حسن ومدينته غافق ^(٢) . وبالأندلس غير ضيمة فيها الألوف من الناس لم تمدن . وم على دين النصرانية روم ، وربما عصوا فى بعض الأوقات ولجأ قوم منهم إلى حصن ، فطال جهادهم لأنهم فى غاية المتو والتمرد ، وإذا خلصوا ربة الطاعة صعب ردمهم إلا باستنصالمهم ، وذلك شئ يطول . وماردة وطليلة من أعظم مدن الأندلس وأشدّها منعة ^(٣) ونور الجلالة « ماردة » و « نزة » ^(٤)

ومنهم من سكن الآن فى بوغلافية ، يقال لها الاسكلافون Escklavon أو الاسكلابون فربها العرب اسقلابون ، ثم جمعوا على صقالبه أو صقالب . قال المنبى :

يجمع الروم والصقالب والبلسفار فيها وتجمع الآجالا

(١) الغالب على العرب أنهم يقولون « ربه ، لا « ريو ، فابن حوقل تابع فيها لفظ الاسبانيول .

(٢) سيأتى ذكرها كلها .

(٣) سيأتى إن شاء الله فى القسم التاريخى من « الحلل السندسية ، أخبار ثورات هاتين البلديتين على بنى أمية وم فى عنفوان أمرهم وربعان قوتهم .

(٤) نزة بفتح فسكون فزاي بلدة بالأندلس جاء فى معجم البلدان ما بلى : قال السلقى : نزة بكسر التون قبيلة كبيرة منها بنو عميرة وبنو ماجان المقيسون بشاطبه . ينسب إليها أبو محمد عبد الله بن أبى زيد عبد الرحمن الفقيه النفرى أحد الأئمة على

و « وادى الحجارة » و « طليطلة » . ومدينة الجلالة مما بلى ثنور الأندلس يقال لها « سمور » (Zamora) . وعظيم الجلالة بمدينة يقال لها « ليون » (Léon) فيها سلطانهم وعدتهم بمد سمورة ، ومدينة يقال لها « أوبيت » (Ovido) وهي بعيدة عن بلد الاسلام ، وليس في أصناف الكفر الذين يلون الأندلس (يريد أن يقول أنهم يجارون الأندلس) أكثر عددا من الأفرنج ، غير أن الذين يلون المسلمين منهم فئة ضمنية شوكتهم ، قليلة عدتهم ، وفيهم إذا ملكوا طاعة ، وحسن نصيحة ، ومحاسن كثيرة ، وإليهم يرغب أهل الأندلس عن الجلالة بأولادهم ، والجلالة أصدق محاسن ، وأقل طاعة ، وأشد قوة ، وأكثر بأساً وبسالة ، وفيهم غدر . وهم في عرض طريق الأفرنجية .

وأعظم مدينة بالأندلس قرطبة ، وليس بجميع المغرب عندي لها شبيه في كثرة أهل وسعة رقعة ، وفسحة أسواق ، ونظافة محال ، وعمارة مساجد ، وكثرة حمامات وفنادق .
 ويزعم قوم من أهلها أنها كأحد جانبي بغداد : وذلك أن عبد الرحمن بن محمد ^(١) ابنتى في غربها مدينة تعرف بالزهراء في سفح جبل يعرف بجبل « بطلس » ^(٢)

مذهب مالك وله تصانيف . وأبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن النفزي الأندلسي سمع مشايخنا ودخل نيسابور وأصبهان ، وخرج من بغداد سنة ٦١٣ ودخل شيراز . وأبو عبد الله محمد بن سليمان الميالى النفزي ، وهو ابن أخت غانم بن الوليد بن عمرو ابن عبد الرحمن المخزومي أبي محمد من الأندلس ، روى عن خالد . مات في شوال سنة ٥٢٥ . وهولده سنة ٤٣٤ قال أبو الحسن المقدسي : وأبو محمد عبد الغفور بن عبد الله ابن محمد بن عبد الله النفزي ، وله تصانيف مات في ربيع الآخر سنة ٥٣٩ وأبوه من أهل الرواية مات في سنة ٣٧ . اهـ

(١) يريد به عبد الرحمن الثالث الأندلسي الملقب بالناصر أعظم ملوك ذلك القطر بل أعظم ملوك عصره

(٢) العرب يسمونه جبل العروس والمعروف أن قرطبة هي مبنية في سفوح شارات مورينا

وخط فيها الأسواق ، وابتنى الحمامات والحانات والقصور والمتنزهات واجتلب إلى ذلك بناء العامة ، وأمر مناديه بالنداء : ألا من أراد أن يبني داراً أو يتخذ مسكناً بجوار السلطان فله أربعمائة درهم ، فتسارع الناس إلى العمارة ، فتكاثرت وتزايدوا فيها ، فكادت أن تتصل الأبنية بين قرطبة والزهراء ، وانتقلوا ببيت مالهم ودبوانهم وخزائنهم . وقد نقل جميع ذلك وأعيد إلى قرطبة تظهيراً منهم بها ، وتشاؤماً بموت رجالهم فيها ، ونهب سائر ذخائرهم .

وسمعت من غير ثقة ممن يستنبطن حالهم أن لعبد الرحمن بن محمد ، مما أنجه له جمعه من مال الأندلس وجباياتها ، من حقوقها وغير واجبها إلى سنة ٣٤٠ نحو عشرين ألف ألف دينار ، ولست أشك على ما يوجهه النظر ، وتواطأ به الخبر ، في ما جمعه الحكم بعد هلاك أبيه ، من خدمه والمصادر من الذين كانوا في جملة ، وإلى وقتنا هذا عن أسباب الأندلس ولوازمها وجباياتها وخراجها وأعمارها وصدقاتها وجواليها^(١) تمام أربعمائة ألف ألف دينار . وليس لهذا المال في وقتنا هذا موضع من مواضع الأرض تظهير ، غير ما في يد أبي تغلب الفضنفر بن الحسن بن عبد الله بن حمدان ، فانه مما يملكه الخاص والعام بالعراق وديار ربيعة ، جمع من تركة أبيه ما يضاويه ويزيد عليه زيادة بينة .

وقرطبة وإن لم تكن كأحد جانبي بغداد فهي قريبة من ذلك ولا حقة به إن شاء الله ، وهي مدينة حصينة ذات سور من حجارة ومحال حسنة ، وفيها كان مسكن سلطانهم قديماً ، وداره داخل سورها ، وأكثر أبواب هذه الدار مشرعة في البلد من غير جهة . ولها بابان يشرعان في نفس السور إلى الطريق الآخذ على الوادي من الرصافة ، والرصافة مساكن أعلى البلد متصلة بأسفلها من ريفها ، مشبكة أبنيتها ، محيطة بها ، مستديرة عليها من شرقها وشمالها وغربها . فأما الجنوبية

(١) الجوالي جمع جلية وهي ما يؤخذ من أهل الذمة المقيمين في دار الاسلام

منها فهو إلى واديها ، وعليها الطريق المعروف بالرصيف ، والأسواق والبسوق والخانات والحمامات ومساكن العامة برضها ^(١) ، ومسجد جامعها جليل في نفس المدينة ، والحبس منه قريب ، وقرطبة هذه بأثثة بنفسها عن مساكن أرباضها ظاهرة ، ودُرَّتْ بها في غير يوم في قدر ساعة ، وقد قطعت الشمس خمس عشرة دقيقة ماشياً .

وللزهره أيضاً مسجد جامع دون جامع البلد في المحل والقدر والكبر ، وعلى سورها سبعة أبواب حديد ، وليس لها نظير بالمغرب فخامة حال ، وسعة تلك ، وابتدالاً لجيد الثياب والكسي ، وفراة كراع ، وكثرة حلى ، وإن لم يكن لها في عيون كثير من الناس حسن بارع ، فليس لجيوشهم حلاوة في العين ، ولا علم بأفانين الفروسية وقوانينها ، ولا بالشجاعة وطرقها . وأكثر ظفر جيوشهم في القتال بالكيد ، ومما يدل على ذلك أني لم أر قط بها أحداً أجرى فرساً فاره أو يرذوناً هجيناً ، ورجلاه في الركب ، ولا يستطيعون ذلك ، ولا بلغنى عن أحدهم ، وكل ذلك لخوفهم من السقوط إلى فشل . فيهم عند لقاءهم وتواطؤهم على نزع أرجلهم من ركبهم ، ولم تطبق قط جريدة عبد الرحمن ، ولا من سبقه من آله ، خمسة آلاف فارس ، ممن يقبض رزقه ويحتم عليه ديوانه لأنه مكفي المؤونة بأهل الثغور ، مما ينوبه من كيد العدو الذي يجاوره من الروم ، ولا عدو عليه سوام ، وقلما يكثر لهم ، وربما طرقه في الأحيان مراكب الروس والترك والصقالبة والبيجناكية ، وهم جيل من أجيال الترك المجاورين لأرض الخزر والبلغار ، فأنسكوا في أعمال الأندلس وربما انصرفوا خاسرين .

وبالأندلس غير مجلب من التجارة كالزبيب والرقيق والحديد والرصاص ، وضروب من الفرس ، كقطع الأرمي الحسن . وعندهم تعمل اللبود المشهورة في جميع الأرض بالمجودة والصبغ الحسن ، ولهم من الألوان والأنصباغ والحشائش التي يلون بها الحرير وأنواع الصوف والثياب ما ليس في بلد من بلدان الأرض له نظير حسناً

(١) - يأتي الكلام مفصلاً عن خطط قرطبة ومعه أطلس خاص بها على ما كانت

وكثرة . فأما أسعارهم ففضاهى النواحي الموصوفة فى الرخص ، وكثرة فواكههم مع طيبة فيها فكاللباحة التى لا تمن لها . وملابسهم نظيفة ، إلى طيب عيش يناله عوامهم وقل من يصير إليه أهله من أهلها إلا على الفاره من الركوب ، ولا يعرف فيهم المهنة والمشى إلا أهل الصنائع والأرذال ، وأكثر ركوبهم البغال وفيها يتماخرون وبها يتكاثرون . ولهم منها نتاج فى جزائرم^(١) لم أر مثله فى معادن البغال المذكورة ، ومواضعها المشهورة ، كلرمينية والران ، ونتاج برزعة ، وباب^(٢) الأبواب ، وشروان شاه ، لأنها توضع عندهم ، وتنجب فى بدهم ، ويجلب إليهم أيضاً منها شىء حسن الشية ، عظيم الخلق ، كثير الثمن والطالب من ميورقة ، وهى جزيرة فى بحرهم منقطعة تلى ناحية الفرنجة ، واسعة الخير ، كثيرة الثمار ، رخيصة الماشية ، لكثرة المراعى ، غزيرة النتائج والمواشى ، معدومة الجوائح ، قليلة الآفة ، فليس بها عاهة ولا وحش يؤذيهم فى سائمهم ، ورأيت منها غير بقل بيع بمخمسة مائة دينار ، وإليها ترغب ملوكهم وإياها يستوطنون ، ويؤثرون فيما يركبون . فأما ما تبلغ قيمته منها المائة والمائتى دينار فأكثر من أن يحصى . وليس ذلك لأنها أزيد على البغال الموصوفة فى حسن السير وسرعة المشى ، بل لعظم خلقها ، وحسن شياتها ، واختلاف ألوانها ، وجمال مناظرها وعلو ظهورها ، وصحة قوائمها .

ذكر المسافات بها من قرطبة إلى «مراد»^(٣) مرحلة ، ومن مراد إلى «غرغيره»^(٤) يوم ، ثم إلى اشبيلية يوم ، وهى مدينة كثيرة الخير والفواكه والسكروم ، والتين خاصة ، وهى على وادى قرطبة (أى الوادى الكبير) . ومن اشبيلية إلى «لبلة»^(٥)

(١) لاسيا جزيرة ميورقة

(٢) يقال باب الأبواب للبلاد المسماة اليوم بطاغستان

(٣) هو عند الألبان Moratalla

(٤) الادريسى بقول عن هذا المحل الغيران

(٥) هى التى يقول لها الألبان Niebla وهى وطن بنى الجد الفهريين الذين هم اليوم

يومان . وهي مدينة سالحة القدر ، عليها سور . ومنها إلى « جبل العيون » يومان ، وهي مدينة قديمة أزلية كثيرة الخير ، ومن جبل العيون إلى « ألب » ^(٢) ثلاثة أيام ، وهي أيضاً مدينة قديمة ذات سور ، ومن ألب إلى « أخشنة » ^(٣) وهي مدينة مشهورة عظيمة كثيرة الخير ، أربعة أيام ، ومن أخشنة إلى مدينة « شاب » ^(٤) ستة أيام ، ومن شاب إلى « قصر أبي دانس » ^(٥) خمسة أيام ، وهي مدينة سالحة خصية ، ومنها إلى المعدن ، وهو فم النهر ، إلى مدينة « لشبونة » ^(٦) يوم ، ومن لشبونة إلى شترين ^(٧) يومان ، ومن شترين إلى « يابرة » ^(٨) أربعة أيام ، ومن يابرة إلى « جليانة » يومان ، ومن جليانة إلى « ألبش » يوم ، ومن ألبش إلى « بطليوس » ^(٩) عدوة النهر ، يوم ، ومن بطليوس إلى « قنطرة » ^(١٠) السيف « أربعة أيام ، ومن قنطرة السيف إلى « ماردة » ^(١١) يومان ، ومن ماردة إلى « مدلين » ^(١٢) يومان ، ومن

يفاس وما زال يظهر منهم التوايح سواء في الأندلس أو في المغرب . وكان نزوحهم من لبله إلى مالقة أولاً ثم إلى إشبيلية ثم إلى فاس

(١) Gebraleon عندالاسبانول

(٢) هي Huelva عند الاسبانول وأكثر ما يقول لها العرب « أوبه ،

(٣) عند الاسبان Osconba

(٤) عندهم Selves

(٥) Abidanis

(٦) Lisbonne و Lisboa

(٧) Santarem

(٨) عند الاسبانول Evora وهي بلدة سكانها اليوم ١٦ ألفاً ولكنها كانت ذات

بال في أيام العرب ولا تزال عليها المسحة العربية إلى اليوم وهي من أعمال البرتغال وسندكرها فيما بعد .

(٩) Badajoz كانت من حواضر الأندلس وسيأتي خبرها الوافي بقدرها

(١٠) عند الاسبانول Alcantara

(١١) ماردة هي merida وهي أيضاً من أمهات الأندلس وسيأتي ذكرها

(١٢) مدلين هي medellin وكان الرومان يقولون لها metellinum

مدائن إلى « ترجيلة »^(١) يومان ، ومن ترجيلة إلى « قصرش »^(٢) يومان . ومن قصرش إلى « مكناسة » يومان . ومن مكناسة إلى « مخاضة البلاط » يوم ، ومن مخاضة البلاط إلى « طليبة »^(٣) خمسة أيام ، ومن طليبة إلى طليطلة ثلاثة أيام . ومن قرطبة إلى بطايوس في جهة المغرب على الجادة ست مراحل . ومن قرطبة إلى بلنسية اثنتا عشرة مرحلة . ومن قرطبة إلى المرية ، فريضة بجانة ، سبعة أيام ، ومن المرية إلى مرسية خمسة أيام .

وجميع هذه المدن المذكورة مشهورة بالفلات والتجارات والكروم والعمارة والأسواق والعيون والحمامات والخانات والمساجد الحسنة ، وفيها ما يزيد على بعضها في المحال والجباية والارتفاع والولاية والقضاة والمخلفين على رفع الأخبار ، وتأمل الأحوال ، وليس بها مدينة غير معمورة ، ذات رستاق فسيح إلى كور ، إلا ولها ضياع كثيرة ، وأكارة واسعة ، وماشية وسائمة ، وعدة وكراع وعبيد . ومن قرطبة إلى كركويه^(٤) ، مدينة فيها منبر ولها أسواق وبها حمامات وفنادق ، أربعة أيام ، وفي كل ليلة ينزل بقية أهله ، ومن كركويه إلى « قلعة رباح »^(٥) يوم ، وهي مدينة كبيرة ذات سور من حجارة ، ولها واد كبير هي عليه ، منه شربهم ، ويزرعون عليه ، وبها أسواق وحمامات ومتاجر ، والطريق على قرى ذات عمارة ومن قلعة رباح إلى « ملقون » مرحلة ، وهي مدينة على نهر ، لها سور من تراب ، وهي دون قلعة رباح في الكبر ، ونهرها يعرف باسمها ، ومنه شرب أهلها . ومنها إلى « أبلش » مرحلة ، وهي قرية فيها فندق وعين منها شربهم أهله ، ومن

(١) ترجيله هي Trajillo

(٢) قصرش هي Caseres

(٣) Talavera de la Reina

(٤) Caracuel وقال يلاج الأوبيطى Pélage D'oviedo هي - أى caraqui

كما يلفظها العرب

(٥) Calatrava

أبلى إلى طليطلة مرحلة ، وطليلة مدينة كبيرة جليظة مشهورة ، أكبر من بجانة ، ذات سور منيع ، وهى على وادى تاجه ، وعليه قنطرة عظيمة ، ويقال إن طولها خمسون باعاً ، ويصير واديهما إلى الوادى المنصب إلى شترة .

ومن طليطلة إلى « مقام »^(١) مرحلة ، وهى قرية كبيرة بها معدن الطمّل الأندلسى ، ومن مقام إلى « الفرا » مرحلة ، وهى مدينة كبيرة ذات سوق ومحال ، وتكون نحو وادى آش . ومن الفرا إلى وادى الحجارة ، وهى مدينة كبيرة ، وتثر مشهور الحلال مسورٌ بحجارة ، وهى ذات أسواق وفنادق وحمامات وحاكمٍ ومحلفٍ وبها تسكن ولاية الثغور كأحمد بن يعلى وغالب ، وعليها أكثر جهاد جليظة ، ومنها إلى « شعراء القوارير » مرحلة ، وبها منهل تنزله الرفاق ، ومن شعراء القوارير إلى « مدينة سالم » مرحلة ، ومن مدينة سالم إلى مدينة غالب بن عبد الرحمن ، ولها سور عظيم ورساتيق واقليم واحد وماشية ، رفهة فى جميع أسبائها ، وهى أكثر الأندلس حرباً وغزواً . انتهى كلام ابن حوقل .

قول ياقوت الحموى

وقال ياقوت الحموى فى معجم البلدان :

قال ابن حوقل التاجر الموصلى ، وكان قد طوف البلاد ، وكتب ما شاهده : أما الأندلس فجزيرة كبيرة ، فيها عامر وغامر ، طولها نحو الشهر ، فى نيف وعشرين مرحلة ، تغلب عليها المياه الجارية والشجر والتمر والرخص والسمة فى الأحوال . وعرض فم الخليج الخارج من البحر المحيط قدر اثنى عشر ميلاً ، بحيث يرى أهل الجانبين بعضهم بعضاً ويتبينون زروعهم وبيادهم . قال : وأرض الأندلس من طى البحر تواجه من أرض المغرب تونس . وإلى « طبرقة » إلى « جزائر مزغناى » ثم إلى « أنكور » ثم إلى « سبتة » ثم إلى « أريلي » ثم إلى البحر المحيط . وتتصل

(١) مقام magham

الأندلس في البر الأصفر من جهة جليقية ، وهو جهة الشمال ، ويحيط بها الخليج المذكور من بعض مغربها وجنوبها ، والبحر المحيط من بعض شمالها وشرقها من حد الجلالة على كورة « شترين » ^(١) إلى « اشبونة » ^(٢) ثم إلى جبل النور ، ثم إلى ما لديه من المدن إلى جزيرة جبل طارق ، المحاذي لسبته ، ثم إلى « مالقة » ثم إلى « المرية » فرضة « بجانة » ^(٣) ثم إلى بلاد « مرسية » ^(٤) ثم إلى « طرطوشة » ^(٥) ثم تتصل ببلاد الكفر مما يلي البحر الشرق في ناحية أفرنجة ، ومما يلي المغرب ببلاد « عابجسكس » ^(٦) وم جيل من الانكبرد ^(٧) ثم إلى بلاد « بسكونس » ^(٨) ورومية الكبرى في وسطها ، ثم ببلاد الجلالة حتى تنتهي إلى البحر المحيط

ووصفها بعض الأندلسيين بأتم من هذا وأحسن . وأنا أذكر كلامه على وجهه قال : هي جزيرة ذات ثلاثة أركان مثل شكل المثلث ، قد أحاط بها البحران

(١) Santarem (٢) Lisbonne (٣) Béchina (٤) Marcie

(٥) Tortose

(٦) نظن أنه يعني بهذا الاسم الجبل الذي يقال له عندهم Cuskaldonac والاسبان

يقولون vascongados

(٧) يريدون بهم اللومباردين وقد جاء تعريفه الانكبرده في معجم البلدان قال : الانكبرده بالفتح ثم السكون وفتح الكاف وضم الباء الموحدة وسكون الراء ودال مهملة وهاء بلاد واسعة من بلاد الافرنج بين القسطنطينية والاندلس تأخذ على طرف بحر الخليج من محاذة جبل القلال وتمر على محاذة ساحل المغرب مشرقاً إلى أن تتصل ببلاد قلورية انتهى . قلت هذا الوصف لا ينطبق إلا على مملكة إيطالية الحاضرة الممتدة من جبل القلال غرباً وهو الجبل المشرف على مدينة نيس إلى بلاد كالبرة شرقاً وهي التي يعنها بقوله قلورية . عليك لمعرفة جبل القلال بمراجعة كتابنا « غزوات العرب في أوربة » .

(٨) هم الباسك في شمال أسبانية وجنوب فرنسا والعرب يقولون لهم الباشكنس أوالباسكنس ولنتهم يقال لها vascuence ومن هذه اللفظة قال لهم العرب ذلك لأن الفاء (v) هي دائماً باء عند العرب .

المحيط والمتوسط ، وهو خليج خارج من البحر المحيط ، قرب سلا من البربر .
 فالركن الأول هو في هذا الموضع الذي فيه صنم قادس ، ^(١) وعنده مخرج البحر
 المتوسط الذي يمتد إلى الشام ، وذلك من قبلى الأندلس . والركن الثاني شرق
 الأندلس بين مدينة « أربونة » ^(٢) ومدينة « برديل » ^(٣) وهى اليوم يد
 الافرنج بازاء جزيرتي « ميورقة » و« منورقة » مجاورة من البحرين المحيط والمتوسط
 ومدينة أربونة تقابل البحر المتوسط ، ومدينة برديل تقابل البحر المحيط . والركن
 الثالث هو ما بين الجنوب والغرب من حيز جليقية ، حيث الجبل الموقى على البحر ،
 وفيه الصنم العالى المشبه بصنم قادس ، وهو البلد الطالع على بريطانيا ^(٤) . فالضلع
 الأول منها أوله حيث مخرج البحر المتوسط الشامى من البحر المحيط ، وهو أول
 الزقاق في موضع يعرف بجزيرة طريف من بر الأندلس يقابل قصر مصمودة بازاء
 سلا في الغرب الأقصى من البر المتصل بأفريقية وديار مصر ، وعرض الزقاق ههنا
 اثنا عشر ميلا ، ثم تمر في القبلية إلى الجزيرة الخضراء من بر الأندلس المقابلة لمدينة
 سبتة . وعرض الزقاق ههنا ثمانية عشر ميلا . وطوله في هذه المسافة إلى ما بين
 جزيرة طريف وقصر مصمودة إلى المسافة التي ما بين الجزيرة الخضراء وسبتة نحو
 العشرين ميلا . ومن ههنا يتسع البحر الشامى إلى جهة الشرق ، ثم يمر من الجزيرة
 الخضراء إلى مدينة « مالتة » ^(٥) إلى حصن « المنكب » ^(٦) إلى مدينة « المرية » ^(٧)
 إلى قرطاجنة ^(٨) الخلفاء ، حتى تنتهى إلى جبل « قاعون » ^(٩) الموقى على مدينة « دانية » ^(١٠)

(١) على روبة من الأرض كان هذا الصنم إلى جنوبي المكان المسمى الآن سان
 فرناندو وهو من بناء الفينيقيين وكان خبر بنائه محفوراً على أعمدة الفولاذ بأحرف
 فينيقية . وقد همر فينيقيو صور قادس من منذ ١١٠٠ قبل المسيح ثم في سنة ٥٠١ قبل
 المسيح فتحها فينيقيو قرطاجنة .

(٢) Narbonne في جنوبي فرنسا (٣) Beurdeaux (٤) جزيرة انكلترة

(٥) Malaga (٦) Amonacar (٧) Almeria (٨) Cartagène

(٩) Caoun (١٠) Dénia

ثم ينطف من دانية إلى شرق الأندلس ، إلى حصن « قليمه » ^(١) إلى بلنسية .
ويمتد كذلك شرقاً إلى « طرّ كونة » ^(٢) إلى « برشلونة » ^(٣) إلى « اربونة » إلى
البحر الرومي ، وهو الشامي ، وهو المتوسط .

والضلع الثاني مبدؤه كما تقدم من جزيرة « طريف » ^(٤) آخذاً إلى الغرب في
الحوز المتسع الداخل في البحر المحيط ، فيعبر من جزيرة طريف إلى « طرف الأغر » ^(٥)
إلى جزيرة « قادس » ^(٦) وههنا أحد أركانها . ثم يمر من قادس إلى بر المائدة ^(٧) ،
حيث يقع نهر إشبيلية في البحر ، ثم إلى جزيرة « شلطيش » ^(٨) إلى وادي « يانة » ^(٩)
إلى « طبيرة » ^(١٠) ، ثم إلى « شنترية » ^(١١) إلى « شلب » ^(١٢) ، وهنا عطف
إلى أشبونة وشنترين ، وترجع إلى طرف العرف ، مقابل شلب . وقد يقطع البحر من
شلب إلى طرف العرف مسيرة خمسين ميلا ، وتكون أشبونة وشنترة وشنترين على
يمين من حوز طرف العرف ، وهو جبل منيف داخل في البحر نحو أربعين ميلا ، وعابه
كنيسة الغراب ^(١٣) المشهورة ، ثم يدور من طرف العرف مع البحر المحيط فيمر على
حوز « الريمانة » وحوز « المدرة » وسائر تلك البلاد مائلا إلى الجوف ^(١٤) ، وفي
هذا الحيز هو الركن الثاني .

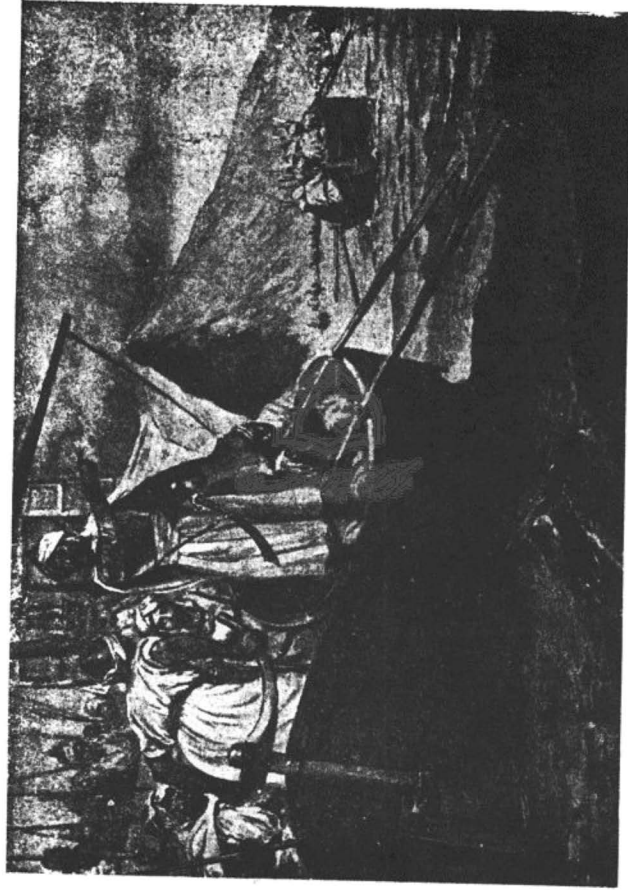
(١) Cullera (٢) Tarracone (٣) Barcelonne (٤) Tarifa

(٥) Trfalgar (٦) Cadix (٧) Almeida (٨) Saltés

(٩) Guadiana (١٠) Tavira (١١) Cintra (١٢) Silvea

(١٣) يتكرر ذكر كنيسة الغراب في جغرافيات العرب وتحرير خبرها وجود
أسطورة ما لها أن الرومان في صدر النصرانية قتلوا قديماً مسيحياً اسمه سان فنسان
في بلنسية وطرحوا تجاليد في البرية لتأكلها الوحوش لجاء غراب وحفظه من أكل
الضواري له ولا نعلم لأي سبب أريد نقل جثة هذا القديس من شرق الأندلس إلى
غربها ؟ وإنما نعلم أنه في أيام عبد الرحمن الداخل صدر الأذن للتصاري بنقلها إلى كنيسة
في طرف مقاطعة الغرب على البحر المحيط .

(١٤) الجوف في اصطلاح إخواننا المغاربة والاندلسيين هو الشمال وقد فكرت
كثيراً في وجه هذا الاصطلاح فلم يظهر لي شيء يصح التعميل عليه ولا عثرت على نص



مرور العرب لأول مرة من المغرب إلى الأندلس سنة ٧١٠ م.

والضلع الثالث ينمطف في هذه الجهات من الجنوب إلى الشرق ، فيمر على بلاد جليقية وغيرها حتى ينتهى إلى مدينة برديل (Bordeaux) على البحر المحيط المقابل

يفيد سبب تسميتهم الشمال بالجوف وقد سألت أهل الذكر عن أعتقد بعلمهم فأبدى كل واحد ما عنده : فالسيد علال القاسى يظن أنه لما كان الجوف واقعاً شمال مكة فقد غلب على أهل الحجاز أن يقولوا لكل شمال جوفاً ثم سرى هذا الاستعمال من الحجاز إلى المغرب والأندلس . وهو وجه وجهه لأن مدينة الجوف هي في وسط البرية إلى الشمال من الحجاز وإلى الغرب من العراق وإلى الشرق من الشام ، وكما غلب على الناس جيماً في الشام أن يقولوا للجنوب قبة نظراً لكون الكعبة هي إلى الجنوب من الشام يجوز أن يكون الحجازيون سمو الشمال جوفاً لكون الجوف ونواحيها هي في شماليهم وأنت ترى أنهم يقولون للشمال شاماً بعلبة الاصطلاح المبني على كون الشام هي إلى الشمال من الحجاز وفي كثير من الصكوك تجدهم يكتبون : يحده من القبلة كذا ومن الشام كذا وقد أجابني الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي رئيس المجمع العلمي العربي بأنه يستحسن رأى الأستاذ علال القاسى في هذه اللفظة ويقول إنهم في الحجاز يعرفون عن الشمال بالشام وإنه وجدت في أوراق الطابو التركية القديمة ما ورد فيه لفظة « يمنى » بمعنى الجنوب فانهم في الحجاز نفسه كما عبروا عن الشمال بالشام فقد عبروا عن الجنوب باليمن وهو شيء طبيعى بالنسبة لهم ثم قال الشيخ المغربي : إلا أنه يوجد في الأندلس بلدان باسم الجوف كما يظهر من معجم البلدان أحدهما في غربي الأندلس على البحر المحيط والآخر في إقليم كشتونية فالى أى جوف انتسب هذا الاصطلاح ؟ هل هو الجوف الذى في الشرق أم الجوف الذى في الأندلس ؟ وأما الأستاذ الأب انطاس الكرملى فقد أجابني بما يلي : الجوف : الشمال وهو من اصطلاح المغاربة جاء في كتاب الادريسي وفي اللوحة البدرية : وسبب هذه التسمية هو ان الذين سمو بهذا الاسم ربح الشمال أو الشمال نفسه هم سكان البلاد الواقعة في جنوبي بحر الروم فاذا هبت الشمال عندهم جاءتهم من « جوف » ذبالك البحر لذلك عرفوها بهذا الاسم كأنهم أشاروا إلى أصل مهبها لحذفوا واكتفوا باللفظ الظاهر الاشارة إليه انتهى . أما دوزى في كتابه « متمم المعاجم العربية » ذكر في صفحة ٥٣٥ ما يلي : جوفى : شمالى . هذا المعنى كثير الاستعمال لدى المؤلفين المغاربة ربح جوفى : ربح الشمال انتهى . قلت : أما في الأندلس فلا يكادون يعرفون عن الشمال إلا بالجوف .

لأربونة على البحر المتوسط ، وهنا هو الركن الثالث ، وبين أربونة وبرديل الجبل الذى فيه هيكل الزهرة ، الحاجز بين الأندلس وبين بلاد أفرنجية العظمى ، ومسافته من البحر نحو يومين للقاصد . ولولا هذا الجبل لالتقى البحران ، ولكانت الأندلس جزيرة منقطعة عن البر ، فأعرف ذلك ! فان بعض من لا علم له يعتقد أن الأندلس يحيط بها البحر فى جميع أقطارها لكونها تسمى جزيرة ، وليس الأمر كذلك ، وإنما سميت جزيرة بالعلة ، كما سميت جزيرة العرب وجزيرة « أقور »^(١) وغير ذلك وتكون مسيرة دورها أكثر من ثلاثة أشهر ، ليس فيها ما يتصل بالبر إلا مقدار يومين كما ذكرنا وفى هذا الجبل المدخل المعروف بالأبواب^(٢) الذى يدخل منه من بلاد الأفرنج إلى الأندلس ، وكان لا يرام ولا يمكن أحداً أن يدخل منه لصعوبة مسلكه فذكر بطليموس أن قَلَوْ بَطْرَةَ ، وهى امرأة كانت آخر ملوك اليونان ، أول من فتح هذه الطريق وسهلها بالحديد والنخل .

قلت : ولولا خوف الاضجار والاملال لبطلت القول فى هذه الجزيرة ، فوصفها كثير ، وفضائلها جمة ، وفى أهلها أئمة وعلماء وزهاد ، ولهم خصائص كثيرة ، وعاشن لا تهمى ، وإتقان لجميع ما يصنونه ، مع غلبة سوء الخلق على أهلها ، وصعوبة الاقياد^(٣) . وفيها مدن كثيرة ، وقرى كبار ، يجهى ذكرها فى أماكنها من هذا الكتاب حسب ما يقتضيه الترتيب إن شاء الله تعالى ، وبه العون والمعصمة انتهى كلام ياقوت فى المعجم .

(١) هى إقليم الموصل وآمد وديار بكر وديار ربيعة وما إليها .
 (٢) ولذلك عرف حتى عند العرب بلفظة « البرتات » ، أى الأبواب بلغات الأفرنج
 (٣) وهذا هو الأمر الذى كان سبب ضياع هذا الفردوس على العرب فما حصله
 عرب الأندلس بمزهم وحسن ترتيبهم أضعوه بشدة لإنشاقهم واستمرار تشغيهم
 وقه أمر هو باله .

قول الشريف الإدريسي

وقال الشريف الإدريسي في كتابه « نزهة المشتاق إلى اختراق الآفاق » وهو أشهر جغرافية عربية — الكلام الآتي :

الجزء الأول من الاقليم الرابع مبدأوه من المغرب الأقصى حيث البحر المظلم ، ومنه يخرج خليج البحر الشامي ماراً إلى المشرق ، وفي هذا البحر المرسوم بلاد الأندلس المسماة باليونانية « أشبانية » وسميت جزيرة الأندلس بجزيرة لأنها شكل مثلث ، وتضيق من ناحية المشرق حتى يكون بين البحر الشامي والبحر المظلم المحيط بجزيرة الأندلس ٥ أيام . ورأسها العريض نحو من ١٧ يوماً . وهذا الرأس هو في أقصى المغرب في نهاية انتهاء المعمور من الأرض ، محصور في البحر المظلم ، ولا يعلم أحد ما خلف هذا البحر المظلم ^(١) ولا وقف بشر منه على خبر صحيح ، لصعوبة عبوره ، وظلام أنواره وتعاظم أمواجه ، وكثرة أهواله ، وتسلط دوابه ، وهيجان رياحه ، وبه جزائر كثيرة ، ومنها معمورة ومغمورة . وليس أحد من الرابنين يركبه عرضاً ولا ملجأ ، وإنما يمر منه بطول الساحل ، ولا يفارقه . وأمواج هذا البحر تندفع متفلقة كالجبال ، لا ينكسر ماؤها ، وإلا فلو تكسّر موجه لما قدر أحد على سلوكه . والبحر الشامي ^(٢) فيما يحكي كان بركة منحازة مثل ما هو عليه الآن ببحر طبرستان ^(٣) لا تتصل مياهه بشيء من مياه البحر .

وكان أهل المغرب الأقصى من الأمم السالفة ينثرون على أهل الأندلس فيضرون بهم كل الاضرار . وأهل الأندلس أيضاً يكابدونهم ويحاربونهم جهد العاقبة ، إلى أن كان زمان الاسكندر ^(٤) ووصل إلى أهل الأندلس ، فاعلموه بنام

(١) خلفه بر اسمه أمر بكما حاول العرب العبور إليه من قبل وقيل وصلوا إليه

(٢) أي المتوسط

(٣) أي بحر الخزر أو قزوين Caspienne

(٤) من عادة مؤرخينا نقل روايات العامة ومن عادة العامة أنهم كلما رأوا أثرأ

عليه من التناكر مع أهل السوس ، فأحضر الفعلة والمهندسين ، وقصد مكان الزقاق ، وكان أرضاً جافة ، فأمر المهندسين بوزن الأرض ، ووزن سطوح ماء البحرين ، ففعلوا ذلك فوجدوا البحر الكبير يشف علوه على البحر الشامى بشئ يسير ، فرفضوا البلاد التى على الساحل من بحر الشام ، ونقلها من أخفض إلى أرفع . ثم أمر أن تحفر الأرض التى بين طنجة و بلاد الأندلس ، فحفرت حتى وصل الحفر إلى الجبال التى فى أسفل الأرض ، وبنى عليها رصيفاً بالحجر والجيار افراغاً ، وكان طول البناء ١٣ ميلا ، وهو الذى كان بين البحرين من المسافة والبعد ، وبنى رصيفاً آخر يقابله مما يلى أرض طنجة . وكان بين الرصيفين سعة ستة أميال فقط . فلما أكمل الرصيفين حفر للماء من جهة البحر الأعظم ، فررّ ماؤه بسيله وقوته بين الرصيفين ، ودخل البحر الشامى ، ففاض ماؤه ، وهلكت مدن كثيرة كانت على الشطين معاً ، وغرق أهلها ، وطفى الماء على الرصيفين نحو ١١ قامة ، فأما الرصيف الذى يلى بلاد الاندلس فإنه يظهر فى أوقات صفاء البحر ، فى جهة الموضع المسمى بالصفيحة ظهوراً بينياً ، طوله على خط مستقيم (هنا لم نعين الكتابة) وقد رأيناه عياناً ، وجرينا على طوله مع هذا البناء . وأهل الجزيرتين يسمونه القنطرة ، ووسط هذا البناء يوافق الموضع الذى فيه حجر الأيل على البحر .

وأما الرصيف الآخر الذى بناه الاسكندر فى جهة بلاد طنجة ، فإن الماء حمله فى صدره ، واحتفر ما خلفه من الأرض^(١) ، وما استقر ذلك منه حتى وصل إلى

متوغلا فى القدم أو خيراً أحاطت به الظلم نسبه إلى الاسكندر أو إلى هرقل أو إلى المباشرة أو إلى الجن وهلم جرا .

(١) علماء الجيولوجية يذهبون إلى أن إتصال البحر المحيط بالبحر المتوسط كان نتيجة زلازل ونوازل طبيعية بها الله تعالى مرج البحرين يلتقيان وإن ذلك لم يكن من عهد شديد التوغل فى القدم بالنسبة إلى الادوار الجيولوجية وعليه فتكون حكاية الاسكندر وفتح بحر الزقاق ليمنع الغارات بين أهل السوس وأهل الاندلس هى من جملة الحرفات التى يروى مثلها فى كل مكان عن الاسكندر ولو كان منع الغارات

الجلال من كلتي الناحيتين . وطول هذا المجاز المسمى بالزقاق ١٣ ميلا ، وطى طرفه من جهة المشرق المدينة المسماة بالجزيرة الخضراء ، وطى طرفه من ناحية المغرب المدينة المسماة بجزيرة طريف . ويقابل جزيرة طريف في الضفة الثانية من البحر مرسى القصر المنسوب لمصودة ، ويقابل الجزيرة الخضراء في تلك المدوة مدينة سبتة . وعرض البحر بين سبتة والجزيرة الخضراء ١٨ ميلا ، وعرض البحر بين جزيرة طريف وقصر مصودة ١٣ ميلا وهذا البحر في كل يوم وليلة يجزر مرتين ، ويمتلئ مرتين ، فعلا دائماً ، ذلك تقدير العزيز الحكيم .

وأما على ضفة البحر الكبير من المدن الواقعة في هذا البحر المرسوم فهي « طنجة » و « سبتة » و « نكور » و « بادس » و « المزمة » و « مليلة » و « هنين » و « بنو زار » و « وهران » و « مستفام » فأما مدينة سبتة فهي تقابل الجزيرة الخضراء ، وهي سبعة أجيل صغار متصلة بعضها ببعض معمورة ، طولها من المغرب إلى المشرق نحو ميل ، ويتصل بها من جهة المغرب ، وعلى ميلين منها ، جبل موسى وهذا الجبل منسوب لموسى بن نصير ، وهو الذي كان على لديه افتتاح الأندلس في صدر الإسلام ، وتجاوره جنات وبساتين وأشجار وفواكه كثيرة ، وقصب سكر ، وأترج يتجهز به إلى ما جاور سبتة من البلاد ، لكثرة الفواكه بها . ويسمى هذا المكان الذي جمع هذا كله (بليونش)^(١) . وبهذا الموضع مياه جارية ، وعميون

والحروب بين الشعوب يقتضى أن يحال بين الفريقين المتناورين بيجر لامتلائت كرة الأرض ترعا وخلجاً وما الناس بعد ذلك يالغى مرادهم من السلام لانه قد يغير بعضهم على بعض بالسفن وكم من أمة أغارت على أمة أخرى وبينهما أبحر محيطة وأبعاد لا يكاد تصورها العقل فالحوادث الذى روه عن الاسكندر هو غريب ، وأغرب منه ذلك التعليل الذى جعلوا وصل ما بين البحرين من أجله

(١) مما أروبه عن بليونش هذه أنها جنة غناء ولكن طريقها في غاية الوعورة ولهذا قال أحدهم :

بليونش جنة ولكن طريقها يقطع النباطا
كجنة الخلد لا يراها إلا الذى جاوز الصراطا

مطردة ، وخصب زائد ، وبلى المدينة من جهة المشرق جبل عال يسمى « جبل المنية »^(١) وأعلاه بسيط ، وعلى أعلاه سور بناه محمد بن أبي عامر عند ما جازها من الأندلس وأراد أن ينقل المدينة إلى أعلى هذا الجبل فمات عند فراغه من بنيان أسوارها ، وعجز أهل سبتة عن الانتقال إلى هذه المدينة المسماة بالمنية ، فكشوا في مدينتهم ، وبقيت المنية خالية ، وأسوارها قائمة ، وقد نبت حطب الشمر فيها . وفي وسط المدينة بأعلى الجبل عين ماء لطيفة لكنها لا تجف البتة ، وهذه الأسوار التي تحيط بمدينة المنية تظهر من عدوة الأندلس لشدة بياضها . ومدينة سبتة سميت بهذا الاسم لأنها جزيرة منقطعة ، والبحر يطيف بها من جميع جهاتها ، إلا من ناحية المغرب ، فإن البحر يكاد يلتقي بعضه ببعض هناك ، ولا يبقى بينهما إلا أقل من رمية سهم ، واسم البحر الذي يليها شمالا بحر الزقاق ، والبحر الآخر الذي يليها في جهة

(١) دوزي يقرأ هذه الجملة « جبل المنيا » لا جبل المنية ونحن نقول لا مانع من ذلك ولكن يكثر تسمية المصايف والمرتبات عند العرب بأنهم « منية » بالكسر وفي مصر من هذه المنيات ما لا يحصى منها ما هو بالمفرد ومنها ما هو بالثنية ومنها ما هو بالجمع . وقد عد الزبيدي في التاج نحواً من مائة وتسعين منية بالمفرد . وزيادة على ثلاثين بالثنية هكذا : منيتا طاهر وأمامه . منيتا فاتك ومزاح ، منيتا السويد والطبل الخ وعد عدة منيات أو منيات بالجمع هكذا : منى مرزوق ، منى جعفر ، منى مفتوح ، منى غصين الخ وكل هذا في بر مصر . وفي الشام بعض « منيات » أيضاً منها « المنى » بقرب طرابلس الشام وهي تلفظ بالامالة على عادة الشام . وفي الأندلس عدة منى ذكر منها الزبيدي منية عجب ، منها خلف بن سعيد المتوفى سنة ٣٠٥ هـ ولم يذكر غيرها . ولكن لافي بروفسال في كتابه « اسبانية المسلة في القرن العاشر » قال إن بالأندلس عدة أما كن اسم الواحد منها « منية » وإنما بلفظها الأندلسيون بالضم ويظن أن أصل اللفظة يوناني ثم دخلت في لغة القبط بمعنى ميناء أو محط أو دير . وكان في قرطبة « منية الناعورة » للخليفة الناصر وهو منزلة معروف و « منية عبد الله » و « منية المفيرة » و « منية عجب » ولم يذكر ياقوت من منى الأندلس سوى منية عجب ولم يذكر من منى مصر إلا منية أبي الحصب وبضع عشرة أخرى

الجنوب يقال له بحر بسول ، وهو مرسى حسن يُرْسَى فيه فيُكَيَّن من كل ربح .
 وبمدينة سبتة مصايد للحوت ولا يمد لها بلد في إصابة الحوت وجلبه ، ويصاد بها
 من السمك نحو من مائة نوع ، ويصاد بها السمك المسمى بالثنتين الكبير ، وصيدهم
 له يكون زرقاً بالرماح وهذه الرماح لها في أسننها أجنحة بارزة تنشب في الحوت
 ولا تخرج ، وفي أطراف عصيها شرائط القنب الطوال ، ولهم في ذلك دربة وحكمة
 سبقوا فيها جميع الصيادين .

ويصاد بمدينة سبتة شجر المرجان الذي لا يمد له صنف من صنوف المرجان
 المستخرج بجميع أقطار البحار . وبمدينة سبتة سوق لتفصيله وحكّه وصنعه خرزاً
 وثقبه وتنظيمه ، ومنها يتجهز به إلى سائر البلاد ، وأكثر ما يحمل إلى « غانة »
 وجميع بلاد السودان ، لأنه في تلك البلاد يستعمل كثيراً . ومن مدينة سبتة إلى قصر
 مصمودة في القرب ١٣ ميلاً وهو حصن كبير على ضفة البحر ، تنشأ به المراكب والحراريق
 التي يسافر فيها إلى بلاد الأندلس ، وهي على رأس الحجاز الأقرب إلى ديار الأندلس
 ومن قصر مصمودة إلى مدينة طنجة غرباً ٢٠ ميلاً . ومدينة طنجة قديمة أزلية ،
 وأرضها منسوبة إليها ، وهي على جبل عال مطل على البحر ، وسكنى أهلها منه في
 سند الجبل إلى ضفة^(١) البحر ، وهي مدينة حسنة لها أسواق وصناع ، وفعلة وبها
 انشاء المراكب ، وبها أقالع وحط ، وهي على أرض متصلة بالبر فيها مزارع وغلات
 وسكانها برابري ينسبون إلى صنهاجة . ومن مدينة طنجة ينهطف البحر المحيط الأعظم
 آخذاً في جهة الجنوب إلى أرض « تشمس » وتشمس كانت مدينة كبيرة ذات
 سور من حجارة يشرف على نهر « سفندر » وبينها وبين البحر نحو ميل ، ولها قرى
 عامرة باصناف من البربر ، وقد أفنتهم الفتن وأبادتهم الحروب المتوالية عليهم . ومن
 تشمس إلى قصر عبد الكريم ، وهو على مقربة من البحر ، وبينه وبين طنجة ،
 (١) سند الجبل ما قالك منه وعلا عن السفع فأما الآن فقد ارتفعت طنجة إلى
 أعلى الجبل وهي مدينة حسنة كما قال ، عمرها الله بأهلها

يومان ، وقصر عبد الكريم مدينة صغيرة على ضفاف نهر « لكس » وبها أسواق على قدرها يباع بها ويشترى ، والأرزاق بها كثيرة والرخاء بها شامل . ومن مدينة طنجة إلى مدينة « أزيلا » مرحلة خفيفة جداً ، وهي مدينة صغيرة جداً ، وما تبقى منها الآن إلا نزر يسير ، وفي أرضها أسواق قريبة . وأزيلا هذه ، ويقال أصيلا ، عليها سور . وهي متعلقة على رأس الخليج المسمى بالزقاق ، وشرب أهلها من مياه الآبار . وعلى مقربة منها في طريق القصر مصب نهر سفند ، وهو نهر كبير عذب تدخله المراكب ، ومنه يشرب أهل تشمس التي تقدم ذكرها . وهذا الوادي أصله من مائتين يخرج أحدهما من بلد « ذنهاجة » من جبل « البصرة » والماء الثاني من بلد كتامة ، ثم ياتقيان ، فيكون منهما نهر كبير . وفي هذا النهر يركب أهل البصرة في مراكبهم بأمتعتهم حتى يصلوا البحر فيسيروا فيه حيث شاءوا . وبين تشمس والبصرة دون المرحلة على الظهر . والبصرة ^(١) كانت مدينة مقصدية عليها سور

(١) بعد أن ذكر ياقوت البصرة المشرقية في معجم البلدان عاد فذكر البصرة المغربية فقال : بلد في المغرب في أقصاء قرب السوس خربت . قال ابن حوقل وهو يذكر مدن المغرب من بلاد البربر : والبصرة مدينة مقصدية عليها سور ليس بالمنبع ولها عيون خارجها عليها بسايتين يسيرة وأهلها ينسبون إلى السلامة والخير والجمال وطول القامة واعتدال الخلق وبينها وبين المدينة المعروفة بالأقلام أقل من مرحلة وبينها وبين مدينة يقال لها تشمس أقل من مرحلة أيضاً . ولما ذكر المدن التي على البحر قال : ثم تعطف على البحر المحيط يشاراً وعليه من المدن قرية منه وبعدة وجرماية و د ساوران ، و د الحصى ، على نحر البحر ودونها في البر مشرقاً الأقلام ، ثم البصرة وقال البشاري : البصرة مدينة بالمغرب كبيرة كانت عامرة وقد خربت وكانت جليلة . وكان قول البشاري هذا في سنة ٣٧٨ . وقرأت في كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري الأندلسي : بين فاس والبصرة أربعة أيام قال : والبصرة مدينة كبيرة وتعرف ببصرة الكتان كانوا يقايعون في بدء أمرها في جميع تجارتهم بالكتان وتعرف أيضاً بالحمراء لأنها حمراء التربة وسورها صني بالحجارة والطوب وهي بين شرفين ولها

ليس بالحصين ، ولها قرى وعمارات وغللات ، وأكثرت غلاتها القطن والقمح ، وسائر الحبوب بها كثيرة ، وهي عامرة الجهات ، وهوؤها معتدل ، وأهلها أعتاف ، ولهم جمال وحسن أدب . وعلى نحو ١٨ ميلا مدينة « باب أقلام » ^(١) وهي من بناء عبدالله بن ادريس ، بين جبال وشعار متصلة ، والمدخل إليها من مكان واحد . وبالجملة فإنها خصيبة كثيرة المياه والفواكه ، وعلى مقربة منها مدينة « قرت » وهي على سفح جبل منبع ، لا سور عليها ، ولها مياه كثيرة وعمارات متصلة . وأكثرت زراعتهم القمح والشعير وأصناف الحبوب . وكل هذه البلاد منسوبة إلى بلاد طنجة ومحسوبة منها . وفي جنوب البصرة على نهر « سبو » الآتي من ناحية فاس قرية كبيرة كالمدينة الصغيرة يقال لها « ماسنة » وكانت قبل هذا مدينة لها سور وأسواق وهي الآن خراب . وعلى مقربة منها مدينة « الحجر » وكانت مدينة محدثة لآل ادريس ، وهي على جبل شامخ الذرى ، حصينة منيعة ، لا يصل أحد إليها إلا من طريق واحد ، والطريق صعب الحجاز ، يسلكه الرجل بمد الرجل ، وهي خصيبة رفعة كثيرة الخيرات ، وماؤها فيها ، ولها بساتين وعمارات ، ومن مدينة سبتة

عشرة أبواب وماؤها زعاق وشرب أهلها من بئر عذبة على باب المدينة وفي بساتينها آبار عذبة ونساء هذه البصرة مخصوصات بالجمال الفائق والحسن الرائق ليس بأرض المغرب أجمل منهن . قال أحمد بن فتح المعروف بابن الحزاز النيرقي يمدح أبا العيش عيسى بن ابراهيم بن القاسم .

فتح الآله الدهر إلا قينة بصرية في حمرة وبياض
 الخرف لحظاتها والورد في وجنتها والكشح غير مفاض
 في شكل مرجى ونسك مهاجر وعفاف سنى وسمت إباح
 تهرت ، أنت خايبة وبرقة عوضت منك ببصرة فاعتاض
 لا عذر للحمرء في كلنى بها أو تستفيض بأبجر وحياض

قال : ومدينة البصرة مستحذفة أسست في الورد الذى أسست فيه أصيلة أو قريامنه

(١) ورد ذكرها في قلنا عن ياقوت هنا

السابق ذكرها بين جنوب وشرق إلى حصن « تطاون » مرحلة صغيرة ، وهو حصن في بسط الأرض ، وبينه وبين البحر الشامي خمسة أميال . وتسكنه قبيلة من البربر تسمى بـجـكـنـة^(١) . ومنه إلى « أنزلان » وهو مرسى فيه غمارة ، نحو من ١٥ ميلا وأنزلان مرسى عامر ، وهو أول بلاد غمارة . وبلاد غمارة جبال متصلة بعضها ببعض كثيرة الشجر والفياض وطولها نحو من ثلاثة أيام . ويتصل بها من ناحية الجنوب جبال « الكواكب » وهي أيضاً جبال عامرة كثيرة الخصب ، وتمتد في البرية مسيرة ثلاثة أيام حتى تنتهي قرب مدينة فاس . وكان يسكنها غمارة إلى أن طهر الله منهم الأرض ، وأقنى جمعهم ، وخرّب ديارهم ، لكثرة ذنوبهم ، وضعف أسلامهم وكثرة جرائمهم ، وإصرارهم على الزنا المباح ، والمواربة الدائمة ، وقتل النفس التي حرم الله بشير الحق ، وذلك من الله جزاء الظالمين . وبين سبتة وفاس على طريق « زجان » ثمانية أيام . وعلى مقربة من انزلان حصن « تقاس » على البحر ، وبينهما نصف يوم ، وهو حصن مغمور في غمارة ، لكن أهله بينهم وبين غمارة حرب دائمة ، ومن تقاس إلى قصر « تاركما » وله مرسى . ومنه إلى حصن « مسيكاسة » نصف يوم ، وهو لغمارة . ومن مسيكاسة إلى حصن « كركال » ١٥ ميلا ، وهو أيضاً لغمارة . ومن حصن كركال إلى مدينة « بادس » مقدار نصف يوم ، وبادس مدينة متحضرة فيها أسواق وصناعات فلانل ، وغماره يلجأون إليها في حوائجهم ، وهي آخر بلاد غمارة ، ويتصل بها هناك طرف الجبل ، وينتهي طرفه الآخر في جهة الجنوب ، إلى أن يكون بينه وبين بلد بني « تاوده » أربعة أميال ، وكان بهذا الجبل قوم من أهل « مزكلدة » أهل جرأة وسفاهة وتجاسر على من جاورهم ، فأبادهم سيف الفتنة ، وأراح الله منهم . ومن مدينة بادس إلى مرسى « بوزكور » ٢٠ ميلا ،

(١) كان هذا في القرن السادس للهجرة وهو القرن الذي عاش فيه الشريف الإدريسي ولكن في القرن العاشر للهجرة عمرت تطاون بالاندلسيين بعد جلائهم الأخير وصارت من المدن الكبار الممدودة من القواعد زادها الله من فضله .

وكانت مدينة فيما ساف لكنها خربت ولم يبق لها رسم ، وتسمى في كتب التواريخ « نكور » وبين بوزكور وبادس جبل متصل يُعرف بالأجراف ، ليس فيه مرسى . ومن بوزكور إلى المزمة ٢٠ ميلا ، وكانت به قرية عامرة ومرسى توسق المراكب منه . ومن المزمة إلى واد بقرها ، ومنه إلى طرف « ثلال » ١٢ ميلا . وهذا الطرف يدخل في البحر كثيراً ، ومنه إلى مرسى « كرت » ٢٠ ميلا وبشرقي كرت واد يأتي من جهة « صاع » ومن كرت إلى طرف جون داخل في البحر ٢٠ ميلا ، ومن كرت إلى مدينة « مليلة » في البحر ١٢ ميلا ، وفي البر ٢٠ ميلا .

ومدينة مليلة مدينة حسنة متوسطة ذات سور منيع وحال حسنة على البحر ، وكان لها قبل هذا عمارات متصلة وزراعات كثيرة ، ولها بئر فيها عين أزرية كثيرة الماء ومنها شربهم ، ويحيط بها من قبائل البربر بطون بطوية .

ومن مليلة إلى مصب الوادي الذي يأتي من « آقرسيف » ٢٠ ميلا ، وأمام مصب هذا النهر جزيرة صنية . ويقابل هذا الموضع من البرية مدينة « جراو » ومن مصب وادي آقرسيف إلى مرسى « تافر كنيث » على البحر ، وعليه حصن منيع صنير ٤٠ ميلا . ومن تافر كنيث إلى حصن تابجريت ثمانية أميال ، وهو حصن حصين ، حسن عامر أهل وله مرسى مقصود . ومن تابجريت إلى « هُنين » على البحر ١١ ميلا ومنها إلى « تلسان » في البر ٤٠ ميلا . وفيها بينهما مدينة « ندرومة » وهي مدينة كبيرة عامرة آهلة ، ذات سور وسوق ، موضعها في سند ، ولها مزارع ولها واد يجري في شريقها ، وعليه بساتين وجنات وعمارة وسقى كثير .

وهنين مدينة حسنة صغيرة في فخر البحر ، وهي عامرة ، عليها سور متين وأسواق وبيع وشراء ، وخارجها زراعات كثيرة ، وعمارات متصلة . ومن هنين على الساحل إلى مرسى « الوردانية » ستة أميال ، ومنها إلى جزيرة « القشغار » ثمانية أميال ، ومنها إلى جزيرة « إرشقول » و « بروى » « ارجكون » وكانت فيما ساف حصناً عامراً له مرسى وبادية وسعة في الماشية والأموال السائمة ، ومرساها في جزيرة فيها

مياه ومواجهل كثيرة للرأكب ، وهي جزيرة مسكونة ، ويصب بمذائها نهر مَلَوِيَّة ومن مصب الوادي إلى حصن « أسلان » ستة أميال على البحر ، ومنه إلى طرف خارج في البحر ٢٠ ميلا ، ويقابل الطرف في البحر جزيرة الغنم ، وبين جزائر الغنم وأسلان ١٢ ميلا . ومن جزائر الغنم إلى بني وزَّار ١٧ ميلا ، وبنو وزَّار حصن منبع في جبل على البحر ، ومنه إلى « الدفالي » وهو طرف خارج في البحر ١٢ ميلا ، ومن طرف الدفالي إلى طرف « الحرشة » ١٢ ميلا ، ومنه إلى « وهران » ١٢ ميلا .

وقد ذكرنا وهران وأحوالها فيما صدر من ذكر الأقليم الثالث ، والله المستعان فلنرجع الآن إلى ذكر الأندلس ووصف بلادها ، ونذكر طرقها ، وموضوع جهاتها ، ومقتضى حالاتها ، ومبادئ أوديتها ، ومواقعها من البحر ، ومشهور جبالها وعجائب بقعها ، ونأتي من ذلك بما يجب بعون الله تعالى فنقول :

أما الأندلس في ذاتها فشكل مثلث يحيط بها البحر من جميع جهاتها الثلاث ، فجنوبها يحيط به البحر الشامي ، وغربها يحيط به البحر المظلم ، وشمالها يحيط به بحر الاتقليشيين^(١) من الروم . والأندلس طولها من كنيسة القراب التي على البحر المظلم إلى الجبل المسمى بهيكل الزهرة ألف ميل ومائة ميل ، وعرضها من كنيسة « شنت ياقوب »^(٢) التي على أنف بحر الاتقليشيين إلى مدينة المرية التي على بحر الشام ستائة ميل .

وجزيرة الأندلس مقسومة من وسطها في الطول بجبل طويل يسمى الشارات^(٣) وفي جنوب هذا الجبل تأتي مدينة طليطلة . ومدينة طليطلة مركز لجميع بلاد الأندلس

(١) يريد بالانقليش أو بالانقليشيين الانكليز وكان من عادة العرب أن يقلبوا السين والزاي شيئا في أكثر الاحيان .

(٢) العرب يقولون شنت ياقوب أو شنت ياقب والاسبان يقولون سانتياغو دو كومبستله Santiago De Compostela وهي أقدس كنيسة عند الاسبانول وفيها قبر يعقوب أحد الحواريين .

(٣) Sierra وقد صارت الشارات تفيد معنى سلسلة جبال .

وذلك أن منها إلى مدينة قرطبة ، بين غرب وجنوب ، تسع مراحل ، ومنها إلى لشبونة غرباً تسع مراحل ، ومن طابطة إلى شنت ياقوب على بحر الانقليشيين تسع

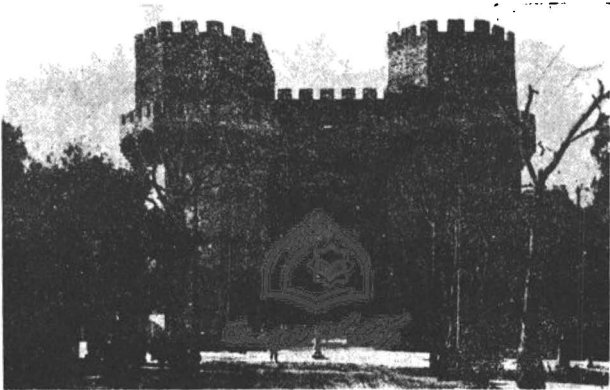


مدينة شانت ياؤب أحد مدن ملوكه عند الأيبانيين



متنزه في شانت ياقب

مراحل ، ومنها إلى « جاقة »^(١) شرقاً تسع مراحل ، ومنها إلى مدينة بانسية ، بين شرق وجنوب ، تسع مراحل ، ومنها أيضاً إلى مدينة المرية على البحر الشامي تسع مراحل .



برج سرافوس (بانسية)

ومدينة طليطلة كانت في أيام الروم مدينة الملك ومداراً لولائها ، وبها وجدت مائدة سليمان بن داود ، مع جملة ذخائر يطول ذكرها . وما خلف الجبل المسمى بالشارت في جهة الجنوب يسمى اشبانية ، وما خلف الجبل في جهة الشمال يسمى قشتالة . ومدينة طليطلة في وقتنا هذا يسكنها سلطان الروم القشتاليين .

(١) جاقة من بلاد سرقسطة بلدة فيها اليوم ٥٠٠٠ نسمة من السكان وهي مركز ناحية « سورباري » ولها سور يرجع تاريخ بنائه إلى القرن العاشر وقد أنشئ خط حديدي بين جاقة Jaca واولورون oron يختصر بنحو مائة كيلو متر المسافة بين باريز ومجربط .



منزه النحل (بالنيمة)

والأندلس السمة اشبانية أقاليم عدة ، ورسابق جملة ، وفي كل إقليم منها عدة مدن
 نريد أن نأتي بذكرها مدينة مدينة بحول الله تعالى . ولنبدأ الآن منها بإقليم البحيرة ^(١)
 وهو إقليم مبدأه من البحر المظلم ، ويمرّ مع البحر الشامي ، وفيه من البلاد جزيرة
 طريف ، والجزيرة الخضراء ، وجزيرة قادس ، وحصن « اركش » ^(٢) ، و« بكة » ^(٣)
 و« شريش » ^(٤) ، و« طشانة » ^(٥) ، و« مدينة ابن السليم » ^(٦) ، وحصون
 كثيرة كاللندن عامرة ، سنأتي بها في موضوعها
 ويتلوه إقليم « شذونة » ^(٧) ، وهو من إقليم البحيرة شمالا ، وفيه من المدن

(١) Le Lago de la janua (٢) Arcos (٣) Becca

(٤) Jeres (٥) Tocina (٦) Grazalema وأظن اسمها محرفاً عن

« قرية سالم » ، وهي الآن قرية كبيرة في برية تبعد عن رندة ٢٥ كيلو متراً إلى الجنوب

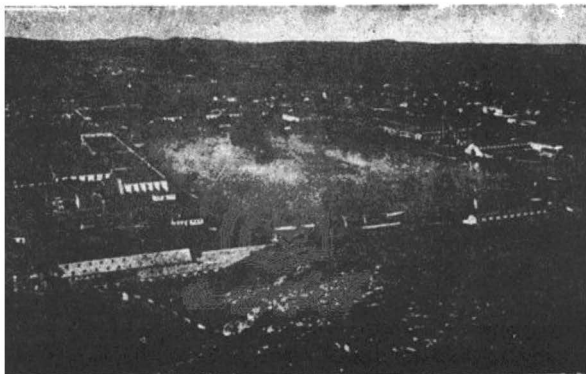
وقد زرتها بالسيارة لما كنت في رندة (٧) Sidonia

مدينة « اشبيلية »^(١) ، ومدينة « قرمونة »^(٢) ، و« غلسانة »^(٣) ، وحصون كثيرة . ويتلوه اقليم الشرف ، وهو ما بين اشبيلية و« لبله »^(٤) والبحر المظلم ، وفيه من الماقل « حصن القصر »^(٥) ومدينة لبله و« ولبة »^(٦) وجزيرة « شلطيش »^(٧) وجبل الميون . ثم يليه اقليم « الكنباية »^(٨) وفيه من المدن قرطبة و« الزهراء »^(٩) و« استجة »^(١٠) و« بيانة »^(١١) و« وقبرة »^(١٢) و« البسانة »^(١٣) وبه جملة حصون كبار سنذ كرها بمد هذا . ويلي اقليم الكنباية اقليم « اشونة »^(١٤) وفيه حصون عامرة كاللدن ، منها لورقة واشونة وهو اقليم صنير . ويلي مع الجنوب اقليم « رية »^(١٥) وفيه من المدن مدينة مالتة و« ارشدونة »^(١٦) و« مربله »^(١٧) و« ببشطر »^(١٨) و« ليسكنصاده »^(١٩) وغير

(١) Sevilla (٢) Carmona بلدة ذات موقع نادر في الدنيا مبنية على جبل مشرف على سائط لا ينتهي البصر إلى حداتها وقد زرتها بالسيارة من اشبيلية
(٣) غلسانه هي اليوم عند الأسيانيول *medina-Sidonia* (٤) *niebla*
(٥) *Hulba* (٦) *Saltes* (٧) *La campina* (٨)
(٩) *medina Az-zahra* (١٠) *Ecija* (١١) *Baena*
(١٢) *cabra* (١٣) *Lucina* (١٤) *usona* (١٥) *Rio*
وليم القاريء أننا التزمنا ترجمة الأعلام العربية بما يقابلها من الأسماء الاسبانية
وترجمة الأعلام الاسبانية بما كان يقوله لها العرب وتحريتها في ذلك جهد الطاقة ولم نبق
في قوس البحث منزع ظفر حتى حققنا كل هذه الأسماء إلا ما ندر فان معرفتها بلساني
العرب والافرنج شرط في فهم جغرافية الأندلس وتاريخها وبدون ذلك لا تحصل
للقاريء صورة تامة عنها في ذهنه ولم نكتف بترجمة الأعلام من العربي إلى الاسبانيول
ومن الاسبانيول إلى العربي مرة واحدة بل ربما كتبنا اسم المكان الواحد باللغتين
مرتين وثلاثاً لا نمل من ذلك حتى يرسخ في ذهن القاريء بال تكرار وإلا فانه لا يحفظ
هذه الأعلام المتبادلة من قراها مرة واحدة .

(١٦) *Archidona* وقد يكتبها العرب بالجيم (١٧) *marbella*
(١٨) *Bobachtero* (١٩) هذه اللفظة لم ندر حقيقتها

هذه من الحصون . ويتلو هذا الأقليم « البشارت »^(١١) وفيه من المدن « جيان »^(١٢) وجملة حصون وقرى كثيرة تشفّ على سبعمائة قرية ، يتخذها الحرير . ثم إقليم « بجانة »^(١٣) وفيه من المدن « المرية »^(١٤) و « برجة »^(١٥) وحدود كثيرة منها « مرشانة »^(١٦) و « برشانة »^(١٧) و « طرجالة »^(١٨) و « بالش »^(١٩) ويتلوه

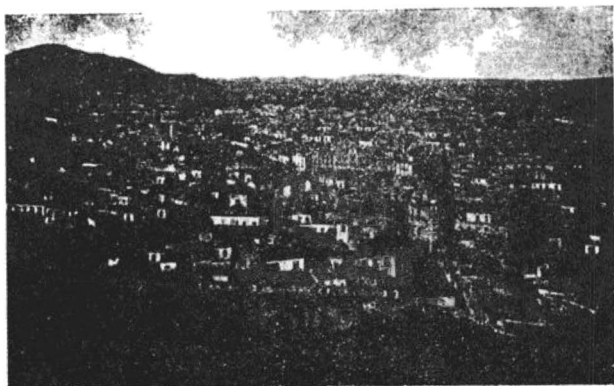


صورة مرسى قرطاجنة

في جهة الجنوب إقليم « البيرة »^(١٠) وفيه من المدن « اغرناطة »^(١١) و « وادي آش »^(١٢) و « المنكب »^(١٣) وحصون وقرى كثيرة . ومنها إقليم « قريرة »^(١٤)

- (١) Sierra (٢) jaen واصل اسمها في زمن الرومان usiense وكان الفشتاليون يقولون لها Gien (٣) Béchina (٤) Almeria (٥) Berja (٦) merchana هي من مقاطعة بجانة وقد درست ولا تزال منها بقايا في دسكرة يقال لها ترك ، Terque (٧) برشانة Purchina هي أيضا من مقاطعة بجانة (٨) Targela (٩) velez (١٠) vera (١١) Grenade (١٢) Guadix (١٣) Almonacar (١٤) Ferreira

وهو يتصل بأقاليم البشارات ، وفيه مدينة « بسطة » ^(١) وحصن « تشكر » ^(٢) الموصوف بالثمنة . وفيه حصون كثيرة وسنأتي بها بعد . ثم كورة « تدمير » ^(٣) وفيها من المدن « مرسيه » ^(٤) و « اوريوه » ^(٥) و « قرطاجنة » ^(٦) ، و « لورقه » ^(٧) و « مولة » ^(٨) و « جنجالة » ^(٩) ويتصل بكورة « كونسكة » ^(١٠) وفيها « الش » ^(١١) و « الفنت » ^(١٢) و « شقورة » ^(١٣) و يابيه إقليم « ارغيرة » ^(١٤) وفيه من البلاد



مدينة قرطاجنة

« شاطبة » ^(١٤) و « شقر » ^(١٥) و « دانية » ^(١٦) وفيه حصون كثيرة . و يليه إقليم مرباطر وفيه من البلاد « بلنسية » ^(١٧) و « مرباطر » ^(١٨) و « بر يانة » ^(١٩) وحصون

- Murcie (٤) Todmir (٣) Tixar (٢) Baza (١)
 Mola (٨) Lorca (٧) Cartagène (٦) Orihuela (٥)
 Alicante (١٢) Elche (١١) Cuenca (١٠) Chinchilla (٩)
 Se gur (١٥) Jatiba أو Chativa (١٤) Segura (١٣)
 Brienne (١٩) Murviedro (١٨) Valence (١٧) Denia (١٦)

كثيرة . وبإيه مع الجوف إقليم « القواطم » ^(١) وفيه من البلاد « الفنت » ^(٢) و « شنت » ^(٣) ماريه « المنسوبة لابن رزين . ويتصل به إقليم « الوجلة » ^(٤) وفيه من البلاد « سرتة » ^(٥) و « قلعة رباح » ^(٦) و « فتة » ^(٧) وبلى هذا الاقليم إقليم « البلاطة » ^(٨) . وفيه حصون كثيرة منها ومن أكبرها « بطرش » ^(٩)



الساقية المتبقية (الش)

و « غافق » ^(١٠) وحسن ابن هارون (؟) وغيرها دونها في الكبير . وبلى هذا الاقليم غربا إقليم « الفقر » (؟) وفيه من البلاد « شنت » ^(١١) ماريه « و « Martela » ^(١٢) و « شلب » ^(١٣)

- (١) دوزى يظن أن الاسم محرف بالنسخ وأن أصله « القواسم » ونحن نرجح أنه محرف عن « القواطم » وسيأتي الكلام على ذلك (٢) puente
 (٣) Albarracine (٤) لم ندر أهو عربي أم معرب ؟ وهي Walaja
 (٥) Zarrula (٦) Calatrava (٧) Puente (٨) البلاطة أي البلوطين
 نسبة إلى لحص البلوط (٩) Pedroche (١٠) Gafic
 (١١) Santa Maria (١٢) Martela (١٣) Silves

و حصون كثيرة وقرى . و بلى هذا الاقليم اقليم « القصر » ^(١) وفيه القصر المنسوب
 « لأبي دانس » وفيه « يابرة » ^(٢) و « بطابوس » ^(٣) و « شريشة » ^(٤) و « ماردة » ^(٥)
 و « قنطرة » ^(٦) « السيف » و « قورية » ^(٧) . و يابه اقليم البلاط وفيه مدينة « البلاط » ^(٨)

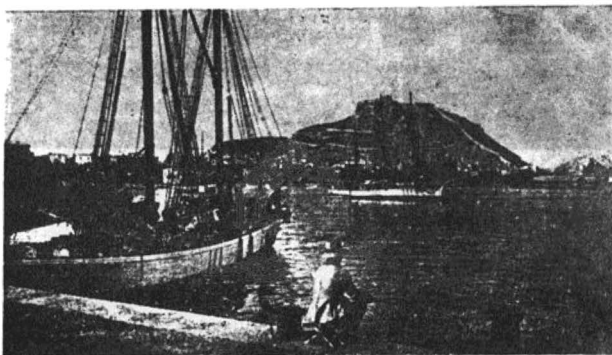


غيزة من غياض الش

ومدين ^(٩) . و بلى هذا الاقليم اقليم بلاطه ^(١٠) وفيه « شترين » و « اشبونة »
 و « شترة » و يابه اقليم الشارات وفيه « طلبيرة » ^(١١) و « طلبلة » ^(١٢)

- Xerex de (٤) Badjoz (٣) Evora (٢) Cacer (١)
 Estramadour وهي عند العرب شريشة إلا أنها غير شريش التي منها أبو العباس
 الشريشي شارح المقامات الحريرية Alcantara (٦) Merida (٥)
 Albalat (٨) Coria (٧)
 (٩) Medellin (١٠) . ورة البلاط في أيام العرب كانت تشتمل على شترين
 Santarem واشبونة Lisbonne أو Lisboa وشترة Cintra ويقال لها في هذه
 الأيام استرمادوره ، البرتغالية (١١) Talavera (١٢) Toledo

- و « مجريط »^(١) و « الفهين »^(٢) و « وادي الحجارة »^(٣) « اقلش »^(٤)
و « وبدة »^(٥) و يليه أيضاً إقليم « أرنيط »^(٦) وفيه من البلاد « قلعة أيوب »^(٧)
و قلعة « دروكة »^(٨) و مدينة « سرقسطة »^(٩) و « وشقة »^(١٠) و « تطيلة »^(١١)
ثم يليه إقليم الزيتون وفيه « جاقا »^(١٢) و « لاردة »^(١٣) و « مكناسة »^(١٤)
و « افراغه »^(١٥) و يليه إقليم « البرتات »^(١٦) وفيه « طرطوشة »^(١٧) و « طراكونة »^(١٨)



مرسى القنت

- (١) Madrid (٢) بلدة من أعمال طليطلة اسمها عربي منسوبة إلى بني فهم
على ما ورد في معجم البلدان لياقوت وقد ذكرنا ما قال في موضع آخر
(٣) Guadaluja وقد يقول لها العرب مدينة الفرج بحركة (٤) Aclès
(٥) Huele (٦) أظن أن أرنيط هي التي يقال لها Arenedo
(٧) Saragosse (٨) Daroca (٩) Calatayud
(١٠) Huesca (١١) Tudela (١٢) Jaca (١٣) Lerida
(١٤) Méquinensa (١٥) Fraguas (١٦) جبال البرتات هي جبال
البرانس أو جبال البيرانه (١٧) Tortosa (١٨) Tarracona



متزه راميرو (الفنت)

و « برشلونة » ^(١) وبلى هذا الاقليم غرباً اقليم « مرمرية » ^(٢) وفيه حصون خالية ، ومما بلى البحر حصن « طشكره » ^(٣) و « كشتالى » ^(٤) و « كتندة » ^(٥) فهذه كلها اقاليم اشبانية المسمى جملتها بالأندلس . فأما جزيرة « طريف » ^(٦) فهي على البحر الشامى ، فى أول المجاز المسمى « بالزقاق » ، ويتصل غربها ببحر الظلمة . وهى مدينة صغيرة ، عليها سور تراب ، ويشقها نهر صغير ، وبها أسواق وفنادق وحمامات ، وأمامها جزيرتان صغيرتان تسمى احدهما « القنتير » ^(٧) وهما على مقربة من البر . ومن جزيرة طريف إلى الجزيرة الخضراء ثمانية عشر ميلا ، تخرج من الجزيرة إلى « وادى » ^(٨) النساء « وهو نهر جار ، ومنه إلى الجزيرة » ^(٩) الخضراء

(١) Barcelone (٢) Marmaria (٣) Tixar

(٤) Castello (٥) Cutenda (٦) Tariffa

(٧) لم تعرف اسمها بالاسبانى (٨) الاسبانيول يقولون Guadannasi

وذلك أنهم حكروا فى لفظها العرب وهؤلاء فى الأندلس كانوا يملون الألف كثيراً
(٩) الاسبانيول بحسب عادتهم من قلب الجيم خاء والسين والزاي ثاء يقولون

وهي مدينة متحضرة لما سور حجارة مفرغ بالجيار ، ولها ثلاثة أبواب ودار صناعة داخل المدينة ، ويشقها نهر يسمى نهر العسل ، وهو حلوعذب ، ومنه شرب أهل المدينة ، ولهم على هذا النهر بساتين وجنات بكلتي ضفتيه مآ . وبالجزيرة الخضراء لإنشاء وإقلاع وحط ، وبينها وبين مدينة سبتة مجاز البحر ، وعرضه هنالك ثمانية عشر ميلا . وأمام المدينة جزيرة تعرف بجزيرة « أم حكيم » وبها أمر عجيب ، وهو أن فيها بئراً عميقة كثيرة الماء حلوة ، والجزيرة في ذاتها صغيرة مستوية السطح ، يكاد البحر يركبها ^(١) والجزيرة الخضراء أول مدينة افتتحت من الأندلس في صدر الاسلام ، وذلك في سنة ٩٠ من الهجرة ، وافتتحها موسى بن نصير من قبل الروانيين ، ومعه طارق بن عبد الله بن ونمو الزناتي ، ومعه قبائل البربر . فكانت هذه الجزيرة أول مدينة افتتحت في ذلك الوقت ، وبها على باب البحر مسجد يسمى بمسجد الرايات ، ويقال إن هناك اجتمعت رايات القوم للرأى ، وكان وصولهم اليها من جبل طارق وإنما سمي جبل طارق لأن طارق ^(٢) بن عبد الله بن ونمو الزناتي لما جاز بمن معه من البرابر

والخثيرة ، وقد ذكرت في إحدى مقالاتي عن رحلتي إلى الأندلس أن للقوم رغبة شديدة في حرف الخاء ، ثم طالعت بعد ذلك كتاب السفر إلى المؤتمر ، لصديقي العلامة أحمد زكي باشا المصري رحمه الله وفيه فصل عن رحلته إلى الأندلس سنة ١٨٩٣ فوجده يقول في صفحة ٣٨٧ ما يلي : « لاحظت دوران حرف الخاء في غالب كلماتهم التي يكون فيها شين أو جيم أو سين بحيث لو سمعهم رجل من أهل المزاج لأستمع السباح وقال أن لغة القوم تدور على حرف الخاء ، قال : وقد سمعتهم يقولون والخثيرة فسألت فاعلموني بأنها الجزيرة الخضراء ، فقد توارد الخاطر مع الخاطر

(١) قد يوجد الماء الحلو أحيانا في وسط البحر إذا انقشمت عنه موجة الماء الملح شرب منه ركاب السفن .

(٢) لا نعلم لماذا ينسب الشريف الادريسي طارق المنسوب إليه جبل الفتح بخلاف ما هو شائع ، فانه يجعله طارق بن عبد الله بن ونمو الزناتي والمشهور أن اسم أبيه زياد وأن عبد الله هو جده جاء في البيان المغرب في أخبار المغرب ، لابن

وتحصنوا بهذا الجبل ، احس في نفسه أن العرب لا تثق به ، فأراد أن يزعج ذلك عنه ، فأمر باحراق المراكب التي جاز فيها ، فتهرباً بذلك عما اتهم به .
وبين هذا الجبل والجزيرة الخضراء ستة أميال ، وهو جبل منقطع عن الجبال



صورة طراكونة من كلونية

مستدير ، في أسفله من جهة البحر كهوف ، وفيها مياه فاطرة جارية ، وبمقربة منه مرسى يعرف بمرسى الشجرة . ومن الجزيرة الخضراء إلى مدينة اشبيلية خمسة أيام . وكذلك من الجزيرة الخضراء إلى مدينة مالقة خمس مراحل خفاف ، وهي مائة ميل ومن الجزيرة الخضراء إلى مدينة اشبيلية طريقان طريق في الماء ، وطريق في البر ، فأما طريق الماء فمن الجزيرة الخضراء إلى الزمال في البحر ، إلى موقع نهر «برباط»^(١)

عذارى المراكشي الجزء الأول المطبوع في « ليدن » بتصحيح المستشرق الشهير الهولاندي دوزي Dozy وذلك سنة ١٨٤٨ أن طارق هو ابن زياد بن عبد الله بن ولفو بن ودغوم بن نبرغاسن بن ولهاص بن بطومت بن نفاوة . وأجمع مؤرخو العرب على أنه ابن زياد

(١) يقول دوزي في ترجمة كلام الادريسي أن نهر برباط يمر بقرب الموضع

المسمى البرم Aloia de los Gazules

٢٨ ميلا ، ثم إلى موقع نهر « بكة »^(١) ستة أميال ، ثم إلى الحلق المسمى « شدت »^(٢) بيطر « ١٢ ميلا ، ثم إلى « القناطر »^(٣) وهي تقابل جزيرة قادس ١٢ ميلا ، وبينها مجاز سمته ستة أميال . ومن القناطر تصعد في النهر إلى رابطة « روطة »^(٤)



صورة طراكونة منزة المحطة

٨ أميال ، ثم إلى « المساجد »^(٥) ٦ أميال ثم إلى مرمى « طبرشانة »^(٦) إلى « المطوف »^(٧) إلى « قبطور »^(٨) إلى « قبطال »^(٩) . وقبطور وقبطال قربتان في وسط النهر ، ثم إلى جزيرة ينشالة^(١٠) ثم إلى الحصن الزهر^(١١) إلى مدينة أشيلية

(١) Becca وهي بقرب طرف الأغر (٢) Sancti petri

(٣) هي الجزائر التي يقال لها عند الإسبانول Iles des lions

(٤) بلدة محصنة على جون قادس والإسبانول يكتبونها هكذا : Rota

(٥) يقول الإسبان للساجد San Locar ويقال إن أصلها Solucar وإنها محرقة

عن Solis Lucos (٦) Tebugena (٧) لم نعلمه

(٨) Captor (٩) Cabtal (١٠) Jenechtelä

(١١) لم نعرف هل يسميه الإسبان باسمه العربي أم له عندهم اسم آخر ؟

فذلك من اشبيلية إلى البحر ٦٠ ميلا . وأما طريق البر فالطريق من الجزيرة إلى « الزنة » ثم إلى نهر « برباط »^(١) إلى قرية « فيسانة »^(٢) وبها المنزل . وهي قرية كبيرة ، ذات سوق عامرة ، وخلق كثير . ومنها إلى مدينة « ابن السليم »^(٣) إلى جبل « مُنت »^(٤) ثم إلى قرية « علوكة »^(٥) ، وبها المنزل . ثم منها إلى



صورة سرقطة أو الثغر الأعلى . منظر عمومي .

« المدائن »^(٦) إلى « زبرد »^(٧) الجبال ، وبها المنزل ، ثم إلى اشبيلية مرحلة . ومدينة اشبيلية مدينة كبيرة عامرة ذات أسوار حصينة ، وأسواق كثيرة ، وبيع وشراء ، وأهلها مياسير ، وجل تجارها بالزيت ، يتجهز به منها إلى أقصى المشرق

(١) مر ذكره (٢) Faisana

(٣) هذه التي يقال لها عند الأسيان . غرازالبا ، Grasalema

(٤) mont

(٥) لم نعرف هذه القرية ولا عرفنا هل هذا هو اسمها الحقيقي أم هو محرف ؟

(٦) ما اطلعنا على هذه المدائن

(٧) ولا على حقيقة هذا الاسم الآخر

والمغرب ، برأ وبحراً ، وهذا الزيت عندهم يجم من « الشرف »^(١) وهذا الشرف هو مسافة أربعين ميلاً ، وهذه الأربون ميلاً كلها تمشى في ظل شجر الزيتون والتين ، أوله بمدينة اشبيلية وآخره بمدينة « لبله »^(٢) وكله شجر الزيتون وسعته ١٢ ميلاً وأكثر ، وفيه فيما يذكر ثمانية آلاف قرية عامرة أهلة بالحمامات والديار الحسنة . وبين الشرف وأشبيلية ثلاثة أميال . والشرف سمي بذلك لأنه مشرف من ناحية اشبيلية تمتد من الجنوب إلى الشمال . وهو تل تراب أحمر ، وشجر الزيتون مفروسة به من هذا المكان إلى قنطرة لبله . واشبيلية على النهر الكبير ، وهو نهر قرطبة

ومدينة لبله مدينة حسنة أزلية ، وهي متوسطة القدر ، ولها سور منيع . وبشرقيها نهر يأتيها من ناحية الجبل ، ويمجاز عليه في قنطرة إلى مدينة لبله . وبها أسواق وتجارات . ومنافع حمة . وشرب أهلها من عيون في مرج من ناحية غربيها . وبين مدينة لبله والبحر المحيط ستة أميال .

وهناك على ذراع من البحر تعال مدينة « لولة »^(٣) وهي مدينة صغيرة متحضرة ، عليها سور من حجارة ، وبها أسواق وصناعات ، وهي مطلة على جزيرة « شلطيش »^(٤) وجزيرة شلطيش يحيط بها البحر من كل ناحية ، ولها من ناحية الغرب اتصال بأحد طرفيها إلى مقربة من البر ، وذلك يكون مقدار نصف رمية حجر . ومن هناك يجوزون لاستقاء الماء لشربهم ، وهي جزيرة طولها نحو من ميل وزائد ، والمدينة منها في جهة الجنوب ، وهناك ذراع من البحر يتصل به موقع نهر لبله ، ويتسع حتى يكون أزيد من ميل ، ثم لا يزال الصعود فيه في المراكب إلى أن يضيق ذلك النزاع حتى

(١) لا يزال يقال له الشرف إلى اليوم

(٢) Niebla وكان اسمها عند الرومان « ايلبوله » فنلفظ العرب بها أقرب إلى

الاسم الروماني القديم

(٣) Hueioa واسمها الروماني القديم « أونة » Onba وهكذا كان يقول لها

العرب وربما قالوا « لولة »

(٤) Salités

يكون سعة النهر وحده مقدار نصف رمية حجر ، ويخرج النهر من أسفل جبل عليه مدينة ولبة ، ومن هناك تتصل الطريق إلى مدينة ابله . ومدينة شلطيش ليس لها سور ولا حظيرة ، وإنما هي بنيان يتصل ببعضه ببعض ، ولها سوق وبها صناعة الحديد الذى يهجز عن صنمه أهل البلاد لجفائه ، وهى صنعة المراسى التى ترمى بها السفن والمراكب الحاملة للجافية ، وقد تذب عليها المجوس^(١) مرات ، وأهلها إذا سمعوا بخطر^(٢) المجوس فروا عنها واخلوها . ومن مدينة شلطيش إلى جزيرة قادس ١٠٠ ميل ، ومن جزيرة قادس المتقدم ذكرها إلى جزيرة طريف ٦٣ ميلا . ومن جزيرة شلطيش مع البحر ماراً في جهة الشمال إلى حصن « قسطة »^(٣) على البحر ١٨ ميلا وبينهما موقع نهر يانة ، وهو نهر ماردة وبطلدوس ، وعليه حصن « مارتلة »^(٤) المشهور بالمنمة والحصانة . وحصن قسطة على نحر البحر ، وهو عامر آهل ، وله بساتين وغلات شجر التين كثيرة ، ومنه إلى قرية « طيرة »^(٥) على مقربة من البحر ١٤ ميلا ، ومن القرية إلى مدينة « شنت »^(٦) ماريه « الغرب ١٢ ميلا .

ومدينة شنت ماريه على معظم البحر الأعظم ، وسورها يصعد ماء البحر فيه إذا كان المد ، وهى مدينة متوسطة القدر ، حسنة الترتيب ، لها مسجد جامع ومنبر وجماعة وبها المراكب واردة وصادرة ، وهى كثيرة الأغراب والتين .

ومن مدينة شنت ماريه إلى مدينة شلب ٢٨ ميلا ، ومدينة شاب حسنة ، فى بسيط من الأرض ، وعليها سور حصين ، ولها غلات وجنات ، وشرب أهلها من
(١) يريد بالمجوس النورماندين الذين كانوا يطرقون سواحل فرنسا وأسبانية وغيرهما وكانوا فى الماضى مجوساً ثم بعد طول ترددهم إلى البلدان الجنوبية استقروا فى غربى فرنسا وتركوا البعث ولصوصية البحر ودخلوا فى النصرانية .

(٢) استعمل الادريسي « الخطور » بالمعنى الذى استعمله فى العامة وهو المحضور أو السفر وأما فى الفصحى فهو مصدر خطر الشيء بالبال

(٣) Castella أو Casella (٤) Martola (٥) Tavira

(٦) Santa Maria ويقال لها Santa maria de Algaroe ويقال لها أيضا

« فارو » وهى من البرتغال

وادبها الجارى بجنوبها ، وعليه ارحاء البلد ، والبحر منها غربا على ثلاثة أميال ، ولها مرسى فى الوادى ، وبها الانشاء ، والودود بجبالها كثير ، يُحمل منها إلى كل الجهات . والمدينة فى ذاتها حسنة الهيئة ، بديعة المباني . مرتبة الأسواق ، وأهلها وسكان قراها عرب من اليمن وغيرها ، وهم يتكلمون بالكلام العربى الصريح ، ويقولون الشعر وهم فصحاء . نبلاء ، خاصتهم وعامتهم . وأهل بوادى هذا البلد فى غاية من السكرم ، لا يجارهم فيه أحد . ومدينة شاب على إقليم الششين^(١) ، وهو إقليم به غلات التين الذى يحمل إلى أقطار الغرب كلها ، وهو تين طيب علك لذيد شهى . ومن مدينة شلب إلى بطليوس ثلاث مراحل . وكذلك من شلب إلى حصن « مارتلة » ثلاثة أيام . ومن مارتلة إلى حصن وابة مرحلتان خفيفتان . ومن مدينة شاب إلى حلق « الزاوية »^(٢) ٢٠ ميلا وهو مرسى وقرية ومنه إلى قرية « شقرش »^(٣) على مقربة من البحر ١٨ ميلا ومنه إلى طرف الغرب ، وهو طرف خارج فى البحر الأعظم ١٢ ميلا ، ومنه إلى « كنيسة الغراب »^(٤) ٧ أميال .

وهذه الكنيسة من عهد الروم إلى اليوم لم تتغير عن حالها ، ولها أموال يتصدق بها عليها . وكرامات يحملها الروم الواردون عليها ، وهى فى طرف خارج فى البحر وعلى رأس الكنيسة عشرة أغربة لا يعرف أحد فقدها وعهد زوالها ، وقيسو الكنيسة يخبرون عن تلك الأغربة بفرائب يتهم الخببر بها ولا سبيل لأحد من المجتازين بها أن يخرج منها حتى يأكل من ضياقة الكنيسة ، ضريبة لازمة وسيرة دائمة ، لا ينتقلون عنها ولا يتحولون منها ، وورثها الخلف عن السلف ، أمر معتاد متعارف دائم ، والكنيسة فى ذاتها كنيسة عامرة بالقسيسين والرهبان ، وبها أموال مدخرة ، وأحوال واسعة وأكثر هذه الأموال محبسة عليها فى أقطار الغرب وبلاد

Chinchin (١)

(٢) . يقول دوزى أن حلق الزاوية مقاطعة هناك

(٣) Sagre (٤) تقدم ذكرها

ويتمفق منها على الكنيسة وخدامها وجميع من يلوذ بها ، معا يكرم به الأضياف الواردون على الكنيسة المذكورة ، قلوا أو كثروا .

ومن كنيسة الغراب إلى القصر مرحلتان . وكذلك من شلب إلى القصر أربع مراحل . و « القصر » ^(١) مدينة حسنة متوسطة على ضفة النهر المسمى « شطوبر » ^(٢) وهو نهر كبير تصعد فيه السفن والمراكب السفرية كثيراً . وفي ما استدار بها من الأرض كلها أشجار الصنوبر ، ولها الانشاء الكثير ، وهي في ذاتها رطبة العيش خصيبة كثيرة الألبان والسمن والمسل والاموم . وبين القصر والبحر ٢٠ ميلا . ومن القصر إلى « بيورة » ^(٣) مرحلتان .

ومدينة بيورة كبيرة عامرة بالناس ، ولها سور وقصبة ومسجد جامع ، وبها الخصب الكثير الذي لا يوجد بغيرها من كثرة الحنطة واللحم وسائر البقول والفواكه ، وهي أحسن البلاد بقعة ، وأكثرها فائدة ، والتجارات إليها داخله وخارجه ، ومن مدينة بيورة إلى مدينة بطليوس مرحلتان في شرق . ومدينة بطليوس مدينة جلييلة في بسيط الأرض ، وعليها سور منيع ، وكان لها رص كبير ، أكبر من المدينة في شرقها تحفاً بالفتن . وهي على ضفة نهر « يانة » ^(٤) وهو نهر كبير ويسمى النهر النور ، لأنه يكون في موضع يحمل السفن ، ثم يفور تحت الأرض حتى لا يوجد

(١) وهي الآن بلدة صغيرة ليس فيها أكثر من ٢٥٠٠ نسمة وفيها آثار قديمة

ويقول لها الاسبانيول Alcacer do jal

(٢) Chetvubar وهذا الاسم هو اسم بلدة اليوم على هذا النهر

(٣) ويقال لها أيضاً « بابه » بضم الباء وبالاسبانيول Evora وهي الآن بلدة ليس فيها أكثر من ١٦ الف نسمة وكانت هذه البلدة شهيرة في زمان الرومانيين واستولى عليها العرب سنة ٧١٥ مسيحية ثم استردها الاسبان سنة ١١٦٦ وكان يجلس فيها ملوك البرتغال أحيانا وإذا دخل إليها الانسان إلى هذه الساعة يظنها مدينة عربية لكثرة مباني العرب فيها وغلبة طرز الانشاء العربي على مبانيها

(٤) Guadiana

منه قطرة فسمى العُزُر لذلك ، وينتهي جريه إلى حصن مارتلة ، ويصب في قريب من جزيرة شلطيش . ومن مدينة بطليوس إلى مدينة اشبيلية ٦ أيام على طريق حجر بن أبي خالد ، إلى جبل العيون ^(١) ، إلى اشبيلية . ومن مدينة بطليوس إلى مدينة قرطبة على الجادة ٦ مراحل . ومن بطليوس إلى مدينة ماردة على نهر يانة شرقاً ٣٠ ميلاً ، وبينهما حصن على عيّن المارّ إلى ماردة .

ومدينة ماردة كانت دار مملكة « لماردة » ^(٢) بنت هرثوس الملك ، وبها من البناء آثار ظاهرة ، تنطق عن ملك وقدره ، وتعرب عن نخوة وعزّة ، وتفصح عن غبطة . فمن هذه البناءات ان في غربي المدينة قطرة كبيرة ذات قسيّ ، عالية الذروة ، كثيرة العدد ، عريضة المجاز . وقد بنى على ظهر القسيّ أقباء تتصل من داخل المدينة إلى آخر القنطرة ، ولا يرى الماشي بها . وفي داخل هذا « الداموس » ^(٣) قناة ماء تصل المدينة . ومشى الناس والدواب على تلك الدواميس . وهي متقنة البناء ، وثيقة التأليف ، حسنة الصنعة . والمدينة عليها سور حجارة منجورة من أحسن صنعة واثق بناء . ولها في قصبها قصور خربة . وفيها دار يقال لها دار الطبخ ، وذلك أنها في ظهر مجلس القصر ، وكان الماء يأتي دار الطبخ في ساقية ، هي الآن بها باقية الأثر ، لا ماء بها ، فوضع صحاف الذهب والفضة بأنواع الطعام في تلك الساقية على الماء حتى تخرج بين يدي الملائكة ، فترفع على الموائد . ثم إذا فرغ من

Jibration (١)

(٢) المعروف أن مدينة ماردة بنيت سنة ٢٣ قبل المسيح بناها بوبليوس كاريزيوس ونمت نمواً عظيماً حتى صار يقال لها رومة الاسبانية وفي زمان القوط صارت قاعدة ولاية لوزيطانية وقيل أنه كان لها ٨٤ باباً وخمسة حصون و ٣٧٠٠ برج واستولى عليها العرب بقيادة موسى بن نصير سنة ٧١٣ مسيحية واستردها الاسبانيول سنة ١٢٢٨ مسيحية ومنذ استردها الاسبانيول سقطت أهميتها وسند كرها في الكلام على قواعد الأندلس .

(٣) الداموس هو الفترة أو ما يستتر الانسان به .

أكل ما فيها وضمت في الساقية ، فستدير إلى أن تصل إلى يد الطباخ بدار الطبخ ، فيرفمها بعد غسلها . ثم تمر بقية ذلك الماء في سروب القصر . ومن أغرب الغريب جلب الماء الذي كان يأتي إلى القصر على عمد مبنية تسمى « الأرجالات »^(١) ، وهي أعداد كثيرة باقية إلى الآن قائمة على قوام ، لم تخل بها الأزمان ولا غيرتها الدهور ، ومنها قصار ومنها طوال ، بحسب الأماكن التي وجب فيها البناء ، وأطولها يكون غلوة سهم ، وهي على خط مستقيم . وكان الماء يأتي عليها في قنن مصنوعة ، خربت وفنيت ، وبقيت تلك الأرجالات قائمة يخيل إلى الناظر إليها أنها من حجر واحد ، لحكمة إتقانها ، وتجويد صنعها . وفي وسط هذه المدينة اجزاء قوس ، يدخل عليه الفارس بيده علم قائم ، عدة أحجاره ١١ حجراً فقط ، في كل عضادة منها ثلاثة أحجار ، وفي القوس أربعة أحجار حنيت ، وواحد قنن ، فكانت الجملة ١١ حجراً . وفي الجنوب من سور هذه المدينة قصر آخر صغير ، وفي برج منه كان مكان مرآة ، كانت المسكة ماردة تنظر إلى وجهها فيها . ومحيط دوره ٢٠ شبراً ، وكان يدور على حرفه ، وكان دورانه قائماً . ومكانه إلى الآن باق . ويقال إنما صنمته ماردة لتحاكي به مرآة ذى القرنين التي صنعها في منار الاسكندرية .

ومن مدينة ماردة إلى قنطرة السيف يومان . وقنطرة السيف^(٢) من عجائب

(١) هذه اللفظة « لم تمر بنا أصلا مع اتساع اللغة والذي يظهر لنا أن عامة الأندلس استعملوها بمعنى « الأرجل ، جمع « رجل ، بكسر فسكون وقد أتى جمعه أيضاً على « أرجال ، فتكون الأرجالات جمع الجمع وذلك كما جمعوا « الرجل ، بفتح ضم على رجال ثم جمعوا رجلا على رجالات . ومعنى تسمية هذه الأعمدة التي يجرى فوقها الماء « أرجالات ، هو أن قنن الماء قائمة عليها وهي لهذه الأقية أشبه بالأرجل

(٢) هذه البلدة هي الآن صغيرة وموقعها على الضفة الجنوبية من نهر تاجوس شهرتها بالجسر الذي فيها وكان العرب لذلك يسمونها القنطرة والاسبان يهولون لها الآن Alcantara وكان ينسب إليها نظام فرسان القنطرة وكان هذا النظام تأسس سنة ١٢٧٦ مسيحية في قلعة سان يوليان دويرال لاجل لحماية نفوس المسيحيين في وجه العرب فلما

الأرض . وهو حصن منيع على نفس القنطرة . وأهلها متحصنون فيه ، ولا يقدر لهم أحد على شيء . والقنطرة لا يأخذها القتال إلا من بابها فقط . ومن مدينة قنطرة السيف إلى مدينة « قورية » ^(١) مرحلتان خفيفتان ، وقورية الآن مدينة في ملك الروم ، ولها سور منيع ، وهي في ذاتها أزيّة البناء واسعة الفناء من أحصن الماقل ، وأحسن المنازل . ولها بوايا شريفة خصيبة ، وضياح طيبة محببة ، وأصناف من الفواكه كثيرة ، وأكثرها السكر وشجر التين .

ومن قورية إلى « قلربة » ^(٢) ٤ أيام . ومدينة قلربة مدينة على جبل مستدير ،

بدأ العرب يترجعون بسبب قنطرة وتفرد كلمتهم تقدم هذا النظام إلى القنطرة وجعل مركزه فيها وصار رئيس فرسان القنطرة يجب أن يكون من بيت الملك وأما الجسر فهو روماني واقع إلى الشمال الغربي من البلد كان بناؤه سنة ١٠٥٠ بعد المسيح وهو من الحجر المحب طوله ١٨٨ متراً وعرضه ٨ أمتار وهو على ستة أقواس اثنان منها في الوسط فوهة كل منها ١٥ متراً وعلوه ٥٨ متراً وله برج علوه ١٣ متراً . وفي بلدة القنطرة كنيسة اسمها سانتا مارية المكبر Almocober بنيت في القرن الثالث عشر في محل جامع .

(١) Coria قال ياقوت في معجمه هي من عمل ماردة وهي النصف بينها وبين

زفوره مدينة الأفرنج

(٢) Coïmbre يقول لها العرب « قلربة » قاعدة مقاطعة من مقاطعات البرتغال وعدد سكانها الروم يناهز ٢٠ ألفاً وفيها مدرسة جامعة ومرصد فلكي وهي قديماً المدينة العليا والمدينة السفلى وهذه متصلة بنهر منديق ، Mondego وكان اسم قلربة عند الرومان هو « آمينيوم » ، Aeminium ثم في القرن التاسع أطلقوا عليها اسم « كورمبريكا » ، Conimbrica وهي مدينة قديمة خربت وانتقل أهلها إلى هذه . وقد استولى عليها العرب فيما استولوا عليه من الجزيرة الأندلسية ثم استرجعها النصارى منهم سنة ٨٧٢ أي بعد فتح المسلمين لها بقليل ثم استردها المسلمون سنة ٩٧٨ مسيحية في زمن الحكم المستنصر الأموي رحمه الله على يد غالب مولاه وجا . في النسخ أن الحكم عمرها واعنى بها . ثم عاد النصارى فاستولوا عليها سنة ١٠٦٤ بعد سقوط الدولة الأموية في قرطبة وذلك على يد فردناند الأول القشتالي الذي بقي يحاصرها ستة أشهر إلى أن ملكها .

وعليهما سور حصين ، ولها ٣ أبواب ، وهي في نهاية من الحصانة ، وهي على نهر « مندبق » ^(١) وجريه على غربها ، ويتصل جري هذا النهر إلى البحر ، وعلى مصبه هناك حصن « منت ميور » ^(٢) ولها على النهر أرحاء . وعليه كروم كثيرة وجنات ولها حروث كثيرة متصلة بالقرب منها إلى ناحية البحر ، ولها أغنام ومواش ، وأهلها أهل شوكة في الروم ، ومن القصر المتقدم ذكره إلى مدينة « لشبونة » ^(٣) مرحلتان ، ومدينة لشبونة على شمالي النهر المسمى تاجة وهو نهر طليظلة ، وسعته أمامها ستة أميال ويدخله المد والجزر كثيراً ، وهي مدينة حسنة ممتدة مع النهر ، ولها سور ، وقصبة منيعة ، وفي وسط المدينة حمامات حارة في الشتاء وال الصيف ، ولشبونة على نهر البحر المظلم وعلى ضفة النهر من جنوبه ، قبالة مدينة لشبونة ، حصن المعدن ، وسمى بذلك لأنه عند هيجان البحر يتدفق هناك بالذهب والتبر ، فإذا كان زمن الشتاء قصد إلى هذا الحصن أهل تلك البلاد فيخدمون المعدن الذي به إلى انقضاء الشتاء ، وهو من عجائب الأرض ، وقد رأيناها عياناً . ومن مدينة لشبونة كان خروج الفريرين ^(٤) في

ثم آلت إلى البرتغال وصارت عاصمة ملكهم ولذلك العهد زحف إليها أبو يعقوب يوسف سلطان الموحدين ليسترجعها للإسلام فامتعت عليه . وبقيت عاصمة للبرتغال إلى سنة ١٢٦٠ حينما جعلوا العاصمة في اشبونة ولكن الملك دنيس عرض قلربة بنقل المدرسة الجامعة من اشبونة إليها . وفي زمن ياقوت الحموي (المتوفى سنة ٦٢٦) كان المسلمون قد فقدوها لأنه قال : وهي اليوم بيد الافرنج خذلهم الله

(١) Mondego (٢) Montemayor

(٣) لشبونة أو إشبونة Lisbonne أو Lisboa وسأني الكلام عليها مفصلاً

(٤) قصة الاخوة المغرورين هذه قصة شهيرة صارت الآن معلومة عند أهل هذا العصر بعد أن بقيت مدة طويلة مدفونة في كتاب الادريسي ، هذا الذي لم تتداوله الايدي ، وإنما كان يطلع عليه بعض المستشرقين من علماء الافرنج ، وبعض المطلعين من العرب على خزائن الكتب . وقليلاً ما هم . وبقي الامر كذلك إلى سنة ١٨٩٣ ، وكنت في باريس ، وكان حمري ٢٢ سنة ، فقرأت في جريدة النشرة الاسبوعية التي كان ينشرها الأستاذ العلامة ابراهيم الحوراني باسم جمعية الاميركيين في بيروت ، وذلك

ركوب بحر الظلمات ، ليعرفوا ما فيه وإلى أين انتهأوه ، كما تقدم ذكرهم ، ولهم بمدينة

مقاله مترجمة ، عن مجلة أميركية ، لا أتذكر الآن اسمها ، يقول فيها بمناسبة كشف قارة أميركية : إنه شائع من جملة الأخبار كون العرب وصلوا إلى أميركة قبل كولومبوس وذلك بركوبهم البحر قاصدين الغرب من جهة الأندلس . ويقول : ليس عندنا نحن معلومات عن هذا الشأن تستند إلى وثائق خطية ، وإنما هو كلام متواتر بين الناس ، فكنا نود لو عرفنا ما عند العرب من هذا الموضوع ، وأردف الأستاذ الجوراني ذلك بداء إلى علماء العرب أن افنونا بما عندكم عن هذه المسألة .

في الحال فكرت في هذه المسألة ، وقلت أنا في باريس وأمام المكتبة العمومية العظيمة ، فيمكنني أن أبحث فيها ما شئت وذهبت إلى خزانة الكتب الكبرى Bibliothèque National وبمجرد وصولي أمام ذلك البحر الخضم من الكتب فكرت أن حادنا كهذا لا يمكن أن ينشد إلا في كتب العرب المؤلفة عن الأندلس ورجحت أن أبدأ البحث في كتب الجغرافية على كتب التاريخ ، وقلت في نفسي أن أشهر جغرافية عربية في القرون الوسطى هي جغرافية الشريف الإدريسي ، فطلبت فهرس الكتب العربية ، ووجهت نظري إلى كتب الجغرافية ، فعثرت على كتاب « زهرة المشتاق ، إلى اختراق الآفاق ، للسيد الإدريسي ، وبدأت بتصفحه ، ولم أكن طالعه من قبل ، فامضى ربع ساعة حتى عثرت على هذه الواقعة ، وهي التي يسردها الإدريسي حسبها هو مكتوب في المتن . فكان ذلك عجباً ، لأن ما كنت أقدر له حتى أصل إليه أياماً طويلاً ، من بحث وتنقيب في مختلف الكتب ، قد وصلت إليه في ربع ساعة . فنسخت ماورد عن الاخوة المفرورين أو المفرورين بنامه ، وذهبت فكتبت مقالة بعثت بها إلى جريدة ثمرات الفنون في بيروت أوردت فيها في عرض الجواب على سؤال النشرة الاسبوعية وسؤال علماء أميركة ماجاه في كتاب الشريف الإدريسي بالحرف . ثم علقت على ذلك توجيهاً للكلام يساعد على استخلاص المعنى ، وهو أن الاخوة المفرورين خرجوا من أشبونة أولاً ، إلى ناحية الغرب ، في نحر البحر ، وساروا ١٢ يوماً . فلم يجدوا شيئاً ، فانطلقوا إلى ناحية الجنوب ، فساروا ١٢ يوماً أخرى ، فوصلوا إلى جزيرة لم يجدوا فيها إلا غنيا لحومها مرة لا تؤكل ، فانطلقوا أيضاً إلى الجنوب ، وجروا ١٢ يوماً ، إلى أن وصلوا إلى جزيرة وجدوا فيها بشراً ، وأخذوا إلى أمير الجزيرة ، وجرى معهم ماجرى ، كما هو وارد في

الشبونة بموضع من قرب الحمة ، درب مذوب إليهم يعرف بدرب المغررين إلى آخر

الكتاب . وأزيد الآن هذا بيانا فأقول : الذى بلوح لى أنهم وصلوا أولا إلى جزيرة من جزائر الانطيل ، التى هى بين أميركة الشمالية ، وأميركة الجنوبية ، ومجموع هذه الجزائر هو بين ١٠ و ٢٧ درجة من العرض الشمالى ، وبين ٦٢ و ٨٧ درجة من الطول ، فى غربى خط نصف النهار ، المار بباريز . وكان أول وصول كريستوف كولومبوس إلى جزيرة من أميركا كهذه فى ١٢ اكتوبر سنة ١٤٩٢ ، وجزر الانطيل تنقسم إلى الانطيل الكبرى ، وهى إلى الشمال الغربى ، والانطيل الصغرى ، وهى إلى الجنوب الشرقى ، وهذه الجزر صغيرة لا تحصى ، والذى يظهر أن الاخوة المغرورين بعد أن ساروا ١٢ يوماً خطأ مستقيماً إلى الغرب ، ولم يجدوا شيئاً ، خافوا من التلف ، فرجعوا إلى الجنوب ، وكانوا لو صبروا وتابعوا جريهم خطأ مستقيماً ، وصلوا إلى ساحل القارة المسماة الآن بأميركا الشمالية ، ولكنهم يتسوا من الوصول إلى البر من جهة السير نحو إلى الغرب ، فساروا إلى الجنوب ، لعلهم يجدون البر هناك ، فوصلوا الجزيرة التى وجدوا فيها القمح ، ولم يجدوا البشر ، لحيثئذ يتسوا ، وعادوا جنوباً إلى الشرق ، فوصلوا إلى إحدى جزائر الخالدات أو جزائر أسور Acores وهذه الجزائر كما هو معلوم ، مسكونة من قديم الزمان ، وهى واقعة بين ٢٧ و ٣٣ و ٤٠ درجة من الطول الغربى ، و ٣٦ و ٥٠ و ٣٩ و ٤٥ من العرض الشمالى . وهى أقرب قليلاً إلى أوربة منها إلى افريقية . وقد جاء فى الانسيكلويدية الافرنسية الكبرى أن جزر آسور كان وصل إليها القرطاجيون ، ثم النورمنديون ، ثم العرب . تجد هذا فى الجزء الأول صفحة ٤٣١ . ثم يقول أنهم لم يكشفوا هذه الجزائر إلا فى القرن الخامس عشر ، حينما وصل إليها البرتغاليون ، وأن هؤلاء بدأوا باستعمارها سنة ١٤٤٤ ، ولم تنكشف جميع هذه الجزائر دفعة واحدة ، بل الواحدة بعد الأخرى .

قال وإنه كان قد قصدها بعد البرتغال قوم من الفلنك ، ثم قال ولما طرد العرب من اسبانية التجأ منهم أناس إلى هذه الجزر ؛ ونشروا فيها المدينة . أما الخالدات ويقال لها كنارى Canaries فهى أقرب إلى افريقية منها إلى أوربة ، وهى تمتد من الشمال إلى الجنوب بين ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٥ من العرض الشمالى ، و تمتد من الشرق إلى الغرب بين الدرجة ١٥ و ٤٠ و ٢٠ و ٣٠ من العرض الغربى عن باريز ، وليس بين إحدى الخالدات المسماة فورت افنطوره Fortaventura وبين رأس جنوبى من مراكش

الأبد . وذلك أنه اجتمع ثمانية رجال ، كلهم أبناء عم ، فأنشأوا مركبا حمالا ، وأدخلوا فيه غير مائة كيلو متر لا غير وربما كان وصولهم إلى إحدى جزائر الخالدات أرجح ، لانهم من هناك ذهبوا بهم إلى عرسي أسنى ما بين الخالدات ومراكش . وبالاختصار الاخوة المغرورون كانوا قد وطأوا البر الاميركي بأرجلهم ، ولكنهم بقلة عددهم ، وقلة الوسائل التي كانت في أيديهم ، لم يتقدموا إلى الامام . ويغلب على الظن أن كريستوف كولومبوس لم يكن يجمل قصة المغرورين هذه ، وأنه سمع بنزولهم في إحدى الجزر بعد مسيرة ٢٤ يوما في الاوقيانوس الاطلانطيكي ، ناخرين الغرب ثم منعطين إلى الجنوب ، فاستنتج من ذلك أن وجود البر وراء بحر الظلمات أمرا لا بد منه ولكن لا بد أيضا من أن يكون الملتجئون في هذا البحر العظيم عددا كبيرا . وتكون معهم جميع الاقوات والادوات والاسباب اللازمة ، وأن يكونوا سائرين في عدة سفن ، بعضها في اثر بعض . ولذلك بقي كولومبوس مدة طويلة ، يراجع الملك فرديناند والمملكة ايزابله حتى أقنعهما بنزويده بكل ماطلبه ، لعله أن السفر شاق وطويل ، وأن أمامه أهوالا . ولذلك كلفت رحلته هذه حتى كشف أميركا مبلغا قدره بثلاثمائة وستة وثلاثين ألفا وخمسة مائة فرنك افرنسى . وهو مبلغ جسيم بالنسبة إلى ذلك الوقت ، وسار بثلاث سفن كبيرة وكان سفره من جزيرة « شاليس » ، قبالة « أونية » ، في غربي أسبانية ، إلى جزر الخالدات ، ومنها بقي يخوض بحر الظلمات ٣٢ يوما ، إلى أن وصل إلى إحدى الجزر وهي التي سماها سان سالفادور . ومن المحقق أن قضية وجود بر وراء بحر الظلمات ، لم تكن تولدت في مخيلة كولومبوس بل هي فكرة قديمة معروفة وكان كولومبوس قد اطلع على كتاب « صورة الأرض » تأليف الكردينال بطرس دالى Pierre D'Ailly مطران كمبراي Combray ، وهو تأليف كتبه هذا المطران سنة ١٤١٠ ، وحشر فيه معلومات كثيرة تتعلق بصورة الأرض ، منها ما نقله عن التوزة ، ومنها ما نقله عن اليونان ، ومنها ما أخذه عن العرب ، كما جاء في الانسيكلوبيديا الكبرى الافرنسية ، في ترجمة كولومبوس . وقد ورد في هذا الكتاب أن أرسطو وشارحه ابن رشد لم يكونا يتقдан أنه يوجد بين ساحل إفريقيا الغربي وساحل الهند الشرق مسافة شاسعة البعد ، فطالمة كولومبوس هذا الكتاب بنوع خاص كانت تحمله على الاعتقاد بالوصول إلى الهند من طريق بحر الظلمات ولا تعبأ برواية الادريسي عن عدة أيام السفر التي رواها عن المغرورين ، فانه إنما روى عن أفواه

من الماء والزاد ما يكفيهم لأشهر ، ثم دخلوا البحر في أول طاروس الريح ^(١) الشرقية فجزوا بها نحواً من ١١ يوماً ، فوصلوا إلى بحر غليظ الموج ، كدر الروائح كثير التروش ^(٢)

الناس ، ولم يجتمع بالاخوة المذكورين . والأرجح أن سفرهم استمر أكثر مما قال ، لأن كولمبوس بقي يابجج في الجزر الخالدات إلى أول جزيرة وطئها من أميركا مدة ٣٢ يوماً ، وهذا ثابت تاريخياً ، وغاية ما يستفاد من العبارة في قصة المغرورين ، أن العرب حاولوا اختراق بحر المحيط ، والوصول إلى البر الذي يقال له اليوم أميركا .

هذا وجاء في صبح الأعشى للقلقشندي عند ذكر ملوك مملكة مالي ، في السودان الغربي ما يلي : انه تولى منهم الملك منسى موسى بن أبي بكر ، قال في العبر : وكان رجلاً صالحاً ، وملكا عظيماً له أخبار في العدل تؤثر عنه ، وعظمت المملكة في أيامه إلى الغاية ، وافتتح الكثير من البلاد ، قال في مسالك الأبصار : حكى ابن أمير حاجب والى مصر عنه أنه فتح بسيفه وحده أربعاً وعشرين مدينة من مدن السودان ذوات أعمال ، وقرى وضياع . قال في مسالك الأبصار ، قال ابن أمير حاجب : سأله عن سبب انتقال الملك إليه فقال : إن الذي قبلي كان يظن أن البحر المحيط له غاية تدرك فجهز مئين من السفن وشحنها بالرجال والازواد التي تكفيهم سنين ، وأمر من فيها أن لا يرجعوا حتى يبلغوا نهايته ، أو تفقد ازوادهم ، فعاثوا مدة طويلة ، ثم عاد منها سفينة واحدة ، وحضر مقدمها ، فسأله عن أمرهم فقال . سارت السفن زماناً طويلاً حتى عرض لها في البحر في وسط اللجة واد له جرية عظيمة ، فابتلع تلك المراكب وكنت آخر القوم ، فرجعت بسفينتي ، فلم يصدقه . لجئذ التي سفينة . ألفاً الاولاد ، وألفاً للازواد . واستخلفني ، وسار بنفسه ليعلم حقيقة ذلك ، وكان آخر العهد به وبمن معه قال في العبر ، وكان حجه في سنة أربع وعشرين وسبعمائة في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون . اه ومعناه أن هذا الحادث إن كان وقع فيكون في أول القرن الثامن من الهجرة وقد ورد هذا الخبر في الجزء الخامس من صبح الأعشى فليراجع هناك

(١) هذه اللفظة غير عربية ومعناها هبوب الريح .

(٢) هكذا في الأصل وربما كان المعنى مناسباً لسياق الكلام الذي تقدمه فان فعل

ترش في العربي معناه ساء خلفه

قليل الضوء ، فأيقنوا بالتلف ، فردوا قلاعهم في اليد الأخرى ، وجروا في البحر في ناحية الجنوب ١٢ يوماً ، فخرجوا إلى جزيرة الفشم ، وفيها من الفشم مالا يأخذه عدو ولا تحصيل ، وهي سارحة لا راعى لها ، ولا ناظر إليها ، فقصدوا الجزيرة فزلوا بها ، فوجدوا عين ماء جارية وعليها شجرة تين برى ، فأخذوا من تلك الفشم فذبجوها ، فوجدوا اللحمها مرة لا يقدر أحد على أكلها فأخذوا من جلودها وساروا مع الجنوب ١٢ يوماً إلى أن لاحت لهم جزيرة ، فنظروا فيها إلى عمارة وحرث فقصدوا إليها ليروا ما فيها ، فإكان غير بعيد حتى أحيط بهم في زوارق هناك ، فأخذوا وحملوا في مركبهم إلى مدينة على ضفة البحر ، فأنزلوا بها في دار ، فرأوا رجلاً شقراً زرعاً شعور رؤوسهم شعورهم سبطة ، وهم طوال القدود ، ولناسهم جمال عجيب ، فاعتقلوا منها في بيت ثلاثة أيام ، ثم دخل عليهم في اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربي ، فسألهم عن حالهم وفي ما جاءوا ، وأين بلدكم ، فأخبروه بكل خبرهم ، فوعدهم خيراً ، وأعلمهم أنه ترجمان الملك ، فلما كان في اليوم الثاني من ذلك اليوم أحضروا بين يدي الملك ، فسألهم عما سألمهم الترجمان عنه ، فأخبروه بما أخبروه به للترجمان بالأمس : من أنهم اقتحموا البحر ليروا ما به من الأخبار والمعائب ، ويقفوا على نهايته . فلما علم الملك ذلك ضحك ، وقال للترجمان خبر القوم أن أبي أمر قوماً من عبيده بركوب هذا البحر ، وأنهم جروا في عرضه شهراً ، إلى أن اقتطع عنهم الضوء ، وانصرفوا من غير حاجة ، ولا فائدة نجدى . ثم أمر الملك الترجمان أن يقدم خيراً ، وأن يحسن ظنهم بالملك ، ففعل . ثم صرفوا إلى موضع حبسهم ، إلى أن بدأ جرى الريح الغربية ، فتمتر بهم زورق ، وعصبت أعينهم . وجرى بهم في البحر برهة من الدهر . قال القوم : قدرنا أنه جرى بنا ثلاثة أيام بليالها ، حتى جيء بنا إلى البر ، فأخرجنا وكتفتنا إلى خاف وتركنا بالساحل إلى أن تضاحى النهار ، وطلعت الشمس ونحن في ضنك وسوء حال ، من شدة الأكتاف ، حتى سمعنا ضوضاء وأصوات ناس فصحننا بأجمنا

فأقبل القوم إلينا ، فوجدونا بتلك الحالة السيئة فخلونا من وثاقنا ، وسألونا فأخبرناهم بخبرنا ، وكانوا بربر ، فقال لنا أحدهم : أتملون كم بينكم وبين بلدكم ؟ قلنا : لا . فقال : إن بينكم وبين بلدكم مسيرة شهرين . فقال زعيم القوم وأسنى ! فسمى المكان إلى اليوم «أسنى» ، وهو المرسى الذى فى أقصى المغرب ، وقد ذكرناه قبل هذا . ومن مدينة لشبونة Lisbonne^(١) مع النهر إلى مدينة شنترين Santaren^(٢) شرقاً ثمانون ميلاً والطريق بينهما لمن شاء فى النهر أو فى البر ، وبينهما فحص « بلاطة » ، ويخبر أهل لشبونة وأكثر أهل الغرب أن الخنطة نزرع بهذا الفحص ، فتقيم بالأرض أربعين

Lisbonne (١)

(٢) Santaren مستعمرة رومانية كان يقال لها فى زمن قيصر سكالابيس Scallabis فأطلق عليها اسم « بريزيديوم يوايوم » وقد تحول اسمها بعد النصرانية إلى سنا ابرين أى القديسة ابرينة وهى قديسة شهيدة عند الاسبانول . والبلدة تعد مفتاح وادى تاجه وكان لها شأن عظيم فى تاريخ البرتغال وقد استولى عليها العرب فيما استولوا عليه من البلدان ثم استرجعها منهم الاذفونى السادس ملك قشتالة سنة ١٠٩٣ وفى زمن أبى يعقوب يوسف سلطان الموحدون حاول المسلمون استردادها فردهم عنها دون شانه Don Sancho وفى هذه البلدة غرق فى النهر البرنس الفونس ابن يوحنا الثانى ملك البرتغال وكان الابن الوحيد لآبيه وكان عروساً وعمره لم يتجاوز السادسة عشرة فذهب لاستقبال آبيه بمطيا جواده فرحاً لحمانه غرارة الشباب على الخوض فى النهر فأخذه النهر وكانت فاجعة عظيمة لا تزال مرآيتها عند البرتغال محفوظة إلى اليوم . وقد وقعت هذه الفاجعة فى ١٣ يوليو سنة ١٤٩١ هذا وقد سقطت مكانة شنترين اليوم فالآن جميع سكانها عشرة آلاف نسمة وفيها بعض آثار من زمن العرب وأسوار وقصر عربى يقولون له « الكازار » Alcaazr كما يقولون لكل قصر عربى وفيها برج يقال له برج « كباساس » Cabaças كان فى أصله منارة مسجد . قال ياقوت الحموى عن شنترين : كلتان مركبتان من شنت كلمة ورين كلمة بكر الراء وباء مشاة من تحت وتون مدينة متصله الاعمال بأعمال باجه فى غربى الاندلس ثم غربى قرطبة وعلى نهر تاجه قريب من انصابه فى البحر المحيط وهى حصينة بينها وبين قرطبة خمسة عشر يوماً وبينها وبين باجة أربعة أيام وهى الآن للفرنج ملكت فى سنة ٥٤٣ هـ

يوماً فتحصد ، وأن السكيل الواحد منها يعطى مائة كيل ، ور بما زاد وقص .
ومدينة شنترين على جبل عال كثير العلو جداً ، ولها من جهة القبلة حافة عظيمة
ولا سور لها ، وبأسفلها ربح على طول النهر ، وشرب أهلها من مياه عيون ، ومن
ماء النهر أيضاً ، ولها بساتين كثيرة وفواكه عامة ، ومباقل ، وخير شامل . ومن
مدينة شنترين إلى مدينة بطليوس ^(١) أربع مراحل ، وعلى يمين طريقها مدينة
يلبش ^(٢) ، وهى فى سفح جبل ، ولها سور منيع ، ورقعة فرحة ، وبها عمارة وأسواق
وديوار كثيرة ، ولنسائها جمال فائق ، ومنها إلى بطليوس ١٢ ميلاً . ومن ماردة ^(٣)
إلى حصن « كركوى » ^(٤) ثلاث مراحل ، ومن كركوى إلى مدينة « قلعة رباح » ^(٥)
على ضفة نهر يانة . وهذا النهر يأتي من مروج فوقها ، فيمر بقربة يانة ^(٦) إلى قلعة
رباح ، ثم يسير منها إلى حصن « أرندة » ^(٧) ومنه إلى ماردة ، ثم يمر بمدينة بطليوس
فيصير منها إلى مقربة من « شريشة » ^(٨) ، ثم يصير إلى حصن « Martla » ^(٩)
فيصب فى البحر المظلم .

ومن قلعة رباح ^(١٠) إلى قلعة « ارلية » ^(١١) بومان ، وهو حصن منيع ، ومنه

(١) Badajoz عاصمة بنى الألفس وسيأتى الكلام عليها تفصيلاً

(٢) بالاسبانيول Elvas استرجمها ملك ليون من العرب سنة ١١٦٦

(٣) بالاسبانيول Merida وهى من قواعد الأندلس مر ذكرها وسيأتى أيضاً

(٤) Karacuel أو Caraqui

(٥) Calatrava (٦) Ana (٧) Aranda

(٨) شريشة الورد ذكرها هنا يقال لها عند الاسبانيول Xeres de Estramadura

وهى غير شريش البلدة المشهورة بقرب اشيلية التى ينسب اليها الشريشى شارح مقامات
الحريرى وسيأتى ذكرها .

(٩) بقول الاسبانيول لهذا الحصن Martola

(١٠) حرف الاسبانيول قلعة رباح إلى كالانزابة وسيأتى الكلام عليها .

(١١) عند الاسبانيول Aralia

إلى طليطلة مرحلة . ومن قلعة رباح في جهة الشمال إلى حصن البلاط ^(١) مرحلتان ومن حصن البلاط إلى مدينة « طلييرة » ^(٢) يومان . وكذلك من مدينة « قنطرة السيف » ^(٣) إلى المحاضرة أربعة أيام ، ومن المحاضرة إلى طلييرة يومان وكذلك من مدينة ماردة إلى حصن مدلين ^(٤) مرحلتان خفيفتان ، وهو حصن عامر آهل ، وفيه خيول ورجال لهم سرايا وطرفات في بلاد الروم . ومن حصن مدلين إلى « ترجاله » ^(٥) مرحلتان وهما خفيفتان ، ومدينة ترجاله كبيرة كالحصن المنيع ، ولها أسوار منيعة وبها أسواق عامرة وخیل ورجل يقامون أعمارهم في الغارات على بلاد الروم ، والأغلب عليهم اللصوصية والحداع . ومنها إلى حصن « قاصر » ^(٦) مرحلتان خفيفتان ، وهو حصن منيع ومحرس رفيع ، فيه خيل ورجل يفاوضون في بلاد الروم . ومن مكناسة إلى محاضرة البلاط يومان . ومن البلاط إلى « طلييرة » ^(٧) يومان ، ومدينة طلييرة

(١) Balat

(٢) Talavera وسيأتي الكلام عليها وهي من المدن المذكورة وقد خرج منها رهط من العلماء .

(٣) Alcantra وسيأتي الكلام عليها .

(٤) Medellin

(٥) ترجاله يقول لها الاسبانيول Trugillo قال في دليل بديكر أنها اليوم قرية فيها ١٢٥٠ نسمة وفيها حصن من أيام العرب رحمه الفرنسيين في زمن بونايرت لما كانوا في أسبانية

(٦) يقول الاسبانيول لهذه البلدة Ceçares جاء في دليل بديكر أن سكانها ١٦٩٠٠ وأن القسم القديم منها مبنى على راية تحيط به أسوار وأبراج وأبواب وأن القسم الجديد هو في الجانب الأذن منها ثم أن في القسم الأعلى كنيسة يقال لها « سان ماتيو » مبنية مكان المسجد الجامع وفيه أيضاً مكان القصر الذي كان في أيام العرب ويوجد في هذه البلدة في شارع الدانه Aldana رقم ١٠ بيت عربي لا يزال محفوظاً على حاله .

(٧) يوجد في الأندلس ثلاث بلاد باسم طلييرة هذه وقرية إلى الجنوب منها

على ضفة نهر تاجة ، وهي مدينة كبيرة ، وقلعتها أرفع القلاع حصناً ، ومدينتها أشرف البلاد حسناً ، وهو بلد واسع المساحة ، شريف المنافع ، وبه أسواق جميلة الترتيب ، وديار حسنة التركيب ، ولها على نهر تاجة أرحاء كثيرة ، ولها عمل واسع المجال ، وإقليم شريف الحلال ، ومزارعها زاكية ، وجهاتها حسنة . أرضية ، أزلية العمار ، قديمة الآثار ، وهي من مدينة طليطلة على سبعين ميلاً .

ومدينة طليطلة من طلييرة شرقاً وهي مدينة عظيمة القطر ، كثيرة البشر حصينة الذات ، لها أسوار حسنة ، فيها حصانة ومنعة وهي أزلية ، من بناء « المعلقة » ^(١) وقليلاً ما رؤى مثلها اتفاقاً ، وشاخة ^(٢) بنيان ، وهي عالية الذرى ، حسنة البقعة ، زاكية الرقعة ، وهي على ضفة النهر الكبير المسمى « تاجة » لها قنطرة من محجب البنيان ، وهي قوس واحدة والماء يدخل تحت تلك القوس كله بمنف وشدة جرى ،

يقال لها طلييرة البقعة Talavera La Vega ويوجد على ضفة وادى يانة بقرب بطليوس قربة يقال لها طلييرة . وأما المقصود هنا فهي الكبرى ويقال لها طلييرة رينه De La Reina وهي الآن بلدة صغيرة . كانها عشرة آلاف لكنها واقعة في بقعة جميلة على نهر تاجة ولها جسر مركب من ٣٥ قوساً وفيها باب روماني قديم وفيها أبراج يقال لها « البراناس » من بناء العرب يعود تاريخها إلى سنة ٩٣٧ مسيحية ولعل اللفظة محرفة عن « البرانية » أى الأبراج البرانية . ومن طلييرة هذه يذهبون إلى الزهة في شاربات ، غريدوس ، وإلى وادى اللب Guadalupe . وبالقرب من طلييرة بلدة فلصادة Colzada وهي بلدة ينسب إليها بعض أهل العالم من العرب

(١) يقول دوزى عند شرح هذه اللفظة أن العرب كانوا يمتنون بالمعلاق كل عظيم الجثة . فكانه يريدان يقول أنه لا يجب أن يفهم أن المعلقة الساميين الذين هم من بلاد العرب والذين كانت الحروب بينهم وبين اليهود هم الذين بنوا طليطلة وإنما قصدوا بذلك شعباً عظام الجثث وقد جرت المادة عند الناس أنهم كلما رأوا بناء عظيماً شاخاً نسبوه إلى المعلقة أو إلى الجن أو إلى الاسكندر وما أشبه ذلك مما يهولهم من منظره

(٢) المعروف في اللغة شمع يشمع شمعاً وشموخاً ولم نجد شمشخة وربما كانت هذه اللفظة من جملة خطأ النسخ

ومع آخر القنطرة ناعورة ارتفاعها في الجمر ٩٠ ذراعاً ، وهي تصعد الماء إلى أعلى القنطرة ، والماء يجري على ظهرها فيدخل المدينة . ومدينة طليطلة كانت في أيام الروم دار مملكتهم ، وموضع قسدم ، ووجد أهل الاسلام فيها عند افتتاح الأندلس ذخائر كادت تفوق الوصف كثرة ، فمنها أنه وجد بها ١٧٠ تاجاً من الذهب مرصعة بالبر ، وبأصناف الحجارة الثينة ، ووجد بها ألف سيف مجوهر ، ملكي ، ووجد بها من الدر والياقوت أكيال وأوساق . ووجد بها من أنواع آنية الذهب والفضة مالا يحيط به تحصيل ، ووجد بها مائة سليمان بن داود ، وكانت في ما يدكر من زمردة وهذه المائة اليوم في مدينة رومة .

ومدينة طليطلة بساتين محذقة بها وأنهار جارية محترقة ، ودواليب دائرة ، وجنات يافعة ، وفواكه عديمة المثال ، لا يحيط بها تكييف ولا تحصيل ، ولما من جميع جهاتها أقاليم رفيعة ، وقلاع منيعة ، تكتنفها . وطى بدمنها في جهة الشمال الجبل العظيم المتصل المعروف بالشارت ، وهو يأخذ من ظهر مدينة سالم إلى أن يأتي قرب مدينة قلورية . في آخر المغرب . وفي هذا الجبل من النظم والبقر الشيء الكثير الذي يتجهز به الجلابون إلى سائر البلاد ، ولا يوجد شيء من أغنامه وأبقاره مهزولاً ، بل هي في نهاية السمن ، ويضرب بها في ذلك المثل ، في جميع أقطار الأندلس . وعلى مقربة من طليطلة قرية تسمى بمخام^(١) ، وجبالها وترباها

(١) عند الاسابنول Magham وقد ذكر باقوت هذه البلدة وقال أنه يقال لها أيضاً مغمام ، بالفتح فيهما وقال إنه ينسب إليها أبو عمران يوسف بن يحيى المغامى ومحمد بن عتيق بن فرج بن أبي العباس بن اسحق التجيبي المغامى المقرئ الطليطلي أبو عبد الله لقي أبا عمرو الداني وعليه اعتمد وروى عن أبي الربيع سليمان بن ابراهيم وأبي محمد بن أبي طالب المقرئ وغيرهم وكان عالماً بالقراءة بوجوهها إماماً فيها ذا دين متين وكان مولده لتسع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة ٤٢٢ هـ ومات بأشبيلية في منتصف ذي القعدة سنة ٤٨٥ هـ وحسب كتبه على طلبة العلم الذين بالمدونة وغيرها . قال : وفيها معدن الطين الذي تنسل به الرؤوس ومنها ينقل إلى سائر بلاد المغرب .

الطين المأكول ، الذي ليس على قرارة الأرض مثله ، يتجهز به منها إلى أرض مصر وجميع بلاد الشام والمراقات وبلاد الترك ، وهو نهاية في لثافة الأكل ، وفي تنظيف غسل الشمر^(١) . ولطيلة في جبالها معادن الحديد والنحاس ، ولها من المنابر في سفح هذا الجبل مجريط^(٢) ، وهي مدينة صغيرة ، وقلمة نعمة معمورة ، وكان لها في زمن الاسلام مسجد جامع ، وخطبة قائمة ، ولها أيضاً مدينة الفهمين^(٣) ، وكانت مدينة متحضرة ، حسنة الأسواق والمباني ، وبها مسجد جامع ، ومنبر وخطبة ، وهي كلها اليوم مع طليطلة في أيدي الروم ، وملكها من القشتالين ، وينسب إلى الأذفونش الملك وفي الشرق من مدينة طليطلة إلى مدينة وادي الحجارة ٥٠ ميلاً وهي مرحلتان ومدينة وادي الحجارة حصينة حسنة كثيرة الأرزاق والخيرات ، جامعة لاشتات المتافع والفلات ، وهي مدينة ذات أسوار حصينة ، ومياه مميعة ، ويمجرى منها بجهة غربها نهر صغير ، لها عليه بساتين وكروم ، وجنات وزراعات ، وبها من غلات الزعفران الشيء الكثير ، يتجهز به منها ، ويحمل إلى سائر العائلات والجهات . وهذا النهر يمجرى إلى جبة الجنوب ، فيقع في نهر تاجه الأكبر فيمده . ونهر تاجه

(١) الفصل بالكسر ما يقبل به الرأس من خطمي وطين واشنان ونحوه . عن لسان العرب .

(٢) هي التي يقول لها الاسبان مدريد وهي اليوم عاصمة اسبانية ومن أهم مدن أوربة وقد كانت مجريط في زمن الادريسي خرجت من يد الاسلام ومثلها طليطلة فلذلك قال أنه كان لمجريط في زمن الاسلام مسجد جامع وخطبة قائمة وسند كر طايطة تفصيلاً وتزيد ما يجب تأييده من كلام الادريسي عنها وزد ما هو من قبيل الأساطير مثل قوله : أن طليطلة هي من بناء الهالقة

(٣) قال ياقوت في معجم البلدان : الفهمين كأنه جمع فهمي اسم قبيلة الفهميين بالأندلس من أعمال طليطلة انتهى ولم يذكر زيادة على ذلك ونحن نعلم أنه يقال الفهميون لفهم الجرات بطن من لحم وأنه يوجد أيضاً في الأزدي بطن اسمهم فهم بن غنم ابن دوس بن عدنان منهم جذيمة بن مالك بن فهم الملك الأبرص راجع تاج العروس

المذكور يخرج من ناحية الجبال المتصلة بالقلعة ^(١١) والفتن ^(١٢) فينزل ماراً مع المغرب إلى مدينة طليطلة ^(١٣) ، ثم إلى طليطيرة ^(١٤) ، ثم إلى الحماضة ^(١٥) ، ثم إلى القنطرة ^(١٦) ثم إلى قنيطرة محمود ^(١٧) ثم إلى مدينة شنترين ^(١٨) ، ثم إلى لشبونة ^(١٩) ، فيصب هناك في البحر . ومن مدينة وادي الحجارة إلى مدينة سالم ^(٢٠) شرقاً ٥٠ ميلاً . ومدينة سالم هذه مدينة جليله في وطاء من الأرض ، كبيرة القنطر كثيرة العمارات والبساتين والجنات ، ومنها إلى مدينة شنت مارية ابن رزين ^(٢١) أربع مراحل خفاف ، ومنها إلى الفتن أربع مراحل . وبين شنت مارية والفتن مرحلتان ، وشنت مارية والفتن مدينتان عامرتان ، بهما أسواق قائمة ، وعمارات متصلة دائمة ، وفواكه عامة وكانا في الاسلام منازل القواطم ^(٢٢) . ومن مدينة سالم إلى مدينة قامة

(١) يقول دوزي في ترجمته للكلام الادريسي هنا إن المقصود بهذه القلعة هي قلعة

كبريال وهي إلى الشمال الغربي من الفتن .

(٢) الفتن هذه هي التي يقول لها الاسبانيول . البوت ، Alpuente

(٣) Toledo (٤) Talevera De La Reina

(٥) لا نعلم ماذا يقول الاسبانيول لهذا المكان

(٦) هي قنطرة السيف بلدة معروفة ينسب إليها في زمن العرب جماعة من أهل

العلم والاسبان يقولون Alcantra (٧) لم نعلم ماذا يقول الاسبانيول لهذه البلدة

(٨) Santaren وهي مدينة مشهورة سيأتي ذكرها

(٩) Lishoa عند البرتغال أو Lisbonne وسيأتي ذكرها

(١٠) Medinaceli عند الاسبانيول بحذف الميم

(١١) عند الاسبانيول Albarrazin

(١٢) غريب جداً ذكر الادريسي هؤلاء القواطم بدون التعريف عنهم بشيء

ولذلك لم يفهم هذه اللفظة أحد من مترجمي كلام الادريسي ومفسريه ونحن أشكل

علينا أيضاً فهمها ولم يذهب فكرنا إلى أنها القواطم ، بالفاء الموحدة لأنه لم يسمع

أن قوماً من الفاطميين سكنوا تلك الأرض واشتهروا بها واشتهرت بهم وكذلك

من العادة أن يقال لهم القاطميون ، أو الطالبيون ، أو الهاشميون ، ولم نسمع

أيوب^(١) ٥٠ ميلاً شرقاً ، وهي مدينة رائعة البعثة ، حصينة شديدة المنعة ، بهيمة الأقطار كثيرة الأشجار والأثمار . وعيونها مخترقة ، وبنائهم مفدودة ، كثيرة الخصب ، رخيصة الأسعار ، وبها يصنع الغنار المذهب ، ويتجهز به إلى كل الجهات . ومن مدينة قلعة أيوب إلى قلعة درّوقه^(٢) ١٨ ميلاً . ودروقه مدينة صغيرة متحصرة ، كثيرة العامر

يقوم اسمهم القواطم يسكنون في شمالي الأندلس فبقي علينا أن نعلم ما المراد بالقواطم بالقاف المثناة ، فالعلامة دوزى يظن أنها محرقة عن القواسم ، لأنه كان في الفنت فخذ يقال لهم بنو قاسم ، ولا يزال هذا الاسم Beni Cassim يطلق على مكان بشرقي الفنت إلى اليوم . قال دوزى : فيجوز أن يكون قبل لهم فيما بعد القواسم ، ثم تحرفت القواسم هذه بطول الزمن إلى قواطم . قلنا : أن وجود أناس في تلك البعثة كان يقال لهم بنو قاسم لاشك فيه وقد رأيت في معجم البلدان ذكر مكان في تلك الناحية قال ياقوت عنه أنه من عمل بني قاسم . ثم إن دوزى نفسه يقول إن بني قاسم هؤلاء من ذرية عبد الملك بن قطن الفهرى أمير الأندلس المشهور الذي كان قبل بني أمية فأنا أظن أن القواطم غير محرقة عن القواسم بل محرقة عن القواطن وذلك نسبة إلى عبد الملك بن قطن المذكور فإن ذرية هذا الرجل ينبغي أن يقال لهم القطنيون ، فالناس استعملوا جمع ذرية ابن قطن على القطنيين كما جمعوا بني فهم على الفهميين لنقل الأولى وخفة الثانية فاختروا للأولى جمع التكسير وقالوا قواطن يريدون به بني قطن . ومثل هذا الجمع كثير عند العرب . وأما انقلاب نون قواطن إلى ميم بحيث صارت قواطم فإن بين النون والميم تبادلاً كثيراً كما لا يخفى فهذا وجه خطر يائنا عن هذه اللفظة والله أعلم

(١) الإسبان يقولون لها كالانايود ، Calatayud وهي بلدة على وادي شلون جاء في دليل بديكر أنه يشرف على هذه البادية حصن اسمه قلعة أيوب بنسأه العرب في القرن الثامن للسيح وأن أذفوش الأول ملك أراغون انتزع قلعة أيوب سنة ١١١٩ من أيدي العرب . والمشهور أن باقي قلعة أيوب هو أيوب بن حبيب اللخمي ابن أخت موسى بن نصير . وسأتي على ذكرها تفصيلاً

(٢) هذه البلدة هي على ٣٥ كيلو متراً من قلعة أيوب ، والأسبان يقولون لها داروكة ، Daroca جاء في دليل بديكر أن هذه البلدة ازدهرت في زمان العرب

غزيرة البساتين والكروم ، وكل شئ بها كثير رخيص . ومن دروقة إلى مدينة سرقسطة ^(١) ٥٠ ميلا . وكذلك من مدينة قلعة أيوب إلى مدينة سرقسطة ٥٠ ميلا ومدينة سرقسطة قاعدة من قواعد مدن الأندلس ، كبيرة القطر ، أهلة ممتدة الأطناب ، واسعة الشوارع والطرق ، حسنة الديار والمساكن ، متصلة الجنات والبساتين ، ولها سور مبنى من الحجارة حصين ، وهي على ضفة النهر الكبير المسمى إيره ^(٢) ، وهو نهر كبير ، يأتي بعضه من بلاد الروم ، وبعضه من جهة جبال قلعة أيوب ، وبعضه من نواحي قلعة ^(٣) ، فتجتمع مواد هذه الأنهار كلها فوق مدينة تعطيله ^(٤) ثم تنصب إلى مدينة سرقسطة ، إلى أن تنتهي إلى حصن جبره ^(٥) ، إلى موقع نهر الزيتون ، ثم إلى طرفوشة فيجتاز بفرعها إلى البحر .

ومدينة سرقسطة هي المدينة البيضاء ، وصميت بذلك لكثرة جصها وجيارها ، ومن خواصها أنها لا تدخلها حية البتة ، وإن جلبت إليها وأدخلت المدينة ماتت وحيًا بلا تأخير . ولدى سرقسطة جسر عظيم يجتاز عليه إلى المدينة ، ولها أسوار منيعة ، ومبان رفيعة ، ومنها إلى وشقة ^(٦) ٤٠ ميلا . ومن وشقة إلى لاردة ^(٧) ٧٠

وكان لها سور طوله ثلاثة كيلومترات وعليه ١١٤ برجاً وكان لدروقة قلعة منيعة على صخر عظيم من بناء العرب وسبأني ذكرها بأوسع من هذا

(١) Saragosse وهي من قواعد الأندلس الكبار كان العرب يسمونها بالنغر الأعلى وسنذكر عنها كل ما يلزم عند الوصول إلى مكانها من جغرافية الأندلس

(٢) Ebro وسبأني الكلام على هذا النهر ومنبعه ومجره .

(٣) Calahorra وهي بلدة قديمة على ضفة نهر سيدا كوس Cidacos اشتهرت بشدة أهلها في مقاومة الرومانيين ومنها إلى شورية ، ٩٩ كيلومتر .

(٤) Tudela (٥) Chibrana

(٦) الاسبانول يقولون لها Huesca وهي مدينة قديمة جدا وكان الرومانيون يسمونها أوسكة Osca وعمرت في زمان العرب وبقيت في أيديهم إلى سنة ١٠٩٦ م ثم صارت قاعدة لمملكة أراغون وهي على مسافة ٢٢ كيلومترا من سرقسطة وسكانها اليوم ١٣٠٠٠ نسمة وسبأني ذكرها .

(٧) هذه البلدة هي من عمل كتلونية فيها اليوم ٢٣٠٠٠ نسمة والاسبان يقولون

ميلا . ومدينة لاردة مدينة صغيرة متحضرة . ولها أسوار منيعة ، وهي على نهر كبير ومن مكناسة ^(١) إلى طرطوشة ^(٢) مرحلتان وهما ٥٠ ميلا ، ومدينة طرطوشة مدينة على سفح جبل ، ولها سور حصين ، وبها أسواق وعمارات ، وصناع وفضة ، وإنشاء المراكب الكبير من خشب جبالها ، وبجبالها يكون خشب الصنوبر الذي لا يوجد له نظير في الطول والغلظ ، ومنه تتخذ السوارى والقرى ^(٣) وهذا الخشب الصنوبر الذي بجبال هذه المدينة أحمر صافي البشرة ، دسم لا يتغير سرياً ، ولا يفعل فيه السوس ما يفعله في غيره ، وهو خشب معروف منسوب . ومن طرطوشة إلى موقع النهر في البحر ١٢ ميلا ، ومن مدينة طرطوشة إلى مدينة طركونة ^(٤) ٥٠ ميلا .

ومدينة طركونة على البحر ، وهي مدينة اليهود ، ولها سور رخام ، وبها أبنية حصينة وأبراج منيعة ، ويسكنها قوم قلائل من الروم ، وهي حصينة منيعة ، ومنها

لها ليريد *Lerida* وكان الرومانيون يسمونها ايلرده *Ilerda* وهي مدينة قديمة جداً أيضاً وجدت فيها مسكوكات من زمان الايبيريين وعليها رأس ذئب . وفي السنة ٤٩ قبل المسيح هزمت فيها جيوش قيصر جيوش أعدائه المنتسبين إلى بومي . وكان استيلاء العرب عليها سنة ٧١٣ مسيحية واسترجعها الاسبان سنة ١١١٧ وسيأتي ذكرها (١) الاسبان يلفظونها مكينسة *Mequinenza* وهي من شارات ساحل كتلونة (٢) عند الاسبان تورتوزة *Tortosa* وكان الرومان يقولون لها درتوزة *Dertosa* وقال لها العرب طرطوشة وسيأتي ذكرها بما يليق من التفصيل .

(٣) السوارى جمع سارى وهو الخشب المعترضة في وسط السفينة ويكون عليه الشراع وهو معروف . وأما القرى فليس في اللغة بهذا المعنى بل القرى جمع قرية وهي البلدة . ولكن يوجد في اللغة القرية ، بتشديد الياء وهي عود الشراع الذي يجعل في عرضه من أعلاه والمعروف أنه يجمع على قرايا . ورد ذلك في تاج العروس وقال الزبيدي : والعامية تقول القرية بالتخفيف أى أن الادريسى جرى في جمعه القرية على القرى مجرى العامة لانه من بعد تخفيفها صار جمعها على قرى هو الأولى وقد لحظنا أن الادريسى يستعمل كثيرا من الالفاظ العامة ولحظ ذلك دوزى من قبل

(٤) *Tarragona* والاسبانيول يقولون لها طركونه كالعرب وهي مدينة بحرية

إلى برشلونة ^(١) في الشرق ٦٠ ميلا ، ومن مدينة طر كونة غرباً إلى موقع نهر إبره ٤٠ ميلا ، وهذا الوادى ههنا يتسع سعة كثيرة ، ومن موقع النهر إلى رابطة « كشتالى » ^(٢) غرباً على البحر ١٦ ميلا ، وهى رابطة حسنة ، حصينة منيعة ، على نجر البحر الشامى ، يسكها قوم أخيار ، وبالقرب منها قرية كبيرة ويتصل بها عمارات ومزارع ، ومن رابطة كشتالى غرباً إلى قرية « يانة » Ianna قرب البحر ٦ أميال ، ومنها إلى حصن « بنشكله » ^(٣) ٦ أميال ، وهو حصن منيع على ضفة البحر ، وهو عامر آهل ، وله قرى وعمارات ومياه كثيرة . ومن حصن بنشكله إلى عقبة « ايشة » ^(٤) ٧ أميال ، وهو جبل معترض عال على البحر والطريق عليه لا بد من السلوك على رأسه ، وهو صعب جداً . ومنه إلى مدينة « بوربانه » ^(٥) غرباً ٢٥ ميلا

سكانها ٢٤ ألفا ، مشرفة على البحر تعلوه إلى حد ١٦٠ . ترا وهى مدينة قديمة ايبيرية ولا يزال فيها مسكوكات من ذلك العهد . استولى عليها الرومانيون وحصنوها وجعلوها مرسى شهيراً وصارت مركزاً لهم في اسبانية وأقام بها أغسطس الرومانى سنة ٢٦ قبل المسيح وجعلها قاعدة للقاطعة السماء ، اسبانية الطركونية ، وفيها ابنة رومانية ومشهد للتشيل وبعد النصرانية صارت مركز اسقفية ولما جاء القوط سنة ٤٧٥ للمسيح جعلوا عاليها سافلها واستولى عليها العرب سنة ٧١٣ واسترجعها الاسبانيول بعد ذلك بأربعمائة سنة وصارت تابعة لبرشلونة

(١) Barcelona وهى قاعدة كتلونية وأكبر مدن اسبانية وأوسعها تجارة وأكثرها صناعة وسيأتى ذكرها تفصيلا

(٢) دوزى يعتقد أن هذه الرابطة هى التى يقول لها الاسبانيول Castillo De Chiver وهى بقرب قلعة شيفر أو شير

(٣) ويقول لها الاسبانيول « نيسكولا » Penuscola وتسمى جبل طارق بلفنسية لأنها في جزيرة متصلة بالبر بلسان من الرمل وكان هذا الحصن في يد العرب إلى سنة ١٢٣٣ إذ أخذه منهم جاك الأول ملك أراغون .

(٤) هى بالاسبانيول Abicha

(٥) الاسبانيول يقولون لبوربانه Burriano أى بوربانه بالتشديد . وتأمل في ما ورد في دليل بديكر في كلامه على البلاد التى بين طرطوشة وبلنسية قال : إن

ومدينة بوريانه مدينة جبلية عامرة كثيرة الخصب والأشجار والكروم ، وهي في مستو من الأرض ، وبينها وبين البحر نحو من ثلاثة أميال . ومن بوريانه إلى « مرباطر » ^(١) وهي قرى عامرة وأشجار ومستقلات ، ومياه متدفقة ، ٦٠ ميلا ، وكل هذه الضياع والأشجار على مقربة من البحر . ومنها إلى « بلنسية » غرباً ١٢ ميلا .

ومدينة بلنسية قاعدة من قواعد الأندلس ، وهي في مستو من الأرض ، عامرة القطر ، كثيرة التجار والعمار ، وبها أسواق وتجار ، وحط وإقلاع ، وبينها وبين البحر ٣٠ أميال مع النهر ، وهي على نهر جار يتفرع به ، ويسقى المزارع ، ولها عليه بساتين وجنات ، وعمارات متصلة . ومن مدينة بلنسية إلى مدينة سرقسطة ٩ مراحل على « كنتندة » ^(٢) وبين بلنسية وكنتندة ٣ أيام ، ومن كنتندة إلى « حصن الياحين » مرحلتان ، وهو حصن كثير الخلق عامر بذاته . ومن حصن الياحين إلى « القنت » ^(٣) يومان ، ومن مدينة بلنسية إلى جزيرة « شقر » ^(٤) ١٨ ميلا ، وهي على نهر شقر

قسطلون البلانة Castellon De La Plana هي مدينة زاهرة سكانها ٢٨ ألف نسمة وهي مركز تجارة للبرتقال ولها فرضة على البحر اسمها « غراو » ، والقطار الحديدي يمر منها في مكان اسمه المجر Migares على جسر ثلاثة عشر قوساً راكب فوق قناة قسطلون المشتقة من النهر . وهذه التحفة البديعة من بدائع هندسة العرب تبنى تلك الأراضي منذ ستائة سنة ثم تفيض من هنالك إلى مدينة فيلاريال Villarreal وهي مدينة سكانها ١٦ ألفاً ويوجد فيها بساتين البرتقال وبينها بهض أشجار النخل والنساء تحمل هناك أباريق غريبة ترجع إلى عهد قديم . ثم إن مياه المجر هذا لا تزال توزع على الأراضي إلى بوريانه التي هي أيضاً من الأماكن المشهورة بالبرتقال .

(١) Murbiter أو Merviedero

(٢) Geutenda الاسبانيول يقولون

(٣) Alicante

(٤) Rio Jucar أى نهر شقر وعليه بلدة اسمها الصيرة

وجزيرة شقر المذكورة حسنة البقاع ، كثيرة الأشجار والأثمار والأنهار ، وبها ناس وجلة ، وهي على قارعة الطريق الشارح إلى مرسية . ومن جزيرة شقر إلى « شاطبة »^(١) ١٢ ميلا . ومدينة شاطبة مدينة حسنة ، ولها قصاب ، يضرب بها المثل في الحسن والنمعة ويعمل بها من الكاغد ما لا يوجد له نظير بمحمور الارض ، ويسم المشارق والمغرب ومن شاطبة إلى « دانية »^(٢) ٢٥ ميلا ، وكذلك من شاطبة إلى بلنسية ٣٢ ميلا ، وكذلك من بلنسية إلى مدينة دانية ، على البحر مع الجون ٦٥ ميلا ومن بلنسية إلى حصن « قلييرة »^(٣) ٢٥ ميلا ، وحصن قلييرة قد أهدق البحر به ، وهو حصن منيع ، على موقع نهر شقر ، ومنه إلى مدينة دانية ٤٠ ميلا ومدينة دانية على البحر عامرة حسنة ، لها روض عامر ، وعليها سور حصين ، وسورها من ناحية المشرق في داخل البحر ، قد بنى بهندسة وحكمة ، ولها قسبة منيعة جدا ، وهي على عمارة متصلة وشجرات تين كثيرة وكروم ، وهي مدينة تسافر اليها السفن ، وبها ينشأ أكثرها ، لانها دار انشاء السفن ، ومنها تخرج السفن إلى أقصى المشرق ، ومنها يخرج الأسطول للجزو ، وفي الجنوب منها جبل عظيم مستدير يظهر من أعلاه جبال « يابسة »^(٤) في البحر ، ويسمى هذا الجبل جبل قاعون^(٥)

والعرب يسمونها جزيرة شقر والصيرة وهي تحريف الجزيرة

(١) الاسبانول يقولون لها Jatiba ويقلبون الجيم خاء على عادتهم

(٢) Denia ولا بد من لفظ الألف بالاماله حتى يفهم الاسبانول أن المراد هو هذه البلدة . ومن المعلوم أن عرب الأندلس كان أكثر لفظهم بالامالة . ولما كنت في الأندلس أردت الذهاب من القنت إلى دانية فلفظت هذه بغير امالة لأجل قطع تذكرة السفر فلم يفهموا مني في بادى الأمر .

(٣) دوزى يقول انه « كولييره ، Cullera

(٤) يابسة هي جزيرة Ibiza أعلى قمة فيها تملو ٤٧٥ متراً

(٥) Caoun

ومن مدينة شاطبة إلى بكيران غرباً ٤٠ ميلا ، وحصن « بكيران »^(١) حصن منيع عامر كالمدينة ، وله سوق مشهوده ، وحوله عمارات متصلة ، تصنع به ثياب بيض تباع بالآثمان الغالية ، ويمر الثوب منها سنين كثيرة ، وهى من أبداع الثياب عتاقة ورقة ، حتى لا يفرق بينها وبين الكاغد فى الرقة والبياض . ومن بكيران إلى دانية ٤٠ ميلا . ومن حصن بكيران إلى مدينة « الش » ٤٠ ميلا . ومدينة الش^(٢) مدينة فى مستو من الأرض ، ويشتهر خليج يأتي إليها من نهرها ، يدخل المدينة من تحت السور ، فيتصرفون فيه ، ويجرى فى حمامها ، ويشق أسواقها وطرقاتها ، وهو نهر مليح سبخى ، وشرب أهل المدينة من الخوايى ، يجلب إليها من خارجها ، ومياهها المشروبة من مياه السماء . ومن مدينة الش إلى مدينة « وريولة »^(٣) ٢٨ ميلا ، ومدينة أوريوالة على ضفة النهر الأبيض هو نهرها ونهر مرسية ، وسورها من ناحية القرب على جريته ، ولها قنطرة على قوارب ، يدخل إليها منها ، ولها قسبة فى نهاية من الامتاع ، على قنة جبل ، ولها بساتين وجنات ، ورياضات دانية ، وبها من القواكه ما لا تحصيل له ، وبها رخاء شامل ، وبها أسواق وضياع . وبين أوريوالة والبحر ٢٠ ميلا . وبين أوريوالة ومدينة مرسية ١٢٠ ميلا ، ومن مدينة أوريوالة إلى « قرطاجنة » ٤٥ ميلا .

ومن مدينة دانية المتقدم ذكرها على الساحل إلى مدينة « لقنت »^(٤) غرباً

- (١) حصن بكيران هو فى جنوبى شاطبة والاسبانيول يكتبونه Bocayrant
 (٢) Elche وهى ذات النخل وسيأتى الكلام عنها . وأظن بنى الالشي فى دمشق أصلهم منها
 (٣) هى بالأاسبانيول أوريوالة Orihueala والعرب يتولون لها اريوله وربما يضعون الواو بعد الألف ولكن وردت فى جغرافية الادريسي وغيره بزيادة ألف بعد الواو أى اريوالة وتكررت على هذا الشكل ويقال لهذه البلدة تدميرباسم الأمير الذى كان فيها يوم أخذها منه العرب صلحا
 (٤) الأاسبانيول يقولون أليكنت Alicante والعرب يقولون القنت

على البحر ٧٠ ميلا . ولقنت مدينة صغيرة عامرة ، وبها سوق ومسجد جامع ومنبر
ويتجهز منها بالحلفاء إلى جميع بلاد البحر . وبها فواكه وبقل كثير وتين وأعناب
ولها قصبه منيعة عالية جداً في أعلى جبل ^(١) ، يصمد اليه بمشقة وتمب ، وهي أيضاً
مع صفرها تنشأ بها المراكب السفرية والحرايق . وبالقرب من هذه المدينة ،
وبالقرب منها ، جزيرة تسمى « ابلناصة » ^(٢) وهي على ميل من البر ، وهي
مرسى حسن ، وهي ممكن لمراكب المدو ، وهي تقابل « طرف الناطور » ^(٣) ،
ومن طرف الناطور إلى مدينة القنت ١٠ اميال ، ومن مدينة القنت في البر إلى
مدينة الش مرحلة خفيفة ، ومن مدينة القنت إلى « حلق بالش » ^(٤) ٥٧ ميلا
وبالش مع مراسى افواه أودية تدخلها المراكب ومن بالش إلى جزيرة الفيران ^(٥)
ميل . وبين هذه الجزيرة والبر ميل ونصف ، ومنها إلى طرف « القيطال » ^(٦)
١٢ ميلا ، ومنه إلى « برتمان » ^(٧) الكبير ، وهو مرسى ، ٣٠ ميلا ، ومنه إلى
مدينة « قرطاجنة » ^(٨) ١٢ ميلا . ومدينة قرطاجنة ، وهي فرضة مدينة مرسية .

واللام وأحيانا لقنت بلام دون ألف وجميع هذه المدن سيأتي الكلام عليها في مواضعها
(١) الاسبانيول يقولون لهذه القصبه التي بأعلى الجبل حصن « ساتا برباره »

Castillo De Santa Barbara

(٢) هنا خطأ في النسخ ولا يوجد ابلناصه وإنما الجزيرة اسمها بلانة وهي في
جنوب القنت .

(٣) طرف الناطور هو ساتا بولو Santa Polo

(٤) بالش هي Bélich ومرساها يقول له الاسبانيول Mar Menor

(٥) اسم هذه الجزيرة عند الاسبان Isla Grossa

(٦) القيطال Cap De Palos

(٧) برتمان الكبير هو عند الاسبان Puerto Pormann وكان يقال له أيام

الرومان Pertus Magnus

(٨) أحسن مرسى في أسبانية وسيأتي ذكرها

وهي مدينة قديمة أزلية ، لها مرسى ترسى بها المراكب الكبار والصغار ، وهي كثيرة الخصب والرخاء المتتابع ، ولها إقليم يسمى « الفندون »^(١) وقابل ما يوجد مثاله في طيب الأرض ، وجودة نمو الزرع فيه ، ويحكى أن الزرع فيه يثمر بستى مرة واحدة ، واليه المنتهى في الجردة .

ومن مدينة قرطاجنة على الساحل إلى « شجانة »^(٢) ٢٤ ميلا ، وهو مرسى حسن وعليه بقره قرية ، ومنه إلى حصن « آقلة »^(٣) ١٢ ميلا ، وهو حصن صغير على البحر ، وهو فرضة « لورقة » ، وبينهما في البر ٢٥ ميلا . ومن حصن آقلة إلى وادي « بيرة »^(٤) في قصر الجون ٤٢ ميلا . وعلى مصب النهر جبل كبير وعليه حصن بيرة

(١) يظن دوزى أنه واقع تحريف لم يظهر معه أصل الكلمة

(٢) Chadjena

(٣) جاء في دليل بدبكر عند ذكر مدينة لورقة قال أن سكانها ٣٠ ألف نسمة وكانت تسمى إلوكرو Ilucro في زمن الرومانيين فقال العرب لها لورقة وهي مبنية إلى الشمال الغربي من شارات كانو ، ويشقها وادي « الأنطين » والبلدة القديمة لاتزال شوارعها ضيقة وهي تذهب صعدا فوق الصخور إلى أن تصل بحصن عربي لا يزال مائلا وفيها كنيسة اسمها ستامارية مبنية في المكان الذي خيم فيه الأذفونش الملقب بالحكيم قبل أن أخرج هذه البلدة من أيدي العرب سنة ١٢٣٤ وإلى الشمال شارات كانو والخط الحديدي يمر في مكان يقال له « نوغلت Nogalte » كان ميدانا للرفائع الشداد بين عرب غرناطة والمسيحيين وهناك على البحر مرسى آكيلاس اه فذه هي آقلة التي يشير إليها الادريسي

(٤) Vera جاء في كتاب « صفة مملكة غرناطة » المنقول عن « معيار الاختيار » لابن الخطيب ما يلي عن بيرة هذه وضبطها بفتح فسكون : « بلدة صافية الجور حية الدو يسرح فيها البعير ويحم بها الشعير ويقصدها من مرسية واحوازاها العير فسا كنها بين تجر وابتغاء أجر ، وواديها نبلي الفيوض والمدود ، مصرى النجوم والحدود ، إن بلغ إلى الحد المحدود ، فليس رزقه بالمحصور ولا بالمعدود ، إلا أنها قليلة المطر ، مقيحة

المطلّ على البحر ، ومن الوادى إلى الجزيرة المسماة « قَرْبُنِيْرَة » ^(١) ١٢ ميلا ، ثم إلى « الرصيف » ستة أميال ، ثم إلى « الشامة البيضاء » ثمانية أيام ، ثم إلى طرف « قَابَطَة » ^(٢) ابن أسود « ستة أميال . ومن طرف القابطة إلى المرية ١٢ ميلا . ومن مدينة قرطاجنة إلى مرسية في البر ٤٠ ميلا .

ومدينة مرسية قاعدة أرض تدمير . وهى فى مستو من الأرض ، على النهر الأبيض ، ولها روض عامر أهل ، وعليها وعلى روضها أسوار حصينة ، وحظائر متقنة والماء يشق روضها ، وهى على ضفة النهر المعروف ، ويجاز إليها على قنطرة مصنوعة من المراكب . ولها أرحاء طاحنة فى المراكب ، مثل طواحن مرسية . التى هى تركب فى مراكب تنتقل من موضع إلى موضع ، وبها من البساتين والأشجار والعمارات ما لا يوجد بتحصيل ، ولها كروم ، وبها شجر التين كثير ، ولها حصون وقلاع وقواعد وأقاليم معدومة المثال . ومن مدينة مرسية إلى مدينة بلنسية خمس مراحل ، ومن مرسية إلى المرية على الساحل ٥ مراحل ، ومن مرسية إلى قرطبة عشر مراحل ، ومن مرسية إلى حصن شقورة ^(٣) ، ٤ مراحل ، ومن مرسية إلى « جنجاله » ^(٤) ٥٠

على الخطر ، ملومة الأعراض والأسوار ، مطعة لداعى البوار ، خليفة الحسن المغلوب ، معلقة بالماء المجلوب ، آخذة بكظام القلوب ، خاملة الدور ، قليلة الوجوه والصدور ، كثيرة المشاجرة والشور ، وذهل أهلها فى الصلاة شائع فى الجمهور ، وسوء ملكة الأسرى من الذائع بها والمشهور .

(١) Carbonéra (٢) Cap De Gala

(٣) النهر الذى تنرب منه مرسية كان يقال له فى القديم تادر Tader والاسبانيول يقولون له سيفوره Segura والعرب يقولون له شقورة وسيأتى الكلام على شقورة وغيرها تفصيلا والادريسي يسميه بالنهر الأبيض ودوزى يقول إن Guadaaviar الذى يمر ببلنسية هو النهر الأبيض وكذلك جاء فى دليل بديكر ولكن تعريب Guadalaviar هو وادى الاييار .

(٤) يقول الاسبانيول لهذه البلدة شنشيلة Chinchilla وهى على ٢٩٨ كيلومترا من مجريط وفيها يتلاقى خطان حديديان خط مرسية وخط قرطاجنة وهى مبنية على

ميلا . ومدينة جنجالة متوسطة القدر ، حصينة القلعة ، منيعة الرقعة ، ولها بساتين وأشجار وعليها حصن حسن ، ويعمل بها من وطاء الصوف ما لا يمكن صنعه في غيرها بإتلاف الماء والهواء ، ولنساتها جمال فائق وحصافة .

ومن جنجاله « إلى » كونكة « يومان ، وهي مدينة أزيلية صغيرة ، على منقع ماء مصنوع قصداً ، ولها سور ، وليس لها روض ، ويصنع بها من الأوطية المتخفة من الصوف كل غريبة . ومن كونكة إلى قلعة ^(١) ثلاث مراحل شرقاً ، وقلعة حصن منيع يتصل به أجبل كثيرة ، بها شجر الصنوبر الكثير ويقطع بها الخشب ويلقى في الماء ، ويحمل إلى دانية وإلى بلنسية في البحر ، وذلك أنها تسير في النهر من قلعة إلى جزيرة شقر ، ومن جزيرة شقر إلى حصن « قالييره » وتفرغ هناك على البحر ، فتملاً منها المراكب ، وتحمل إلى دانية ، فتنشأ منها السفن الكبار ، والمراكب الصغار ، ويحمل إلى بلنسية منه ما كان عربضاً ، فيصرف في الأبنية والسيار . ولا تزال عادة ارسال الخشب في النهر إلى جزيرة شقر إلى قلعة النخ إلى

راية عليها حصن وفي جوانبها كهوف يسكن فيها الناس ومنها يمتد الخط الحديدي إلى بلدة يقال لها « البره » على نحو . ٤ كيلو مترا من جنجالة ثم إلى محل يقال له عند الاسبانيول المنصا Almansa ولا شك أنه محرف عن المصنع جاء في دليل بديكر أن هناك خزاناً بناه العرب طوله ألفا متر وعرضه ألفا متر وعمقه ثمانون متراً وهو مبنى على واد بين جانبيه سد وهناك حصن عربي مبني على حجر أيضاً مشرف على السهل . قلت ولقد مررت على جنجاله والمصنع في طريق إلى مرسية وأنا بالقطار وشاهدت هذا الخزان في أثناء المسير . وقد ضبط ياقوت الحموي اسم شنشالة بالثاء فقال شنتجاله ويخط الأشتوى شنتجيل بالياء . وسيأتى ذكرها في موضعه

(١) الخط الحديدي من مرسية يمر على قرية اسمها « نرجمة » ثم على « قلعة » ويقول لها الاسبانيول كاللوزة Callosa وهي بلدة صغيرة منظرها لا يزال عربياً مبنية بمخاض جندل كبير وفيها بيوت كثيرة منحوتة في الجندل وحوها يرتقال ونخل . ولم يعرف دوزى قلعه هذه فوضع عليها علامة وقال إن أحرفها غير بينة وكتبها

يومنا هذا . ومن قلصة إلى شنت مارية ثلاث مراحل ، وكذلك من قلصة إلى « الفنت » أيضاً مثل ذلك ، ومن « قونكة » ^(١) إلى « وبذى » ^(٢) ثلاث مراحل و « وبذى » و « اقليش » ^(٣) مدينتان متوسطتان ، ولها أقاليم ومزارع عامرة ، وبين وبذى واقليش ١٨ ميلا ، ومن اقليش الى شقورة ٣ مراحل وشقورة حصن كالمدينة ، عامر بأهله ، وهو في رأس جبل عظيم متصل ، منبع الجمه ، حسن البنية ، ويخرج من أسفله نهران ، أحدهما نهر قرطبه ، المسى بالنهر الكبير ، والثانى هو النهر الأبيض الذى يمر بجرسية ، وذلك أن النهر الذى يمر بقرطبة يخرج من هذا الجبل من مجتمع مياه كالغدير ، ظاهر في نفس الجبل ، ثم يفرغ تحت الجبل ، ويخرج من مكان في أسفل الجبل ، فيتصل جريه غربا إلى جبل « نجدة » ^(٤) ، إلى « غادرة » ^(٥) ، إلى قرب مدينة « أبنة » ^(٦) ، إلى أسفل مدينة « يباسة » ^(٧) ، إلى حصن « اندوجر » ^(٨) ، إلى « القصير » ^(٩) ، إلى « قنطرة اشقتان » ^(١٠) ،

(١) يأتي المسافر من جبريط قاصدا إلى ساحل البحر عن طريق جنجاله فيمر ببلدة يقال لها « غيتاف » Getafe على ١٤ كيلو مترا من جبريط وبعد ذلك يمر ببلدة يقال لها « بتو » Pinto ثم ببلدة يقال لها بلدمورو Valdemoro - ومن المعلوم أن المورو عند الاسبان هو المسلم - ثم إن الخط الحديدي يمر ببقعة مربعة مسقية يقال لها بقعة جرامة Jarama ومن هذه البقعة يصل المسافر إلى نهر تاجه وهناك بلدة يقال لها « أرنجويس » Arenjuez على مسافة ٥٠ كيلو مترا من جبريط ومنها يصل إلى مدينة قونكة وهي بلدة قديمة جداً كانت من مراكز العرب استرجعها من أيديهم الاذفونش الثامن سنة ١١٧٧ بعد حصار طويل وهي الآن قسبان المدينة القديمة والمدينة الجديدة وعدد سكانها ١٢ ألفا والقديمة مبنية على صخور شامخة

(٢) هي Huete (٣) اقليش هي Ucles

(٤) Nadjda (٥) Gadira (٦) Ubeda (٧) Baeza

(٨) Andojar (٩) Al - Kosair (١٠) Pont D'échtechàn

إلى قرطبة إلى حصن « اللدور »^(١١) إلى حصن « الجرف »^(١٢) إلى حصن « لورة »^(١٣) إلى حصن « القلعة »^(١٤) إلى حصن « قطنانية »^(١٥) إلى « الزرادة »^(١٦) إلى اشبيلية ، إلى « قبطال »^(١٧) إلى « قبتور »^(١٨) ، إلى « طبرشانة »^(١٩) ، إلى « المساجد »^(٢٠) ، إلى فادس ، ثم إلى بحر الظلمات .

وأما النهر الأبيض الذى هو نهر مرسية فانه يخرج من أصل الجبل ، ويحكى أن أصلهما واحد ، أعنى نهر قرطبة ونهر مرسية . ثم يمر نهر مرسية فى عين الجنوب إلى حصن « افرد »^(٢١) ، ثم إلى حصن « موله »^(٢٢) ، ثم إلى مرسية ، ثم إلى أوريوالة إلى اللدور ، إلى البحر ، ومن شعورة إلى مدينة « سرتة »^(٢٣) . مرحلتان كبيرتان ، وهى مدينة متوسطة القدر ، حسنة البقعة ، كثيرة الخصب ، والمقربة منها حصن . . .^(٢٤) ، ومن حصن . . . إلى طليطلة مرحلتان . ومن أراد من مرسية إلى المرية سار من مرسية إلى قنطرة « اشكابة »^(٢٥) إلى حصن « لبرالة »^(٢٦) إلى حصن « الحمة »^(٢٧) إلى مدينة « لورقة »^(٢٨) ، وهى مدينة غراء حصينة ، على ظهر جبل

Alcoléa (٤) Lora (٣) Aljorf (٢) Almodovar (١)

Cabtal (٧) Az - Zarrada (٦) Cantillana (٥)

(٨) Cablor (٩) Trébugena (١٠) يقول الاسبانيول

للساجد سان لوكار San - Locar ويقال ان أصلها Solus Lucos (١١) Ferez

(١٢) Mula (١٣) يقول لها الاسبانيول Almonacid De Zorita

(١٤) موضوع فى الأصل بعد لفظة حصن ثلاث نقط . ثم موضوع جملة ، ومن

حصن . وبمدها أيضاً ثلاث نقط . وبمدها جملة الى طليطلة . وهذا فى النسخة

المطبوعة فى ليدن المترجمة الى الافرنسية بقلم دوزى وفى الحاشية مذكور انه « حصن

فة ، أو دقة ، أو دقه ، اشارة الى ان اللفظة غير محققة . ثم ان دوزى يقول بمد

هذا ان هذا البلد هو الذى يقال له Hita Calatrava

(١٥) قنطرة اشكابة هى Cantarilla

(١٦) Lebrilla

(١٧) الحمة يقول لها الاسبانيول Alhama وفى الأندلس ححات متعددة

(١٨) تقدم ذكرها وسيأتى مرة أخرى

ولما أسواق و ريبض في أسفل المدينة ، و على الربض سور ، و في الربض السوق ،
 و الزهادره ^(١) ، و سوق العطر ، و بها معادن تربة صفراء ، و معادن مفره ، تحمل
 إلى كثير من الأقطار . و من حصن لورقة إلى مرسية ٤٠ ميلا ، ثم من لورقة إلى
 « آبار الزتبة » ^(٢) إلى « حصن بئر » ^(٣) مرحلة ، و هذا الحصن حصن منيع ،
 على حافة مطلة على البحر . و من هذا الحصن إلى « عقبة شقر » ^(٤) ، و هي عقبة
 صعبة المرقى ، لا يقدر أحد على جوازها راكباً ، و إنما يأخذها الركبان رجالة ، و من
 العقبة إلى « الرابطة » ^(٥) مرحلة ، و ليس هناك حصن ولا قرية ، و إنما بها قصر
 به قوم حراس للطريق ، و من هذه الرابطة إلى المرية مرحلة خفيفة

و مدينة المرية كانت في أيام الملتم ^(٦) مدينة الاسلام ، و كان بها من كل الصناعات
 كل غريبة ، و ذلك أنه كان بها من طرز الحرير ٨٠٠ طراز ، يعمل بها الحلل
 و الدياج و السقلاطون و الاصبهانى و الجرجانى ، و الستور المكلفة و الثياب المعينة ،
 و العصر و العتاني ، و الماجر ، و صنوف أنواع الحرير ، و كانت المرية قبل الآن يصنع بها
 من صنوف الآلات النحاس و الحديد ، إلى سائر الصناعات ، ما لا يحد ولا يكيف ،
 و كان بها من فواكه وادبها الشيء الكثير الرخيص ، و هذا الوادى المنسوب إلى
 بجانة Bichèna بينه و بين المرية ٤ أميال ، و حوله جنات و بساتين و أرحاء ، و جميع
 نعمها و فواكهها تجلب إلى المرية ، و كانت المرية إليها تقصد مراكب البحر من

(١) لم يظهر لنا معنى هذه اللفظة و أظنها من تحريف النساخ

(٢) Ar - Rataba و من يقرأ « الزتبة » ، يظنها لأول وهلة بالضم فالسكون أى
 المنزلة و الحال انها محركة بفتح الأول و الثانى و الثالث فالرتبة هى الحلل الذى بين الاصابع
 (٣) هى التى تقدم ذكرها و تلفظ بفتح أولها و هى غير البيرة المشهورة التى منها
 مدينة غرناطة

(٤) Mujacar (٥) Arrabita

(٦) أى أيام دولة المرابطين يوسف بن تاشفين و رهطه

الاسكندرية والشام كله ، ولم يكن بالأندلس كلها أيسر من أهلها مالا . ولا آتجر منهم في الصناعات وأصناف التجارات تصريفاً وادخاراً .

والمرية في ذاتها جبلان وبينهما خندق معمور ، وطى الجبل الواحد قصبها المشهورة بالحصانة . والجبل الثاني منهما فيه رَّبْضٌ ويسمى جبل « لام » Lahem والسور يحيط بالمدينة وبالربض . ولها أبواب عدة ولها من الجانب الغربي ربض كبير عامر يسمى ربض الحوض ، وهو ربض له سور عامر بالأسواق والديار والفنادق والحمامات . والمدينة في ذاتها مدينة كبيرة كثيرة التجارات ، والمسافرون إليها كثيرون وكان أهلها مياسير ، ولم يكن في بلاد أهل الأندلس أحضر من أهلها نقداً ، ولا أوسع منهم أحوالاً . وعدد فنادقها التي أخذها عد الديوان في التميمين الف فندق ، إلا ثلاثين فندقاً ، وكان بها من الطرز أعداد كثيرة ، قدمنا ذكرها . وموضع المرية من كل جهة استدارت به صنخور مكدسة ، وأحجار صلبة مفرسة ، لا تراب بها ، كأنما غرُبت أرضها من التراب وقصد موضعها بالحجر ، والمرية في هذا الوقت الذي ألفنا كتابنا فيه ، صارت ملكاً بأيدي الروم ، وقد غيروا محاسنها وسبوا أهلها . وخرَّبوا ديارها ، وهدموا مشيد بنيانها ، ولم يبقوا على شيء ^(١) منها . وللرية مناير

(١) ان الشريف ابا عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحمودى الحسنى المعروف بالشريف الادريسي ولد سنة ٤٩٣ للهجرة وفق ١١٠٠ لليلاد وكانت ولادته في سبته وقد توفي سنة ٥٦٠ للهجرة وفق ١١٦٦ لليلاد وقد حصل العلم في قرطبة ولذلك قيل له القرطبي ولما اتصل بخدمة رجار الثاني ملك صقلية قيل له الصقلي وقد صنع للملك المذكور قبل وفاته بقليل صورة للارض كانت أكل ما عرف لذلك العهد وكرة أرضية من فضة وألف كتابه هذا نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، وقد أكل تأليفه قبل سنة ٥٤٨ هـ . وأما استيلاء العدو على مدينة المرية فقد كان يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الأولى سنة ٥٤٢ هـ أى قبل تأليف كتاب الادريسي هذا بست سنوات واستشهد في وقعة الاستيلاء عليها الامام الرشاطى المحدث الكبير صاحب كتاب « اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في نسب الصحابة ورواة الآثار ، وهو أبو محمد

منها مدينة برجة^(١) ودلاية^(٢) . وبين المرية وبرجة مرحلة كبيرة . وبين برجة ودلاية نحو من ٨ أميال . وبرجة أكبر من دلاية ، ولها أسواق وصناعات وحروث ومزارع . ومن المرية لمن أراد مائة طريقان ، طريق في البر وهو تخليق^(٣) وهو ٧ أيام والطريق الآخر في البحر وهو ١٨٠ ميلا . وذلك أنك تخرج من المرية إلى قرية البجانس^(٤) على البحر ستة أميال ، ومن قرية البجانس يمر الطريق في البر إلى برجة ودلاية . ومن قرية البجانس إلى آخر الجون ، وعليه برج مبني بالحجارة ،

عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن خلف بن احمد بن عمر اللخمي الرشاطي المري جاء في نفع الطيب أنه بعد أخذ النصارى مدينة المرية هذه المرة رجعت إلى ملك المسلمين واستغذها الله تعالى على يد الموحدين وبقيت في أيدي الاسلام سنين . وكان أول الولاة عليها حين استولى عليها أمير المسلمين عبد المؤمن بن علي رجلا يقال له يوسف ابن مخلوف فثار عليه أهل المرية وقتلوه وقدموا على أنفسهم الرميى فأخذها النصارى منه عنوة وأحصى عدد من سبي من أبكارها فكان ١٤ ألفاً . قال في النفع : ولما أخذت المرية أقبل إليها السيدان أبو حفص وأبو سعيد ابنا أمير المؤمنين عبد المؤمن فحصرنا النصارى بها وزحف إليها أبو عبد الله بن مردنيش ملك شرق الأندلس محاربا لها فكانا يقانلان النصارى والمسلمين داخلا وخارجا . ثم رأى ابن مردنيش العار على نفسه في قتالها مع كونهما يقانلان النصارى فارتحل فقال النصارى ما ارتحل ابن مردنيش إلا وقد جاءهم مدد فاصطاحوا ودخل الموحدون المدينة وقد خربت وضعفت إلى أن أحبي رمقها الرئيس أبو العباس احمد بن كمال واشتهر من ولايتها في مدة بنى عبد المؤمن في المائة السابعة الأمير أبو عمران بن أبي حفص عم ملك إفريقية أبي زكريا ثم استبد بأمر المرية أحد بنى الرميى الذين أخذ النصارى البلدة من جدهم ثم آلت إلى بنى الأحمر أصحاب غرناطة . ثم ذهبت فيما ذهب من ملكهم عند ما انطوى بساط الأندلس والله غالب على أمره انتهى ملخصاً وسأني على هذه الوقائع بتفصيل عند ما نصل إلى التاريخ إن شاء الله .

(١) Berja (٢) Dulias عند الاسانول . وسأني ذكر برجة ودلاية .

(٣) لعله يريد الارتفاع والدوران لأنه طريق في الجبال .

(٤) لم نهند إلى معرفة هذه القرية ولا اهتدى دوزي

مصنوع لوقيد النار فيه عند ظهور المدو في البحر^(١) ، ستة أميال ، ومن هذا الطرف إلى مرسى البيرة ٣٢ ميلا ، ومنه إلى قرية « عذرة »^(٢) على البحر ١٢ ميلا . وقرية عذرة مدينة صغيرة لا سوق لها ، وبها الحمام والفندق ، وبها بشر كثير ، وبغربها ينزل نهر كبير ، منبعه من جبل شاير ، ويجتمع بمياه برجه وغيرها فيصب عند عذرة في البحر ، ومن عذرة إلى قرية « بليسانة »^(٣) ٢٠ ميلا ، وهي قرية آهلة على شاطئ البحر ، ومنها إلى « مرسى الفروج »^(٤) ، ١٢ ميلا ، وهو مرسى كالحلوط صغير . ومنه إلى قرية « بطرنة »^(٥) ٦ أميال ، وبها معدن التوتية

(١) عند ما ذهبنا من مالقة إلى الجزيرة الخضراء بالسيارة الكهربية على شاطئ البحر لم تكن نجتاز أكثر من خمسمائة متر حتى نرى برجاً مخروطي الشكل على أكمة مشرفة على البحر أشبه بمنارة مسجد . فهذه الأبراج كانت في القديم توجد في رؤوسها التياران إذا طرقت المدو البلاد وكانت تقابلها أبراج في الداخل فتم شاهد الناس التياران خفوا إلى محل الواقعة . وأما البرج الذي يذكره الأذريسي هنا فيقول له الإسبانيول

Puenta elema

(٢) هذه القرية هي المرسى الذي ركب منه أبو عبد الله محمد بن الأحمر آخر ملوك المسلمين في الأندلس فاصداً إلى المغرب فرسى به السفين بمرسى مائلة وهذا حسبما جاء في كتاب « أخبار مصر في انقضاء دولة بني نصر » الذي لم يذكر اسم مؤلفه وقد عثرنا على نسخة منه مطبوعة بمدينة مينيخ الألمانية سنة ١٨٦٣ مع ترجمة ألمانية وحواش للمستشرق الألماني « مارك بوس مولر » وطبعناه مضافاً إلى الطبعة الثانية من كتابنا مختصر تاريخ الأندلس تذيلاً على ترجمتنا ، وآخر بني سراج ، وقد طبع كتابنا هذا أول مرة سنة ١٣١٥ وثاني مرة سنة ١٣٤٣ وسأثر عنه وعن « أخبار مصر في انقضاء دولة بني نصر » عند الوصول إلى القسم التاريخي من « الحلال السندسية » لا سيما أن مؤلف هذا الكتاب قد ألفه سنة ٩٤٧ أي قبل تأليف نفع الطيب بنحو من ٩٣ سنة وكان حياً في أثناء الكاتبة الأندلسية على أثر سقوط غرناطة واحتصار حشاشة الإسلام في الأندلس كما يظهر من تاريخ كتابه . والإسبانيول يقولون لهذه القرية

Adra القرية

(٣) هي عند الإسبانيول Torre De Mélicena

(٤) هو المسمى Castillo De Ferro (٥) هي Paterna عند الأسبان

التي فاقت جميع معادن التوتية طيباً ، ومنها إلى قرية « شلبونة »^(١) ١٢ ميلا ، ومن شلبونة إلى مدينة المنكب في البحر ٨ أميال . « والمنكب »^(٢) مدينة حسنة متوسطة كثيرة مصائد السمك ، وبها فواكه جمّة ، وفي وسطها بناء مرتع قائم كالصنم أسفله واسع ، وأعلى ضيق ، وبه حفيران من جانبيه متصلان من أسفله إلى أعلاه وبأزانه من الناحية الواحدة في الأرض حوض كبير يأتي إليه الماء من نهر ميل ، على ظهر قناطر كثيرة معقودة من الحجر الصلد فيصب ماؤه في ذلك الحوض ، ويذكر أهل العرقة من أهل المنكب أن ذلك الماء كان يصب إلى أعلى المنار ، وينزل من الناحية الأخرى ، فيجري هناك إلى رحي صغيرة . كانت ، وتبي موضمه الآن على جبل مطل على البحر ، ولا يعلم أحد ما المراد بذلك ؟

ومن مدينة المنكب في البر إلى مدينة أغرناطة ٤٠ ميلا ، ومن المنكب على البحر إلى قرية « شاط »^(٣) ١٢ ميلا ، وبقريّة شاط زبيب حسن الصفة ، كبير المقدار أحمر اللون ، يصحب طعمه مرارة ، ويتجهز به إلى كل البلاد الأندلسية . وهو منسوب إلى هذه القرية . ومن قرية شاط إلى قرية « طرش »^(٤) على ضفة البحر

(١) هي عند الاسبان Salobrena والعرب تقول لها في الغالب ، شلوبانية ، ونظرا للامالة في لهجة الأندلس فقد يقولون « شلوبينية » ، وهكذا ضبطها ياقوت في معجم البلدان . وأما لسان الدين بن الخطيب فكتبها بالألف لا بالياء وسنذكر وصفه لها وقال ياقوت : هي من أعمال كورة البيرة على شاطئ البحر كثيرة الموز وقصب السكر والشاء بلوط . قال : ينسب إليها أبو علي عمر بن محمد بن عمر الأزدي النحوي إمام عظيم مقيم باشبيلية وهو حي أو مات عن قريب أخبرني خيره أبو عبد الله محمد ابن عبد الله المرسي يعرف بأبي الفضل وكان من تلاميذه . اهـ . قلت هو أبو علي الشلوبيني النحوي المشهور وكان يقال له أبو علي الشلوبين وقد مات ياقوت الحموي وهو حي بل أبو علي الشلوبين عاش بعد ياقوت ١٩ سنة لأن ياقوت مات سنة ٦٢٦ والشلوبين مات سنة ٦٤٥ بين يدي حصار الاسبانيول لاشبيلية قبل أخذهم أياها بقليل

(٢) يقول لها الاسبانيول Almunécar

(٣) شاط يقول لها الاسبانيول Jete (٤) يقول لها الاسبان Turrox

١٢ ميلا. ومنها إلى قصبة «مرية بلّيش»^(١) ١٢ ميلا، وهو حصن على ضفة البحر صغير المقدار ويصب بتقربة منه في جهة المغرب نهر الملاحه ، وهو نهر يأتي من ناحية الشمال، فيمر بالحمّة ، ويتصل بأحواز حصن صالحه^(٢) ، فيقع فيه هناك جميع مياه صالحه ، وتنزل إلى قرية « الفشاط »^(٣) وتصب هناك في غربي حصن مرية بلّش في البحر ، ومن مرية بلّش إلى قرية « الصيرة » ولها طرف يدخل في البحر ، ٧ أميال . ومن طرف قرية الصيرة إلى قرية « بزليانة »^(٤) ٧ أميال .

وهي قرية كالمدينة في مستو من الأرض ، وأرضها رمل ، وبها الحمام والفنادق وشباك يصاد بها الحوت الكثير ، ويحمل منها إلى تلك الجهات المجاورة لها ، ومن بزليانة إلى مدينة مالقة^(٥) ٨ أميال ، ومدينة مالقة مدينة حسنة عامرة أهلة ، كثيرة الديار ، متسعة الأقطار ، بهيمة كاملة سنية ، أسواقها عامرة ، ومتاجرها دائرة ، ونصمها كثيرة ، ولها فيما استدار بها من جميع جهاتها شجر التين المنسوب إلى رية وتينها يحمل إلى بلاد مصر والشام والعراق ، وربما وصل إلى الهند ، وهو من أحسن التين

(١) ان دوزي يرى في لفظة « مرية » عند عرب الأندلس معنى البرج الذي يرى ، منه أو الذي توقد فيه النار إذا طرقت العدو . فقول الإدريسي « مرية بلّش » ، معناه البرج الخاص بهذا الأمر من أبراج بلّش البحرية ويستشهد على صحة رأيه بقول البكري « مرية بجانة » ، وأما بلّش هذه فهي بلّش مالقة ويقال لها عند الأسبان Velez ويقال لهذه المرية Torre Del Marre

(٢) الأسبان يسمونه Saliha أو Zalia وقد خرب من بعد جلاء العرب عن غرناطة .

(٣) Al - Fachat

(٤) بزليانة عند الأسبانول Las Ventas De Mesmiliana

(٥) قال عنها ابن الخطيب في « معيار الاختيار » ما أقول في الدرّة الوسيطة وفردوس هذه البسيطة أشهد لو كانت يوماً لكانت عيداً في الأيام تبعث لها بالسلام مدينة السلام وتأتي لها يد الاستسلام محاسن بلاد الاسلام أي دار وقطب مدار وهالة أبادار وكنز تحت جدار الخ ، ويكتبها الأسبان Malaga وسيأتي وصفها مشبهاً

طلياً ، وعدوباً ، ولمدينة مالقة ربضان كبيران . ربض « فنتالة » ^(١) وربض « التبانين » ^(٢) وشرب أهلها من مياه الآبار ، وماؤها قريب النور ، كثير عذب ، ولها واد يجرى في أيام الشتاء والربيع ، وليس بدائم الجرى . وسنذكرها بمد هذا بحول الله تعالى وقوته .

وانرجع الآن إلى ذكر مدينة المرية فنقول : ان الطريق من مدينة المرية الى اغرناطة البيرة ، فنأراد ذلك خرج من المرية إلى « بجانة » ^(٣) ستة أميال ، ومدينة بجانة كانت المدينة المشهورة قبل المرية ، فانتقل أهلها إلى المرية ، فعمرت وخربت بجانة ، فلم يبق منها الآن إلا آثار بنيانها ، ومسجد جامعها قائم بذاته ، وحول بجانة Pechina جنات وبساتين ، ومتنزّهات وكروم ، وأموال كثيرة لأهل المرية وعلى يمين بجانة ، وعلى ستة أميال منها « حصن الحمة » ^(٤) والحمة في رأس جبل ويذكر التجولون في أقطار الأرض أن مائل هذه الحمة في المهور من الأرض وأتقن منها بناء ولا أسخن منها ماء ، والمرضى والمؤمنون يقصدون إليها من كل الجهات فيلزمون المقام بها إلى أن تستقلّ عليهم ، ويشفوا من أمراضهم وكان أهل المدينة في أيام الربيع يدخلون إليها مع نسائهم وأولادهم باحتفال من المطاعم والمشارب والتوسع في الاتفاق وربما بلغ المسكن بها في الشهر ثلاثة دنانير مرابطية ، وأكثر وأقل . وجبال هذه الجهة كلها حصنٌ يحترق ويحرق ، وينقل إلى المرية ، وبه جميع عقد بنيانهم ويخصيصهم ، وهو بها وعندهم كثير ، رخيص لكثرتهم . ومن مدينة بجانة إلى قرية « بني عبدوس » ^(٥) ٦ أميال ، ومنها إلى حصن « مندوجر » ^(٦) ٦ أميال ، وبه المنزل

(١) ربض فنتانة في مالقة يقول له الاسبازول Fontanella

(٢) ربض التبانين أى أصحاب التبن

(٣) Bachana أو Bechina

(٤) الحمة التى هى هنا هى Al Hamma

(٥) بنى عبدوس يكتبها الإسبازول Benabdoux (٦) Monto - jar

لمن خرج من الرية ، وهي مرحلة خفيفة . وحصن مندوجر على جبل تراب أحمر ، والجبل على ضفة نهر ، والمزل في القرية منها ، ويبيع بها للمسافرين الخبز والسلك ، وجميع الفواكه ، كل شيء منها في إبانته . ثم إلى حمة « غشّر »^(١) ثم إلى الحمة المنسوبة إلى « وشن »^(٢) ، ومنها إلى « مرشانة »^(٣) ، وهو على مجتمع النهرين ، وهو من أمنع الحصون مكاناً ، وأوثقها بنياناً ، وأكثرها عمارة ، ومنها إلى قرية « بلدوذ »^(٤) ، ثم إلى « حصن القصير »^(٥) ، وهو حصن منيع جداً ، على فم مضيق في الوادي ، وليس لأحد جواز إلا بأسفل هذا الحصن ، ومنه إلى خندق « فيبر »^(٦) ، ثم إلى « الرتبة »^(٧) ، ثم إلى قرية « عجلة »^(٨) ، وبها المزل . ومن قرية عجلة إلى حصن « فيانة »^(٩) ، ثم إلى قرية « حنصل »^(١٠) ، ثم إلى أول حصن عجلة ، وطول هذا الفحص ١٢ ميلاً ، وليس به عوج ولا أمت ، وعن شمال المار جبل شلير الثلج ، وفي حضيض هذا الجبل حصون كثيرة ، منها حصن « فريرة »^(١١) ينسب إليها الجوز ، وذلك أن بها من الجوز شيئاً ينفرط في غير رض ولا يبدله في طعمه شيء . من الجوز من غيرها من الأقطار

ومن حصن هذا الجبل حصن « دِلر »^(١٢) ، وبه من الكثرى كل عجيبة ، وذلك أن الكثرى به يكون منها في وزن الحبة الواحدة رطل أندلسي ، وأما الأعم

(١) هذه الحمة عرفها دوزي بأنها حمة أوجيجر Hamma Ujjar

(٢) أما حمة « وشن » ، فلم يعرفها ورجح نصيف الاسم

(٣) Merchena قال في دليل يدبكر : مرشانة مدينة قديمة جداً أهلها اليوم ١٢ ألف نسمة مبنية في مكان مرتفع حولها أسوار مشعنة فيها قصور أدواق أركوس « اركش » وهي ملق بخلط الحديد بين غرناطة واشيلية

(٤) هي بالأسباني Bolud (٥) Al - Kosair

(٦) خندق فيبر هو Fabair

(٧) Arrataba (٨) Abla (٩) Finana

(١٠) Conçol (١١) Ferreira (١٢) Dilar

منها فكثرتان فيرطل واحد ، ولها مذاق عجيب . ومن آخر فخص عبلة إلى خندق آس ، ثم إلى مدينة وادي آس ^(١) وهي مدينة متوسطة المقدار ، ولها أسوار محدقة ، ومكاسب مؤقفة ، ومياه متدفقة ، ولها نهر صغير دائم الجرى ، ومنها إلى قرية « دشمة » ^(٢) وبها المنزل . ومنها إلى « الرتبة » ثم إلى قرية « أفرافيدة » ^(٣) ثم إلى قرية « وده » ^(٤) وهي قرى متصلة . ومنها إلى مدينة أغرناطة ٨ أميال . ومدينة وادي آس رصيف يجتمع به طرق كثيرة ، فن أراد منها مدينة بسطة خرج منها إلى جبل عاصم ^(٥) ثم إلى قرية . . . ^(٦) إلى مدينة بسطة ^(٧) وبينهما ٣٠ ميلا . ومدينة بسطة متوسطة المقدار ، حسنة الموضع ، عامرة أهلة ، لها أسوار حصينة ، وسوق نظيفة وديار حسنة البناء ، رائحة المعنى ، وبها تجارات وفعلة لضروب من الصناعات ، وعلى

(١) Guadix وهي من مشهورات مدن الاندلس قال عنها لسان الدين : هي مدينة الوطن ومناخ من عبر أو قطن للناس ماظهر والله مايطن وضع شديد وبأس شديد ومعدن حديد ومحل عدة وعديد وبلد لا يعتل فيه إلا النسب ومرأى يخجل منه الصباح الوسيم كثيرة الجداول والمذاب منخضرة الجوانب إلى الفواكه الكثيرة والكروم الاثيرة والسقي الذي يسد الحلة ويضاعف الفلة وسندها (مكان من جبلها وسند الجبل هو مادانا منه) معدن الحديد والحريز ومقلها أهل للتاج والسرير وهي دار حساب وارث واكتساب وماؤها مجاج الجليد وهوؤها يذكي طبع البلبد إلا أن ضعيفا يضيق عليه المعاش وناقها يتعذر عليه الاتعاش وشيخها يخطو على قصبه الارتعاش فهي ذات برد وعكس وطرده الخ وسنقى إن شاء الله بوصفها

(٢) هي دجمة أو دشمة لا فرق كما يقال أرجدونة وارشدونة والأسباب

يكتبونها Déchima (٣) Afraferida

(٤) هي بالاسبانيولى Wod

(٥) لم يعرفه دوزى ولا نحن عرفنا عنه إلا أنه جبل عاصم .

(٦) يورا : يروا : فروا : بروه غير محقق هذا الاسم

(٧) الاسبانيولى يقولون بازه Baza وهي مدينة قديمة وقد ازدهرت كثيرا في

أيام العرب وسكانها الآن ١٤ ألف نسمة قال لسان الدين عن هذه البلدة : « بسطة بلد

مقربة منها حصن « طشكر »^(١) الذي فاق جميع حصون الأندلس منعة ، وعلواً ورفعة ، وطيب تربة وهواء . وليس لأحد موضع يصمد منه الى هذا الحصن إلا موضعان ، وبين الموضع والموضع ١٢ ميلا ، على طرق مثل شراك النمل ، ومدارج النمل ، وبأعلاه الزرع والضرع والحصاد والمياه ، واليه الانتهاء في الخصب وجودة الحصانه . وكذلك من وادى آش إلى جيان ثلاث مراحل خفاف

ومدينه جيان^(٢) حسنة كثيرة الخصب ، رخيصة الأستار ، كثيرة اللجوم والصل ، ولها زائد على ثلاثة آلاف قرية كلها يربى بها دود الحرير ، وهى مدينة كثيرة العيون الجارية تحت سورها ، ولها قصبه من أمنغ القصاب وأحصنها يرتقى إليها على طريق مثل مدرج النمل ، ويتصل بها جبل « كور »^(٣) . وبمدينة جيان

خصيب ومدينة لها من اسمها نصيب (أى بسطة) دوحها متدلل وطيب هوائها غير متبدل وناهيك من بلد اختص أهله بالمران في معالجة الزعفران وامتازوا به عن غيرهم من الجيران يتخلل مدينتها الجدول المتدافع للغال النافع ، ثياب أهلها بالعير تتأرجح وحوورها تتجلى وتتبرج وولدانها في شط أنهارها المتعددة تنفرج ولها الفحص الذى يسافر فيه الطرف سعيا ولا تعدم السائمة به ربا ولا رعيا والله در القاتل :

فى بادة عودت نفسى بها إذ فى اسمها طه وباسين

الجأنى الدهر إلى عالم يؤخذ منه العلم والدين

إلا أن تربتها تفضح البناء ، وإن صحبه الاعتناء ، فأسوارها تسجد عند الإقامة ، وخذقها لا كسارها تلقاة ، ورباها عاصفة ، وعودها قاصفة ، والعدو فيها شديد الفتكات ، معمل الحركات ، وساكنها دائم الشكاة ، وحدها قليل ، وعزيزها لتوقع المكروه دليل اه قال هذه الجبل الاخيرة لأنها يوم وصفها ابن الخطيب كانت ثغراً من نفور غرناطة . وقتها فرد بناند وازبالا سنة ١٤٨٩ قبل فتحها غرناطة باربمع سنوات ولا تزال المدافع التى فتحها بها مروضه وكنيستها سان مكسيمو هى فى مكان المسجد الجامع ولا تزال آثار القصر العزبى دار الحكومة ماثلة والخط الحديدى يمر منها إلى وادى آش بين شارات بسطة وجبلكون وبدور حتى لا ينزل إلى الوادى العميق المسمى بالنور Gor (١) بقول له الاسبانول Tixcar (٢) سيرد ذكرها والاسبانول يقولون

ليجان خيان على عادتهم فى قلب الجيم خاه (٣) Cour

بساتين وجنات ، ومزارع وغللات القمح والشعير والباقلاء وسائر الحبوب ، وعلى ميل منها نهر « بلون » ^(١) وهو نهر كبير ، وعليه أرحاب كثيرة جداً ، وبها مسجد جامع وجملة وعلماء . ومن مدينة جيان إلى مدينة « يياسة » ^(٢) ٢٠ ميلاً ، وبياسة تظهر من جيان ، وجيان تظهر من يياسة ، وبياسة على كدية ^(٣) تراب مطلة على على النهر الكبير المنحدر إلى قرطبة ، وهي مدينة ذات أسوار وأسواق ومتاجر ، وحوها زراعات ، ومستنلات الزعفران بها كثيرة . ومنها إلى « أبدة » ^(٤) في جهة الشرق ٧ أميال وهي مدينة صغيرة ، وعلى مقربة من النهر الكبير ، لها مزارع وغللات قمح وشعير كثيرة جداً ، وفيها بين جيان وبسطة ووادي آش حصون كثيرة ، عامرة بمدنة أهلة ، لها خصب وغللال نافسة كثيرة ، فمن ذلك أن بشرق جيان وقبالة يياسة حصناً عظيماً يسمى شوذر (Joder) وإليه ينسب الخلاط الشوذري ^(٥) ومنه في الشرق إلى حصن « طوية » ^(٦) ١٢ ميلاً ، ومنه إلى حصن « قيشاطة » ^(٧) وهو حصن كالمدينة له أسواق وربض عامر ، وحمام وفنادق ، وعليه جبل يقطع به من الخشب التي تخرط منه التصاع والحجابي والأطباق وغير ذلك ، مما يعم بلاد الاندلس وأكثر بلاد المغرب أيضاً . وهذا الجبل يتصل ببسطة ، وبين جيان وهذا الحصن مرحلتان ، ومنه إلى وادي آش مرحلتان ، ومنه إلى أغرناطة . مرحلتان ومن وادي آش المتقدم ذكرها إلى أغرناطة ٤٠ ميلاً

Guadabellon (٤)

(٢) والاسبانول يكتبونها Baeza وسيأتي ذكر هذه المدن كلها

(٣) العرب يقولون كدية للتراب الغليظ الصلب

(٤) Ubeda بلدة قديمة من زمن اليبيريين لكنها الآن ساطة

(٥) لم يعرف دوزي ماهو الخلاط الشوذري ؟ ولا نحن عرفناه إلا أن يكون

محرفاً عن الخليط وهو شراب من تمر وزبيب ويكون أهل هذا البلد يتقونونه فاشتهر بهم

(٦) Toyo (٧) بالاسبانولي « كيساده » Quesada والخط الحديدي

يمتد من يياسة إلى ابدة إلى شوذر إلى قيشاطة

ومدينة اغرناطة محدثة من أيام الثوار بالأندلس ، وإنما كانت المدينة المقصودة البيرة (Vera) ، فخلت وانتقل أهلها إلى اغرناطة ، ومدنها وحصن أسوارها وبنى قصبها حيوس الصنهاجي ^(١) ، ثم خلفه ابنه بادس بن حيوس ، فكلت في أيامه وعمرت إلى الآن . وهى مدينة يشقها نهر يسمى « حدرّو » ^(٢) وعلى جنوبها نهر الثلج المسى « شنيل » ^(٣) ومبدأه من جبل شلير ، وهو جبل الثلج ، وذلك أن هذا الجبل طوله يومان وعلوه فى غاية الارتفاع ، والثلج به دائماً فى الشتاء والصيف : ووادى آش واجرناطة فى شمالى الجبل ، ووجه الجبل الجنوبى مطلق على البحر ، يرى من البحر على مجرى (... يياض بالأصل) ونحوه وفى أسفله من ناحية البحر برجة ودلاية ، وقد ذكرناها فى ما سبق . ومن اغرناطة إلى مدينة المنكب على البحر ٤٠ ميلا ، ومن اغرناطة إلى مدينة « لوشة » ^(٤) مع جرية النهر ٢٥ ميلا . ومن المنكب إلى مدينة الرية ١٠٠ ميل فى البحر ، ومن المنكب إلى مدينة مالقة ٨٠ ميلا .

ومدينة مالقة مدينة حسنة حصينة ويلوها جبل يسمى جبل « فأره » ^(٥) ، ولها قصبة منيعة وريضان ، لأسوارها ، وبها فنادق وحمامات ، وبها من شجر التين ما ليس بأرض ^(٦) ، وهو التين المنسوب إلى رية . ومالقة قاعدة رية ، ومن مالقة

(١) سياتى خبره فى باب التاريخ .

(٢) الاسبانول يقولون له « درّو » Darro . Xenil (٣)

(٤) الاسبانول يقولون : لوجه ويسمونها بسان فرنيسكر وموقعها جميل فى سفح جبل على الضفة الجنوبية من نهر شنيل وكانت أعمر مما هى الآن فى أيام العرب وكان يقال أن لوشة والحة هما مفتاحا غرناطة . وقد استولى فرديناند وإيزابله على لوشة بمساعدة جيش من الانكاييز وذلك سنة ١٤٨٨ ولا تزال فى لوشة بقايا آثار العرب (٥) الاسبانول يقولون للاكة التى عليها حصن مالقة Gibral - Faro وليس بينه وبين البحر إلا مسافة أمتار معدودة وقد صعدت إلى هذا الحصن ورأبته لا يزال على ما كان أيام العرب . (٦) قال الشاعر :

مالقة حيث يا تينها السفن من أجلك يا تينها

(٩ - ج أول)

إلى قرطبة في جهة الشمال أربعة أيام ، ومن مالقة أيضاً إلى غرناطة ٨٠ ميلا . ومن مالقة إلى الجزيرة الخضراء مائة ميل ، ومن مالقة إلى اشبيلية خمسة مراحل ، ومن مالقة إلى « مَرْبَلَة » ^(١) في طريق الجزيرة الخضراء ٤٠ ميلا ، ومَرْبَلَة مدينة صغيرة متحصّرة ، ولها عمارات وأشجار تين كثيرة ، وفي الشمال منها قلعة « بُدَشْتَر » ^(٢) ، وهي قلعة في نهاية الامتناع والتحصين ، والصمود إليها على طريق صعب .

وأما ما بين مالقة وقرطبة من الحصون المائنة التي هي حواضر في تلك النواحي فمنها مدينة « ارشدونه » ^(٣) و « انتقيرة » ^(٤) ، وبينها وبين مالقة ٣٥ ميلا . وكانت ارشدونة هذه وانتقيرة مدينتين أخلطهما الفتن في زمان التوار بالأندلس . بعد دولة ابن أبي عامر القائم لدولة بني أمية . ومن ارشدونة إلى حصن « اثير » ^(٥) ٢٠ ميلا وهو حصن حسن حصين ، كثير العمارة أهل ، وله سوق مشهورة ، ومنه إلى باغُه ^(٦) ١٨ ميلا ، وباغُه مدينة صغيرة القدر ، لكنّها في غاية الحسن ، لكثرة مياهاها ،

نهي طيبي عنه في علقى ما لطبيبي عن حياى نهي ا

(١) هي Marbella على الطريق بين مالقة والجزيرة الخضراء وقد قطعنا هذه الطريق بالسيارة الكهربائية والذي أتذكره أنا بقينا ساعت من مالقة إلى الجزيرة

(٢) يقول لها الاسبانيول Barbaxter أو Bobastro .

(٣) وقد يكتبها العرب بالجيم أى أرجدونه وهكذا جاءت في معيار الاختبار ، لابن الخطيب الذي مجاها مجواً مرأ قال : شر دار ، وطلل لم يبق منه الاجدار ، وقومها ذور بطر وأثر ، وشيوخها تيموس في مسالخ البشر ... الخ

(٤) Outequera بلدة في سفح شارات توركالس بديمة الموقع وهي بلدة زراعية فيها من السكان ٢٣ ألفا وفي رأسها حصن عربي قديم وفيها برج يسمى اليوم بلوطة وقرب هذه البلدة كانت الواقعة التي هزم فيها أبو عبد الله الرغل سلطان غرناطة جيشا اسبانيولياً بقيادة سيفونتس وأغيلار وذلك سنة ١٤٨٣ .

(٥) الاسبانيول يكتبون هذا الاسم هكذا : Isnajar

(٦) اسم هذه البلدة في القديم اياغنوم Epagnumm والعرب كانوا يقولون لها باغه والاسبانيول اليوم يقولون لها Priego

والماء يشق بلدها ، وعليه الأرحاء داخل المدينة ، ولها من الكروم والأشجار ما لا مزيد عليه ، وهي في نهاية الخصب والرخاء . ويلبها في جهة المشرق الحصن المسمى « بالقبذاق » ^(١) وبينهما مرحلة خفيفة ، وحصن القبذاق كبير عامر ، وهو في سفح جبل ينظر إلى جهة الغرب ، وبه سوق مشهورة ، ومنه إلى حصن « بيانة » ^(٢) مرحلة صغيرة ، وبيانة حصن كبير في أعلى كدية تراب ، قد حمت بها أشجار الزيتون الكثيرة ، ولها مزارع المنطة والشعير . ومن حصن بيانة إلى « قبرة » ^(٣) مرحلة خفيفة . وحصن قبرة كبير كالمدينة حصين السكان ، وثيق البنيان ، وهو على متصل أرض وطيئة وعمارات ومزارع . ومنه إلى مدينة قرطبة ٤٠ ميلا ، ويتصل به بين جنوب وغرب مدينة « اليسانة » ^(٤) وهي مدينة اليهود ، ولها روض يسكنه المسلمون وبعض اليهود ، وبه المسجد الجامع ، وليس على الروض سور ، والمدينة مدينة متحصنة بسور حصين ، ويطوف بها من كل ناحية حفير عميق القعر والسروب ،

(١) بالاسبانيولى Alcabdzac ويقولون أيضا Alkaudette

(٢) إذا جاء المسافر من جيان إلى غرناطة بالسيارة مر بوادي « غواردية » الذي هو إلى الجنوب الشرق ثم أنه يمر بشارت « اليسانة » ثم بشارت الأنوار حيث هناك منظر جميل من جهة جبل الثلج شليز ثم يمر بشارت البيرة حتى ينتهي إلى مرج غرناطة وأما الخط الحديدى فيمر بغياض الزيتون الخاصة بجيان وينتهي إلى بلدة يقال لها الدون جيمينو ثم يصل إلى « مرتوس » ثم إلى بلدة يقال لها « الكوديت » (ويقال لها القبذاق) ثم يمر بالناحية التي يسبقها وادى الحوز Guadajoz ثم يصل إلى « لك » وديانة « Luque - Baena » فلك هي Luque قرية إلى الشمال وأما يانة Baena فهي إلى الجنوب وهي بلدة سكانها ١٥ ألفاً . ومن هناك يمر الخط ببلدة « قبرة » ، Cabra وأصل اسمها في القديم « ابغاروم » ، سكانها ١١ ألف نسمة موقعا جميل وهي على الصبب الشمالى من شارت قبرة . ثم يقطع الخط نهر قبرة وشارتها فيصل إلى اليسانة Lucena وهي اليوم بلدة سكانها ٢١ ألفاً

(٣) تقدم ذكره قبرة ، مع يانته واليسانة .

(٤) تقدم ذكرها في هذه الصفحة نفسها

وفائض مياهها قد ملأ الحفير ، واليهود يسكنون بجوف المدينة ، ولا يداخلهم فيها مسلم البتة وأهلها أغنياء مياسير ، أكثر غنى من اليهود الذين بسائر بلاد المسلمين ، ولليهود بها تحذّر وتحصن من مضدّهم . ومن اليسانة إلى مدينة قرطبة ٤٠ ميلا ، وبلى هذه الحصون حصن « بلای » ^(١) Aguilar De La Frontera وحصن « مُنْتَرُك » ^(٢) وهى فى ذاتها حصون يسكنها البربر من أيام الأمويين ، ومن حصن بلای إلى مدينة قرطبة ٢٠ ميلا ، وبالتقرب من بلای حصن « شنت » ^(٣) ياله « وهو حصن على مدّرة ، والماء منه بعيد . ومنه إلى استجة ^(٤) فى الغرب ١٥ ميلا . ومن حصن شنت ياله

(١) وهو Aguilar De La Frontera

(٢) يقول الاسبانيول لهذا الحصن Monturque

(٣) Santa Ella

(٤) الاسبانيول يقولون اسيجه Eciga والخط الحديدى يخرج من قرطبة إلى وادى الجوز Guadajoz ثم إلى « وادى القصر » ثم إلى « كرلوطه » ثم إلى استجة التى هى على ٥٦ كيلو متراً من قرطبة وكان الرومان يقولون لها استيجى Astigi وكان لها عظمة فى زمان الرومانيين وأما الآن فهى بلدة صناعية سكانها ٢٢ ألف نسمة وشوارعها لا تزال ضيقة كشوارع المدن العربية وحرها شديد فى الصيف وهذا هو السبب فى ضيق شوارعها . وأما ضواحيها فعلى خصبٍ عظيم وعلى مقربة منها بلدة يقال لها « لوبزبانة » ثم إن الخط الحديدى على مائة كيلومتر من قرطبة يصل إلى مدينة « مرشانة » Marchena وهى بلدة قديمة جداً مبنية على محل عال وحوها أسوار وعلى ١٠٨ كيلومترات بلدة يقال لها « بردى » Paradas وبعدها بلدة يقال لها الرحل Arahal وعلى مسافة ١٢٨ كيلومتراً يصل الخط إلى « مورور » وهى على « وادى ياره » ويوجد بقرب شارات مورور حصن عربى ومقاطع للسر . ثم يصل الخط إلى أنزيرة Utrera ثم إنه من أشيلة إلى أنزيرة يقطع وادى ياره Guadaira بازاء الوادى الكبير فيمر بمكان يقال له حصن الفرح Aznalfarache ثم ببلدة « كورية » وأما أنزيرة فبلدة فيها ١٥ ألف نسمة أهلها زراعى ورعاة أغنام . ومن أنزيرة يذهب الخط فى سهول الوادى الكبير فيمر ببلدة يقال لها « قطرلة » ثم ببلدة يقال لها عند الاسبانيول « لبريجه » وكان العرب يقولون لها « نريشة » وأهلها ١١ ألف

إلى قرطبة ٢٣ ميلا . ومدينة استجة على نهر أغرناطه المسمى شنيل وهي مدينة حسنة ولها قنطرة عجيبة البناء من الصخر المنجور ، وبها أسواق عامرة ، ومتاجر قائمة ، ولها بساتين وجنات مائفة ، وحدائق زاهية . ومن استجة إلى قرطبة ٣٥ ميلا ومن استجة في جهة الجنوب إلى حصن اشونة^(١) نصف يوم . وحصن أشونة حصن بمدن كثير الساكن ومنه إلى « بلشانة » Belicena ومدينة بلشانة Belicena حصن كبير عامر ، له حصانة وثيقة . يحيط به شجر الزيتون . ومن استجة إلى مدينة قرمونه Carmona ٤٥ ميلا ، وهي مدينة كبيرة يضاها سورها سور اشيلية وكانت فيها سلف بأيدي البرابر ، ولم يزل أهلها أبدا أهل نفاق ، وهي حصينة على رأس جبل حصين منبع ، وهي على فحس ممتد ، جيد الزراعات ، كثير الاصابة في الحنطة والشعير ومنه في الغرب إلى اشيلية ١٨ ميلا ، وقد ذكرنا اشيلية فيما سبق . ومن مدينة قرمونه إلى شريش Jerez من كورة شذونه Sidonia ٣ مراحل . وكذلك من مدينة اشيلية إلى شريش مرحلتان كبيرتان جداً

نسمة ولها كنيسة أصلها جامع . ومنها يمر المسافر بمكان يقال له الكرفو Elcurvo فيرى آثار حصن عربي قديم يقول له الاسبانيول « ملغاريجو » Melgarejo ومن هناك يصل إلى « شريش » ، والاسبانيول يسمونها خريس Jerez وذلك لأنهم يلقبون الجيم والشين خاءا وسبأني الكلام على شريش في مكانه

(١) عند الاسبانيول أوسينا Ossuna يخرج المسافر من قرطبة بالفطار الحديدي القاصد إلى مالقة فيمر على جسر فوق الوادي الكبير طوله ٢٠٠ متر ويحترق ناحية « كامينا » Campina التي يسقيها وادي الجوز وبعد مسافة ٥٠ كيلو مترا يمر ببلدة « ممبلة » Momtilla ثم ببلدة « منت ميور » Montemayor ثم يتقدم إلى مدينة « اغيلار » Agiler وفيها حصن عربي هو حصن بلاي ثم يمر على بحيرتين اسم إحداهما « زونار » ، والأخرى « رينكون » ، وبالقرب منهما حصن عربي قديم وعلى مسافة ٧٦ كيلو مترا بلدة « بنت شنيل » ، وعلى مسافة ١٠٠ كيلو متر بلدة الروضة Roda وفيها ملتح الحطابين الحديديين خط غرناطة - مالقة وخط اشيلية - قادس . وكل هذه التواحي ملأى بشجر الزيتون ومن الروضة يذهب الخط الحديدي إلى مرشانة ثم إلى أشونة وهي بلدة رومانية قديمة أعطاهما قيصر حقوق المدن الرومانية

ومدينة شريش متوسطة حصينة مسورة الجنات ، حسنة الجهات ، وقد أطافت بها السكروم الكثيرة ، وشجر الزيتون والتين ، والحنطة بها ممكنة ، وأسماها موافقة ومن شريش إلى جزيرة قادس Cadix ١٢ ميلا فن شريش إلى القناطر ٦ أميال ، ومن القناطر إلى جزيرة قادس ٦ أميال ، ومن اشبيلية المتقدم ذكرها إلى قرطبة ٣ مراحل ولها ٣ طرق طريق « الزنجبار » Az - Zanbadjar وطريق « لورة » Lora وطريق الوادي ، فأما طريق الزنجبار فقد ذكرناها ، وهي من اشبيلية إلى قرمونة مرحلة . ومن قرمونة إلى استجة مرحلة . ومن استجة إلى قرطبة مرحلة . وأما طريق لورة فن اشبيلية إلى منزل « أبان » Aban ثم إلى « رلش » Marlich ثم إلى حصن « القليعة » Coléa وبه المنزل ، وعند مسيرك من مرلش إلى القليعة تبصر حصن قطنيانه Cantillanna على الشمال والمنزل القائمة وهي ضفة النهر الكبير ، يجاز إليها في المركب ، ومن حصن القليعة إلى النيران^(١) إلى حصن لورة ، وهو يبعد عن الطريق نحو رمية سهم ، وعلى يمين المار حصن كبير عامر ، على ضفة النهر الكبير ، ومن لورة إلى قرية « صدف »^(٢) ويقابلها على يسار السالك على جبل عال حصن منيع ، وقلعة متحصنة تسمى « شدت فيلّة »^(٣) وهي معقل لابن بر من قديم الزمان .

(١) هذه التي يقول لها ابن حوقل « غرغيرة ،

(٢) الصدف ككتف بطن من كندة قال الزبيدي في تاج العروس في شرح القاموس : ينسبون اليوم إلى حضرموت وإذا نسبت اليهم قلت هو صدفى محركة كرافة الكسرة قبل ياء النسب قاله ابن دريد وأشد :

يوم لهدان ويوم للصدف وتيمم مثله أو تعترف

وقال غيره : هو صدف بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمر بن وائل بن العوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميص بن حمير ابن سبأ . وينسب إليه خلق من الصحابة وغيرهم وقد نزلوا بمصر واختلطوا بها ومنهم يونس بن عبد الأعلى الصدفى وغيره اه . وهذه القرية في الأندلس نزلها أناس من الصدف وعمرت بهم فقبل لها الصدف

(٣) الاسبانيول يقولون لها : Siete Filla

ومن صدف إلى قلعة « ملبال »^(١) وهي على نهر ملبال وهو نهر مدينة « فرنجلوش »^(٢) ومن هذه القنطرة إلى مدينة فرنجلوش ١٢ ميلا . ومن القنطرة إلى قرية « شوشبيل »^(٣) وهي قرية كبيرة على نهر قرطبة المسمى بالنهر الكبير ، ومنها إلى « حصن مراد »^(٤) وبه المنزل ، ومن حصن مراد إلى الخنادق إلى حصن المدور ، ثم إلى السواني^(٥) ثم إلى قرطبة ، وهي المنزل . وبين أشبيلية وقرطبة ٨٠ ميلا على هذا الطريق ، ومن حصن المدور الذي ذكرناه إلى فرنجلوش ١٢ ميلا ، وهي مدينة حصينة منيعة ، كثيرة الكروم والأشجار ، ولها على مقربة منها معادن الفضة ، بموضع يعرف بالمرج ، ومنها إلى حصن « تسنطينة »^(٦) الحديد ١٦ ميلا ، وهذا الحصن حصن جليل ، عامر أهل ، وبجباله معادن الحديد الطيب المتفق على طيبه وكثرته ، ومنه يتجهز إلى جميع أقطار الأندلس ، ويقرب منه حصن « فريش »^(٧) وبه مقطع للرخام الرفيع الجليل الخطير ، المنسوب إليه ، والرخام الفريشي أجل الرخام بياضاً وأحسنه ديباجا ، وأشدّه صلابة ، ومن هذا الحصن إلى « جبل الميون »^(٨) ٣ مراحل خفاف ، ومن شاء المسير إلى قرطبة أيضاً من إشبيلية ركب المراكب ، وسار صاعداً في النهر إلى أرحاء « النرداة » ، إلى عطف منزل « ابان » ، إلى « قطنيانة » ، إلى « لورة » ، إلى حصن « الجرف » ، إلى « شوشبيل » ، إلى

(١) لم يعرفها دوزي ولا عرفناها نحن

(٢) الاسبانيول يقولون لفرنجلوش Hornachuelos

(٣) Chouchabil

(٤) هذا الحصن اسمه عند الاسبان Mratalla

(٥) الاسبانيول أخذوا اللفظة السانية فيما أخذوه من لغة العرب وهي الآلة الرافعة

للإهواء وأصلها القرب مع أدواته والسانية أيضاً الناقه يستقى عليها من البئر من فعل سنا

ارتفع ويقال أيضا سناوت الباب فتحته . والاسبانيول يكتبون السانية : Acéna

(٦) قسنطينة الحديد Constantine De Fer

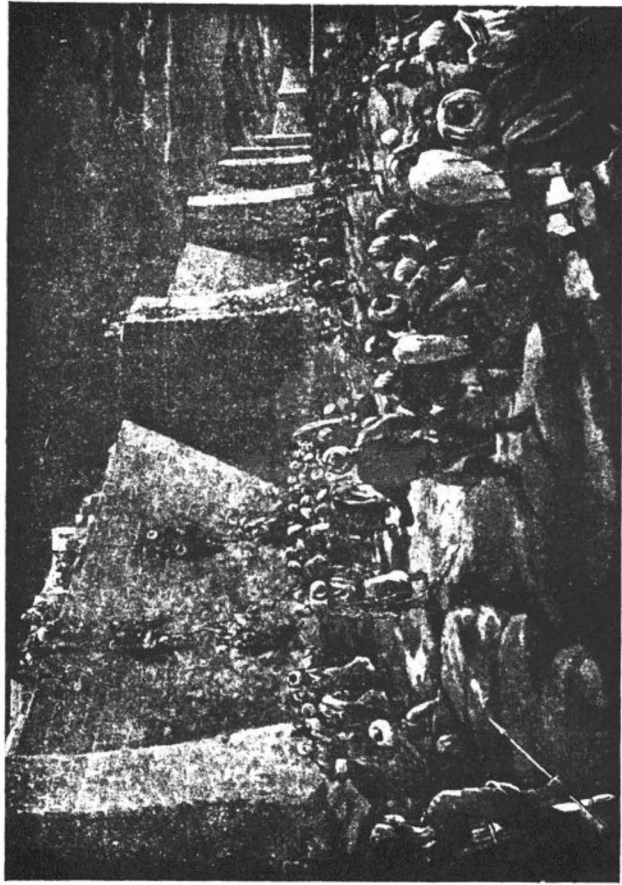
(٧) Firriche (٨) Gibratéone

موقع نهر « ملبال » ، إلى حصن « المدور » ، إلى « وادي الرمان » ، إلى أرحاء « ناصح »^(١) إلى قرطبة ، ومدينة قرطبة قاعدة بلاد الأندلس ، وأم مدينتها ، ودار الخلافة الاسلامية .

وفضائل أهل قرطبة أكثر وأشهر من أن تذكر ، ومناقبهم أظهر من أن نستر ، وإلهم الانتهاء ، في السناء والبهاء ، بل هم أعلام البلاد ، وأعيان العباد ، ذكروا بصحة المذهب ، وطيب المكسب ، وحسن الزي في الملابس والمراكب ، وعلو الهمة في المجالس والمراتب ، وجميل التخصص في المطاعم والمشارب ، مع جميل الخلائق ، وحميد الطرائق ، ولم تخل قرطبة قط من أعلام العلماء ، وسادات الفضلاء ، وتجارها مياسير ، لهم أموال كثيرة ، وأحوال واسعة ، ولهم مراكب سنية ، وهم عليّة ، وهي في ذاتها مدن خمس ، يتلو بعضها بعضاً ، بين المدينة والمدينة ، سور حاجز ، وفي كل مدينة ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمامات وسائر الصناعات ، وفي طولها من غربتها إلى شرفها ٣ أميال ، وكذلك عرضها من باب القنطرة إلى باب اليهود بشمالها ميل واحد . وهي في سفح جبل مطّل عليها يسمى جبل العروس ، ومدينتها الوسطى هي التي فيها باب القنطرة .

وفيه المسجد الجامع ، الذي ليس بمسجد المسلمين مثله ، بنية وتنميكا ، وطولا وعرضا ، وطول هذا الجامع مائة باع مرسلّة ، وعرضه ٨٠ باعا^(٢) ، ونصفه مسقف

(١) Nacih (٢) يقول دوزي نقلا عن لابورد Laborde في كتابه وصف أسبانية : Description De L'Espagne : إن طول مسجد قرطبة في حالة الحاضرة هو ٦٢٠ قدماً وعرضه ٤٤٠ قدماً وهكذا قرر ماندوس Mandoz في كلامه عن هذا المسجد . وكان فيه أيام العرب ١٤٠٠ سارية أما الآن فهي ٨٥٠ سارية لا غير كما قال البارون شاك Schack قلت : أخبرني المهندس هرنانديز الذي كان دليلي في قرطبة وهو من الموكلين بالجامع الأعظم أن طول المسجد هو ١٧٥ متراً وأن عرضه ١٢٥ متراً وأخذ القلم وحسب ذلك بالترييح فوجد أن المسقف والصحن يتسعان لثمانين ألف مصل أما لافي بروفتسال المستشرق الافرنسي صاحب « أسبانية المسلة



عساكر العرب في حصار قرطبة وم يتسلقون جدرانها سنة ٧١٢ ب. م.

ونصفه صحن للهواء ، وعدد قِصِيٍّ مُتَقَفِّهِ ١٩ قوساً ، وفيه من السواري ، أغنى سواري مُتَقَفِّهِ ، بين أعمدته ، وسواري قِبَلَتِهِ ، صغاراً وكباراً ، مع سواري القبة الكبرى وما فيها : ألف سارية . وفيه ١١٣ ثُرِيّاً للوقيد ، أكبرها واحدة منها تحمل ألف مصباح ، وأقلها تحمل ١٢ مصباحاً . وسقفه كله سماوات خشب مسطرة في جوائز سقفه ، وجميع خشب هذا المسجد الجامع من عيدان الصنوبر الطرطوشي^(١)

في القرن العاشر . فقال إن : طول المسجد هو ١٨٠ متراً وعرضه ١٣٠ وسنذكر فيما سيأتي أثناء الكلام على قرطبة كل ما يتعلق بهذا المسجد

(١) الصنوبر الطرطوشي مضرب الأمثال في الصلابة والثبات هذا وقد نقل المقرئ في الفتح كلام الادريسي هنا ملخصاً فقال : وقال بعض المؤرخين حين ذكر قرطبة ما ملخصه : هي قاعدة بلاد الأندلس ودار الخلافة الإسلامية ، وهي مدينة عظيمة وأهلها أعيان البلاد وسراة البلاد في حسن المأكل والمشرب والملابس والمراكب وعلو المهتم وبها أعلام العلماء ، وسادات الفضلاء ، واجلاد الغزاة وأنجاد الحروب ، وهي في تقسيمها خمس مدن يتلو بعضها بعضاً ، وبين المدينة والمدينة سور عظيم حاجز ، وكل مدينة مستقلة بنفسها ، وفيها ما يكفي لأهلها من الحمامات والأسواق والصناعات ، وطول قرطبة ثلاثة أميال في عرض ميل واحد ، وهي سفح جبل مطل عليها ، وفي مدينتها الثالثة وهي الوسطى القنطرة والجامع الذي ليس في معمور الأرض مثله ، وطوله مائة ذراع في عرض ثمانين . وفيه من السواري الكبار ألف سارية ، وفيه مائة وثلاثة عشر ثورياً للوقود ، أكبرها تحمل ألف مصباح . وفيه من النقوش والزقوم ما لا يقدر أحد على وصفه . وبقبلته صناعات تدعش العقول ، وعلى فرجة المحراب سبع قسيّ قائمة على عمد ، طول كل قوس فوق القائمة ، قد تحير الروم والمسلمون في حسن وضعها . وفي عضادتي المحراب أربعة أعمدة اثنتان أخضران ، واثنتان لازورديان . ليس لهما قيمة ، لفاستهما ، وبه منبر ليس على معمور الأرض أنفس منه ولا مثله في حسن صنعه ، وخشبه ساج وآبنوس وبقم وعود قافلي ، ويذكر في تاريخ بني أمية أنه أحكم عمله ونقشه في سبع سنين ، وكان يعمل فيه ثمانية صناع ، لكل صانع في كل يوم نصف مثقال نحدي ، فكان جملة ما صرف على المنبر لا غير عشرة آلاف مثقال وخمسون مثقالاً . وفي الجامع حاصل كبير ملان

ارتفاع حد الجائزة منه شبر وافر ، في عرض شبر إلا ثلاثة أصابع ، في طول كل

من آنية الذهب والنضنة لأجل وقوده ، وبهذا الجامع مصحف يقال إنه عثماني ، وللجامع عشرون باباً مصفحات بالنحاس الأندلسي ، مخزمة تخريماً عجيباً بديعاً ، يعجز البشر ويهرم ، وفي كل باب حلقة في نهاية الصنعة والحكمة ، وبه الصومعة العجيبة التي ارتفاعها مائة ذراع بالمكي المعروف بالرشاشي ، وفيها من أنواع الصنائع الدقيقة ما يعجز الواصف عن وصفه ونقته . وبهذا الجامع ثلاثة أعمدة حمر مكتوب على الواحد اسم محمد ، وعلى الآخر صورة عصا موسى وأهل الكهف ، وعلى الثالث صورة غراب نوح ، والجميع خلقة ربانية .

وأما القنطرة التي بقرطبة فهي بديعة الصنعة ، عجيبة المرأى ، فاقت قناطر الدنيا حسناً . وعدة قسماً سبعة عشر قوساً سعة كل قوس منها خمسون شبراً ، وبين كل قوسين خمسون شبراً . وبالجملة فحاسن قرطبة أفضل المحاسن ، وأعظم من أن نحيط بها وصفاً انتهى ملخصاً وهو وإن تكرر بعضه مع ما قدمته فلا يحلوه من فائدة زائدة والله الموفق وما ذكره في طول المسجد وعرضه مخالف لما مر ، ويمكن الجواب بأن هذا الذراع أكبر من ذلك ، كما أشار إليه هو في أمر الصومعة ، وكذلك ذكره في عدد السوراري ، إلا أن يقال : ما تقدم باعتبار الصغار والكبار ، وهذا العدد الذي ذكره هنا إنما هو للكبار فقط كما صرح به والله تعالى أعلم . وأما الثريات فقد خالف في عددها ما تقدم ، مع أن المتقدم هو قول ثقات مؤرخي الأندلس ، ونحن جليتنا النقل من مواضعه وإن اختلفت طرقة وهضموناته انتهى . قلت : أي من قرأ هذا التلخيص ، وكان طالع جغرافية الشريف الإدريسي ، يعلم أن هذا النقل الذي نقله المقرئ ، إنما نقله عنه ولكن ملخصاً كما صرح هو بذلك . ولم نعلم سبب تحامى المقرئ نسبة هذا النقل والتصريح باسم الكتاب الذي نقل عنه . وعلى كل حال فظاهر للبيان أن الكلام ملخص عن نزعة المشتاق في اختراق الآفاق ، غير أنه لا بد هنا من بعض ملاحظات : الأولى أن هناك غلطا في النسخ ، إما في كتاب الإدريسي أو في كتاب فتح الطيب نفسه ، مثل أن الجامع الأعظم طوله مائة ذراع في عرض ثمانين ، والحال أن الإدريسي كما في نسخة باريس ونسخة أوكسفورد لم يقل مائة ذراع ، وإنما قال مائة باع مرسل في ثمانين باعاً . والفرق بين الباع والذراع غير خاف على أحد . وأنه يستحيل قول الإدريسي إن الجامع هو مائة ذراع في ثمانين ، لأن الإدريسي عرف قرطبة بنفسه ، ووصف المسجد

جائزة منها ٣٧ شهراً ، وبين الجائزة والجائزة غلظ جائزة . والسموات التي ذكرناها

الاعظم وصف من رأى لامن سمع ، فلا يمكن أن يقع في خطأ فظيح كهذا . ولقد أشار المقرئ بأنه يمكن أن يكون هذا الذراع الذي ذكره الادريسي أكبر من الذراع الذي حسب بموجه غيره من المؤرخين ، ممن ذكروا أن طول الجامع من القبلة إلى الجوف ثلاثمائة وثلاثون ذراعاً وعرضه من الغرب إلى الشرق مائتان وخمسون ذراعاً ، فمهما كان هذا الذراع يزيد على ذلك الذراع فبقي البون شامعاً ، والصحيح أن الادريسي إنما قال مائة باع في ثمانين ، لا مائة ذراع في ثمانين . والملاحظة الثانية هي في اختلاف عدد الثريات ، فالادريسي يقول مائة وثلاث عشرة ثريا ، وهو مخالف لما قاله غيره ، مثل ابن الفرضي مثلا الذي قال أنها مائتان وثمانون ثريا ، ومثل ابن سميذ الذي نقل عن ابن بشكوال فقال أنها مائتان وأربع وعشرون ثريا . وليس الاختلاف هنا بشيء . فإن الثريات هي بما يزيد وينقص بحسب الوقت ، لأنها آنية منقولة وليست من قبيل المساحة التي هي شيء ثابت محسوس . وتأويل هذا الفرق هو أنه يوم عرف الادريسي مدينة قرطبة لم يكن في الجامع الأعظم أكثر من ١١٣ ثريا ، فان الادريسي نفسه ذكر كون قرطبة لعمده قد انتقصت منها الحوادث بتوالي الفتن ، ونزح أهلها إلا اليسير ، فلا جرم أن النقص الذي لحق بأهلها وبكل شيء يخصها قد وصل إلى ثريات جامعها ، فسقط عددها إلى النصف مما كانت كما سقط عدد الخدمة في الجامع فقد ورد في كلام ابن الفرضي أنه كان يتصرف في المسجد بين أئمة ومقرئين وأمناء ومؤذنين وسدنة وموقدين مائة وتسعة وخمسون شخصاً . وروى غيره أنهم كانوا ثلاثمائة ، والحال أن الادريسي لا يذكر غير اثنين شخصاً فيظهر أن هذا العدد هو الذي كان في زمانه ، أي بعد تقلص العمران في قرطبة .

والملاحظة الثالثة هي من جهة سقوط كلمات في النسخ أو اختلافها ، ففي نسخة نفع الطيب يقول نقلا عن الادريسي إنه كان يعمل في المنبر ثمانية صنائع . وفي نسختي باريز واكسفورد يقول ستة ، وفي نسخة نفع الطيب يقول : وفي الجامع حاصل كبير ملآن من آنية الذهب والفضة لأجل وقوده . وفي نسختي باريز واكسفورد يزيد على الذهب والفضة لفضة المسك . وفي نسخة نفع الطيب يذكر أن الصومعة ارتفاعها مائة ذراع بالمسكى المعروف بالرشاشي . والحال أنه في النسختين المذكورتين يذكر الرشاشي بدون المسكى . والملاحظة الرابعة هي أنه في نسخة نفع الطيب يقول

هي كلها مسطحة ، فيها ضروب الصنائع المنشأة من الضروب المدسمة والموربي ا
وهي صنع الفصّ وصنع الدوائر والمداهن ، لا يشبه بعضها بعضاً ، بل كل سماء منها
مُكْتَفٍ بما فيه من صنائع قد أحكم ترتيبها ، وأبدع تلوينها بأنواع الحجر الزنجفريّة ،
والبياض الاسفيذاجي ، والزرقة اللازوردية ، والزرقون الباروق ، والخضرة الزنجارية ،
والتكحيل النفسى ، تروق العيون ، وتستميل النفوس ، باتقان ترسيمها ، ومختلفات
ألوانها وتقسيمها . وسمة كل بلاطة منها ، اعنى من بلاطات مسقّفه ٣٣ شبرا ، وبين
العمود والعمود ١٥ شبراً ، ولكل عمود منها رأس رخام وقاعدة رخام . وقد عقد
بين العمود والعمود على أعلى الرأس قسيّ غريبة ، فوقها قسيّ آخر ، على عمد من
الحجر المنجور متقنة . وقد جصص البكل منها بالجصّ والجيار ، وركبت عليها محور
مستديرة ناتئة ، بينها ضروب صناعات الفسفس بالفترة . وتحت كل سماء منها إزار
خشب فيه مكتوب آيات القرآن .

ولهذا المسجد الجامع قبلة يُجزر الواصفين وصفها ، وفيها أفتان يبير العقول تسميها
وكل ذلك من الفسيفساء المذهب والملون ، مما بحث صاحب القسطنطينية العظمى
إلى عبد الرحمن المعروف بالناصر لدين الله الأموى . وعلى هذا الوجه ، أعنى وجه
المحراب ، سبع قسيّ قائمة على عمد ، وطول كل قوس منها أشف من قائمة ، وكل هذه
القسيّ مزججة صنعة القرط وقد أعيت المسلمين والروم بنزيب أعمالها ، ودقيق
تكوينها ووضعها . وعلى أعلى السكل كتابان مسجونان بين بحرّين من الفسيفساء

إن في الجامع ثلاثة أعمدة حجر ، على الواحد اسم محمد وعلى الآخر صورة عصا موسى
وأهل الكيف ، وعلى الثالث صورة غراب نوح . وهذا لا يوجد في النسخة التي قلنا
عنها المطبوعة في ليدن وفقاً لنسختي باريز وأوكسفورد ، والخبر كله غريب ، لأن
التصوير مكروه ، ولا سيما في المساجد . وقد أوردنا هذه الملاحظات لأجل الاستدلال
على ما بين النسخ من الاختلافات فليكن الراوى من النسخ على حذر ، ولا يجوز له أن
يجزم بخبر إلا بعد أن يتخلل رواياته نخلا دقيقاً ، ويقابل بينها بأجمعها فيتمتع على المتواتر
الذى أجمع عليه الرواة أو الذى ترجح بالأقل لدى الجمهور وبالخاص على ما طابق المحسوس

المذهب ، في أرض الزجاج اللازوردى وتحت هذه التسمية التي ذكرناها كتابان مثل الأولين مسجونان بالنسيفساء المذهب في أرض اللازورد ، وعلى وجه المحراب أنواع كثيرة من التزيين والنقش ، وفي عضادتي المحراب ٤ أعمدة اثنان أخضران ، واثنان لآزورديان لآقووم بمال . وعلى رأس المحراب خصّة رخام قطعة واحدة مشبوكة محفورة منمقة بأبدع التزيين من الذهب واللازورد وسائر الألوان وعلى وجه المحراب مما استدار به حظيرة خشب بها من أنواع النقش كل غريبة .

ومع يمين المحراب المنبر الذى ليس بمعمور الأرض مثله صنعة خشب آبنوس وبقس وعود الحجر ، ويحكى في كتب تواريخ بني أمية أنه صنع في نجارته ونقشه ٧ سنين ، وكان عدد صناعه ستة رجال ، غير من يخدمهم تصرفاً ، ولكل صانع منهم في اليوم نصف مثقال محمدي . وعن شمال المحراب بيت فيه عدد وطشوت ذهب وفضة ومسك لوقيد الشمع في ليلة ٢٧ من شهر رمضان المعظم . ومع ذلك ففي هذا المخزن مصحف يرفمه رجلان لثقله ، فيه أربع أوراق من مصحف عثمان بن عفان ، وهو المصحف الذى خطه يمينته رضى الله عنه ، وفيه نقط من دمه ، وهذا المصحف يخرج في صبيحة كل يوم جمعة ، ويتولى اخراجه رجلان من قوّة المسجد . وأمامهم رجل ثالث بشمعة ، وللمصحف غشاء بديع الصنعة ، منقوش بأغرب ما يكون من النقش وأدقّه وأعجبه ، وله بموضع المصلى كرسى يوضع عليه ويتولى الامام قراءة نصف حزب منه ثم يرد إلى موضعه .

وعن يمين المحراب والمنبر باب يفضى إلى القصر بين حائطي الجامع في سباط متصل ، وفي هذا السباط ٨ أبواب منها ٤ تنفلق من جهة القصر ، و ٤ تنفلق من جهة الجامع . ولهذا الجامع عشرون باباً مصفحة بصفائح النحاس وكواكب النحاس ، وفي كل باب منها حلقتان في نهاية من الأتقان ، وعلى وجه كل باب منها في الحائط ضروب من الفص المتخذ من الآجر الأحمر المحكوك ، أنواعاً شتى ، وأجناساً مختلفة من الصناعات والتريش وصدور البراة . وفيما استدار بالجامع في أعلاه لتمدد الضوء

ودخوله إلى السقف متكآت رخام ، طول كل متكأ منها قدر قامة ، في سمة ٤ أشبار في غلط ٤ أصابع . وكلها صنع مسدسة ومثمنة ، محترمة منقوذة لا يشبه بعضها بعضاً .

وللجامع في الجهة الشمالية الصومعة القريبة الصنعة الجليلة الأعمال الرائقة الأشكال التي ارتفاعها في الهواء مائة ذراع بالذراع الرشاشي^(١) منها ٨٠ ذراعاً إلى الموضع الذي يقف عليه المؤذن بقدميه ، ومن هناك إلى أعلاها ٢٠ ذراعاً ويصعد إلى أعلى هذه المنارة بدرجين أحدهما من الجانب الغربي والثاني من الجانب الشرق إذا افترق الصاعدان أسفل الصومعة لا يجتمعان إلا اذا وصلوا أعلاها . ووجه هذه الصومعة كله مبطن بالسكذآن اللسكى ، منقوش من وجه الأرض إلى أعلى الصومعة صنع مثمنة تحتوى على أنواع من الصنع والنزويق والكتابة والملون ، وبالأوجه الأربعة الدائرة من الصومعة صفان من قسي دائرة على عمد الرخام الحسن . والذي في الصومعة من العمد بين داخلها وخارجها ٣٠٠ عمود بين صغير وكبير . وفي أعلى الصومعة بيت له أربعة أبواب مغلقة ، يبيت فيه كل ليلة مؤذنان . وللصومعة ١٦ مؤذناً ، ويؤذنون فيها باللولة لكل يوم مؤذنان على توال . وفي أعلى الصومعة على القبة التي على البيت ثلاث تفاعات ذهب ، وتفاعتان من فضة ، وأوراق سوسنية ، تسع الكبيرة من التفاعات ٦٠ رطلا من الزيت . ويخدم الجامع كله ٦٠ رجلاً وعليهم قائم ينظر في أمورهم ، وهذا الجامع متى سها أمامه لا يسجد لسواه قبل السلام ، بل يسجد بهد السلام .

ومدينة قرطبة في حين تأليفنا هذا الكتاب طعننها رحى الفتنة ، وغربها حلول المصائب والأحداث ، مع اتصال الشدائد على أهلها ، فلم يبق بها منهم الآن إلا الخلق اليسير ، ولا بلد أكبر اسما منها في بلاد الأندلس .

(١) الذراع الرشاشي يقال أنه الذراع المسكى وهو ثلاثة أشبار

ولقرطبة القنطرة التي علت القناطر فخرآ في بنائها واتقانها ، وعدد قسيتها ١٧ قوساً بين القوس والقوس ٥٠ شبراً ، وسعة القوس مثل ذلك ٥٠ شبراً ، وسعة ظهرها المعبور عليه ٣٠ شبراً . ولها ستائر من كل جهة تستر القامة . وارتفاع القنطرة من موضع المشى إلى وجه الماء في أيام جنوف الماء ٣٠ ذراعاً ، وإذا كان السيل يصل الماء منها إلى نحو حلوقها . ونحت القنطرة يتعرض الوادي رصيف سد مصنوع من الأحجار القبطية والعمد الجاشية^(١) من الرخام . وعلى هذا السد ثلاثة بيوت أرحاء ، في كل بيت منها أربع مطاحن^(٢) .

ومحاسن هذه المدينة وشماختها أكثر من أن يحاط بها خبراً

ومن مدينة قرطبة إلى مدينة الزهراء ٥ أميال ، وهي قائمة الفناء بأسوارها ورسوم قصورها ، وفيها قوم سكان بأهلبيهم وذراربيهم ، وهم قليلون ، وهي في ذاتها مدينة عظيمة مدرجة البنية ، مدينة فوق مدينة ، سطح الثالث الأعلى يوازي على الجزء الأوسط ، وسطح الثلث الأوسط يوازي على الجزء الأسفل ، وكل ثلث منها له سور . فكان الجزء الأعلى منها قصوراً يقصر الوصف عن صفاتها . والجزء الأوسط

(١) قد ترجم دوزي ، الاحجار القبطية ، بالاحجار المصرية وقال عن العمدة الجاشية ، لعلها مصحفة وأصلها الجاشنة . ونحن نقول : لم يرد استعمال الجاشنة ، وإنما يقولون الجاشنة ، ونرى الأقرب أن تكون هذه اللفظة بالنسبة المهمة لبالشين المعجزة وأنها الجاشية ، أي الصلبة

(٢) لا تزال جدران المطاحن قائمة إلى الآن وإليها أثمرت بقولي في القصيدة التي نظمتها يوم زرت قرطبة

وتلك الطواحين الشهيرة لم تزل كأن تركوها أمس لم تتغير

ومنها :

ولما رأيت المسجد الجامع الذي بقرطبة من فوق فوق التصور

عضضت على كفى بكل نواجذى وقلت لعيني اليوم دورك فاهمري

وسندكرها كلها في محلها

بساتين وروضات والجزء الثالث فيه الديار والجامع . وهي الآن خراب في حال الذهب .

ومن مدينة قرطبة إلى المرّبة ٨ أيام . ومن قرطبة إلى اشبيلية ٨٠ ميلا . ومن قرطبة إلى مالقة ١٠٠ ميل . ومن قرطبة إلى طليطلة ٩ مراحل ، فن أرادها سار من قرطبة في جهة الشمال إلى عقبة « أرائش »^(١) ١١ ميلا . ومنها إلى دار البقر^(٢) ٦ أميال « ثم إلى بطروش »^(٣) ٤٠ ميلا . وحصن « بطروش » حسن كثير العمارة ، شامخ الحصانة ، لأهله جلادة وحزم على مكافئة أعدائهم ، ويحيط بجبالهم وسهولهم شجر البلوط الذي فاق طعمه طعم كل بلوط على وجه الأرض ، وذلك أن أهل هذا الحصن لهم اهتمام بحفظه وخدمته ، لأنه لهم غلة وغيث في سنى الشدة والجحاعة . ومن حصن

(١) Arlech

(٢) بقول الاسبان لدار البقر Castillo Del Bacar

(٣) Bedroches جا . في دليل بديكر أن الخط الحديدي من مجريط إلى بطليوس يمر بقرية « غيتاف » Getafe وتكون وراه جبال وادى الرمل Guadarrama ثم يصل الخط إلى بلدة « القدور » Algodor ومنها ينشعب خط كستيليجو - طليطلة . ثم يجناز الخط شعاب جبال طليطلة الفاصلة بين وادى تاجة ووادى يانة ثم يمر ببلدة « الموناسيد » Almonacid وفيها حصن عربي ثم بلدة « ماسكاراك » Mascaraque ثم بلدة « مورة » Mara وفيها بقايا حصن وهي على ٩١ كيلو متراً من مجريط ثم بلدة « أورغاز » Orgaz وفيها أيضاً حصن كبير ثم بلدة « منسنيق » Manzanéque ثم « ايبانش » Ybenes وعن يمينه وادى الأرزة ، Guadalerza ثم بلدة « أوردو » ، Urda ثم يصل إلى بلدة ريال Ciudad Real التي بقربها بلدة « الأرك » Alarcos وهذه الشهيرة بالوقمة التي انتصر فيها الموحدون على الأذققش الثامن صاحب قشتالة سنة ١١٩٥ ثم يمر بأرض قلعة رباح ثم بلدة « برتلانو » Puertellano ثم بلدة اسمها « المدور » (غير حصن المدور الذي هو من عمل قرطبة) ثم بلدة « سان كنتين » San Quintin ثم « بيلد نياش » Valdepénas بقرب مشى يقال له وادى الكدية ثم يصل بعد ٢٧١ كيلو متراً من مجريط إلى « المدن » Almaden وفيها حصن عربي (١٠ - ج أول)

بطروش إلى حصن « غافق » ^(١) ٧ أميال ، وحصن غافق حصن حصين ، ومقل جليل ، وفي أهله نجدة وحزم ، وجلادة وعزم ، وكثيراً ما تسرى إليهم سرايا الروم فيكتفون بهم في إخراجهم عن أرضهم ، واثاذا غنائمهم منهم ، والروم يعلمون بأسهم وبسالهم فيناحرون ^(٢) أرضهم ويتحامون عنهم . ومن قلعة غافق إلى جبل « عافور » ^(٣) مرحلة ، ثم إلى دار البقر مرحلة ، ثم إلى قلعة « رباح » ^(٤) ، وهي قامة حسنة ، وقد سبق ذكرها . وكذلك الطريق من قرطبة إلى بطليوس . . من قرطبة إلى دار البقر المتقدم ذكرها مرحلة ، ومنها إلى حصن « بندر » ^(٥) مرحلة ، ثم إلى « زواغة » مرحلة ، وزواغة حصن عليه سور تراب ، وهو على كدية تراب ، ومنه إلى نهر « اثنه » ^(٦) مرحلة ، ومنه إلى حصن « الحفش » ^(٧) مرحلة ، وحصن

وفيه معدن من أغنى معادن الزئبق في العالم ومن هناك يمر الخط بين « شليون ، Chillon و « بطروس ، Pedroches براداس » وادى الميس « Gundalmez ويدخل في عمل قرطبة فيمر ببلدة « بلال قصر ، Belalcazar ثم ببلدة « المورشون ، Almorchon حيث ينشعب من الخط شعبة إلى قرطبة . وعلى مسافة ٤٠٨ كيلو مترات يصل إلى « مدلين ، Medellin وعلى ٤٥١ كيلو .ترا يصل إلى ماردة اه محصلا . ثم قال دوزى : إن البلوط الذى نسه الادريسى إلى بطروس يرجع أنه الكستنا لا البلوط المعهود واستدل على ذلك بأن بطره القلمى يسمى الكستنا بطروش

(١) يقول الأسبان لغافق Ghafic

(٢) في النسخة التى ترجم عنها دوزى يقول : « ينافرون أرضهم ويتحامون عنهم ، ولا معنى هنا بجملة « ينافرون أرضهم ، والأقرب أن تكون « يناحرون أرضهم ، أى هم ساكنون في نحر أرضهم ولكنهم لشدة بأسهم تراهم يتجنبون التعرض لهم
(٣) جبل عافور لم يعرفه دوزى ولا نحن اهتدينا له وإنما نعلم أن العرب تقول :

وقع في عافور أى في شر وعفار ومثله وقع في عافور

(٤) Calatrava

(٥) يظن دوزى أن « بندر ، مصحف عن « بندر ، إذ هناك نهر بهذا الاسم Benbezar

(٦) لم نعله ولا عرفنا حقيقة الاسم

(٧) هو الذى يقول له الأسبان Alenje

الحنش منبع شامخ الفروة ، مطلق الفلوة شامق البنية ، حامى الأفنية . ومنه إلى مدينة ماردة مرحلة لعليفة ، ثم إلى بطليوس مرحلة خفيفة . فذلك من قرطبة إلى بطليوس ، ٧ مراحل . وبشمال قرطبة إلى حصن « ابال » مرحلة ، وهو الحصن الذى به معدن الزبيق ، ومنه يتجهز بالزبيق والزنجفر إلى جميع أقطار الأرض ، وذلك أن هذا المعدن ينحدمه أزيد من ألف رجل ، تقوم للنزول فيه وقطع الحجر ، وقوم لقطع الحطب لحرق المعدن ، وقوم لعمل أواني لسبك الزبيق وتصميده ، وقوم لشأن الأفران والحرق . قال المؤلف : وقد رأيت هذا المعدن فأخبرت أن من وجه الأرض إلى أسفله نحو من مائتي قامة وخمسين قامة^(١) . ومن قرطبة إلى اغرناطة ٤ مراحل وهى مائة ميل . وبين اغرناطة وجيان ٥٠ ميلا وهى مرحلتان .

وأما بحر الشام الذى عليه جنوب بلاد الأندلس ، فبدأ من الغرب ، وآخره حيث انطاكية ، ومسافة ما بينهما ٣٦ مجرى . فأما عروضة فمختلفة ، وذلك أن مدينة مالقة يقابلها من الضفة الأخرى « المزمة » و « قادس » و بينهما عرض البحر مجرى يوم واحد بالريح الطيبة المعتدلة . وكذلك « المرية » يوازيها فى الضفة الأخرى « هُنين » وعرض البحر بينهما مجريان . وكذلك أيضاً مدينة « دانية » يقابلها من الضفة الأخرى « تَنَس » و بينهما ٣ مجارٍ . وكذلك مدينة برشلونة تقابلها من عدوة الغرب الأوسط « بجانة » و بينهما ٤ مجارٍ فى عرض البحر ، والمجرى مائة ميل وأما جزيرة « يابسة » فلها جزيرة حسنة كثيرة الكروم والأعشاب ، وبها مدينة حسنة صغيرة متحصرة ، وأقرب بر إليها مدينة دانية ، و بينهما مجرى . وفى شرق جزيرة يابسة جزيرة ميورة^(٢) ، و بينهما مجرى ، وبها مدينة كبيرة ، لها

(١) نقل لافى بروفسال كلام الاديسى هذا إلى كتابه عن أسبانية

(٢) أفت بجزيرة ميورة عشرين يوماً وجولت فيها ، ولشدة ما استلظفتها أخذت عنها معلومات كثيرة ، واقتضيت كتاباً من تاريخها بالأسبانيول ، وجمعت أسماء العلماء والادباء الذين نبغوا من أهلها من عرب وأسبانيول ، وعزمت أن أفرد لها بتاريخه

مالك وحارس ذو رجال وعدد وأسلحة وأموال ، وبالشرق منها أيضاً جزيرة مينورقة تقابل مدينة برشلونة ، وبينهما مجرى ، ومن مينورقة إلى جزيرة سردانية ٤ مجار . فهذا ما أردنا ذكره .

مقاله عن إقليم الأندلس

أبو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني

في كتابه « صفة جزيرة العرب »

ذكر الأقاليم السبعة التي كان الجغرافيون الأولون يقولون بها ، فذكر الأندلس في الاقليم الثالث فقال : الاقليم الثالث حده منتهى أرض الحبشة ، مما يلي أرض الحجاز ، إلى نصيبين ، إلى أقصى الشام ، إلى البحر الذي بين أرض مصر وبين الشام إلى وسط البحر الذي يلي الأندلس مما يلي المغرب .

ثم ذكر معرفة قسمة الأقاليم لبطله يوس فقال : فأما بطليوس وقدماء اليونانيين فانهم رأوا أن طباع الأقاليم وجبلتها لا تكون إلا طرائق من المشرق إلى المغرب ، متجاوزة بعضها إلى بعض ، من خط الاستواء إلى حيث يقع القطب الشمالي ، خمسين درجة ، وهو ضعف الليل وزيادة جزءين وكسر ، وقد حد في قانونه عرض كل إقليم منها وساعات نهاره الأطول ، على وسطه دون طرفيه ، بقول من نقل عنه ، فجعل وسط الاقليم الأول مدينة سبا بأرب من أرض اليمن ، وجعل العرض ستة عشر جزءاً ورباعاً وخمساً ، وساعات نهاره الأطول ثلاثة عشر سواء ، وعرض الاقليم الثاني منتهى الميل ، وهو ثلاثة وعشرون جزءاً وخمسة أسداس ، وساعات نهاره الأطول ثلاث عشرة ونصف ، والثالث إقليم اسكندرية ، وعرضه ثلاثون وسبعين جزءاً وبساعة واحدة واسمها « الاصول المرة » والنصون المورقة في محاسن جزيرة ميورقة ، ولعله يكون جزءاً من هذه الموسوعة إن شاء الله

جزءاً وسدس وخمس جزء ، وساعانه أربع عشرة ، والرابع إقليم بابل ، وعرضه ستة وثلاثون جزءاً وعشر ، وساعات نهاره الأطول أربع عشرة ونصف . والإقليم الخامس عرضه أربعون جزءاً ، وتسعة أعشار ، وثلاث عشر ساعة ، وساعانه خمس عشرة ساعة والإقليم السادس عرضه خمسة وأربعون جزءاً ونصف وسدس عشر ، وساعات نهاره الأطول خمس عشرة ساعة ونصف ، والإقليم السابع عرضه ثمانية وأربعون جزءاً ونصف وثلاث عشر ، ونهاره الأطول ست عشرة ساعة . وقد حد أقاصيها وأدانيها وبعض ما تشتمل عليه من البلاد المشهورة فقال : إن الإقليم الأول يمر على وسطه من المشرق إلى المغرب على المواضع التي يكون نهارها الأطول وعرضها ما ذكرناه وابتدأؤه حيث يكون نهاره الأطول انتهى عشرة ساعة وثلاثة أرباع ساعة ، وعرضه اثنا عشر جزءاً ونصف . وانتهأؤه حيث يكون نهاره الأطول ثلاث عشرة ساعة وربعماً وعرضه عشرين جزءاً وربعماً ، ووسط هذا الإقليم مدينة سبأ ، وما كان في مثل عرضها من مواضع الأرض ، وابتدأؤه من المشرق من أقصى بلاد الصين النخ .

ولما وصل إلى الإقليم الرابع قال : ويمر الإقليم الرابع على وسطه من المشرق إلى المغرب على المواضع التي يكون نهارها الأطول وعرضها ما قد ذكرناه ، وابتدأؤه من الموضع الذي انتهت إليه ساعات الإقليم الثالث ، وعرضه إلى حين يكون نهاره الأطول أربع عشرة ساعة وثلاثة أرباع ساعة ، وعرضه ثمانيةً وثلاثين درجة . ووسط هذا الإقليم بالتقريب مدينة أصبهان من مواضع ، وابتدأؤه من المشرق آخر أرض الصين وتبت وبلخ وخراسان والجلال وأرض الموصل وشمال الشام ، وبعض الثغور ، وبحر الشام وجزيرة قبرص ، وبلاد طنجة ، إلى أن ينتهي إلى حد المغرب من دون البحر المظلم . ويمر الإقليم الخامس على وسطه من المشرق إلى المغرب على المواضع التي يكون نهارها الأطول وعرضها ما قد ذكرناه . وابتدأؤه من الموضع الذي انتهى إليه عرض الإقليم الرابع ، ساعاته إلى حيث يكون نهاره الأطول خمس عشرة ساعة وربعماً وعرضه ثلاث وأربعون درجة ، ووسط هذا الإقليم بالتقريب مدينة مرو ، وما

كان في مثل عرضها من مواضع الأرض . فابتدأوه من المشرق داخل بلاد الترك وشمال خراسان وأذربيجان وكورأرمينية وبلاد الروم وسواحل بحر الشام الشمالية والأندلس إلى أن ينتهي إلى حد المغرب من دون البحر المظلم .

ثم نقل عن بطليموس قوله : لما انقسمت دائرة البروج بأربعة أقسام ، وهي الثلثات ، لأن كل قسم منها ثلاثة أبراج ، على طبيعة من الطوائع الأربع ، التي هي النار والأرض والهواء والماء ، انقسم عامر الأرض بأربعة أقسام ، كل قسم منها منسوب إلى قسم من الثلثات في الطباع ، لأن كل محيط بطبع ما أحاط به على قدر طبيعته (إلى أن يقول) فلما كانت هذه الأشياء كذلك ، كان موضع سكنائها ينقسم إلى أربعة أرباع متساوية في العدد للثلثات ، ثم أتى على ذكر الربع المنسوب إلى « أوروبا » - يريد بها أوربة - فقال : ان الأمم الكلية التي تسكن في هذه الأجزاء هي أهل بلاد الصقالية وبلادبرطانية وغالاطية وجرمانية وباسترانية وإيطالية وغالية وأبولية وطورينية وقلطيقية وسبانية (إلى أن قال) عن طوائع أهل هذه البلدان : يجب أن يكون أهل هذه البلدان ، في أكثر الأمر ، بسبب رئاسة هذا الثلث ، وبسبب الكواكب التي تشترك في تديره ، غير خاضعين ، محبين للحرية والسلاح والتمب ، محاربين ، أصحاب سياسة ونظافة ، كبار المهم ، ولما كان المشتري والمريخ مشتركين فيهم ، إذا كانا في الحال النسوبة إلى الشيتات ، وكانت الأجزاء المتقدمة من هذا الثلث مذكرة ، والمتأخرة مؤنثة ، عرض لهذه الأمم ألا يكون لهم غيرة في أمر النساء (إلى أن يقول) : وأما بلاد إيطاليا منها وبلاد أبولية - يريد نابولي - وبلاد غالية - جنوبي فرنسة ووسطها - وبلاد صقلية ، فإنها تشاكل الأسد والشمس ولذلك صار سكانها أصحاب سياسة ، وأصحاب اصطناع المعروف ، وأصحاب مؤساة . وأما بلاد طورينية منها وبلاد قالتقى - يريد بها بلاد السلتيين Celtes وم أمة كانت تجاور الغاليين والاييريين - وبلاد سبانية ، فإنها تشاكل الرامي والمشتري ولذلك صار سكانها سلبى القلوب محبي النظافة انتهى .

هذا ما جاء في كتاب الهمداني من جغرافي العرب وحكامهم عن اسبانية ، وأما قضية تأثير الكواكب في طباع سكان الأرض ، وما نقله الهمداني عن بطليموس القلودي من هذا الباب فهو محدود اليوم من النظريات البالية ، التي عدل الناس عنها ، لا سيما أننا لا نراها مطردة ولا غالبية حتى نحكم بصحتها .

ما ذكره أبو العباس أحمد المقرئ

صاحب كتاب نفع الطيب عن بلاد الأندلس

من الجهة الجغرافية

اعلم أعزك الله أنه لا يزال نفع الطيب من أعظم المراجع التي يعول عليها المحققون في أخبار الأندلس ، برغم كل ما عليه من مآخذ ومغامز ، وما فاتته من مباحث ومسائل ، وذلك لأن صاحبه اتصل بكتب كثيرة لم يتيسر لغيره الاطلاع عليها ، وشافه في الشرق والغرب عدداً كبيراً من الجيلة وحاضرتهم ، وكان المقرئ نفسه مولماً بأخبار الأندلس ، متخصصاً فيها حافظاً من أنبائها ، وكلام علمائها ، ونظم شعرائها ، ولا سيما من أقوال لسان الدين بن الخطيب ، وزير بني الأحمر الشهير بما يكاد يكون من المعجزات ، ولما كان قد رحل إلى المشرق ، كأكثر علماء المغرب ، وحج البيت الحرام خمس مرات ، وزار المدينة المنورة ، والبيت المقدس ، انتهى في طوافه إلى دمشق الشام التي أخذت بمجامع فؤاده ، فألقى بها عصا التسيار ، وتعرف بكثير من علماء الشام وأدبائها وسراتها ، فكان ذكر الأندلس أمامهم ملهيج لسانه الدائم ، وغرام قلبه الملازم ، فأرادوه أولاً على تأليف كتاب يتضمن مروياته عن لسان الدين بن الخطيب ، فصحت عزيمته على ذلك ، وبدأ بكتابة هذا الكتاب سنة تسع وثلاثين وألف للهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية . إلا أنه بعد ما بدأ به بدا له أن يتوسع في الموضوع ، ولا يقتصر على أخبار لسان الدين وحده فكان عند ما شرع بهذا التأليف سماه « عَرَفَ الطيب في التعريف بالوزير ابن

الخطيب « ثم لما أجمع التوسع في الموضوع عاد فسمى كتابه « بنفع الطيب ، من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب » وهو امرى اسم لائق بمسماه ، ولفظ موافق لمناه ، ولا أظنه يوجد اسم الذَّلِّ للقارىء من اسم « نفع الطيب » كما أن الملابس ظاهرة بين قوله « غصن الأندلس الرطيب » ومزايا الأندلس الطبيعية في كثرة جناتها وبتانيتها ووفرة فواكهها ورياحينها ، وما انصفت به من الخصب والنماء ، وجمته من زكاه الأرض إلى خير السماء ، ولما كان لسان الدين بن الخطيب في هذا الكتاب الحصة الكبرى في الآثار الروية ، والأصوات المحكية ، لم يكن من العجب أن يجعل اسمه فيه وقد كان في الأصل هو المقصود بالتأليف . هذا وقد كان تأليف المقرئ للنفع حينما كان مقياً بالشام ، ولذلك قال عنه في المقدمة ما يلي :

« وله بالشام تعلق من وجوه عديدة ، هادية لتأمله إلى الطريق السديدة ، وأولها أن الداعي لتأليفه أهل الشام ، أتى الله مآثرهم ، وجعلها على مرّ الزمان مديدة ، ثانيها أن الفاحمين للأندلس هم أهل الشام ، ذوو الشوكة والنجدة الحديدية ، ثالثها أن غالب أهل الأندلس من عرب الشام الذين اتخذوا بالأندلس وطناً مستأنفاً وحضرة جديدة . واربعا أن غرناطة نزل بها أهل دمشق ، وسموها باسمها ، لشبهها بها في القصر والنهر ، والدوح والزهر ، والنفوطة الفيحاء ، وهذه مناسبة قوية العرى شديدة »

قد يكون كلام المقرئ هذا مما لا يعجب بعض الناظرين على السجع في أخريات هذه الأيام واسكنه ذو معنى كبير ، وفيه تصريح خطير ، ولذلك فإن ثورة هذه الفئة على السجع ، والفاصلة ، ليس من شأنها أن تغل من حد رغبتنا في نقل كلام يعود على وطننا الشامي بشخص كهذا من الفخر لم يوفره لغيره ثقة كبير ، كأبي العباس أحمد المقرئ المغربي ، إن لم يكن هو حجة في أخبار الأندلس فياليت شعري من يكون هو الحجة ؟ ! فنحن رواة عنه ، ونقله من نصوصه بأسجاعها وفواصلها وحروفها وحركاتها

نعم إن « نفع الطيب » هو كتاب أدب ، أكثر منه كتاب تاريخ ، وقد قيل فيه ، وكاد يلحق بالأمثال السائرة : إنه « نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، الذي لم يقرأه فليس بأديب » ولكنه إلى هذا الوقت لا يزال عمدة المنقبين عن آثار الأندلس سواء في التاريخ أو في الجغرافية أو في الأدب أو في المحاضرة برغم كل ما فاته منها ، ولا أزال أنا أستقى من منابه برغم ما نعمت عليه في كتابي « مختصر تاريخ الأندلس » الذي حررته ذبلاً على « آخر نبي سراج » Dernier Des Abencerrage الرواية التي من قلم شاتوبريان الكاتب الأفرنسي الشهير ، وقد ترجمتها إلى العربية وادرجتها بتاريخ الأندلس ونشرتها سنة ١٣١٥ .

فيناسب أن أعيد هنا ما كنت قاتته من ٤٠ سنة ، وهو منقول بالحرف عن صفحة ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ من ذلك الكتاب ، طبعته الثانية بمطبعة المنار وهو هذا (تحت عنوان) « تمهيد »

إنما حداني إلى تذييل هذه الرواية أمران : الأول إعانة القارىء على فهم الحوادث ومعرفة المواقع ، بما تفقد بدونه لذة المطالعة . والثاني ما رأيته من اختصار جرم الرواية ، فأثرت اردافها بذيل يطيل من قدها ، ويزيد في حجمها ، ويكون فيه من حقائق الوقائع التاريخية ما لا يقصر فكاهة عن موهوم الرواية الغرامية ، فجاءت روايتنا ذبلاً ، وإن لم نرج أن تكون طاووساً ، وليست هذه أول مرة جرت فيها الروايات أذبالاً ، واتخذت القصص أذبالاً طوالاً .

وما أقصد بهذا الذيل استقصاء تاريخ الأندلس الاجمالي إلا ما اضطر اليه مساق الكلام . فقد كنت منذ نشأني ممن لا يحبون التأليف فيما كثر فيه التأليف ، وطال فيه القتال كأنما أعده تكرر السابق ، أو إعادة لصدى ، وأراه خلوا من كل براعة . وأخبار الأندلس مستفيضة في التواريخ شرقاً وغرباً ، ومعروفة عند الأدباء بما لا يكون التأليف فيه سوى زيادة في عدد الكتب . وإنما يستحب الانشاء في ما ندر

فيه الكلام وعز البحث ، وطمست الأعلام ، فاذا قرأته العامة ، بل الخاصة ، سقطت منه على جديد ذى طلاوة ، ولم تسأمة النفوس ، لمدم تداولها مطالعته المرة بعد الأخرى مدارسة كتب القواعد التي لا تتغير .

فأشد الأقسام عوزاً إلى البحث من تاريخ هذه البلاد - التي لا تزال نحسبها عربية لكون أحسن أيامها ما كان من أيام العرب فيها - إنما هو القسم الأخير ، وأحوج طائفة من أخبارها إلى التدوين ما تعاق بدور الجلاء ، وعصر الخروج من بلاد كانت مدة الضيافة فيها ثمانمائة سنة ، وذلك لأن هذا الحادث الكبير الذي هو من أضخم الحوادث في الإسلام وقع على حين خول من القرائح العربية ، وبمد مرور زمن العلم والفلسفة عند معشر الناطقين بالضاد ، ولدى إقحاط البلاد بالأدمغة المتوقدة ، وعقم الأمة عن الرؤوس المولدة ، بحيث فاته من التأليف والكتابة فيه ما لم يكن ليفوته لو وقع قبل ذلك بقرنين أو ثلاثة ، فانه لا عطر بمد عروس .

نعم لا أنكر أن (كتاب نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب) للعلامة المقرئ هو من أوفى الكتب بأخبار الأندلس وآدابها : حقيقه أبناء ، وقمة تطر حوادث وخزانة آداب ، وكشكول لطائف ، وديوان أشعار ، وقد كان عهد تصنيفه على أثر النازلة الكبرى بياق الأندلس ، وامتصاص سؤر الكاس ، وعفا الأثر الأخير من سلطان المسلمين فيها ، بحيث أمكن صاحبه ذكر سقوط مملكة غرناطة ، واستيلاء الاسبانيول على الجميع ، وختم الدولة الاسلامية في تلك الديار ، ولكنه ككثير من مؤرخينا أو مؤلفينا الذين لا برعون النسبة بين الأشياء ولا ينتهون إلى قاعدة أن الحسن إنما هو تناسب الأعضاء ، فقد بحث في هذا الخطب الجلل ، والحادث العمم ، بحثاً هو دون حقه بدركات ، وأنى عليه كما يأتي على واقعة متوسطة البال ، من الوقائع التي أشار إليها في بطن كتابه واستوعبه في أوراق يسيرة ، كانت لطافتها تكون في كتابتها ، فان التناسب يقضى باعطاء كل مقام من المقال ما يكافيه ، ويقوم بحقه ويحییء على قدره . ولو فسح الفاضل المقرئ رحمه الله لواقعة سقوط مملكة غرناطة ،

وحدث انقراض أمر الاسلام بالأندلس ، ما فسحه في تاريخه للنثر الكثير ، الذي ينفى عن كله بعضه من المخاطبات التي صدرت عن لسان الدين بن الخطيب ، أو وجهت إليه ، أو إلى غيره ، أو الشعر الغزير الذي كثير منه حقيق بالاسقاط من ذلك المجموع ، والقصص التي يرويها عن بعض المشايخ مع طول أناة غريب في الاستقصاء ، مع أنه ليس فيها ما يرفع أقدارهم إلى السماء ، لكان ذلك أجزل فائدة وأسنى موقفاً ، وكانت الناس قد شفت غليلها من خبر هذه الطامة التي لكل الحوادث سلوان يسهلها ، وليس لها سلوان ، كما قال أبو البقاء الرندي ، ولكفينا مؤونة النقل عن كتب الافرنج فيما يختص بالعرب ، وحسبك أنه ذكر جميع وقائع السلطان أبي عبدالله بن الأحمر ، وعمه الزغل ، وذهاب تلك الملكة ، وما جرى في ضمنه من الحروب وما حصر من المدن ، في مسافة من التاريخ ، استوعبت أطول منها رسالة ، واحدة صادرة عن ذلك السلطان إلى الشيخ الوطاسي صاحب فاس في موضوع أبرد ما فيه ، مع طوله ، أنه اعتذار عن سقوط آخر ممالك المسلمين بالأندلس على يده ، بأن الخطب غير نادر المثال ، وأن بغداد ، دار خلافة نبي العباس ، قد أصابها ما أصاب غرناطة ! فانظروا هل هذا مما يؤثر على طوله ، أو مما ترتاح الأنفس إلى قبوله ، على فرض صحة تمثيله ؟ وإن كان العذر في ذلك ما يقال من أن صاحب النفع قد ألفه وهو نِصو أسفار ، خال من الأسفار ، ليس لديه من العلة ما يستعين به على الاطالة ، والأخذ بالأطراف ، فسبحان الله ! كم يتلهى بعض عدائنا بحفظ ما لا ينفع عن تطبيق ما ينفع ؟ ! وهذا الفاضل القرى قد أملى عن ظهر قلبه أربعة مجلدات كبار ، أودعها من التاريخ والجغرافية والقصص والنكات ، وحشاها من الشعر والنثر والتراجم والتصوف . غثاً وسميناً ، ما لا أظن حافظة تتمكن من اختراجه بين صدغين ، وتركنا في التاريخ المهم من تفصيل الوقائع الشداد ، والمعارك التي سالت فيها أنهر الدماء ، في دور النزاع الأخير ، عيالا على الافرنج ، مضطرين إلى الأخذ من مصنفاتهم ،

فكنا وإيام في أخذ تاريخنا عنهم كما كنا في أخذ لغتنا عن صحاح الجوهري^(١) ولا نشك أن في ديار المغرب من التواريخ عن كارثة الأندلس الأخيرة ما يستوفي شرحها^(٢) ولكنه لم يشتهر عندنا في المشرق غير نفع الطيب من متأخر التأليف ، وهذه هي الحال معه ، فلا عجب أن ساقنا حسب الاستقصاء ، واقتفاء أثر أبناء الجلمدة ، إلى أخذ أخبارنا عن الأجانب وتلونا : (هذه بضاعتنا ردت الينا) اه هذا ما كتبه عن نفع الطيب يوم كنت في السابعة والعشرين من العمر ، ولست من بعد مضي تسع وثلاثين سنة على ذلك القول براجع عنه اليوم من حيث الجوهري ، وإن كنت أراني الآن أقل قسوة ، وأكثر عطفاً على المقرئ وأعظم تقديراً لما أملاه في كتابه ، ولا عجب فالذي عند الشيخ من سمة الطبع ، وقبول الطرد ، ليس عند الشاب .

(١) إن الجوهري كان فارسياً فلما ألف كتابه الصحاح في لغة العرب قيل إنه قال لهم : خذوا لتسكنم عن هذا الرجل الأعجمي . فجملت أنا هذه الجملة من قيل المثال . ولما طبعت كتابي هذا طبعته الثانية بمطبعة المنار وكان الأستاذ الأكبر فقيد الاسلام في هذا العام السيد محمد رشيد رضا رحمه الله هو المتولى تصحيح الطبع أخذته الفيرة من جملة هذه فعلق عليها في الحاشية ما يلي : يعني أخذ العرب لغتهم عن الجوهري وهو أعجمي النسب . ولكنه صار من العرب لغة وأدباً ودينياً وكتابه الصحاح أحد معاجم اللغة وقد ألف العرب قبله وبعده معاجم تفنى عنه وليس فيه شيء لا يوجد في غيره اه . قلت وهذا لا يمنع من أن تكون تلك الجملة قد قيلت وأن يكون المثال مطابقاً للحوال .

(٢) كنت يومئذ أظن ذلك ولكني لم أجد هذه الصالة بعد البحث والاستفراء إلا ما كان من وجداني ، أخبار المعصر في انقضاء دولة بني نصر ، وكتاب محمد بن عبد الرقيب الأندلسي المتوفى عام اثنين وخمسين وألف أي بعد الجلاء الأخير بخمس وثلاثين سنة اطلمت منه على فصل نقله عنه الشيخ أبو عبد الله محمد أبو جندار في كتابه « تاريخ دباط الفتح ، وشياً من « أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، وعلى كل حال يقول المستشرق « لافي بروفنسال ، Levi - Provençal في الانسيكلويدية الاسلامية L' Encyclopédie De L'islam إن نفع الطيب هو الوثيقة الوحيدة التي في أيدينا عن حادثة خروج العرب النهائي من أسبانية ليس بصحيح

ولنبدا الآن وقد أردنا أن ننقل ما جاء في النسخ من المعلومات الجغرافية عن الأندلس لنقارن بينها وبين معلومات سائر مؤلفي العرب كابن حوقل والادريسي وياقوت وغيرهم . قال في الجزء الأول في صفحة ٦٣ من الطبعة الأولى المنسوبة إلى المطبعة الأزهرية المصرية ما يلي :

الباب الأول

في وصف جزيرة الأندلس ، وحسن هوائها ، واعتدال مزاجها ، ووفور خيراتها واستوائها ، واشتمالها على كثير من المحاسن واحتوائها ، وكرم بقعتها التي سقتها مياه البركات بأنوائها ، وذكر بعض مآثرها المجلوة الصور ، وتعداد كثير مما لها من البلدان والسكر ، المستمدة من أضوائها ، فأقول :

محاسن الأندلس لاتستوفى بعبارة ، ومجاري فضلها لا يشق غباره ، وأنتى تجارى وهى حائزة قصب السبق ، فى أقطار الغرب والشرق !؟ قال ابن سعيد : إنما سميت بالأندلس ابن طوبال بن يافث بن نوح لأنه نزلها كما أن أخاه سبت بن يافث نزل المدوة المقابلة لها واليه تنسب سبته ^(١) . قال : وأهل الأندلس يحافظون على قوام اللسان العربى لأنهم إما عرب أو متعربون ^(٢) انتهى . وقال الوزير لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى فى بعض كلام له أجرى فيه ذكر البلاد الأندلسية ، أعادها الله تعالى للإسلام ، ببركة المصطفى عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام ما نصه : خص الله تعالى بلاد الأندلس من الربيع وغدق السقيا ، ولذاذة الأوقات وفرهة الحيوان ، ودرور الفواكه ، وكثرة المياه ، وتبحر العموان ، وجودة اللباس ، وشرف الآنية ، وكثرة السلاح ، ومحة الهواء ، واييضاض ^(٣) ألوان الانسان ، ونبل

(١) هذه من الروايات التى هى أشبه بالأساطير

(٢) هذا القول ليس كالذى قبله بل هو فى غاية الصحة

(٣) عند ما كنت فى غرناطة نازلا فى فندق الحمراء أحسن فنادقها كنت أسأل عن الإماكن والبقاع دليل ذلك الفندق وكان من الأدباء فقلت له ذات يوم : جئت

الأذهان ، وفنون الصنائع ، وشهامة الطبايع ، ونفوذ الأدراك ، واحكام التقن ، والاعتماد بما حرمه الكثير من الأقطار ، مما سواها . انتهى .

وقال أبو عامر السلمي في كتابه المسمى « درر القلائد وغرر الفوائد » : الاندلس من الأقاليم الشامي^(١) وهو خير الأقاليم وأعدلها هواء وترباها ، وأعذبها ماء ، وأحسنها حيوانا ونباتا ، وهو أوسط الأقاليم ، وخير الأمور أوسطها

قال أبو عبيد البكري : الأندلس شامية في طبيها وهوائها ، يمنية في اعتدالها واستوائها ، هندية في عطرها وذكائها ، أهوازية في عظم جباياتها ، صينية في معادن جواهرها ، عدنية في منافع سواحلها ، فيها آثار عظيمة لليونانيين أهل الحكمة وحاملى الفلسفة ،^(٢) ، وكان من ملوكهم الذين أثروا الآثار بالاندلس هرقلس ، وله

إلى أسبانية من جهة فرنسة فكنت أظن أن سكان الصقع الشمالى منها أوصنا وجوما وأشرق جمالا من سكان الجنوب فرأيت الأمر بالعكس إذ أنى كنت كلما تقدمت إلى الجنوب أرى الوجوه أحسن والقنود أرشق والنعمة أظهر . فأجابنى فوراً : هذا صحيح يعلمه كل احد وذلك لأننا نحن في الجنوب عرب

(١) يريد أنها موازية للشام وأنها على خط واحد ومن المعلوم أن القطر الشامى هو في الجغرافية مثال الاعتدال

(٢) لليونانيين في أسبانية آثار لا تنكر ، لكنها لا تذكر بالقياس إلى آثار الفينيقين والقرطاجنيين والرومان والذي يلوح لنا أن أبا عبيد البكري حمل أكثر ما في أسبانية القديمة من الآثار على تأثير اليونانيين ، وهذا خطأ ، أو أنه خلط بينهم وبين الفينيقين والقرطاجنيين والرومان . والحقيقة أن اليونانيين جاءوا إلى السواحل الأسبانية من جهة البحر المتوسط ، وبظن أن اتجاعهم لهذه السواحل وقع بين سنة ٦٣٠ وسنة ٥٧٠ قبل ميلاد المسيح ، ولم ينحصر تبسطهم في سواحل البحر المتوسط ، بل اخترقوا بحر الزقاق ، وامتدوا على سواحل غاليسية وقتنبرية ، ومع هذا فأكثر ما كانت لهم مستعمرات موفى السواحل الشرقية التي هي اليوم سواحل كتلونية إلى بلنسية ودانية . وكانوا يسمون مستعمراتهم هذه أمورياس Ampurias وتوابها ، ومنها كانوا يتقدمون إلى الداخل لاجل التجارة مع الايبيريين ، وأكثر ما بقى عنهم من الآثار إنما

الأثر في الصنم بجزيرة قادس وصم جبلية، والأثر في مدينة طر كونة^(١) الذي لا نظيره .

قال السعدي : بلاد الأندلس تكون مسيرة عاثرها ومدنها نحو شهرين ، ولهم من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة . انتهى باختصار . ونحوه لابن اليسع إذ قال : طولها من أربونة إلى أشبونة ، وهو قطع ستين يوماً لافارس المجد . وانتقد بأمرين : أحدهما أنه يقتضى أن أربونة داخلية في جزيرة الأندلس ، والصحيح أنها خارجة عنها ، والثاني أن قوله ستين يوماً لافارس المجد اعياض وافرط ، وقد قال جماعة أنها شهر ونصف . قال ابن سعيد : وهذا يقرب إذا لم يكن لافارس المجد . والصحيح ما نص عليه الشريف من أنها مسيرة شهر . وكذا قال الحجارى . وقد سألت المسافرين المحققين عن ذلك فعملوا حساباً بالمراحل الجيدة أفضى إلى نحو شهر بنيف قليل . قال الحجارى في موضع من كتابه إن طول الأندلس من الحاجز إلى اشبونة ألف ميل ونيف ١٥٠ . وبالجملة فالمراد القريب من غير مشاححة ، كما قاله ابن سعيد وأطال في ذلك ، ثم قال بمد كلام : ومسافة الحاجز الذى بين بحر الزقاق والبحر المحيط أربون

وجد في خرابات أمبورياس وروزاس ، وهى من آنية الزجاج ، ومن الفخار الملون ، ومن الحلى ، ومن بعض التماثيل ، مثل تماثيل اسكولاب المحفوظ في متحف رشلونة ، ووجدت أيضا بعض قطع من السيفساء ، ووجدت مسكوكات مضرورية في امبورياس وروزاس اللتين يظهر أنهما أول المدن الأسبانية التى وقع فيها ضرب السكة ، وكان للبرتغاليين في أمبورياس وروزاس ودانية معابد للالهة ديانة Diane التى هى من معبودات آسية فى الأصل

(١) إن الذى أثار الآثار العظيمة فى طركونة الباقية إلى يومنا هذا تدهش الناظر وتذهل خاطر ، إنما هو أغسطس الرومانى الذى أقام بها سنة ٢٦ قبل المسيح ، فبنى فيها الهيكل العظيم لعبادة الآلهة رومة ، وكانت فيها هياكل أخرى وأبنية يتصر عنها الوصف . وأما قادس فقد كان استولى عليها الفينيقيون ، ثم آلت إلى الرومانيين ، وسكن بها أناس من اليونانيين ، وترك الجميع فيها آثاراً مذكورة . وهيكل قادس المشهور عند العرب بصنم قادس هو من آثار الفينيقيين

ميلا ، وهذا عرض الأندلس عند رأسها من جهة الشرق ، ولقنته ، سميت جزيرة ، وإلا فليست بجزيرة على الحقيقة ، لاتصال هذا القدر بالأرض الكبيرة ، وعرض جزيرة الأندلس في موسطها عند طليطلة ستة عشر يوماً .

واتفقوا على أن جزيرة الأندلس مثلثة الشكل ، واختلفوا في الركن الذي في الشرق والجنوب في حيز أربونة ، فمن قال إنه في أربونة . وإن هذه المدينة تقابلها مدينة برديل التي في الركن الشرقي الشمالي أحمد بن محمد الرازي ، وابن حبان . وفي كلام غيرهما أنه في جهة أربونة ، وحقق الأمر الشريف ، وهو أعرف بتلك الجهة لتردده في الأسفار برأً وبحراً إليها ، وتفردّه لهذا الفن . قال ابن سعيد : وسألت جماعة من علماء هذا الشأن فأخبروني أن الصحيح ما ذهب إليه الشريف ، وأن أربونة وبرشلونة ^(١) غير داخلتين في أرض الأندلس ، وأن الركن الموقى على بحر الرقاق بالشرق بين برشلونة وطركونة ^(٢) في موضع يعرف بوادي « زنطة هاو » ، وهناك الحاجز الذي يفصل بين الأندلس والأرض الكبيرة ، ذات الألسن الكثيرة ، وفي هذا المكان جبل البرت ، الفاصل في الحاجز المذكور ، وفيه الأبواب التي فتحها ملك اليونان بالحديد والنار والخل ، ولم يكن للأندلس من الأرض الكبيرة قبل ذلك في البر . وذكر الشريف أن هذه الأبواب في مقابلتها في بحر الرقاق البحر الذي بين جزيرتي ميورقة ومنورقة ، وقد أخبر بذلك جمهور المسافرين لتلك الناحية . ومسافة هذا الجبل الحاجز بين الركن الجنوبي والركن الشمالي أربون ميلا قال : وشمال الركن المذكور عند مدينة برديل ، وهي من مدن الأفرنجية ، مطلة على البحر المحيط ، في شمال الأندلس . قال ويتقهر البر بمد تميز هذا الركن إلى

- (١) أما أربونة Narbonne فقير داخلة في الجزيرة الايبيرية وأما برشلونة فهي داخلة فيها لأن كل ما هو جنوبي جبال البرانس هو داخل في الجزيرة
- (٢) كلا لجبال البرنات ليست بين طركونه وبرشلونة بل هي إلى الشمال منهما وهي الحاجز بين الأندلس والأرض الكبيرة

الشمال في بلاد الفرنجة ، ولهم به جزائر كثيرة ، وذكروا من الركن الشمالى عند « شنت ^(١) ياقوه » من ساحل الجلالة في شمال الأندلس ، حيث تبتدى جزيرة « برطانية ^(٢) الكبيرة » فيتصوّر هناك بحر داخل بين ارضين ، من الناس من يجعله بحراً منفرداً خارجاً من البحر المحيط ، لطوله الى الركن المتقدم الذكر عند مدينة برديل ^(٣) . وذكر الشريف : ان عند شنت ياقوه في هذا الركن المذكور ، على جبل بمجمع البحرين ، صنما مطلاً مشبهاً بصنم قانس .

(١) Santiago (٢) Grande - Bretagne

(٣) إن سكان أسبانيا الاصليين لم يتركوا كتابات تاريخية ولاجغرافية عن بلادهم ، كما يصرح به الاستاذ رافائيل بالستر Ballester أحد علماء التاريخ في اسبانية الذى ألف أحسن تاريخ لتلك المملكة ، ونشر كتابه سنة ١٩١٧ ، ثم أعيد طبعه مراراً ، لاقبال الناس عليه ، بما فيه من تحقيق وتمحيص ، واختصار لا يفوت معه معنى مهم ، واجتناب للخوض في مالم يثبت بطريقة علمية . فهو الذى يقول : إن جميع ماورد من المعلومات القديمة عن أسبانية إنما جاء في كتب الرومان واليونان ، وهى أيضاً معلومات ناقصة ، ومنها ما ليس مستنداً إلى وثائق بركن إليها . ثم قال إن أقدم كتاب ورد فيه ذكر أسبانية هو كتاب الاوديسه Odyssee المنسوب إلى هوميروس ، وهو ديوان شعر شهير ، وقد جاء فيه ذكر أسبانية تحت اسم « سيكانيه ، Sicania » وأنها بقعة خصيبة في أقصى المغرب . وفي المائة الخامسة قبل المسيح كان اليونان يعرفون جنوبي أسبانية ، ويسمونه ذلك القطر ببلاد تارتسيد Tarteside ويعرفون أيضاً القسم الشرقى من أسبانية ، ويقولون له « اييرية » نسبة إلى نهر ايره ، وقد شمل هذا الاسم فيما بعد سائر شبه الجزيرة الايبيرية . أما اسم « اسبيرة ، Hesperia » فيظهر أنه كان اسماً شعرياً أطلقه اليونان على جميع الاقاليم الغربية . ولم يكن جغرافيو اليونان بادىء ذى بدى يعرفون خليج غشقونة Gascogne ، وكانوا يظنون أن أسبانية إنما هى على مساواة عالية ، أى جنوبي فرنسا . وبقى الامر كذلك إلى القرن الرابع قبل المسيح ، لجاء سائح اسمه بيتياس Pythéas فاطلع على أن في شمالي اسبانية إلى الغرب بحراً يجعل أسبانية عبارة عن شبه جزيرة

ومن ذلك الوقت صار يقال لأسبانية شبه الجزيرة الايبيرية . وأول ما عرف الأقدمون من أسبانية هو السواحل الجنوبية والشرقية ، أى من جبال البرانس إلى

والركن الثالث بمقربة من جبل الأغن؟ حيث صم قادس . والجبل المذكور يدخل من غربه مع جنوبه بحر الزقاق من البحر المحيط ، ماراً مع ساحل البحر الجنوبي الى جبل البرت المذكور . انتهى .

والكلام في مثل هذا طويل الذيل . قال الشيخ أحمد بن محمد بن موسى الرازى : بلد الاندلس هو آخر الاقليم الرابع الى المغرب ، وهو عند الحكماء بلد كريم البقعة ، طيب التربة ، خصب الجناب ، منبجس الأنهار الغزار ، والعيون العذاب ، قليل الهوام ذوات السموم ، معتدل الهواء والجو والنسيم ، ريحه وخريفه ومشتاه ومصيفه على قدر من الاعتدال ، وسطة من الحال ، لا يتولد في احدها فصل يتولد منه فيما يتلوه انتقاص ، تتصل فواكهه أكثر الأزمنة ، وتدوم متلاحقة غير مفقودة . أما الساحل منه ونواحيه فيبادر بيا كوره . واما الثمر وجهاته ، والجبال المخصوصة يبرد الهواء ، فيتأخر بالسكثير من ثمره ، فإدابة الخيرات بالبلد مبادية في كل الاحيان ، وفواكهه طلى الجملة غير مددومة في كل أوان . وله خواص في كرم النبات توافق في بعضها أرض الهند المخصوصة بكرم النبات وجواهره ، منها ان الحلب وهو المقدم في الافاوية ، والمفضل في أنواع الأشنان^(١) لا ينبت بشيء من الأرض إلا بالهند والاندلس ، والاندلس المدن الحصينة ، والمعقل المنيمة ، والقلاع الحريرة ، والمصانع

أعمدة هرقل التي هي بوغاز جبل طارق ، وأما السواحل الجنوبية فكانت عندهم تنهى برأس سانفسان Saint - Vincent كما أن الساحل الشمالي كان ينتهى برأس اورتغال Ortegal فكان الاولون يتصورون سواحل أسبانية من جهة الجنوب تصوراً صحيحاً ، أما من جهة الغرب فكانت في تخيلهم أقصر مما هي في الواقع . فإما أواسط أسبانية فلم تعرف إلا في المائة الثانية قبل المسيح . قال المؤرخ رافائيل بالستر : إن بين أسبانية وأفريقية تشابهاً عظيماً من الجهة الجغرافية ، وقال أيضاً إن أحسن وصف لاسبانية مما تركه الاقدمون هو ما جاء في كتاب سترابون الجغرافي اليوناني الذي وجد قبل المسيح بقرن واحد .

(١) بضم أوله هو المحض الذي يقبل به الأيدي وقد يكسر أوله

الجليلة ، ولها البرّ والبحر ، والسهل والوعر ، وشكلها مثلث ، وهي معتمدة على ثلاثة أركان ، الأول هو الموضع الذى فيه صنم قانس المشهور بالأندلس ، ومنه مخرج البحر المتوسط الشامى ، الآخذ بقبلى الأندلس . والركن الثانى هو بشرق الأندلس ، بين مدينة نربونة ، ومدينة برديل ، مما يابدى الفرنجة اليوم ، بازاء جزيرتى ميورقة ومنورقة ، بمجاورة من البحرين ، البحر المحيط والبحر المتوسط ، وبينهما البر الذى يعرف بالابواب ، مسيرة يومين . ومدينة نربونة تقابل البحر المحيط . ^(١) والركن الثالث منها هو ما بين الجوف ^(٢) والغرب من حيز جالقية ، حيث الجبل الموقى على البحر ، وفيها الصنم العالى المشبه بصنم قانس ، وهو الطالع على بلد برطانية . قال : والأندلس اندلسان فى اختلاف هبوب رياحها ، ومواقع أمطارها ، وجريان انهارها : اندلس غربى ، واندلس شرقى . فالغربى منها ما جرت أوديته الى البحر المحيط الغربى ، وتمطر بالرياح الغربية ، ومبتدأ هذا الحوز من ناحية المشرق مع المغازاة الخارجة مع الجوف ، الى بلد شنترية ، طالماً الى حوز « اغريطة » ^(٣) المجاورة لطليطلة ، مائلاً الى الغرب ، ومجاوراً للبحر المتوسط ، الموازى لقرطاجنة الخلفاء ، التى من بلد لورقة ، وللحوز الشرقى المعروف بالأندلس الأقصى . وتجرى أوديته الى الشرق ، وأمطاره بالرياح الشرقية ، وهو من حدّ جبل البشكنس ، هابطاً مع وادى « ابره » ^(٤) الى بلد « شنت » ^(٥) مرية ، ومن جوف هذا البحر وغربه المحيط ، وفى القبلة منه البحر الغربى ، الذى منه يجرى البحر المتوسط ، الخارج الى بلد الشام ، وهو البحر المسمى ببحر « تيران » ^(٦) ومعناه الذى يشق دائرة الارض ، ويسمى البحر الكبير . انتهى .

(١) سهو من الناسخ فان نربونة تقابل البحر المتوسط

(٢) المغاربة والاندلسيون يقولون للشمال الجوف كما تقدم الكلام عليه وسنعود اليه

(٣) أظن أنه المسكان الذى يقول له الاسبانول Agredas

(٤) Santa Maria Ebro

(٥) يكتب بالفرنسية هكذا Tyrrienienne وهو البحر الذى يفصل بين

إطالية وقرسقة وسردانية وصقلية

قال أبو بكر عبد الله بن عبد الحكم المروفي بابن النظام : بلد الأندلس عند علماء أهل أندلسان : فالأندلس الشرق منه ما صبت أوديته إلى البحر الرومي المتوسط ، للتصاعد من أسفل أرض الأندلس إلى الشرق ، وذلك ما بين مدينة تدمير إلى سرقسطة . والأندلس الغربي ما صبت أوديته إلى البحر الكبير المروفي بالمحيط ، أسفل من ذلك الحد ، إلى ساحل المغرب . فالشرق منهما يطر بالرياح الشرقية ، ويصلح عليها ؛ والغربي يطر بالرياح الغربية ، وبها صلاحه ، وجباله هابطة إلى الغرب ، جبلا بعد جبل . وإنما قسمته الأوائل جزئين لاختلافهما في حال أمطارهما ، وذلك أنه مهما استحكمت الرياح الغربية ، أكثر مطر الأندلس الغربي ، وقحط الأندلس الشرقي ، ومتى استحكمت الرياح الشرقية أكثر مطر الأندلس الشرقي ، وقحط الغربي . وأودية هذا القسم تجري من الشرق إلى الغرب ، بين هذه الجبال . وجبال الأندلس الغربي تمتد إلى الشرق ، جبلا بعد جبل ، تقطع من الجوف إلى القبلة ، والأودية التي تخرج من تلك الجبال يقطع بعضها إلى القبلة ، وبعضها إلى الشرق ، وتنصب كلها إلى البحر المحيط ، بالأندلس القاطع إلى الشام ، وهو البحر الرومي . وما كان من بلاد جوف الأندلس من بلاد جليقية وما يلبها ، فإن أوديتها تنصب إلى البحر الكبير المحيط بناحية الجوف^(١) (وصفة الأندلس) شكل مكرن على مثال الشكل

(١) تقدم لنا أن اخواننا المغاربة اصطاحوا على تسمية الشمال بالجوف ، وأنا بحثنا كثيرا حتى تعلم وجه هذه التسمية ، لأنه ليس في كتب اللغة ما يدل على أن الجوف يعني به الشمال ، بل الجوف في اللغة هو المظلم من الأرض ، وهو داخل الشيء . فن الإنسان بطنه ، ومن البيت داخله . ولا مناسبة بين الشمال والجوف في شيء . ومع هذا فلا تكاد في جميع كتب الأندلس نجد معنى الشمال معبرا عنه بغير الجوف ، مما حدانا أن نسال اخواننا المروفين بسمة الاطلاع في اللغة ، واصالة الرأي في توجيه معاني الالفاظ ، عما يرونه من وجه هذا الاصطلاح ، فالسيد لعل الفاسي من رؤوس أدباء المغرب ، رأى كما تقدم الكلام عليه ، أن الجوف بلاد واقعة في شمال مكة فجا أن الجنوب يسمى بالقبلة في بلاد الشام ، أصبح الجوف علما على الشمال بالنسبة إلى أهل الحجاز ، ومن هنا ظب هذا الاستعمال في المغرب والأندلس . وقد استحسن

المثلث ، ركنها الواحد فيما بين الجنوب والغرب ، حيث اجتمع البحرين عند صنم

هذا الرأي الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق .
وأما الأستاذ الأب انطاس الكرملي قال إلى القول بأن الذين أطلقوا الجوف على
على الشمال لا بد أن يكونوا أهالي شمال أفريقيا لأن الرياح الشمالية تهب عليهم من
جوف البحر المتوسط فصار كل شمالى عندهم جوفاً . ثم أنه جاء في جواب في هذا
الموضوع من الأستاذ الشيخ خضر حسين التونسي يقول فيه : إن أهل تونس كما
يسمون الجنوب بالقبة ، يسمون الشمال بالجوف . ونجد هذا الاستعمال قاشياً في
تحديد الأراضين ، ويظهر أنه جاء إلى تونس من الأندلس ، وكنت أخبرت الأستاذ
الحضر عما ظهر للأستاذ علال الفاسي من جهة هذا الاستعمال ففي جوابه قال لي أنه قد
خطر ذلك على باله ، ولكن لم يطمئن إليه لأن هذه الكلمة بهذا المعنى لم تستعمل
إلا بالمغرب والأندلس . ويظهر أن أصل استعمالها هو في الأندلس ، فربما كان السبب
فيه أن العرب دخلوا الأندلس من جهة الجنوب ، فكان الجوف عندهم هو داخل البلاد ،
وهو في الشمال كما لا يخفى ، فصار الشمال عندهم مرادفاً للجوف

وأما كاتب هذه السطور فقد كنت من أول الأمر أظن أن العرب لما كانوا قد
دخلوا الأندلس من الجنوب ، وتوغلوا فيها إلى الشمال ، وصلوا إلى ما يسمونه بالأرض
الكبيرة ، شمال البرانس ، وهي وسط القارة الأوروبية ، لأطرافها كما هي أسبانية فصاروا
يقولون للأرض الكبيرة جوفاً ، ولما كانت الأرض الكبيرة هي في الشمال نحراً ،
صار الشمال والجوف عندهم مترادفين . وقد جاءني من السيد علال الفاسي مؤخراً
كتاب يقول فيه : « وأما رأيكم فقد وجدت ما يستأنس له به في كلام ابن خلدون
فقد جاء عنده في صفحة ٣٠٣ مالفظة : « وقال هوروشيرش أن نبيون قيصر انتفض
عليه أهل مملكته ، فنخرج عن طاعته أهل برطانية من أهل الجوف ، ورجع أهل
أرمينية والشام إلى طاعة الفرس هـ .

وخلاصة القول أن الأستاذين عبد القادر المغربي وعلال الفاسي يميلان إلى القول
بأن الجوف استعمل للشمال لوقوع بلاد الجوف في شمال مكة ، كما استعملت القبة
لمعنى الجنوب لوقوعها في شمال الشام ، وأن العلامة الكرملي يرى التسمية المذكورة
بدأت عند أهل شمال أفريقيا ، لكون الرياح الشمالية تهب على بلادهم من جوف ،
البحر المتوسط ، وأن العلامة خضر حسين التونسي يذهب إلى رأي قريب من رأي

قانس . وركنها الثاني في بلد جليقية ، حيث الصنم المشبه صنم قانس ، مقابل جزيرة بريطانيا . وركنها الثالث بين مدينة نربونة ، ومدينة برديل من بلد الفرنجة ، بحيث يقرب البحر المحيط من البحر الشامى المتوسط فيكادان يجتمعان في ذلك الموضع فيصير بلد الأندلس جزيرة بينهما في الحقيقة ، لولا أنه يبقى بينهما برزخ برية صحراء ، وعمارة مسافة مسيرة يوم للراكب منه المدخل إلى الأرض الكبيرة . التي يقال لها الأبواب ، ومن قبله يتصل بلد الأندلس بتلك البلاد المعروفة بالأرض الكبيرة ، ذات الألسن المختلفة .

قال : وأول من سكن بالاندلس على قديم الأيام ، فيما نقلته الاخبار يون ، من بعد عهد الطوفان ، على ما يذكره علماء عجمها ، قوم يعرفون بالاندلس ، معجبة الشين بهم سمى المسكان ، ضرب فيها بعد بالسين غير المعجبة ، كانوا الذين عمروها ، وتنازلوا فيها وتداولوا ملكها دهرًا ، على دين التجسس والإهمال والإفساد في الأرض ، ثم أخذهم الله بذنوبهم ، فحبس المطر عنهم ، ووالى القحط عليهم ، وأعطش بلادهم حتى نضبت مياهها ، وغارت عيونها ، وبيست أنهارها ، وبادت أشجارها ، فهلك كثيرهم ، وفر من قدر على الفرار منهم ، فافقرت الأندلس منهم وبقيت خالية ، فيما يزعمون ، مائة سنة و بضع عشر سنة ، وذلك من حد بلد الفرنجة إلى حد بجزر القرب الأخضر

هذا العاجز ، وهو أن العرب جاؤا الأندلس من الجنوب ، فكان داخلها أو جوفها هو الشمال في نظرهم ، وفي الواقع ، فأطلقوا كلمة الجوف على كل ما هو شمالي . وإنما الفرق هو في أني أنا أظن أن الجوف عند العرب لم يكن جوف الأندلس نفسها ، ولكن جوف القارة الاوربية كلها ، لأن الأندلس في ذاتها هي طرف بالنسبة إلى القارة المذكورة ، فالأندلس وجزر البحر المتوسط وإيطالية هي بالنسبة إلى أوربة معدودة من الاطراف ، والجوف هو وسط القارة . ولما كان هذا الوسط هو في الشمال بالنسبة إلى أهل المغرب وعرب الأندلس ، فقد أطلق هؤلاء اسم الجوف على الشمال وكلام ابن خلدون فيه ما يدل على هذا ، لانه يذكر اتقاضي أهل بريطانيا ، وهم أهل شمالي فرنسا وجزيرة انكلترا ، ويعدم أهل وسط اوربة فهذه هي الآراء المختلفة في هذا التوجيه والقارىء أن يختار منها ما يشاء

وكان عدّة ما عمرتها هذه الامة البائدة مائة عام و بضع عشرة سنة . ثم ابتعث الله لعمارها الافارقة^(١) ، فدخل اليها بعد اقرارها تلك المدة الطويلة ، قوم منهم ، أجلام

(١) أى أهل أفريقية . وهذا الرأى الذى قاله ابن النظام معروف فى أوربة . قال رافائيل بالاستر فى تاريخ أسبانية ما خلاصته : إن الذين عمروا أسبانية قبل الجميع هم الليقوريون Ligures والايبيرون Ibères والسليتون Celtes فأما أصل الليقورين فجهول ، ولا يعرف وجودهم إلا من بعض أسماء البقاع ، وكل ما يقال عن أصلهم فهو رجم بالغيب : وأما الايبيرون فقد ذهب قوم إلى أن أصلهم هو من آسية ، وقيل إنهم من أصل سامى أفريقى ، وذلك لشدة التشابه بين الايبيين وبين قبائل الاطلس ، والبرابر والطوارق ، سواء فى الملامح . أو فى المنازع والاختلاق ومن المؤرخين من يرى أن الايبيين هم أجداد الباشكنس الحاليين ، ويستدلون على هذا ببعض أدلة افريقية . أما السليتون فهم شذب طراً من آسية على غربي أوربة والوسط منها وقد اتجمعوا أسبانية فى القرن السادس قبل المسيح ، وأقاموا بغيرها وموسطنها ، وتلاقوا مع الايبيين ، ولم يطرده أحد الفريقين الآخر . وكانت نتيجة تساكن هذين العنصرين تولد اسم « السلتيبير » Celtibères أى الساقى الايبرى وهو اسم أطلق على الايبيين الذين فى أواسط أسبانية وقد عرف هذا الاسم منذ سنة ٢١٨ قبل المسيح وبالاختصار كانت اسبانية لذلك العهد ، تنقسم إلى ما يلى :

القسم الشمالى للشرق الذى يقطنه الباشكنس ، مثل يسقاية ونارة ، ووشقة ، والفاردول Vardules فى « فيوسقوا » Guipuzcoa . والابلرجيت Illergetes فى لاردة . والكوزيتان Cosétanes فى طركونة ، واللاسيان Lacétanes فى برشلونة والاوزيتان Ausétanes ، والانديجيت Indigètes فى جرنده Gérone ، والايديتان Edetans فى بلنسية ، والباسيتان Bastitans فى لنت ومرسية ، والترديتان Turdetans والتردول Turdules والتارتيز Tarteses فى الجنوب من برغاز جبل طارق إلى وادى بانه Guadiana . ثم القسم المتوسط ، وسكانه الاوريجان Orétans فى جهات المانش . والكاريتان Carpétans فى طليطلة . والاريتاك Arévaques فى شوربه Soria ومانسيه Numancia مع المقاطعات السليبرية الممتدة من الوادى الجوفى Dourv إلى أرض بالنسية Palencia (هى غير بلنسية Valencia) حيث يسكن الفاسيون Vacéens

ملك أفريقية تخفيفاً منهم ، لإبحال توالى على أهل مملكته ، وتردد عليهم ، حتى كاد يفتنهم ، فحمل منهم خلقاً في السفن مع قائد من قبيله يدعى أبطر يقس ، فأرسوا بريف الأندلس الغربية ، واحتلوا بجزيرة قادس ، فاصابوا الأندلس قد أمطرت وأخصبت فحرت أمهارها ، وانفجرت عيونها ، وحييت أشجارها ، فنزلوا الأندلس مغتبطين وسكنوها معتمرين وتوالدوا فيها ، فكثروا ، واستوسعوا في عمارة الارض ، ما بين الساحل الذى أرسوا فيه بغيرها ، إلى بلد الأفرنجية من شرقها ، ونصبوا من أنفسهم ملوكا عليهم ، ضبطوا أمرهم ، وتوالوا على إقامة دولتهم ، وهم مع ذلك على ديانة من قباهم من الجاهلية ، وكانت دار مملكتهم « طالقة » ؟ الخراب اليوم ، من أرض أشبيلية ، اخترعها ملوكهم وسكنوها ، فاتسق ملكهم بالأندلس مائة وسبعة وخمسين عاماً ، إلى أن أهلكتهم الله تعالى ونسخهم بعجم رومة ، بعد أن ملك من هؤلاء الأفاقة في مدتهم تلك أحد عشر ملكا .

ثم صار ملك الأندلس إلى عجم رومة ، وملكهم أشبان بن طيطش ؟ وباسمه سميت الأندلس اشبانية . وذكر بعضهم أن اسمه أصهبان ، فاحيل بلسان العجم ، وقيل بل كان مولده باصهبان ، فغلب اسمها عليه ^(١) ؟ وهو الذى نبى إشبيلية ، وكان اشبانية اسماً خالصاً لبلد اشبيلية ، الذى كان ينزله اشبان هذا ثم غلب الاسم بعده على الأندلس كله . فالعجم الآن يسمونه اشبانية ، لأنار اشبان هذا فيه ، وكان أحد الملوك الذين

ثم القسم الثالث الذى يقطنه القنتبريون Cantabres أهل سنت اندر (أوشنت ادرم) والاستوريون Astures (أو الاشتوريون) والغاليسيون Gallaïques أهل غاليسيا Galicia وقبائل سلتية ساكنة بين البحر المحيط والوادي الجوفى والأمة التى يقال لها الاوزيتانيون Lusitains وهم أقوى أمة ايبيرية بين الوادي الجوفى ووادي يانه أى البرتغال وشمالى الاسترامادور . وإلى الشرق من لوزيتانية كان يسكن الفتونيون Vettons وكان فى جزيرتى ميورقة ومينورقة قوم يقال لهم « الجيميناز » Gimnèses وفى جزيرة يابسة قوم يقال لهم « البيتوز » Pytieuses

(١) لم نعلم على شيء من هذا فى كلام المحققين

ملكوا أقطار الدنيا ، فيأزعموا ، وكان غزا الافارقة ، عند ما ساطه الله عليهم في جموعه فض عسا كرم ، وأثخن فيهم ، ونزل عليهم بقاعدتهم ه طالقة^(١) وقد تحصنوا فيها منه ، فابتقى عليهم مدينة اشبيلية اليوم واتصل حصره وقتاله لهم ، حتى فتحها الله عليه وغلبهم ، واستوت له مملكة الاندلس بأسرها ، ودان له من فيها ، فهدم مدينة طالقة ونقل رخامها وآلاتها إلى مدينة أشبيلية ، فاستم بناءها . واتخذها دار مملكته واستغلف ساطانه في الارض ، وكثرت جموعه ، فعلا ، وعظم عتوه . ثم غزا إيليا ، وهي القدس الشريف ، من أشبيلية ، بعد سنتين من ملكه ، خرج اليها في السفن ففتمها وهدمها وقتل فيها من اليهود مائة الف واسترق مائة الف ، ونقل رخام إيليا وآلاتها إلى الاندلس وقهر الاعداء ، واشتد سلطانه . انتهى .

وذكر بعض المؤرخين : أن الفرائب التي أصيبت في مقام الأندلس أيام فتحها كائدة سليمان عليه الصلاة والسلام ، التي ألناها طارق بن زياد بكيسة طليطلة ، وقُدَيْلَة^(٢) الدر التي ألناها موسى بن نصير بكيسة ماردة ، وغيرها من خرائف الذخائر ، إنما كانت مما صار لصاحب الأندلس من غنيمة بيت المقدس إذ حضر فتحها مع بختنصر^(٣) ، وكان اسم ذلك الملك بريان ؟ وفي سهمه وقع ذلك ومثله ، مما كانت الجن تأتي به نبي الله سليمان^(٤) ، على نبينا وعليه وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام ، انتهى .

(١) جاء ذكر طالقة هذه في معجم البلدان لياقوت قال : طالقة ناحية من أعمال

اشبيلية بالأندلس . وقرأت أسماء علماء من العرب منسوبين إلى طالقة

(٢) تصغير قلة بمعنى جرة

(٣) المعروف أن الذي فتح بيت المقدس من ملوك بابل هو نوكدنصر الثاني

ابن نابوبولصر وكان قد خلف أباه سنة ٦٠٤ قبل المسيح وهو الذي حصر بيت

القدس مرتين سنة ٥٩٧ ثم سنة ٥٨٦ وسبى بنى اسرائيل السى الشهير المعروف

بسبى بابل .

(٤) هذه كلها من أساطير الاولين

وقال غير واحد من المؤرخين ، كان أهل المغرب الأقصى يضرون بأهل الأندلس لاتصال الأرض ، ويقومون منهم الجهد الجهيد في كل وقت ، إلى أن اجتاز بهم الاسكندر^(١) ، فشكروا حالهم اليه ، فأحضر المهندسين ، وحضر إلى الزقاق ، فأمر المهندسين بوزن سطح الماء من المحيط والبحر الشامي ، فوجدوا المحيط يملو البحر الشامي بشئ . يسير فأمر برفع البلاد التي على ساحل البحر الشامي ونقلها من الحضيض إلى الأعلى ، ثم أمر بحفر ما بين طنجة وبلاد الأندلس من الأرض ، فحفرت حتى ظهرت الجبال السفلية ، وبني عليها رصيفاً بالحجر والجيار بناء محكما ، وجعل طوله اثني عشر ميلا ، وهي المسافة التي كانت بين البحرين ، وبني رصيفاً آخر يقابله من ناحية طنجة ، وجعل بين الرصيفين سمة ستة أميال ، فلما كمل الرصيفان حفر من جهة البحر الأعظم وأطلق فم الماء بين الرصيفين ، فدخل في البحر الشامي ، ثم فاض ماؤه فأغرق مدناً كثيرة ، وأهلك أمماً عظيمة ، كانت على الشطين^(٢) ، وطفا الماء على الرصيفين إحدى عشر قامة . فأما الرصيف الذي يلي بلاد الأندلس فإنه يظهر في بعض الأوقات إذا هص الماء ، ظهوراً يبتأ مستقيماً ، على خط واحد ، وأهل الجزيرتين يسمونه القنطرة . وأما الرصيف الذي من جهة المدوة ، فإن الماء حمله في صدره ، واحتفر ما خلفه من الأرض اثني عشر ميلا . وعلى طرفه من جهة المغرب قصر الجواز ، وسبته ، وطنجة . وعلى طرفه من الناحية الأخرى جبل طارق بن زياد ، وجزيرة طريف ، وغيرها والجزيرة الخضراء ، وبين سبته والجزيرة الخضراء ، عرض البحر انتهى ماخصاً . وقد تكرر بعضه مع ما جبلناه ، والمذريين ، لارتباط الكلام بعضه ببعض .

وقال ابن سعيد . ذكر الشريف^(٣) أن لاحظ لأرض الأندلس في الاقليم

(١) ومضى اجتاز بهم الاسكندر ؟

(٢) بمقتضى هذه الأساطير يكون الاسكندر اتقى الضرر الاخف بالضرر الأشد

(٣) يعنون بالشريف الشريف الادريسي

الثالث قال : ويمر بجزيرة الأندلس الاقليم الرابع على ساحلها الجنوبي ، وما قاربه من قرطبة واشبيلية ومرسية وبنسية ، ثم يمر على جزيرة صقلية ، وعلى ما في سمتها من الجزائر ، والشمس مدبرة له . والاقليم الخامس يمر على طليطلة ، وسرقسطة ، وما في سمتها إلى بلاد أرغون التي في جنوبها برشلوة ، ثم يمر على رومية وبلادها ، ويشق بحر البنادقة ، ثم يمر على القسطنطينية ، ومدبرته الزهرة . والسادس على ساحل الأندلس الشمالى الذى على البحر المحيط وما قاربه ، وبعض البلاد الداخلة في قشتالة وبرتغال وما في سمتها . وعلى بلاد برجان والصقالبة والروس ، ومدبره عطارد ، ويمر الاقليم السابع في البحر المحيط ، الذى في شمال الاندلس ، إلى جزيرة انقلاطرة ، وغيرها من الجزائر ، وما في سمتها من بلاد الصقالبة و برجان ^(١) . قال البيهقي : وفيه تقع جزيرة تولى ، وجزيرتا أجبال والنساء . وبعض بلاد الروس الداخلة في الشمال والبلغار ومدبره القمر . اهـ

وقال بعض العلماء ما معناه إن النصارى أعطوا عن الآخرة بستائناً متصلاً من البحر المحيط بالأندلس إلى خليج القسطنطينية وعندهم عوم الشاه بلوط ، والبندق ، والجوز ، والفستق ، وغير ذلك مما يكون أكثر وأمكن في الاقليم الباردة ، والتمر عندهم معدوم ، وكذا الموز وقصب السكر ، وربما يكون شئ من ذلك في الساحل ، لأن هواء البحر يندف . اهـ

قال ابن حيان في المقتبس : ذكر رواية المعجم أن الخضر عليه السلام وقف على أشبان المذكور وهو يحرث الارض ببدن له أيام حرارته : فقال له : يا أشبان إنك

(١) برجان بالجيم بلد من نواحي الخزر ، قاله ياقوت في معجم البلدان ، قال المتجمون هو في الاقليم السادس ، وطوله أرهون درجة ، وعرضه خمس وأربعون درجة ، وكان المسلمون غزوه في أيام عثمان رضى الله عنه ، فقال أبو نعيم التميمي :

بدأنا بجيلان فزلزل عرشهم كتاب نزعى في الملاحم فرسانا
وعدا لنا لاشيات بمثل عداتهم فعادوا جمالى بين روم وبرجانا

لندو شأن ، وسوف يحطيك زمان ، ويمليك سلطان . فاذا أنت غلبت على ايليا ، فارق بذرية الانبياء . فقال له اشبان : أسأخربى رحمتك الله ؟ أنى يكون هذا منى وأنا ضميم تمنهن حقير قعير ؟ ليس مثل ينال السلطان ! فقال له : قد قدر ذلك فيك من قدر فى عصاك اليابسة ما تراه . فنظر اشبان إلى عصاه فاذا بها قد أورقت فريغ لما رأى من الآية ، وذهب الخضر عنه ، وقد وقع الكلام بخلده ، ووفرت فى نفسه الثقة بكونه ، قترك الامتهان من وقته ، وداخل الناس ، وسحب أهل البأس منهم ، وسما به جدّه ، فارتقى فى طلب السلطان حتى أدرك منه عظيما ، وكان منه ما كان ، ثم آتى عليه ما آتى على القرون قبله . وكان ملكه كله عشرين سنة وتعادى ملك الاشباينين بعده إلى أن ملك منهم الاندلس خمسة وخمسون ملكا ثم دخل على هؤلاء الاشباينين من عجم رومة أمة يدعون البشتولقات وملكهم طلويش بن بيطه ، وذلك زمن بنت المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، أتوا الاندلس من قبل رومة ، وكانوا يملكون أفرنجية معها ، ويمشون معالمها ، فأنخذوا دار مملكتهم بالاندلس مدينة ماردة ^(١) ، واستولوا على مملكة الاندلس ، واتصل

(١) المعروف أن الذين بنوا ماردة هم الرومانيون ، وذلك قبل المسيح بخمسة وعشرين سنة لاغير ، وسموها « أوغستا أميريتا ، Augusta Emerita » وكانت قاعدة ولاية « لوزيتانيا » ، ثم عظمت ونمت حتى صار يقال لها « رومة الاسبانية » ، ودخل عليها القوط وهى بهذه الحالة ، وأما « البشتولقات » ، فلم نعرف من يعنى بهم مؤرخونا ؟ وهم مذكورون فى عدم تمحيص التاريخ فى القرون الوسطى التى كان التاريخ القديم فيها لا يزال فى مهد الطفولية سواء فى الشرق أو فى الغرب والمظنون أنهم يريدون بهم الفيزيقوط Visigots أما « اشبان » هذا فلم نعرفه ، ولا عرفنا عنه شيئا ، ولا سمعنا بغزوه بيت المقدس ولا باخضرار العصافى يده . وجل ما عرفنا عن الذين كانوا يلون اسبانية قبل القوط أنهم من أمة « السوييف » Sueves وهى أمة جرمانية زحفت من الشمال إلى الجنوب نظير القوط . ويقال أنها من نفس الجنس الجرمانى الذى يقال له اليوم « سواب » Swab وأن القوط نزعوا من أيديهم القسم الشمالى الغربى من اسبانية

ملكهم بها مدة ، إلى أن ملك منهم سبعة وعشرون ملكاً ، ثم دخل على هؤلاء

سنة ٥٨٥ قبل المسيح ومن ذلك الوقت كانت الدولة للقوط الملقيين ، بالفيزيقوط ، وربما كان العرب رأوا فيهم جنساً آخر غير الجنس القوطي ، على حين أنهم هم قوط الغرب ، كما أن ، الأوستروقوط ، هم قوط الشرق . وكلا الفريقين استولى على إيطاليا وتقدم إلى جنوبي فرنسا ، ثم فتح القوط الغربيون اسبانية ، كما ذكرنا ، وتولى أول ملك منهم عليها سنة ٥٣١ ب م واسمه « طوديش » Theudis ، ثم « طيوديجيزل » Théodigisèle سنة ٥٤٨ ، ثم « اجيلا » Agila ، سنة ٥٤٩ ، ثم « أتاجيلد » Atanagild ، سنة ٥٥٤ ، ثم « ليوبا » الأول Libua ، سنة ٥٦٧ ، ثم « ليوفجيلد » Léowigild ، سنة ٥٧٢ ، ثم « هرمينجيلد » Herménigild ، سنة ٥٨٥ ، ثم « ريكاريد » Récarède ، سنة ٥٨٦ ، ثم « ليوبا » الثاني سنة ٦٠١ ، ثم « فيريك » Vitceic ، سنة ٦٠٣ ، ثم « غندمار » Gondemar ، سنة ٦١٠ ، ثم « سيزبوت » Sisebut ، سنة ٦١٢ ، ثم « ريكاريد » الثاني سنة ٦٢١ ، ثم « سونتيللا » Suitilla ، سنة ٦٢١ ، ثم « ريسيمر » Ricimer ، سنة ٦٢٥ ، ثم « سيزيناند » Sisenand ، سنة ٦٣١ ، ثم « شنتيلا » Chintila ، سنة ٦٣٦ ، ثم « طولغا » Tulga ، سنة ٦٤٠ ، ثم « شنداسنت » Chindasuinte ، سنة ٦٤٢ ، ثم « ريبزوبنت » سنة ٦٥٢ ، ثم « فامبا » Vamba ، سنة ٦٧٢ ، ثم « أرفيج » Ervige ، سنة ٦٨٠ ، ثم « أجيلا » Egiza ، سنة ٦٨٧ ، ثم « فيتيزا » Witiza ، سنة ٧٠٠ ، ثم « رودريك » ، أو « لدريق » Rodrique ، سنة ٧١٠

والذي بلوح لنا من المقابلة بين هذه الروايات التي في بعض كتب العرب وبين تواريخ الافرنج الممول عليها أن الذين يعنهم ابن حيان بقولهم « البشقولقات » هم « الفيزيقت » ، أو « الفيزيقوط » ، أنفسهم والمشابهة بين اللفظتين ظاهرة فالفاء هي الباء والزاي هي الشين لأن من عادة العرب قلب السين والزاي شيئاً بل يقال أن أوائل الاسبان أيضاً كانوا يقبلونهما شيئاً فتصير اللفظة هي « البيشيقوت » ، وأما اللام فظالماً ادخلوها على الاعلام التي فيها « واو » مثل « بودوين » Baudwin جعلوها « بلدوين » ومثل « بيوغراد » Beaugrade التي صارت « بلغراد » وعليه تصير اللفظة « البشيقولت » ثم جمعوها على « بيشقولقات » ، ثم تعاورها التصحيف الذي لا يوجد أكثر منه في نسخ العرب للألفاظ الافرنجية فان الاسم الافرنجي يجتاز عند العرب عقبتين الأولى هي اللفظ لأن العرب لا تقدر ان تلفظ ببعض الحروف الافرنجية ولو قطعت رؤوسها

البشقولقات أمة القوط ، مع ملك لهم ، فذابوا على الاندلس ، واقتطعوا من يومئذ

والثانية هي التعريف والتصحيح في النسخ بعد ان يمر الاسم الافرنجي بهاتين المعنيين
يعد جداً عن أصله حتى يصعب رده الى الأصل . وانا أرى ان « طوليش بن يطله »
الذى ذكره ابن حيان انه أول من ملك من البشقولقات ، انما هو « طوديش » Theudis
الذى ذكر مؤرخو الافرنجة انه أول من ملك من « الفيزيقوط » ، أو « البيزيقوط » ،
في أسبانية . وكذلك « خشنديش » ، الذى قال ابن حيان انه هو أول من تنصر من ملوك
القوط انما هو « شنداسنت » ، الذى ملك عام ٦٤٢م وان الاسم تحرف أولاً الى « خنداشنت »
ثم تصحف وتحرف فصار « خشنديش » ، على ان مؤرخى الافرنج يذكرون ان أول
ملك تنصر من ملوك القوط هو ريكاريد الأول اى قبل عهد الذى سموه « خشنديش » ،
أو تصحف اسمه الى خشنديش ، بخمسين سنة وثنى . واما « فيتيزا » ، الذى يسميه العرب
في كتبهم « غيطشه » ، فاقى معتقد ان الفين هنا هي تصحيف الفاء وان العرب من البداية
قالوا « فيطشه » ، لا « غيطشه » ، وذلك لأنهم لفظوا الزاى شيئاً على عادتهم فصار « فيتيزه »
هو « فيتيشه » ، ثم فغموا التاء فصار « فيطشه » . واما عدد ملوك « الفيزيقوط » ، فهو
بحسب ما ذكر الافرنج ٢٥ ملكاً كما ترى ورواية ابن حيان عن عدد ملوك « البشقولقات »
الذين اعتقد انهم هم هم هي انهم ٢٧ ملكاً فالروايتان متقاربتان . وهناك ملاحظة ،
وهي ان المقرئ يروى فيما بعد قائلاً : وقال جماعة : ان القوط غير البشقولقات الخ
وهذا دليل على وجود روايات أخرى بان البشقولقات هم من القوط انفسهم لا سيما
انه يروى عن هؤلاء ان عددهم ٢٧ ملكاً

وفي كتابنا « غزوات العرب في اوربة » ، نذكر مدينة طلويزة Toulouse ونقول
انها كانت قاعدة مملكة الكتونزاجيين Valces Tectosages وقلت في الحاشية ان
هؤلاء هم جيل من الثولوا ولا نعلم هل هم الذين أرادهم صاحب فصح الطيب عند
ذكر الامم التي عمرت الاندلس وسماهم البشقولقات أم لا ؟ وقد تكون اللفظة مصحفة
عن تفتلقات وفي صبح الاعشى يذكر الشبقات ويقول انهم ملكوا الاندلس وبلاد
الاندلس معاً وان القوط خرجوا عليهم . انتهى . الا ان العلامات كثيرة على كون المراد
بالشبقات أو البشقات هم امة الفيزيقوط . هذا ويظهر ان المؤرخين من أسبانيين
وغيرهم مختلفون في عدد ملوك القوط وفي اسمائهم وفي سنى ملكهم وذلك كما ترى من
سلسلة ملوك القوط التي نشرها هنا مع صورة كل واحد منهم فانك تراها مختلفة عن

من صاحب رومة، وتفردوا بسلاطنتهم، واتخذوا مدينة طابليطة دار مملكتهم وأقرباها سرير مملكهم، فبقى باشبيلية علم الاشباانيين، ورياسة أوليتهم (وقد كان عيسى المسيح عليه السلام) بثت الحوار بين في الارض يدعون الخلق إلى ديانتهم، فاختلف الناس عليهم، وقتلوا بعضهم واستجاب لهم كثير منهم. وكان من أسرعهم إجابة لمن جاءه من هؤلاء الحوار بين خشن دشم ملك القوط، فتنصر، ودعا قومه إلى النصرانية وكان من صميم أعظمهم، وخير من تنصر من ملوكهم، وأجمعوا على أنه لم يكن فيهم أعدل منه حكما، ولا أرشد رأيا، ولا أحسن سيرة، ولا أجود تديرا، فكان الذي أصل النصرانية في مملكته، ومضى أهلها على سنته إلى اليوم، وحكوا بها، والأنجيالات في المصاحف الأربعة التي يختلفون فيها من انتساخه، وجمعه، وتثقيفه. فتناسقت ملوك القوط بالأندلس بدمه، إلى أن غلبتهم العرب عليها، وأظهر الله تعالى دين الاسلام على جميع الأديان.

فوقع في تواريخ العجم القديمة أن عدة ملوك هؤلاء القوط بالاندلس، من عهد « انانا وينوس »^(١) الذي ملك في السنة الخامسة من مملكة « فلبس »^(٢)

السلسلة الأولى التي نقلناها عن تواريخ محصنة افرنجية الا ان السلسلة المصوّرة مبدوء فيها بملوك القوط وهم لا يزالون في غاية وهي منقولة عن مجموعة عظيمة مطبوعة في برشلونة بمطبعة « يونافيستا » Buenavista كانت قد أهديت الى الوطنى الكبير فقيد المغرب الحاج عبد السلام بنونه من عبون أعيان تطاون رحمه الله وقد أهدانا اياها أخوه الفاضل الحاج محمد العربي بنونه حفظه الله وما نشرناه في هذا الكتاب من التصاوير والرسوم منه ما أخذناه عن هذه المجموعة ومنه ما اقتنيناه في أثناء سياحتنا الى الاندلس ومنه ما أرسلنا واستجلبناه منها فيما بعد

(١) أظن هذا الاسم محرفاً وأصله « اناناجيلدوس » وهو من ملوك القوط، وقد مر بك

(٢) فلبس القيصر الرومانى ملك من سنة ٢٤٤ للمسيح إلى سنة ٢٤٩ وكان عربى الأصل.

القيصري « لخص اربعمائة وسبع من تاريخ الصفر^(١) المشهور عند المعجم ، إلى عهد

(١) كان أشهر تاريخ هو التاريخ المسمى باليولياني Julien وذلك أنهم قسموا السنة إلى ١٢ شهراً تبلغ عدة أيامها جميعاً ٣٥٥ يوماً فلزم حينئذ إضافة شهر جديد تكون أيامه ٢٢ أو ٢٣ يوماً ، حتى تم المطابقة مع السنة الشمسية . فكان هذا الشهر المضاف يأتي كل سنتين ، ويكون دوره في آخر السنة بين ٢٣ و ٢٤ فبراير وكانوا يسمونه « هرمدونيوس ، Mercedonius فكان دور أربع سنوات يزيد باثني عشر يوماً على عدد الأيام التي في السنوات الأربع الشمسية وأخيراً صار يأتي ١ يناير في ١٥ أكتوبر ، فاضطر يوليوس قيصر إلى اصلاح الحساب ، وأضاف إلى السنة شهرين ، أحدهما ٢٣ يوماً ، والآخر ٣٤ يوماً . ثم جاء الفلكي الاسكندري سوزستان Sosisthene فقرر للسنة ٣٦٥ يوماً ، وبقيت ست ساعات لأجل تمة الوقت الذي يقتضيه دوران الشمس حول الأرض ، فأنف من هذه الساعات يوم واحد كل أربع سنوات ، فوضعوا هذا اليوم بعد ٢٣ فبراير

وهكذا جرى اصلاح الحساب الأول ، إلا أن سنة سوزستان نفسها بقيت ناقصة باحدى عشرة دقيقة واثني عشرة ثانية عن السنة الشمسية ، وبقيت الحال هكذا من سنة ٤٧ للسبع إلى سنة ١٥٨٢ فتمه لاصلاح هذا الخلل البابا غريغوريوس الثالث عشر ، فأصلح الحساب اليولياني ، وسمى الحساب الجديد بالحساب الغريغوري ، ولكنه لم يسلم من الخلل أيضاً ، بحيث لا يزال علماء الفلك والتقويم يفكرون في حساب آخر ينتهي إليه المضط ، ولكن صعوبة ترك التقليد تحول دون هذا المشروع في اوروبا ، وسنة ١٩١٧ إذ كنت من أعضاء مجلس النواب العثماني في استانبول ، تقرر عندنا في المجلس العمل بالتاريخ الغريغوري بكونه أصح من التاريخ العربي ، فتم هذا القرار في مجلس النواب أو المبعوثين ، وتقدم إلى مجلس الاعيان ، لجاء الفلكي الشهير أحمد مختار باشا الغازي ، واعترض على هذا التغيير ، وقال : إن الحساب الغريغوري هو أيضا غير سالم من الخطأ ، فالقائمة في المدول عن خطأ إلى خطأ آخر؟ وبين براهن عليه صحة نظره . وبذلك عدلت الدولة العثمانية يومئذ عن اتخاذ الحساب الغريغوري ، وبقيت على الحساب الذي يقال له المارقي ، وهو حساب عربي قد رفع منه الفرق بين الشمسي والقمرى ، ولكن تركيا بعد الحرب العامة عادت فاتخذت الحساب الغريغوري . أما في زمن أغسطس قيصر فقد وضع الرومان حسابين لمواسم الزراعة أحدهما يسمى

سندھ لوک القوط فی اسبابیہ

	۷۸۱-۰۷-۰۰		۷۸۱-۰۷-۰۰		۷۸۱-۰۷-۰۰		۷۸۱-۰۷-۰۰
	۷۸۱-۰۷-۰۰		۷۸۱-۰۷-۰۰		۷۸۱-۰۷-۰۰		۷۸۱-۰۷-۰۰
	۷۸۱-۰۷-۰۰		۷۸۱-۰۷-۰۰		۷۸۱-۰۷-۰۰		۷۸۱-۰۷-۰۰
	۷۸۱-۰۷-۰۰		۷۸۱-۰۷-۰۰		۷۸۱-۰۷-۰۰		۷۸۱-۰۷-۰۰
	۷۸۱-۰۷-۰۰		۷۸۱-۰۷-۰۰		۷۸۱-۰۷-۰۰		۷۸۱-۰۷-۰۰
	۷۸۱-۰۷-۰۰		۷۸۱-۰۷-۰۰		۷۸۱-۰۷-۰۰		۷۸۱-۰۷-۰۰
	۷۸۱-۰۷-۰۰		۷۸۱-۰۷-۰۰		۷۸۱-۰۷-۰۰		۷۸۱-۰۷-۰۰
	۷۸۱-۰۷-۰۰		۷۸۱-۰۷-۰۰		۷۸۱-۰۷-۰۰		۷۸۱-۰۷-۰۰
	۷۸۱-۰۷-۰۰		۷۸۱-۰۷-۰۰		۷۸۱-۰۷-۰۰		۷۸۱-۰۷-۰۰

لنريق آخرم ، الذى ملك في السنة التاسعة والاربعين وسبعمائة من تاريخ الصخر ، وهو الذى دخلت عليه العرب فأزالت دولة القوط ، ستة وثلاثون ملكا ، وأن مدة أيام ملكهم بالاندلس ثمانمائة واثنان وأربعون سنة اه .

وقال جماعة : إن القوط غير البشتولقات ، وإن البشتولقات من هجم رومة ، وإنهم جعلوا دار ملكهم ماردة ، واتصل ملكهم إلى أن ملك منهم سبعة وعشرون ملكا ، ثم دخل عليهم القوط ، واتخذوا طليطلة دار مملكة ، ثم ذكر تبصر ملكهم خشنش مثل ما تقدم ، ثم ذكر أن عدة ملوك القوط ستة وثلاثون ملكا و ذكر الرازي أن القوط من ولد ياجوج بن يافت بن نوح ، وقيل غير ذلك اه و ذكر الرازي في موضع آخر نحو ما تقدم وزيادة ونصه :

إن الاندلس في آخر الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة التى تقدم ذكرها التى هى ربيع معمور الدنيا ، فهى موسطة من البلدان ، كريمة البقعة ، بطبع الخلقة ، طيبة التربة ، مخصبة القاع ، منبسجة العيون الترابرة ، منفجرة الانهار الغزار ، قليلة الهوام ذوات السموم ، معتدلة الهواء أكثر الازمان ، لا يزيد قيظها زيادة منكورة تضر بالابدان . ، وكذا فصولها فى أعم سنيتها تأتى على قدر من الاعتدال ، وتوسط من الحلال ، وفواكهها تتصل طول الزمان ، فلا تكاد تدم ، لان الساحل ونواحيه ، يبادر بيا كوره ، كما أن الثغر وجهاته ، والجبال التى يخصصها برد الهواء ، وكثافة الجو ، تستأخر بما فيها من ذلك ، حتى يكاد طرفاها كتهما يلتقيان ، فإد الخيرات فيها متصلة كل أوان .

كولوتيانوم Colotianum ، والآخر فالنس Vallense ووجدا مكتوبين على الحجارة وأما تاريخ الصخر فيقال إنه اصطلاح أسباني كان مبدأه أول يناير سنة ٣٨ قبل الميلاد ، أى فى زمن فتح أغسطس الرومانى لاسبانية ، ويق مستعملا فيها إلى أواخر القرن الخامس عشر

ومن بحرهما بجملة الغرب يخرج المنبر الجيد ، المقدم على أجناسه في الطيب ، والصبر على النار ، وبها شجر الحجاب ، المدود في الأفارية ، المقدم في أنواع الأشنان كثير واسع . وقد زعموا أنه لا يكون إلا بالهند ، وبها فقط . وبها خواص نباتية بكثر تمدادها . انتهى ^(١)

وقد ذكر غيره تفصيل بعض ذلك فقال : يوجد في ناحية « دلالية » ^(٢) من إقليم « البصرة » ^(٣) عود اللنجوج ، لا يفوقه العود الهندي ذكاه وعطر وأثمة وقد سبق منه إلى خيران ^(٤) الصقلي صاحب الربة ، وأن أصل منبته كان بين أحجار هناك « وبأ كشيونية » ^(٥) جبل كثيرا ما يتضوع ريحه ريح العود الذكي ، إذا أرسلت فيه النار ، ويبحر « شدونة » ^(٦) وجد المنبر الطيب الغربي ، وفي جبل « منت ليون » الحلب ^(٧) ، ويوجد بالأندلس القسط ^(٨) الطيب ، والسنبيل ^(٩) الطيب ، والجنطيانة ^(١٠) تحمل من الأندلس إلى جميع الآفاق وهو عقار ^(١١) رفيع

- (١) هذه الجملة من كلام الرازي قد تقدمت ، لكن باختلاف قليل عما هي في هذا الموضع ، ونحن أحببنا أن نحافظ بقدر الامكان على نصوص المؤلفين الذين نقلنا عنهم
- (٢) برجة ودلالية هما من عمل الربة
- (٣) الألبان يقولون للبشرة أو البشرات Albuxara وهي جبال عالية مشرفة على البحر المتوسط (٤) سيأتي خبره
- (٥) قال ياقوت : ا كشيونية بفتح الهمزة وسكون الكاف وضم الشين المعجمة وسكون الواو وكسر النون وياه خفيفة مدينة بالأندلس يتصل عملها بعمل أشبونة . وهي غربي قرطبة ، وهي مدينة كثيرة الخيرات ، بربة بحرية ، قد يلتي بحرهما على ساحلها المنبر الفائق الذي لا يقصر عن الهندي (٦) Sidonia
- (٧) ضبطه بفتح أوله وهو شجر له حب يحمل في الطيب
- (٨) بضم أوله فسكون وهو عود يتداوى به
- (٩) السنبيل هنا هو نبات طيب الرائحة يتداوى به ويسمى سنبيل المصافير
- (١٠) الجنطيانة هو من العقاقير المعروفة في المغرب راطباء المغرب يطلقونه على جذر النبات المعروف عند الصيادلة « بأوضنى » هكذا كتب الينا من فاس
- (١١) بفتح أوله وتشديد ثانيه والجمع عقاقير

والمرّ الطيب بقلمة أيوب ، وأطيب كهرباء الأرض بشدونة ، درهم منها يعدل دراهم من المجلوبة . وأطيب القرمز قرمز الاندلس ، وأكثر ما يكون بنواحي اشبيلية ، وبلبة ^(١) ، وشدونة ، وبلنسية ، ومن الاندلس يحمل إلى الآفاق .

و بناحية لورقة من عمل تدمير يكون حجر اللازورد الجيد ، وقد يوجد في غيرها وعلى مقربة من حضرة لورقة من عمل قرطبة معدن البلور ، وقد يوجد بجبل «شعيران» وهو شرقي « بيرة » وحجر النجادي ؟ يوجد بناحية مدينة الاشبونة ، في جبل هنالك يتلأ فيه ليلاً كالسراج ، والياقوت الأحمر يوجد بناحية حصن « منت ميور » ^(٢) من كورة مالقة ، إلا أنه دقيق جداً لا يصلح للاستعمال لصفه ، ويوجد حجر يشبه الياقوت الأحمر بناحية « بجانة » ^(٣) في خندق يعرف بقرية « ناشرة » أشكالاً مختلفة كأنه مصبوغ ، حسن اللون ، صبور على النار ، وحجر المغناطيس الجاذب للحديد يوجد في كورة تدمير . وحجر الشادنة يوجد بجبال قرطبة ، كثير ، ويستعمل ذلك في التذهيب . وحجر اليهودي في ناحية حصن « البونت » ^(٤) أنفع شيء للحصاة وحجر المرقشينا الذهبية في جبال « ابده » ^(٥) لا نظير لها في الدنيا ، ومن الأندلس

(١) Niebla قد كررنا تعريف هذه الأسماء بالعربي وبالاسبانيولي لأن القاريه لا يقدر ان يحفظها الا بالتكرار ، وان لم ترسخ في ذهنه فلا يستطيع ان يفهم تاريخ الاندلس وجغرافيتها على وجهها . فالتكرار لازم الا في التعريف بالاسماء المشهورة

(٢) Montmayor (٣) Bechina

(٤) قال ياقوت : حصن « البونت » بالضم والواو والنون ساكنان واثاء فوقها تقطعان حصن بالاندلس ، وربما قالوا البنت ، وقد ذكر . ينسب اليه ابو طاهر اسماعيل ابن هران بن اسماعيل الفهرى البتي ، قدم الاسكندرية حاجاً ، ذكره السلتي ، وكان اديباً اريباً قارئاً ، وعبد الله بن فوح بن موسى بن ابي الفتح بن عبد الله الفهرى البتي ابو محمد ، كان من أهل العلم والمعرفة ، وله كتاب في الوثائق والاحكام ، وله أيضاً رواية توفي في جمادى الآخرة سنة ٤٦٢

(٥) Ubeda من أعمال جيان

تحمل إلى جميع الآفاق بفضلها . والمنيسيا بالأندلس كثير . وكذلك حجر « الطلق » ^(١) ويوجد حجر اللؤلؤ بمدينة برشلونة ، إلا أنه جامد اللون . ويوجد المرجان بساحل يبرة ، من عمل المرية ، مالمقط منه في أقل من شهر نحو ثمانين ربماً . ومعدن الذهب بنهر لاردة ، يجمع منه كثير ، ويجمع أيضاً في ساحل الاشبونة ومعدن الفضة في الأندلس كثيرة ، في كورة تدمير ، وجبال جمة ^(٢) بيجانة ، وبإقليم « كرتش » من عمل قرطبة معدن فضة جليل . و« باشكونية » ^(٣) معدن التصدير لا نظير له ، يشبه الفضة ، وله معادن بناحية أفرنجة وليون . ومعدن الزئبق في جبل البرانس ، ومن هنالك يتجهز به إلى الآفاق . ومعدن الكبريت الأحمر والأصفر بالأندلس كثيرة . ومعدن التوتية الطيبة بساحل « البيرة » ^(٤) بقرية تسمى « بطرنة » ^(٥) وهي أزكى توتيا وأقواها في صيغ النحاس . وبجبال قرطبة توتيا وليست كالبطرنية . ومعدن الكحل أشبه بالأصفهانى بناحية مدينة طرطوشة ، يحمل منها إلى جميع البلاد . ومعدن الشوب والحديد والنحاس بالأندلس أكثر من أن نحصى .

وما ذكرت هنا ، وإن تكرر بعضه مع ما سبق أو يأتي ، فهو لجمع النظائر وما لم نذكره أكثر ، والله تعالى أعلم .

ومن خواص طليطلة أن حنطها لا تتغير ولا تسوس على طول السنين ، يتوارثها

- (١) بكسر فسكون وزان مثل هو حجر براق ينشظى اذا دق صحائف وشظايا يتخذ منه مضاروى للحمامات بدلا عن الزجاج واجوده اليماني ثم الهندي ثم الاندلسي
 (٢) لا أعلم هل هذه اللفظة هي دجة ام جمة فان كانت دجة وقد سقطت الدال منها في النسخ فهي عند الاسابنول هكذا Diegma وان كانت جمة كما هي مكتوبة في النسخ فلا يبعد أن تكون اسما عربياً من أصله لا سيما انه يوجد جبال كثيرة عند العرب باسم جماء بالمد والهمز مؤنث اجم الذي لا قرن له ويقال بيت أجم أى لا شرقة له
 (٣) في غربى الأندلس كانت مقاطعة يقال لها اشكونية قاعدتها مدينة شلب

الخلف عن السلف . وزعفران طايطة هو الذى يم البلاذ ، ويتجهز به الرفاق إلى الآفاق . وكذلك الصبغ السماوى . اه

وقال السمودى فى مروج الذهب بمد كلام مانصه : والمنبر كثير ببحر الأندلس ، يجهز إلى مصر وغيرها ، ويحمل إلى قرطبة من ساحل لها يقال له « شترين » ^(١) و « شدونة » ^(٢) تباع الاوقية منه بالاندلس ثلاثة مثاقيل ذهباً ، والاوقية بالبغدادي ، وتباع بمصر أوقيته بشترين ديناراً ، وهو عنبر جيد ، ويمكن أن يكون هذا العنبر الواقع إلى بحر الروم ، ضربته الأمواج من بحر الأندلس إلى هذا البحر لاتصال الماء . وبالأندلس معدن عظيم للفضة ومعدن للزئبق ^(٣) ليس

(١) Santarem فى البرتغال (٢) Sidonia

(٣) جاء فى كتاب « اسبانية المسلمة فى القرن العاشر للاوى . بروفسال ماحصله : كانت المعادن من قديم الزمان معروفة فى أسبانية ، وكان الرومان يستخرجون منها جانباً كبيراً ، وذلك كالحديد والذهب والفضة والرصاص والنحاس ، وكان الحديد مذبولاً . ولما دخل المسلمون إلى الأندلس لم يهملوا المعادن ، بل وفروا لها أعظم جانب من العناية وكانوا يستخرجون الذهب من رمال نهر لاردة ونهر شقر ونهر التاجه . وكانت الفضة فى نواحي مرسة والحمة وقرطبة بمكان يقال له المرج حسبما روى الادريسي وفى « تطالفة » من عمل باجة كما قال ياقوت فى المعجم ويوجد الحديد فى شمال الوردى الكبير بين قرطبة واشيلية ، وروى الادريسي انه كان منه فى قسطنطينية . وروى ياقوت انه كان منه فى فريش وكان على مسافة ١٢٥ كيلو متراً إلى الشمال من قرطبة معدن زئبق مشهور ، وكان هذا المعدن معروفاً عند الرومانيين ، وتنبه له المسلمون واستغلوه ، وجغرافيو العرب يقولون انه فى جبل البرانس ومنه فى المحل الذى يقال له اليوم سيودادريال Ciudadreal قد كان يوجد زئبق أيضاً هناك ، وأيضاً فى أبال بقرب قرطبة . وقال الادريسي انه رأى فى هذا المعدن الأخير ألف عامل ، منهم من كان مشغولاً باستخراج المادة من آبارها ، ومنهم من كان ينقل الحطب لأجل التحمية ، ومنهم من كان يصنع الآنية التى يستودع فيها المعدن بعد ذوبه ، ومنهم من كانوا يبنون المواقد

وكان عمق الآبار نحواً من مائة ذراع

بالجيد يجهز إلى سائر بلاد الاسلام والكفر، وكذلك يجعل من بلاد الأندلس الزعفران وعروق الزنجبيل . وأصول الطيب خمسة أصناف المسك ، والكافور ، والعود ، والصنبر ، والزعفران ، وكلها تحمل من أرض الهند وما اتصل بها إلا الزعفران والصنبر هـ .

وهو وإن تسكر مع ما ذكرته عن غيره فلا يخلو من فائدة والله تعالى أعلم . وذكر البعض أن في بلاد الأندلس جميع المعادن الكائنات عن الثبات السبعة الرصاص من زحل ، والقصدير الأبيض من المشتري ، والحديد من قسم المريخ ، والذهب من قسم الشمس ، والنحاس من الزهرة ، والزنبق من عطارد ، والفضة من القمر .

وذكر الكاتب ابراهيم بن القاسم القروي المعروف بالرفيق بلد الأندلس قال : أهله أصحاب جهاد متصل ، يحاربون من أهل الشرك المحيطين بهم أمة يدعون

وكان يوجد زئبق وتوتية بقرب شلّوبين على ساحل البحر المتوسط ، وكذلك ذكر المقرئ وجودهما في بطرنة . ويظهر أن المسلمين لم يمتنوا بمعادن التنك التي في ريونتو ، إلى الشمال الشرقي من ألبنة ، ولكن كانوا يأخذون النحاس من أشكونية ، في الغرب وهي تابعة البرتغال اليوم . وكان عندهم الرصاص في دقبره ، وعندهم الملح في سرقسطة ، وكان عندهم الطفال بقرب طابطة والكحل في نواحي طرطوشة وبسطة وكانت الأندلس موصوفة بالحجارة الثينة ، فكان اليابس من مالقه وحجر الكهروباة في مرسية . وأما المرمر فلم يكن يكتفى البلاد بل كانوا يستوردون من الخارج وكان معدن المرمر في جبال مورينا وفي مكابل ومن هذه قطعتم أعمدة المرمر التي كانت في المرية وقد نقلت الآن إلى مجريط . وكان يوجد من الحديد في جزيرة شلطنش بازاء ألبنة وهناك دار صناعة حسانا قال الإدريسي . وفي شلطنش أيضا مصايد للأسماك كان يحمل منها إلى أشيلية ، ويقول الإدريسي إنه كان من هذه المصايد في بزليانه بقرب مالقه وكان صيادو السمك في سواحل الأتلاتيك كما روى ياقوت في المعجم يبحثون عن الصنبر الرمادي ولا سيما في سبتوبال وكان يقال لها الجمون الصنبري عند العرب وكان أيضا يوجد في شدونة وكانوا يمدون المرجان بقرب المرية

الجلالقة ، يتاخون حوزهم ، ما بين غرب إلى شرق ، قوم لهم شدة ، ولهم جمال وحسن وجوه ، فأكثر رقيتهم الموصوفين بالجمال منهم ، ليس بينهم وبينهم درب^(١) فالحرب متصلة بينهم ما لم تقع هدنة . ويحاربون بالأفق الشرق أمة يقال لهم الفرنجة ، هم أشد عليهم من جميع من يحاربونه من عدوهم ، إذ كانوا خلقاً عظيماً في بلاد كثيرة واسعة جلييلة ، متصله العارة ، آهله ، تدعى الأرض الكبيرة ، هم أكثر عدداً من الجليقيين ، وأشدّ بأساً ، وأحدّ شوكة ، وأعظم امدادا . وهذه الأمة يحاربون أمة الصقالبة المتصلين بأرضهم ، لمخالفتهم إياهم في الديانة ، فيسبونهم ويبيعون رقيتهم بأرض الأندلس ، فلهم هنالك كثرة ، وتخصيم للفرنجة يهود^(٢) ذمتهم الذين بأرضهم ، وفي ثغر المسلمين المتصل بهم ، فيحمل خصيانهم من هنالك إلى سائر البلاد ، وقد تعلم الخصاء قوم من المسلمين هناك فصاروا يخصون ويستحلون المثلة .

قال ابن سميذ : ومخرج بحر الروم المتصاعد إلى الشام ، هو بساحل الأندلس الغربي بمكان يقال له الخضراء ، ما بين طنجة من أرض المغرب ، وبين الأندلس فيكون مقدار عرضه هناك كما زعموا ، ثمانية عشر ميلاً . وهذا عرض جزيرة طريف إلى قصر مصمودة بالقرب من سبتة . وهناك كانت أنقنطرة التي يزعم الناس أن الاسكندر بناها ليبر عليها من بر الأندلس إلى بر المدوة ، ويعرف هذا الموضع الزقاق ، وهو صعب الحجاز ، لأنه مجمع البحرين ، لا تزال الامواج تتناول فيه ، والماء دور ، وطول هذا الزقاق الذي عرضه ثمانية عشر ميلاً ، مضاعف ذلك إلى ميناء

(١) الدرب كل مدخل إلى بلاد الروم قال امرؤ القيس :

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

(٢) تقدم الكلام في إحدى الحواشي أن تجار اليهود كانوا يخصون سبب الصقالبة ، أنه كان محسب تعبير دوزي معمّل للخصاء في فردون Verdun وقد نقل ذلك عنه لافي بروفنسال في كتابه وأسبانية المسلمة في القرن العاشر ، L'Espagne Musulmane

سبته ، ومن هناك يأخذ البحر في الاتساع إلى ثمانمائة ميل وأزيد ، ومنتهاه مدينة صور من الشام ، وفيه عدد عظيم من الجزائر ، قال بعضهم : إنها ثمان وعشرون جزيرة منها صقلية ومالطة وغيرها ١٠٠ . وبعضه بالمنى . وقال بعضهم عند وصفه ضيق بحر الزقاق قرب سبته ما صورته : ثم يتسع كما امتدّ حتى يصير إلى ما لا ذرع له ولا نهاية .

وقال بعضهم : وكان مبلغ خراج الأندلس الذي كان يؤدي إلى ملوك بنى أمية ، قديماً ثمانمائة ألف دينار ، دراهم أندلسية كل سنة قوانين . وهلى كل مدينة من مدائنهم مال معلوم فكانوا يعطون جندهم ورجالهم الثلث من ذلك مائة ألف دينار ، وينفقون في أمورهم ونوائبهم ومؤون أهلها مائة ألف دينار ويدخرون لحادث أيامهم مائة ألف دينار ١٠٠ .

وذكر غيره : أن الجباية كانت بالأندلس أيام عبد الرحمن الأوسط ، ألف ألف دينار في السنة ، وكانت قبل ذلك لاتزيد على ستمائة ألف^(١) . حكاه ابن سميذ وقال : أن الأندلس مسيرة شهر مدن وعماير^(٢)

(١) سيأتي ذكر دخول الدولة الأندلسية في أيام الناصر والمستنصر ، وذلك تفصيلاً عند ما نصل إن شاء الله إلى قرطبة

(٢) قال المؤرخ الأسباني بولي رافائيل بالستر في تاريخه المترجم إلى الأفرنسية المطبوع سنة ١٩٢٨ ، وذلك في الصفحة ٥٢ مايل : « كانت أسبانية الإسلاميه من أغنى البلاد الأوربية وأحصاها سكانا في عصر الخلفاء ، وكان فيها ست حواضر كبرى ، وثمانون مدينة معمورة جد العمران ، وثلاثمائة مدينة من الدرجة الثانية ، هذا عدا القرى التي لا تحصى والمزارع . وكان الذهب والمرمر مبدولين في القصور والجوامع ، وكذلك العاج والحجارة الكريمة . وكانت مراسم الاحتفالات في تصورات الخلفاء على غابة من الآبهة الشرقية ، وقد كانت هذه الثروة ، وهذه الآبهة هما ثمره الفحو الاقتصادي وتلك السعة التي كانت أسبانية تتمتع بها أراتذ هي بفضل رقى الزراعة والصناعة والتجارة ١٠٠ .

وقال قاضى القضاة ابن خلدون الحضرمى فى تاريخه الكبير ما صورته : كان هذا القطر الأندلسى من العدو الشمالية من عدوتى البحر الرومى ، وبالجانب الغربى منها ، يسمى عند المعجم الأندلوس ، وآسكنه أمم من الفرنجة المغرب ، أشدهم وأكثرم الجلاقة وكان القوط قد تملكوه ، وغلدوا على أهله لمئين من السنين قبل الاسلام ، بعد حروب كانت لهم مع اللطينيين ، حاصروا فيها رومة ، ثم عقدوا معهم السلم ، على أن ينصرف القوط إلى الأندلس ، فصاروا إليها ، وملكوها ^(١) ، ولما أخذ الروم والاطينيون بجملة

فلما أن الحواضر السالك الكبرى لابد من أن يعنى بها قرطبة ، واشبيلية ، وغرناطة ، وبلنسية ، وطليلة ، وسرقسطة . وأما الثمانون مدينة المعمورة جداً فيعنى بها المدن التى من درجة مالفه ، والمرية ، ومرسية ، وجيان ، وشاطبة ، ودانية ، وميورقة ، وطرطوشة ، وماردة ، وبطليوس ، وشترين ، وورشلونة ، واشبونة وما فى ضربها . وأما الثلاثمائة مدينة من الدرجة الثانية فهى من قبيل قبرة ، وبيانة ، وياسة ، والمدور ، وقرمونة ، وشلب ، وليلة ، وشريش ، ورنده ، والجزيرة الخضراء ، وبسطة ، وبرجة ، ودلاية ، والش ، وأوربواله ، والقنت ، وقرطاجنة ، وشقورة ، وشنشالة ، واقليش ، وطليرة ، وقلعة رباح ، وجربيط ، ووادى الحجارة ، ومدينة سالم ، وشتمرية ابن رزين ، وقلعة أيوب ، ودروقة ، وبطيلة ، ولاردة ، وطركونة ، ووشقة ، وبربشتر ، وخص البلوط ، ويايره ، وشنترة ، وقطرة السيف ، وجزيرة شقر ، وقونكة ، ومريطر ولوشة ، ووادى آش ، وقرية سلامة ، وقادس ، وبلش ، وابذة ، وبجانة ، وطشانة ، وشتمرية الغرب ، واشونة ، وقلعة يحصب ، وأسبجة . واسترقة ، وبلش ، وقلعة حماد ، ومورور ، واندوجر ، والمنكب ، واندرش ، واند ، ولورقة ، واونة ، ومرتلة ، ومدينة الزهراء ، وما فى ضربها . وكيفها اقتصد المخمن فى تخمين عدد سكان الأندلس الاسلامية لمهد بنى أمية ، فلا يقدر أن ينزل ذلك عن ١٥ مليون نسمة ، وقد يكون مناهزاً العشرين

(١) مقاله ابن خلدون هنا هو الصحيح فان أمة اسمها « الفيزيقوط » هى أحد أقسام القوط ، ويقال إنها من أصل جرمانى ، هاجت الرومان واقتلت معهم فى القرن الثالث للسيح ، ففهم الروم أولاً ، ثم أذنوا لهم فى الإقامة على ضفاف الدانوب ومن ذلك الوقت صاروا أشبه بجيش رومانى ، وفى أوائل القرن الخامس ثار زعيم الفيزيقوط

النصرانية ، حملوا من وراءهم بالمغرب من أمم الفرنجة والقوط عليها ، فدانوا بها . وكان ملوك القوط ينزلون طليطلة ، وكانت دار ملكهم ، وربما تعلقوا ما بينها وبين قرطبة ، واشيلية ، وماردة ، وأقاموا كذلك نحواً من أربعين سنة إلى أن جاء الله

ه الأريك ، Alaric طالباً من رومة أن توليه القيادة العليا لجيوشها ، فلما أبوا إجابة طلبه هذا نهب رومة وعاث ، ومات سنة ٤١٠ خلفه أتولف ، Ataulf ودخل إلى بلاد الغال ، وانتصر فيها لهونوريوس الروماني على نظرائه ، فكافأه باقطاعه البلاد التي تغلب عليها ، وكان السويقيون والماندالس والالانيون خارجين في أسبانية عن طاعة رومة . فزحف إليهم ، فألبا ، زعيم القوط ، وأدخلهم في الطاعة ، ولكن بعد أن استتب الأمر للقوط في أسبانية خرجوا هم أنفسهم عن طاعة رومة في أيام زعيمهم المسمى أوريك سنة ٤٦٧ ، ولم يكن القوط في أسبانية أمة ذات عرق واحد ، وإنما كانوا جيشاً من أصول شتى يخضعون لرئيس ، وفي سنة ٤٧٦ انحلت السلطنة الرومانية فبسط القوط سلطانهم على أكثر أسبانية ، ولكنهم فقدوا مقاطعاتهم في غالبية ، لأن الفرنج Les Francs غابروهم عليها ، وكان الفرنج كاثوليكين ، وكان القوط قديمتصروا لكن على مذهب آريوس ، أي كانوا لا يقولون بألوهية عيسى عليه السلام ، فوقعت المداوة بين الفريقين من أجل اختلاف الدين ، وانهمز القوط في واقعة عند بواتية ، Poitiers وقتل فيها أميرهم الأريك الثاني ، ولم يبق لهم في بلاد الغال سوى مقاطعة سبتيمانيا Septimanie التي قاعدتها أربونة . وفي القرن السادس للمسيح اشتدت الفتنة في أسبانية بين القوط بعضهم مع بعض ، وقتل كثير من ملوكهم غيلة ، فجاء ثيودوريك ملك الأوستروقوط ، أي القوط الشرقيين ، من إيطاليا ، ووضع على عرش أسبانية أحد أولاده ، ثم في سنة ٥٥٤ ثار رجل اسمه أتاناجيلد ، وتغلب على المملكة ، وجاءت عساكر إمبراطور الروم من القسطنطينية فأنجده ، ولما كانت سنة ٥٦٨ ثار الملك ليوفيجيلد ، وتغلب على السويقيين ، وجعل أسبانية كلها في حكم القوط ، إلا أنه كان آريوسياً المذهب ، وكان أكثر أهل أسبانية كاثوليكين ، فثارت الاكثريه عليه ؛ وأثاروا عليه ابنه هرمينجيلد ، فساق عسكراً وتغلب على ابنه وقتله ، ولكن بعد موت ليوفيجيلد خلفه ابنه ريكارد فترك هذا الآريوسية ، مذهب أبيه ، وتحول كاثوليكياً في سنة ٥٨٧ وصارت في ذلك الوقت الكنيسة هي دين الدولة الأسبانية

بالاسلام والفتح ، وكان ملكهم لذلك العهد يسمى لذريق ، وهو سمة للموكمهم ، كما أن جرجير سمة للموك صقلية ه .

ومن أشهر بلاد الأندلس غرناطة ^(١) وقيل إن الصواب أغرناطة بالهمز ، ومعناه بانضمهم الرمانه ، وكفاها شرفاً ولادة لسان الدين بها وقال « الشقندي » : أما غرناطة فانها دمشق بلاد الأندلس ، ومسرح الأَبصار ، ومطبخ الأَنفس ، ولم تخل من أشرف أمائل ، وعلاء أكابر ، وشعراء أفاضل ، ولو لم يكن لها إلا ما خصه الله تعالى به من المرج الطويل العريض ، ونهر شليل ، اكفاها .

وفي بعض كلام لسان الدين ما صورته : وما لمصر تفخر بنيلها ، وألف منه في شنيها ؟! يعني أن الشين عند أهل المغرب عددها الف ، فقولنا شليل إذا اعتبرنا عدد شينه كان الف نيل ^(٢) . وفيها قيل :

غرناطة ما لها نظير ما مصر ، ما الشام ، ما العراق
ما هي إلا العروس تُجَلَى وتلك من جملة الصداق

وتسمى كورة « البيرة » التي منها غرناطة دمشق ، لأن جند دمشق نزلوها عند الفتح ، وقيل إنها سميت بذلك لشبهها بدمشق في غزارة الأنهار ، وكثرة الأشجار ، حكاه صاحب « منهاج الفسکر » قال : ولما استولى الفرنج على معظم بلاد الأندلس انتقل أهلها إليها فصارت المر المقصود ، والمقل الذي تنضوى إليه الساكر والجنود ^(٣) ، ويشقها نهر عليه قناطر يجاز عليها . وفي قباها جبل شليل ،

(١) سند كرها في مكانها إن شاء الله مطولا

(٢) إن المبالغة ولو جازت في الشعر فلا يجوز أن تصل إلى هذا الحد ولا سبها أن لسان الدين قال ذلك في الثر لا في النظم

(٣) كنت ذكرت في كتابي تاريخ الأندلس الذي جعلته ذبلا على رواية « آخر بني سراج » في صفحة ٢٣٧ من الطبعة الثانية مايلي :

« قال بعض المؤرخين إن مملكة غرناطة لهده السلطان أبي الحسن على (والد أبي

وهو جبل لا يفارقه الثلج ، صيفاً ولا شتاء ، وفيه سائر النبات الهندي ، لكن ليس فيه خصائصه اه .

ومن أعمال غرناطة قطر « لوشة »^(١) وبها معدن للفضة جيد ، ومنها ، أعنى لوشة ، أصل لسان الدين بن الخطيب . وهذا القطر ضخم ، يضاف إليه من الحصون والقرى كثير ، وقاعدته لوشة بينها وبين غرناطة مرحلة ، وهي ذات أنهار وأشجار وهي على نهر غرناطة الشهير بشنيل .

ومن أعمال غرناطة السكبار عمل « باغة »^(٢) والعامية يقولون « بيغة » وإذا نسبوا إليه قالوا يبغي ، وقاعدته باغة ، طيبة الزرع ، كثيرة الثمار ، عزيرة المياه ، ويوجد فيها الزعفران .

ومن أعمال غرناطة « وادي آش »^(٣) ويقال وادي الأشات ، وهي مدينة جليلة ، قد أهدقت بها البسائين والأنهار ، وقد خص الله أهلها بالأدب وحب الشعر وفيها يقول أبو الحسن بن نزار :

وادي الأشات يبيحُ وُجْدِي كُلمًا أذكرت ما أفضت بك النماء
 لله ظلكُ والمهجيرُ مساطُ قد برّدتُ لَفْعَاتِه الاندَاءُ
 والشمسُ ترغِبُ أن تفوزَ باحظة منه فتنطرفُ طرفهَ الأفياءُ
 والنهرُ يبسمُ بالحسَابِ كأنه سلخُ نَفْتِه حَيَّةٌ رِقشَاءُ

عبد الله آخر السلاطين المسلمين في الأندلس) كانت مشتملة على أربع عشرة مدينة عظيمة وسبع وتسعين قلعة عدا الأبراج والحصون والقرى العامرة . وورد في التاريخ العام للعلامة كنتو الشهير أن سلطنة غرناطة في تلك الأيام كانت تحتوى ثلاثين مصرا ، وثمانين مدينة صغيرة ، وعددًا لا يحصى من الأبراج والحصون والداكر . وقد قدر بعض المؤرخين عدد بقية المسلمين في الأندلس بأربعة ملايين نسمة .

(١) Loja وسماها الأسبانيول سان فرانسيكو لوشة

(٢) أصلها « باغو » ثم سماها الأسبانيول « بريغو » Priego

(٣) تقدم عنها كلام والأسبانيول يقولون Guadis وسبرد ذكرها أيضا

فلذلك تمخّذوه الفصوت فيلها أبداً على جنّباته إياه .
 (ومن أعمال وادى آش) حصن « جليانة »^(١) وهو كبير يضاى المدن ، وبه
 التفاح الجليانى الذى خص الله به ذلك الموضع ، يجمع عظم الحجم ، وكرم الجوهر ،
 وحلاوة الطعم . وذكاء الرائحة ، والنقاء ، وبين الحصن المذكور ووادى آش
 اثنا عشر ميلاً .

ومن غرائب الأندلس أن به شجرتين من شجر القسطل ، وهما عظيमतان جداً ،
 إحداهما بسند^(٢) وادى آش ، والأخرى ببشرة^(٣) غرناطة ، فى جوف كل واحدة
 منهما حائك ينسج الثياب ، وهذا أمر مشهور ، قال أبو عبد الله بن جزى وغيره .
 وكانت إلبيرة^(٤) هى المدينة قبل غرناطة ، فلما بنى الصنهاجى مدينة غرناطة
 وقصبتها وأسوارها ، انتقل الناس إليها ، ثم زاد فى عمارتها ابنه باديس بعده .

(١) قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان : جليانة بالكسر ثم السكون وياه وألف
 ونون حصن بالأندلس من أعمال وادى باش حصين كثير الفواكه ويقال لها جليانة
 التفاح لجلالة تفتحها وطيبه وريحه ، قبل إذا أكل وجد فيه طعم السكر والمسك ، منها
 عبد المنعم بن عمر بن حسان الشاعر الأديب الطيب ، كان عجيباً فى عمل الأشعار التى
 تقرأ القطعة الواحدة بعدة قواف ، ويستخرج منها الرسائل والكلام الحكيم مكتوباً
 فى خلال الشعر ، وكان يعمل من ذلك دوائر وأشجاراً ، وصوراً ، سكن دمشق ،
 وكانت معيشته الطب ، يجلس بالبادين ، على دكان بعض العطارين ، كذلك لقيته ،
 ووقفتى على أشياء مما ذكرته ، وأشدنى لنفسه مالم أضبطه عنه . ومات بدمشق سنة ٦٠٣
 (٢) السند محرّكة : ما قابلك من الجبل ، وعلا عن السفع ، وفى وطنى من جبل
 لبنان مكان بين عين عنوب وعيناب يقال له السند ، يعلو عن الأولى وينخفض
 عن الثانية .

(٣) تقدم لنا أن الجبال التى فى مملكة غرناطة كانوا يقولون لها البشرات
 (٤) قال ياقوت فى المعجم : الألف فيه ألف قطع ، وليس بألف وصل ، فهو
 بوزن إخریطة ، وإن شئت بوزن كبريته ، وبعضهم يقول إلبيرة ، وربما قالوا إلبيرة ،
 وهى كورة كبيرة من الأندلس ، ومدينة متصلة بأراضى كورة قبرة ، بين القبله

وذكر غير واحد أن في كورة سرقسطة الملح الاندراى الأبيض الصافى
 الأملس الخالص ، وليس في الأندلس موضع فيه مثل هذا الملح . قال : وسرقسطة^(١)
 بناها قيصر ملك رومة التى تؤرخ في مدته مدة الصفر قبل مولد المسيح على نبينا
 وعليه وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام ، وتفسير اسمها : قصر السيد . لأنه اختار
 ذلك المكان بالأندلس وقيل إن موسى بن نصير شرب من ماء نهر « جلق »^(٢)
 بسرقسطة فاستعذبه ، وحكم أنه لم يشرب بالأندلس أعذب منه ، وسأل عن اسمه
 فقيل جلق ونظر إلى ما عليه من البساتين فشبهها بنوطة جلق الشام ، وقيل إنها من
 من بناء الاسكندر والله أعلم . وبمدينة برجة ، وهي من أعمال المرية ، معدن الرصاص
 وهي على واد مبهج ، يعرف بوادى « عنراء »^(٣) وهو محقق بالأزهار والأشجار ،
 وتسمى برجة^(٤) بهجة ، لهجة منظرها ، وفيها يقول أبو الفضل بن شرف القيروانى
 رحمه الله تعالى :

والشرق من قرطبة ، بينها وبين قرطبة تسعون ميلا ، وأرضها كثيرة الانهار والأشجار ،
 وفيها عدة مدن منها : فسطيلية ، وغرناطة ، وغيرهما تذكر في مواضعها . وفي أرضها
 معدن ذهب فضة وحديد ونحاس ، ومعدن حجر التوتيا في حصن منها يقال له
 شلوينية ، وفي جميع نواحيها يعمل الكتان والحريير الفائق . انتهى . ثم ذكر ياقوت
 بعض العلماء الذين نبغوا من أهل إلبيرة ، وسنذكر أسماءهم في متن هذا الكتاب ،
 عند ما نصل نحن إلى ذكر إلبيرة وسنقل هناك ما ذكره لسان الدين بن الخطيب عن
 إلبيرة قلا عن الاحاطة في أخبار غرناطة ، وكذلك سنذكر ما قاله غيره

(١) ناهأ أوغسطس قيصر ، ومنها اشتق اسمه ، وكان يقال لها قبل أن مصرها
 أوغسطس قيصر سلدوبة Salduba ويظهر أن العرب قالوا السيدلابة .

(٢) سرقسطة واقعة على نهر ابره . يشق منه نهر جلق Gallégo جاريا إلى
 الشمال ، بينها نهر شالون Jalon وهرفا Huerva يسيلان إلى الجنوب

(٣) سبق ذكرها وفي مرج دمشق قرية يقال لها عنراء

(٤) وفي جبل لبنان قرية يقال لها برجة من إقليم الحروب . وفي إقليم سرقسطة
 قبة اسمها برجة بنم أولها ، وينسب إليها أناس من أهل العلم

رياض تعشها سندس^١ تَوَشَّتْ مَاطِفُهَا بِالزَّهْرِ
مدامعها فوق خدي ربا^٢ لما نظرة فتت من نظر^٣
وكل مكان بها جنة^٤ وكل طريق اليها سقر^٥
وفيها أيضاً قوله :

حط الرجال برجه^٦ وارتد لنفسك بهجة^٧
في قلعة كصلاح^٨ ودوحة مثل لجة^٩
مخضنها لك أمن^{١٠} وزوضها لك فرجة^{١١}
كل البلاد سواها^{١٢} كعمرة وهي حجة^{١٣}

وبالقة التين الذي يضرب المثل بحسنه ، ويجلب حتى للهند والصين ، وقيل
إنه ليس في الدنيا مثله ، وفيه يقول أبو الحجاج يوسف ابن الشيخ البلوي المالتي حسبما
أشده غير واحد ، منهم ابن سعيد :

مالقة حيث^{١٤} ياتينها الفلك^{١٥} من أجلك ياتينها^(١)
نهي طيبي عنه في علمي^{١٦} ما لطبيبي عن حياتي نهي^{١٧}
وذيل عليه الامام الخطيب أبو محمد عبد الوهاب النشي بقوله :
وخص لا تنس لما تينها^{١٨} واذكر مع التين زياتينها^{١٩}
وفي بعض النسخ :

لا تنس لاشبيلية تينها^{٢٠} واذكر مع التين زياتينها^{٢١}

وهو نحو الأول لأن حمص هي اشبيلية لنزول أهل حمص من المشرق بها حسبما

(١) الفلك : السفينة ، تذكر وتوثق ونقال للمفرد وللجمع ، فمن المفرد المذكور قوله
تعالى (فى الفلك المشحون) ومن المفرد المؤنث قوله تعالى (والفلك التى تجرى فى
البحر) ومن الجمع قوله تعالى (وترى الفلك فيه مواخر) وقوله تعالى (حتى إذا
كنتم فى الفلك وجريتم بهم) وكان سيويه يقول : الفلك هى جمع تكسير للفلك التى
هى واحد

سند كره . ونسب ابن جزى في ترتيبه لرحلة ابن بطوطة البيتين الأولين للخطيب أبي محمد عبد الوهاب المالتي ، والتذييل لقاضي الجماعة أبي عبد الله بن عبد الملك فالله أعلم وقال ابن بطوطة : وبالقارة يصنع الفخار المذهب العجيب ، ويحلب منها إلى أقصى البلاد ، ومسجدها ^(١) كبير الساحة ، كثير البركة ، شهرها ، وحنه لا نظير له في الحسن ، وفيه أشجار النارج البديعة . انتهى . وقال قبله : إن مائة إحدى قواعد الأندلس ، وبلادها الحسان جامعة بين مرافق البر والبحر ، كثيرة الخيرات والفواكه ، رأيت الصب يباع في أسواقها بحساب ثمانية أرطال بدرهم صغير ، وروانها للمرمى الياقوتي لا نظير له في الدنيا . وأما التين واللوز فيجلبان منها ومن أحوازها إلى بلاد المشرق والمغرب ه .

وبكورة اشبونة المتصلة بشنترين معدن التبر ، وفيها عسل يجعل في كيس كتان . فلا يكون له رطوبة كأنه سكر . ويوجد في ريفها العنبر الذي لا يشبه إلا الشحري .

ومن أشهر مدن الأندلس مدينة قرطبة ، أعادها الله تعالى للإسلام ، وبها الجامع المشهور ، والقنطرة المعروفة بالجسر ، وقد ذكر ابن حيان أنه نبى على أمر عمر بن عبد العزيز ^(٢) رضی الله عنه ، ونصه : وقام فيها بأمره على النهر الأعظم بدار مملكتهما

(١) وهو الكنيسة الكاتدرائية الآن

(٢) جاء في كتاب أخبار مجموعة ، في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم . وهو أقدم تاريخ لعرب الأندلس — ولم يعرف اسم مؤلفه — أن عمر بن عبد العزيز لما تولى الخلافة ولى الأندلس السماح بن مالك ، فكتب إلى عمر يبله أن مدينة قرطبة تهدمت من ناحية غربها ، وكان لها جسر يبر عليه نهرها ووصفه بعمله وامتناعه من الخوض فيه الشتاء عامة (قال) فان أمرني أمير المؤمنين ببنيان سور المدينة فملت فان قبلي قوة على ذلك من خراجها بعد عطايا الجنند ، ونفقات الجهاد وإن أحب صرفت صخر ذلك السور فبنيت جسرهم . فيقال والله أعلم أن عمر

قرطبة الجسر الأكبر الذى ما يعرف فى الدنيا مثله . انتهى . وفيها يقول بعض علماء الأندلس .

بَارِيعَ فَاقَتِ الْأَمْصَارَ قَرْطَبَةَ مِنْهُن قَنْطَرَةُ الْوَادِى وَجَامِعُهَا
هَاتَانِ نَتْنَانِ وَالزَّهْرَاءُ ثَالِثَةٌ وَالْعِلْمُ أَكْبَرُ شَيْءٍ وَهُوَ رَابِعُهَا

وقال الحجارى فى السهب : كانت قرطبة فى الدولة المروانية قبة الإسلام ، ومجتمع أعلام الأنام ، بها استقر سرير الخلافة المروانية ، وفيها تمحضت خلاصة القبائل المدينية والبيانية ، وإليها كانت الرحلة فى الرواية ، إذ كانت مركز السكرماء ، ومعدن العلماء وهى من الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد ، وسهرها من أحسن الأنهار ، مكنتف بديباج المروج ، مطرز بالأزهار ، تصدح فى جنباته الأطيوار ، وتنمر النواعير ، وييسم النوار ، وقرطها الزاهرة والزهرء ، حاضرتا الملك ، وأفقاء النعماء والسراء ، وإن كان قد أخنى عليها الزمان ، وغير هجة أوجهها الحسان ، فتلك عادته ! وسل الخورتق والسدير وعمدان ، وقد أعذر بانذاره ، إذ لم يزل ينادى بصروفه : لا أمان ! لا أمان ! وقد قال الشاعر :

وما زلتُ أسمعُ أنَ الملو كُ نَبىَ حلى قَدَّرَ أخطارِها

انتهى .

وقال السلطان يعقوب المنصور بن السلطان يوسف بن السلطان عبد المؤمن بن على لأحد رؤساء أجنادها : ما تقول فى قرطبة ؟ فخطبه على ما يقتضيه كلام عامة الأندلس بقوله : جوفها (١) شام (٢) ، وغربها قام (٣) ، وقلبتها مدام ، والجنة هى رحمة الله أمر ببناء القنطرة بصخر السور ، وأن يبى السور باللبن ، إذ لا يجد له صخرأ فوضع يداً فى القنطرة فى سنة إحدى ومائة

(١) أى شاليها

(٢) لم يرد شام مصدرأ لفعل شم ، وإنما هو الشميم والشم والشمى عليه لا يصح شام إلا إن كان مصدرأ لفعل شام ، من باب المفاعلة ، أو كان بالتشديد وأما كلام العامة فلا حاجة لتطبيقه على قواعد العربية

(٣) قم الرجل : أكل ما على الخوان ، ومثله اقم ، والمصدر هو القم والاقتمام ،

السلام . يعنى بالشمام جبال الورد ، ويعنى بالقمام ما يؤكل ، إشارة إلى محرث « السكتانية »^(١) . ويعنى بالمدمام النهر .

ولما قال والده السلطان يوسف بن عبد المؤمن لأبي عمران موسى بن سعيد العنسى : ما عندك في قرطبة ؟ قال له : ما كان لى أن أنكلم حتى أسمع مذهب أمير المؤمنين فيها . فقال السلطان : إن ملوك نبى أمية حين أخذوها حضرة مملكتهم لعل بصيرة : الديار المنفسحة الكبيرة ، والشوارع المنتمة ، والمياني الضخمة المشيدة ، والنهر الجارى ، والهواء المعتدل ، والمخارج الناضر ، والمحرث العظيم ، والشمر الكافيه والتوسط بين شرق الأندلس وغربها . قال فقلت : ما أبقى لى أمير المؤمنين ما أقول ! قال ابن سعيد : ولأهلها رياسة ووقار ، لا تزال سمة العلم والملك متوارثة فيهم ، إلا أن عامتها أكثر الناس فضولا ، وأشدهم تشفياً ، ويضرب بهم المثل ، ما بين أهل الأندلس ، في القيام على الملوك ، والتشجيع على الولاة ، وقلة الرضا بأمرهم ، حتى أن السيدأبا يحيى أخا السلطان يعقوب المنصور قيل له لما انفصل عن ولايتها : كيف وجدت أهل قرطبة ؟ فقال مثل الجبل ، إن خفقت عنه الحمل صاح ، وإن أثقلته صاح ، ماندرى أين رضام فقصده ، ولا أين سخطهم فنجتبه ، وما سلط الله عليهم حججاج الفتنة ، حتى كان عامتها شرأ من عامة العراق^(٢) وإن العزل عنها لما قاسيته من أهلها عندى ولاية ، وإنى ، إن كانت العود إليها ، لقائل : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين انتهى .

فأما القمام فلم يرد بمعنى الأكل بل بمعنى الكناسة . فلهذا أصاب صاحب الفتح بقوله إن هذا من كلام عامة الأندلس

(١) Campaina قال ياقوت : ناحية بالأندلس قرب قرطبة ينصب إليها محمد ابن قاسم بن محمد الاموى الجاطلى الكتباني ، ذكر في جبالطة بأتم من هذا
(٢) وهم كانوا السبب في سقوط الأندلس لأن الفتنة التى أثاروها هى التى آلت إلى سقوط هبة الخلافة وسقوط هبة الخلافة آل إلى ظهور ملوك الطوائف وهؤلاء هم كانوا مبدأ اضمحلال الاسلام في الأندلس

وقال أبو الفضل التيفاشي : جرت مناظرة بين يدي ملك المغرب المنصور يعقوب بين الفقيه أبي الوليد بن رشد ، والرئيس أبي بكر بن زهر . فقال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة : ما أدرى ما تقول ؟ غير أنه إذا مات عالم باشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها ، وإن مات مُطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت إلى اشبيلية . قال : وقرطبة أكثر بلاد الله كتباً ^(١) انتهى .

وحكى الامام ابن بشكوال عن الشيخ أبي بكر بن سعادة أنه دخل مدينة طليطلة مع أخيه على الشيخ الأستاذ أبي بكر الخزومي . قال : فسألنا : من أين ؟ قلنا : من قرطبة . فقال : متى عهدكما بها ؟ قلنا : الآن وصلنا منها . فقال : أقربا إلى أشم نسيم قرطبة فقربتا منه فشم رأسى وقبله وقال لي أكتب :

أقرطبة النراء هل لي أوبة إليك وهل يدنو لنا ذلك العهد
سقى الجانب الغربي منك غمامة وقع في ساحات ذوحاتك الرعد
ليالك أسحار وأرضك روضة وتربك في استنشاقها عنبر ورد
وكتب الرئيس الكاتب أبو بكر بن القبطرنة. للمام أبي الحسين بن سراج بقوله :

ياسيدي وأبي ، هوّى وجلالة ورسول ودّي إن طلبت رسولا
عرج بقرطبة إذا بُلغتها بأبي الحسين وناديه تأميلا
وإذا سمعت بنظرة من وجهه اهد السلام لكته تقبلا
واذكر له شوق وشكري مجيلا ولو استطلعت شرحته تفصيلا
بتحية ثمّدى إليه كأنما جرّت على زهر الرياض ذبولا

(١) نقل صاحب نفع الطيب عن أبي محمد بن حزم مابلى : أخبرني تليد الحمصي وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بني مروان أن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة في كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء النواوين لا غير اه قلنا وكان عدا خزانة كتب دار الخلافة خزائن لا تحصى في قرطبة

وفي باب اليهود قرطبة يقول أبو عامر بن شهيد :

لقد أطلّموا عند باب اليهود دَبَدْرًا أَبَى الحُسْنُ أَنْ يُكْتَمَفَا

تراه اليهودُ على بابها أميراً فتحسبهُ يوسفًا

واستقبحوا قولهم باب اليهود فقالوا : باب الهدى . وسنذكر قرطبة والزهره

والزاهرة ومسجدها في الباب المنفرد بها ، إن شاء الله تعالى ، وكذلك القنطرة ^(١)

ومن أعظم مدن الأندلس اشبيلية ، قال الشقندي : من محاسنها اعتدال الهواء ،

وحسن المباني ، ونهرها الأعظم الذي يصعد المد فيه اثنين وسبعين ميلاً ثم يحسر ،

وفيه يقول ابن سفر :

شوقٌ النَّسِيمُ عَلَيْهِ جَبَبَ قَبِيصِهِ فانساب من شَطِيئِهِ يطلب ناره

فتضاحكت ورُوقُ الحَمَامِ بدوّحها هُرُوقًا فَمَضَّ من الحِيَاءِ إزاره

وقبل لأحد من رأى مصر والشام : أيهما رأيت أحسن ، أهدان أم اشبيلية ؟

فقال بمد تفضيل اشبيلية : شرفها ^(٢) غابة بلا أسد ، ونهرها نيل بلا تمساح اه

ويقال إن الذي بنى اشبيلية اسمه « يوليس » ^(٣) وأنه أول من سُمِّيَ « قيصر »

(١) وسنذكرها نحن أيضاً عند الوصول إلى مبحث قرطبة

(٢) ببنى غابة الزيتون العظيمة المسماة بالشرف

(٣) هو يوليس قيصر وكان قد فتح اشبيلية سنة ٤٥ ق م واتخذها حاضرة لاسبانية

كما كان . بومي ، اتخذ قرطبة . وليس يوليس قيصر هو الذي بناها ، بل هي بلدة

عظيمة من قبل ، واقعة على طريق التجارة الأعظم ، من قادم إلى ماردة إلى طليطلة ،

وإنما ازداد قيصر اعتناءها ، ثم صارت سنة ٤١١ ب م عاصمة لليونندال ، وفي سنة

٤٤١ عاصمة للقوط ، وفي سنة ٥٥٧ انتقل ، أنانا جيلد ملك القوط ، منها إلى طليطلة ،

نظراً لتوسطها في المملكة ، ولكن بقي يقيم بها في الأحياء نائب الملك . واستولى

العرب على اشبيلية تحت قيادة موسى بن نصير سنة ٧١٢ ب م وسلطوا قيادها في بداية

الامر إلى غيطشة أو فيطشة Vitzza وأعقابهم لأنهم ذكروا لفيطشة ولاءه لهم عند الفتح

وأنه لما دخل الأندلس أعجب بساحاتها ، وطيب أرضها ، وجبها المعروف بالشرف ، فقدم على النهر الأعظم مكاناً ، وأقام فيه المدينة ، وأحرق عليها بأسوار من صخر صلد وبني في وسط المدينة قصبين بديمتي الشان ، تعرفان بأخوين ، وجعلها أم قواعد الأندلس ، واشتق لها اسمها من « رومية يوليس »^(١) انتهى . وقد تقدم شئ من هذا .

وكان الأولون من ملوك الأعاجم يتداولون بسكناهم أربعة بلاد من بلاد الأندلس : اشبيلية ، وقرطبة ، وقرمونة ، وطلاطلة ، ويقسمون أزمائهم على السكنونة بها . وأما شرف اشبيلية فهو شريف البقعة ، كريم التربة ، دائم الخضرة فرسخ في فرسخ ، طولا وعرضاً ، لا تكاد تشمس فيه بقعة ، لانتفاف زيتونه .

واعلم أن اشبيلية لها كور جليية ، ومدن كثيرة ، وحصون شريفة ، وهي من السكور المجندة ، نزلها جند حمص ، ولواؤهم في الميمنة ، بعد لواء جند دمشق وانتهت جباية اشبيلية أيام الحكم بن هشام إلى خمسة وثلاثين الف دينار ومائة دينار . وفي اقليم « طالقة »^(٢) من اقليم اشبيلية وجدت صورة جارية من مرمر ، معها صبي ، وكان حبة تزيده ، لم يسمع في الأخبار ، ولا رؤى في الآثار ، صورة أبدع منها ، جعلت في بعض الحمامات ، وتعشقها جماعة من العوام . وفي كورة ماردة حصن « شنت أفرج »^(٣) في غاية الارتفاع ، لا يعلوه طائر البتة ، لا نمس ولا غيره

ومن عجائب الأندلس البلاط الأوسط من مسجد جامع « اقايش »^(٤) فإن

(١) سماها قصر Colonia Julia Romula

(٢) قال ياقوت : طالقة من أعمال اشبيلية بالأندلس

(٣) الأسبانيول يقولون لشنت أفرج Santa Cruz أى الصليب المقدس

(٤) عند الأسبانيول Uclès وأكثر سينات الأسبانيول يقبلها العرب شيئا مثل برسلونة التي هي عندهم برسلونة ، وسيغبله التي يقولون لها اشبيلية ، وسنتره التي يقولون لها شنترة ، وواديس التي هي عندهم وادي آش . إلى ما لا يحصى من الأعلام إلا أن ذلك غير مطرد ، فبعض الأعلام لا تزال سينها عندهم سيناً ، وذلك مثل بلفسية

طول كل جائزة منه مائة شبر واحد عشر شبراً ، وهي مربعة منحوتة ، مستوية الأطراف وقال بعض من وصف اشبيلية إنها مدينة عامرة ، على ضفة النهر الكبير المعروف بنهر قرطبة ، وعليه جسر مربوط بالسفن ، وبها أسواق قائمة ، وتجارات رابحة ، وأهلها ذوو أموال عظيمة ، وأكثر متاجرهم الزيت ، وهو يشتمل على كثير من إقليم الشرف . وإقليم الشرف على تل عال ، من تراب أحمر ، مسافته أربعون ميلاً في مثلها ، يمشى به السائر في ظل الزيتون والتين . ولها فيما ذكر بعض الناس قرى كثيرة ، وكل قرية عامرة بالأسواق ، والديار الحسنة والحمامات وغيرها من المرافق .

وقال صاحب « منهاج الفكر » عند ذكر اشبيلية : وهذه المدينة من أحسن مدن الدنيا ، وبأهلها يضرب المثل في الخلاعة ، وانتهاز فرصة الزمان الساعة بسد الساعة . ويمينهم على ذلك واديها الفرج ، وناديبها البهج ، وهذا الوادي يأتيها من قرطبة ، ويجزر في كل يوم . ولها جبل الشرف^(١) ، وهو تراب أحمر ، طوله من الشمال إلى الجنوب أربعون ميلاً ، وعرضه من المشرق إلى المغرب اثنا عشر ميلاً ، يشتمل على مائتين وعشرين قرية ، قد التحفت بأشجار الزيتون واشتملت . انتهى .

ومرسية وسرقسطة وقادس وغيرها . ولقد أخبرني ولدنا الفاضل البحاثة المدقق السيد محمد الفاسي من آل الجند القهريين أن الأسبان القدماء كانوا أيضاً يتلقون بالسين شينا في ألفاظ كثيرة مثل Burgos برغش وVargaa برقاش اسم آل برقاش الوجهاء في رباط الفتح ، ولذلك كان الأسبان في الماضي يكتبون السين المنطوق بها شينا بحرف X فكانوا يكتبون مثلاً اشيلية هكذا Xévilla وارشيدونة Arxidona رشير Xolair . ولم جراً . قلت : وربما كان القوط أتوا بهذا النطق من الشمال لانهم هم جرمانيون في الاصل ، وكل حرف S في اللغة الجرمانية ينطق به شينا ، وهو عندهم اصطلاح قديم إلا في مقاطعة هنوفر ، فهناك حرف S ينطق به سينا (١) لا يصح أن يسمى الشرف جبلاً ، ولقد مرت به في ذهابي من أشيلية إلى رندة ، فهو نشز ناهض قليلاً عن الأرض

ولسكورة « باجة » ^(١) من السكور الغربية التي كانت من أعمال اشبيلية أيام
 بنى عباد خاصية في دباغة الأديم وصناعة الكتان . وفيها معدن فضة . وبها ولد
 المعتمد بن عباد ، وهي متصلة بكورة ماردة .

ولجبل طارق حوز قصب السبق بنسبته إلى طارق مولى موسى بن نصير إذ
 كان أول ما حل به مع المسلمين من بلاد الأندلس عند الفتح ، ولذا شهر بجبل
 الفتح ، وهو مقابل الجزيرة الخضراء ، وقد تجمون البحر هنالك مستديراً ، حتى صار
 مكان هذا الجبل كالناظر للجزيرة الخضراء ، وفيه يقول مطرف شاعر غرناطة :

وَأَقْوَدَ قَدِ أَتَى عَلَى الْبَحْرِ مَتْنَهُ فَاصْبَحَ عَنْ قُودِ الْجِبَالِ بِمَنْزِلِ
 يُرَضُّ نَحْوَ الْأَفْقِ وَجَهًا كَأَنَّمَا تَرَأَى عَيْنَاهُ كَوَاكِبَ مَنَزِلِ

وإذا أقبل عليه المسافرون من جهة سبتة في البحر ، بان كأنه سرج . قال
 أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد : أقبلت عليه مرة مع والدي فنظرنا إليه على تلك
 الصفة فقال والدي : أجز :

أنظر إلى جبل الفتح راكباً متن ليج

فقلت : وقد تفتح مثل الأفنان في شكل سرج

وأما جزيرة طريف فليست بجزيرة ، وإنما سميت بذلك الجزيرة التي أمامها
 في البحر مثل الجزيرة الخضراء ، وطريف المنسوبة إليه بربري من موالى موسى بن
 نصير . ويقال إن موسى بنمه قبل طارق في أربعة آلاف رجل ، فنزل بهذه الجزيرة في
 رمضان سنة إحدى وتسعين ، وبمده دخل طارق . والله أعلم .

ومن أعظم كور الأندلس كورة طليطلة ، وهي من متوسط الأندلس ، وكانت
 دار مملكة بني ذى النون ، من ملوك الطوائف ، وكان ابتداء ملكهم صدر المائة
 الخامسة . وسمماها قيصر بلسانه « بزليطلة » وتأويل ذلك : انت فارح . فربتها

العرب ، وقالت « طليطلة » ^(١) . وكانوا يسمونها و جهاتها في دولة بنى أمية بالثغر الأدنى ، و يسمون سرقسطة و جهاتها بالثغر الأعلى . و تسمى طليطلة مدينة الاملاك لأنه فيما يقال ملكها اثنان و سبعون انسانا ، و دخلها سليمان بن داود عليهما السلام ، و عيسى بن مريم ، و ذو القرنين ^(٢) ، و فيها وجد طارق مائدة سليمان ، و كانت من ذخائر أشبان ملك الروم الذي بنى أشبيلية ، أخذها من بيت المقدس ، كما مر ^(٣) . و قومت هذه المائدة عند الوليد بن عبد الملك بمائة ألف دينار . و قيل إنها كانت من زمرد أخضر ، و يقال إنها الآن برومة . والله أعلم بذلك . و وجد طارق بطليطلة ذخائر عظيمة ^(٤) منها مائة و سبعون تاجاً من اللؤلؤ و الياقوت و الأحجار النفيسة ، و إيوان ممتلئ من أواني الذهب و الفضة ، و هو كبير ، حتى قيل إن الخيل تلعب فيه فرسانها برماحهم لوسمه . و قد قيل أن أواني المائدة من الذهب ، و صحافها من اليشم و الجوزع . و ذكروا فيها غير هذا ، مما لا يكاد يصدق الناظر فيه . و بطليطلة بساتين محدقة ، و أنهار محترقة ، و رياض و جنان ، و فواكه حسان ، و مختلفة الطوم و الألوان و لها من جميع جهاتها أقاليم رفيعة ، و رساتيق مريمة ، و ضياع بديمة ، و قلاع منيعة ، و بالجملة فحاسنها كثيرة ، و لعلنا نلم ببعض متزهاتها فيما يأتي من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى

وطليطلة قاعدة ملك القوطيين ، و هي مطلة على نهر تاجة ، و عليه كانت القنطرة التي يهجز الواصفون عن وصفها ، و كانت على قوس واحد ، تكفه فرجتان من كل جانب ، و طول القنطرة ثلاثمائة باع ، و عرضها ثمانون باعاً ، و خربت أيام الأمير محمد ،

(١) قال المؤرخ الروماني « تيت ليف » : طوليتوم Toletum مدينة صغيرة لكنها ذات موقع حصين

(٢) هذا من أساطير الأولين

(٣) لم نقرأ هذا في تاريخ يرتق به

(٤) أما هذا فصحيح وإن تطرقت إليه المبالغة كما هو المعتاد في مثل هذه الحوادث

لما عصى عليه أهلها ، فنزاهم واحتال في هدمها . وفي ذلك يقول الحكيم عباس بن فرناس :
 أضحّت طليطلةً معطلةً من أهلها في قبضة الصقر
 نرکت بلا أهل تؤهلها مهجورة الأكناف كالأقبر
 ما كان يبقي الله قنطرةً أصبت لحمل كتاب الكفر
 وسيأتي بعض أخبار طليطلة (١) .

ومن مشهور مدن الأندلس المرية ، وهي على ساحل البحر ، ولها القلعة المنيعة
 المعروفة بقلعة خيران ، بناها عبد الرحمن الناصر ، وعظمت في دولة المنصور ابن أبي
 عامر ، وولى عليها خيران ، فنسبت القلعة إليه . وبها من صنعة الديباج ما تفوق به
 سائر البلاد . وفيها دار الصناعة (٢) . وتشتمل كورتها على معدن الحديد والرخام .
 ومن أبوابها باب العقاب عليه صورة عقاب من حجر ، قديم عجيب المنظر

وقال بعضهم : كان بالمرية لنسج طرز الحرير ثمانية نول ، وللحلل النفيسة
 والديباج الفاخر ألف نول ، وللإسقاطون كذلك ، وللثياب الجرجانية كذلك ،
 وللإصغفانية مثل ذلك ، وللعنابي والمعاجر المدهشة ، والستور المكحلة . ويصنع بها
 من صنوف آلات الحديد والنحاس والزجاج ما لا يوصف (٣) . وفا كهة المرية

(١) - سيأتي خبر طليطلة في الجزء الأول هذا

(٢) المرية كانت مرسى الأسطول الإسلامي الأندلسي الذي بلغ أوج عظمته في
 أيام عبد الرحمن الناصر ، وبقيت كذلك مدة من الزمن بعد ذهاب الناصر رحمه الله ،
 وفي أيام مجاهد العامري وولده علي كانت دانية مرفأً عظيماً للأسطول الإسلامي وكانت
 فيها دار صناعة وكانت دور صناعة في مدن بحرية أخرى مثل الجزيرة الخضراء . وشلب
 والقنت وقمتلون في كتلونية والمنكب ومالقه وقصر أبي دانيس في الجهة الغربية
 وجزيرة يابسة ، وفي زمن الناصر أنشئت دار صناعة عظيمة في طرطوشة ، وذلك لأن
 الصنوبر الطرطوشي مشهور بالصلافة

(٣) نقل لاي وروفسال عن مؤلني العرب ما ذكره عن عظمة تجارة المرية ،
 وأنها كانت أعظم ميناء في الأندلس ، كما قال الشقندي ، وذكر أنه كان فيها ألف إلا

يقصر عنها الوصف حسناً ، وساحلها أفضل السواحل ^(١) ، وبها قصور الملوك القديمة الغربية العجيبة . وقد ألف فيها أبو جعفر بن خاتمة تاريخاً حافلاً ، سماه « بمزية المزية على غيرها من البلاد الأندلسية » في مجلد ضخمة ، تركته من جملة كتبي بالمغرب . والله سبحانه المسؤول في جمع الشمل ، فله الأمر من بعد ومن قبل .

ووادى المرية طوله أربعون ميلاً في مثلها ، كلها بساتين بهجة ، وجنات نضرة وأنهار مطردة ، وطيور مغردة . قال بعضهم : ولم يكن في بلاد الأندلس أكثر مالا من أهل المرية ، ولا أعظم متاجر وذخائر ، وكان بها من الحمامات والفنادق نحو الألف ، وهي بين الجبلين ، بينهما خندق معمور ، وعلى الجبل الواحد ، قصبتها المشهورة بالحصانة ، وعلى الآخر ربضها . والسور محيط بالمدينة والربض . وغيرها ربض لها آخر يسمى ربض الحوض ، ذو فنادق وحمامات ، وخنادق وصناعات ، وقد استدار بها من كل جهة حصون مرتفعة ، وأحجار أولية . وكأنما غربلت أرضها من التراب . ولها مدن وضياع عامرة متصلة الأنهار . انتهى .

وقال ابن اليسع عند ذكر مدينة « شنترة » ^(٢) : إن من خواصها أن القمح والشعير يزرعان فيها ويحصدان عند مضي أربعين يوماً من زراعته ، وأن التفاح فيها دور كل واحدة ثلاثة أشبار وأكثر . قال لي أبو عبد الله الباكوري ، وكان ثقة : أبصرت عند المتمدن بن عباد رجلاً من أهل شنترة ، أهدى إليه أربعة من التفاح ، ما يُقِلُّ الحمل على رأسه غيرها ، دور كل واحدة خمسة أشبار . وذكر الرجل بحضرة ابن عباد أن المعتاد عندهم أقل من هذا ، فإذا أرادوا أن يجي . بهذا العظم وهذا القدر قطعوا أصلها وأبقوا منه عشرًا أو أقل ، وجملوا تحتها دعائم من الخشب . انتهى .

ثلاثين قنداقاً مفيدة في ديوان الحراج ، وأنها كانت مدينة صناعية من الدرجة الأولى ، وفيها المناجح الحربية وغيرها ، ومعامل الحديد والنحاس والزجاج

(١) إلى يومنا هذا فواكه المرية مشهورة ، ومنها يجلب إلى أوربة أفضل العنب

(٢) Cintra من مدن البرتغال

وبحصن « شنش »^(١) على مرحلة من المربة التوت الكثير ، وفيها الحرير والقرمز ، ويعرف واديا بوادى « طبرنش »^(٢) وبقربى مالقة عمل « سهيل »^(٣) وهو عمل عظيم كثير الضياع ، وفيه جبل سهيل ، لا يرى نجم سهيل بالأندلس إلا منه ومن كور الأندلس الشرقية تدمير^(٤) وتسمى مصر أيضاً ، لكثرة شبهها بها ، لأن لها أرضاً يسبح عليها نهر في وقت مخصوص من السنة ، ثم ينضب عنها ، فتزرع كما تزرع أرض مصر ، وصارت القصبه بعد تدمير مرسية ، وتسمى البستان لكثرة جناتها المحيطة بها ، ولها نهر يصب في قلبها .

واعلم أن جزيرة الأندلس ، أعادها الله للإسلام ، مشتملة على موسطة وشرق وغرب . فالموسطة فيها من القواعد المصرة التي كل مدينة منها مملكة مستقلة ،

(١) لانلم أمى في الأصل شنشين Chinchin وقد حرفها الفساح إلى شنش ، أم هى من الأصل شنش

(٢) يقول لها الاسبانيول Tabarnax قال عنها لسان الدين بن الخطيب فى « معيار الاختبار ، حاضرة البلاد المشرقية ، وثنية البارقة الاقفية ، ماشئت من تجيد بيت ، وعصر زيت ، واحياء أنس ميت ، وحام طيب ، وشعر تثر فيه دنانير أبى الطيب ، إلا أنها محيلة الغيوث ، عادية الليوث ، ولوشكر الفيت شعيرها ، أخصبت البلاد وغيرها (٣) هو اسم عربى من أصله والاسبانيول يقولون لهذا المكان « فوانجيرولا ،

Fuengirola قال لسان الدين فى « معيار الاختبار » : حصن حصين ، يضيق عن مثله هند وصين ، ويقضى بفضله كل ذى عقل رصين ، سبب عزه متين . ومادة قوته شعير وتين ، قد علم أهله مشربهم ، وأصنوا مهربهم ، وأسهلت بين يديه قراه ، مائلة بحيث تراه ، وجاد بالسلك واديه ، وبالحب تراه ، وعرف شأنه بأرض النوب ، ومنه يظهر سهيل من كواكب الجنوب . إلا أن سواحل بلئ الفارة البحرية ، ومهبط السرية غير السرية ، ومسرح السائمة الاميرية ، وخدامها كما علمت أولئك هم شر البرية اه . قلت : قوله البل بكسر أوله معناه مباح يقال هو « حل وبل » أى سواحل سهيل مباحة للقارات البحرية لكثرتها عليها

(٤) هى البلدة التي يقال لها أوردولة وهى من عمل مرسية

لها أعمال ضخام ، وأقطار متممة : قرطبة ، وطليطلة ، وجيان ، وغرناطة ، والمرية ، ومالقة : فن أعمال قرطبة « استجة » و « بلكونة » و « قبرة » و « رندة » و « غافق » و « المدور » و « اسطبة » و « يانة » و « اليانة » و « القصير »^(١) وغيرها . ومن أعمال طليطلة « وادي الحجارة » ، و « قلعة رباح » ، و « طلمنكة »^(٢) وغيرها . ومن أعمال جيان ، « ابذة » ، و « ياسة » ، و « قسطلة »^(٣) وغيرها ، ومن أعمال غرناطة « وادي آش » ، و « المنكب » و « لوشة »^(٤) وغيرها . ومن أعمال المرية « اندرش »^(٥) وغيرها . ومن أعمال

(١) الأاسبانيول يقولون لاستجة Eciga ولبلكونه Balcona ولقبره Cabra ولرندة Ronda ولغافق Gafic وللدرر Almodovar ولأسطبة Estepa وليانة Baena. ولاليانة Lucana وللقصير Alkosair
(٢) الأاسبانيول يقولون لوادي الحجارة Guadalajara ولقلعة رباح Calatrava ولطلمنكة Salamanca

(٣) الأاسبانيول يقولون لجان جيان بالخاء وبدون تشديد ، ويقول دوزى إن القشتاليين كانوا يقولون في القرون الوسطى جيان مخففة ، وأن أصل هذا الاسم روماني ، وهو أوسيانس Uciense فالعرب حذفوا آخر الاسم ، فبق أوسيان ، فقلبوا السين شيئا ، ثم غلبت الجيم الشين ، وحذفوا الأول ، فأتى الأمر بأن صارت جيان ، وابقه أعلم . ويقول الأاسبانيول لابذة Ubeda ولياسه Baeza ولقسطة Castella وكل هذه الأسماء قد تقدم ذكرنا لها بالعربي وبالاسبانيول وإنما نكررها لترسخ في ذهن القارىء

(٤) لا يخفى أن غرناطة هي عند الأاسبانيول Granada ووادي آش Geiadix والمنكب Almunécar ، ولا نعلم لماذا الأاسبانيول قلبوا الباء راء ، ولوشة هي عندهم Loja

(٥) لا يخفى أن المرية هي من فعل رأى بحسب رأى دوزى ، فقد قال إن هذا الاسم في أصله لم يكن علماً وأنه صفة لبرج يكون مشرفاً على البحر ، ترى منه مراكب البحر ، وتراه المراكب من البحر . وهذا الرأي ليس يبعد عن الصواب ، لانه في

مالقة « بلش و « الحامه »^(١) ، وغيرهما . ويبلش من الفواكه ما بمالقة ، وبالهامة العين الحارة على ضفة واديها .

وأما شرق الأندلس ففيه من القواعد « مرسية » و « بلنسية » و « دانية » و « السهله » و « الثغر الأعلى »^(٢) . فمن أعمال مرسية « أوربولة » و « القنت » و « لورقة »^(٣) وغير ذلك ومن أعمال بلنسية « شاطبة » التي يضرب بحسنها المثل ، ويعمل بها الورق الذي لا نظير له ، و « جزيرة شقر » وغير ذلك وأما « دانية » فهي شهيرة ، ولها أعمال ، وأما « السهله » فلها متوسطة بين بلنسية وسرقسطة ، ولنا عدها بمضمم من كور الثغر الأعلى ، ولها مدن وحصون . ومن أعمال الثغر الأعلى سرقسطة . وهي أم ذلك الثغر . وكورة « لارده » والقلمة ، وتسمى بالبيضاء.^(٤)

العرق يوجد فعل أراه إياه يريه إراءة وإيراه ، أى جملة ينظر فيه فهو مروى مرية . فهذا فى الارجح أصل هذه اللفظة ، وفيها بعد أدخلوا عليها التشديد بتحريف العوام . ومع هذا فالأسبانيول لا يلفظونها بالتشديد بل يلفظونها بفتح الأول وكسر الثانى فسكون فياه فألف هكذا Almeria وأما اندرش فيكتبونها Andarax وهى البلدة التى عينها فرديناند لآنى عبد الله بن الاحمر . بعد أن أخرجه من غرناطة ، حتى يقيم بها قبل أن تحيل عليه وأخرجه إلى المغرب ، وقد ذكرها لسان الدين فى « معيار الاختبار » فقال عنها : عنصر جباية ، وكن به أولو إباية ، حريرها ذهب ، وتربها تبر ملتب ، وماؤها سلسل ، وهواؤها لا يلقى معه كسل إلا أنها ضيقة الأحواز والمجبات ، كثيرة المقابر والقوهاد ، عديمة الفرج والمنزهات ، ثقيلة المخارم ، مستباحة المحارم ، أعراها أولو استطالة ، فلا يعدم الزرع عدوانا ، ولا يفقد غير الشير زوانا ، وطريقها غير سوى وساكتها ضميم يشكو من قوى اه .

(١) الأسبانيول يقولون بلش مالقة Velez Malaga ويقولون للحامة Alahama

(٢) مرسية هى Murcia وبلنسية Valencia ودانية Denia والسهله Azaila

والثغر الأعلى هى سرقسطة Zaragoza

(٣) كلها قد تقدم ذكرها وبعض وصفها

(٤) أى سرقسطة

وكورة « تطيلة » ومدينتها « طرسونة » ^(١) و « كورة » و « شقة » ومدينتها
 تربط ^(٢) ، و « كورة مدينة سالم » ، و « كورة قلعة أيوب » ، ومدينتها بليانة ، و « كورة
 » برطانية ^(٣) و « كورة » باروشة ^(٤)

وأما غرب الأندلس ففيه « اشبيلية » و « ماردة » و « اشبونة » و « شلب » ^(٥)
 فن أعمال اشبيلية « شريش » و « الخضراء » و « لبلبة » ^(٦) وغيرها . ومن أعمال
 ماردة « بطايوس » و « يابرة » ^(٧) وغيرها . ومن أعمال اشبونة « شترين » ^(٨)
 وغيرها . ومن أعمال شلب « شنت ريه » ^(٩) وغيرها .

وأما الجزر البحرية بالأندلس فنها جزيرة « فادس » ^(١٠) وهي من أعمال
 اشبيلية . وقال ابن سعيد : إنها من كورة شريش ولا منافاة ، لأن شريش من
 أعمال اشبيلية كما مر . قال : ويبد صم فادس مفتاح . ولما نار بقادس ابن أخت
 القائد أبي عبد الله بن ميمون ، وهو على بن عيسى قائد البحر بها ، ظن أن تحت
 الصم مالا فهدمه فلم يجد شيئاً اه .

وهي أعنى جزيرة فادس في البحر المحيط . وفي المحيط الجزائر الخالدات ^(١١)

(١) قد تقدم ذكر هذه المدن وسأني الخبر عنها كلها

(٢) Tamarite - Altorricon

(٣) إن هذه الكورة هي المسماة بلطانية عند الأسبان وهي شمال وشقة

(٤) قال ياقوت : باروشة مدينة من غربي سرقسطة بقرب من أرض الفرنج

(٥) هذه الأسماء هي Sévillia و Merida و Lisboa و Silvea

(٦) Xeres و Algezira و Niebla

(٧) Evora و Badajoz

(٨) Santarem (٩) Santamaria

(١٠) Cadix وليست بجزيرة تامة ، وذلك لأنها ترتبط بالبر بخيط دقيق من التراب

قليل الرض لا يزيد على أمتار معدودات ، وهو أيضاً غير مستطيل

(١١) Canaries

السبع ، وهي غربي مدينة سلا ، تلوح للناظر في اليوم الصافي الجو من الأبحر
 الغليظة ، وفيها سبعة أصدان على أمثال الآدميين ، تشير أن لا عبور ولا مسلك
 وراءها . وفيه بجهة الشمال جزائر السمادات ^(١) ، وفيها من المدن والقرى مالا يحصى
 ومنها يخرج قوم يقال لهم المجوس ، على دين النصارى ، أولها جزيرة برطانية ^(٢)
 وهي بوسط البحر المحيط ، بأقصى شمال الاندلس ، ولا جبال فيها ولا عيون ، وإنما
 يشربون من ماء المطر ، ويزرعون عليه ، وقال ابن سميذ : وفيه جزيرة « شاطيش » ^(٣)
 وهي آهلة ، وفيها مدينة ، وبجربها كثير السمك ، ومنها يحمل ملاحا إلى اشبيلية ،
 وهي من كورة « لبله » مضافة إلى عمل « أونية » ^(٤) . اه .

وقال بعضهم لما جرى ذكر قرطاجنة من بلاد الاندلس : إن الزرع في
 بعض أقطارها يكتب بمطرة واحدة ، وبها أقواس من الحجارة المقرصة ، وفيها من
 النساوير والتمايل وأشكال الناس وصور الحيوانات ما يهيج البصر والبصيرة . ومن
 أعجب بنائها « اللواميس » ^(٥) وهي أربعة وعشرون ، على صف واحد ، من
 حجارة مقرصة ، طول كل داموس مائة وثلاثون خطوة ، في عرض ستين خطوة ،
 وارتفاع كل واحد أكثر من مائتي ذراع ، بين كل داموسين انقاب محكمة ، تنصل
 فيها المياه من بعضها إلى بعض ، في الملو الشاهق ، بهندسة عجيبة ، وإحكام بديع . انتهى
 « قلت : « أظن هذا غلطا فان قرطاجنة التي بهذه الصفة قرطاجنة أفريقية
 لا قرطاجنة الأندلس . والله أعلم .

Açores (١)

بريطانية العظمى (٢)

Saltes وهي جزيرة في غربي الاندلس بنسب إليها أبو محمد الشلطيشي وغيره (٣)

من أهل العلم وسياق ذكرها

Huelva (٤)

الداموس هو القفرة أو ما يستتر به (٥)

وقال صاحب « مناهج الفسح » عند ما ذكر قرطاجنة : وهي على البحر الرومي ، مدينة قديمة بقي منها آثار ، ولها فخص طولها ستة أيام ، وعرضه يومان ، معمور بالقرى انتهى . وذكر قبل ذلك في « لورقة »^(١) أنه بناحيها يوجد حجر اللازورد ، وفي البحر الشامي الخارج من المحيط جزيرتا ميورقة ومنورقة ، وبينهما خمسون ميلا وجزيرة ميورقة مسافة يوم بها مدينة حسنة^(٢) وتدخاها ساقية جارية على الدوام ، وفيها يقول ابن اللبانة :

بلدٌ أعارته الحمامةُ طوقها وكساه حلةً ريشه الطاووسُ
فكأنما الأنهارُ فيه مُدامةٌ وكأنَّ ساحاتِ الديارِ كُؤوسُ

وقال يخاطب ملكها ذلك الوقت :

وَعَمَّرَتْ بِالْإِحْسَانِ أَرْضَ مَيُورِقَةَ وَبَنَيْتَ مَا لَمْ يَبْنِيهِ الْإِسْكَانَدَرُ
وجزيرة يابسة^(٣) . واستقصاء ما يتعلق بهذا الفصل بطول ، ولو تَدبَع لكان تأليفاً مستقلاً ، وما أحسن قول ابن خناجة :

إنَّ للجنةِ بالأندلسِ مُجْتَلَى حُسْنٍ وَرِيَا نَفْسِ
فَتَنَا صَبَحْتَهَا مِنْ شَنْبٍ وَدُحَى لَيْلَتِهَا مِنْ لَعَسِ
وَإِذَا مَا هَبَّتِ الرِّيحُ صَبَاً صَبَحْتُ: وَاشْتَقَى إِلَى الْأَنْدَلِسِ!

وقال بعضهم في طليطلة :

زادت طليطلةٌ على ما حدثوا بلد عليه نصرةٌ ونسيمُ

Lorca (١)

(٢) الاسبانول يقولون لهذه المدينة ، بالما ، Palma ، وأما العرب فكانوا يقولون للجزيرة ميورقة وللدينة أيضا ميورقة . وقد أقت بهذه البلدة عشرين يوماً في أثناء سياحتي إلى الأندلس سنة ١٩٣٠ فرأيتها من أجل بلاد الله وأخصها

Ibiza (٣)

الله زينهُ فوشح خضرهُ نهر الحجرَةِ والعصونُ نجومُ
ولا حرج إن أوردنا هنا ما خاطب به أديب الأندلس أبو بحر صفوان بن
إدريس الأمير عبد الرحمن ابن السلطان يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، فانه مناسب
ونصه :

« مولاي أمتع الله ببقائك الزمان وأبناءه ، كما ضمّ على حبك أحناءهم وأحناءه ،
وأوصل لك ماشئت من المن والأمان ، كانظم قلاند فخرک على لبة الدهر نظم الجمان ،
فانك الملك الملام ، والقمر التمام ، أيامك غرر وحجول ، وفرند بهانها في صفحات الدهر
يجول ، ألبست الرعية برود التأمين ، فتناسقت فيك من نفيس نفيس ، وتلقت دعوات
خداك لها باليين ، فكم للناس من أمن بك وإيناس ، وللأيام من لوعة فيك وهيام
وللأقطار من لبانات لديك وأوطار ، وللبلاد من قراع على تمليكك لها وجلاد !!
يتمنون شخصك الكريم على الله ويقترحون ، ويفتقون في رياض ذكرك
العاطر عدام حبك ويصطبجون ، كل حزب بما لديهم فرحون ، محبة من الله ألقاها
لك ، حتى على الجماد ، ونصراً مؤزرّاً تنطلق به أسنة السيوف على افواه الاغداد ،
ومن أسرّ سريرة ألبسه الله رداها ، ومن طوى حسن نية ختم الله له بالجليل إعادتها
وإبداها ، ومن قدّم صالحا فلا بد من أن يوازيه ، ومن يفعل الخير لا يعدم جوازيه
ولما تخاصمت فيك من الأندلس الأمصار ، وطال بها الوقوف على حبك والاقْتصار ،
كلها يفتح قولاً ، ويقول أنا أحق وأولى ، ويصيح إلى إجابة دعوته ويصني ،
ويتلو إذا بشر بك : ذلك ما كنا نبغي . تنمّرت حمص غيظاً ، وكادت تفيض فيضاً
وقالت : ما لهم يزيدون وينقصون ، ويطعمون ويحرسون ؟ إن يتبعون إلا الظن
وإن هم إلا يحرسون ! ألم السهم الأسد ، والساعد الأشد ، والنهر الذي يتماقب عليه
الجزر والمد ؟ أنا مصر الأندلس والنيل نهري ، وسهاني التأنس والنجوم زهري ، إن
تجارتهم في ذلك الشرف^(١) ، فحسبي أن أفيض في ذلك الشرف ، وإن تبجحتم بأشرف

(١) هو غابة الزيتون التي تقدم ذكرها

البوس ، فأى إزار اشتملتموه « كشتنوس »^(١) ؟ إلى ما شئت من أبنية رحاب ،
وروضى يستغنى بنضرته عن السحاب ، وقد ملأت زهراني وهادا ونجادا ، ونوشح
سيف نهري بحدائتي نجادا ، فأنا أولا كم سيدنا الهمام وأحق ، الآن حصحص الحق !
فنظرها قرطبة شذراً ، وقالت : لقد كثرت نذرا ، وبذرت في الصخر الأسم بذرا ،
كلام العدي ضرب من الهذيان ، وأنى للإيضاح والبيان متى استحبال المستبح
مستحسناً ، ومن أودع أجفان المهجوز وسنا ، أفس زين له سوء عمله فرآه حسناً ؟ !
يا عجباً للمرأ كز تقدم على الأسته ، والأثفار^(٢) تفضل على الأعة ! إن ادعيتم سبقاً
فما عند الله خير وأبقى ، لى البيت المطهر الشريف ، والأسم الذى ضرب عليه رواقه
التعريف ، فى بقية محل الرجال الأفاضل ، فليرغم أنف المناضل ، وفى جامعى
مشاهد ليلة القدر ، فحسى من نباهة القدر ، فما لأحد أن يستأثر على بهذا السيد
الأعلى ، ولا أرضى له أن يوطىء غير ترابى نملا ، فأقرؤوا لى بالابوة ، وانقادوا لى
على حكم النبوة ، ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة ، وكفوت عن تباريكم
ذلكم خير لكم عند بار يكم .

فقال غرناطة : لى المعقل الذى يمنع ساكنه من النجوم ، ولا تجرى إلا تحته
جياذ الفيث السجوم ، فلا يلحقى من مماند ضرر ولا حيف ، ولا يهتدى إلى خيال
طارق ولا طيف ، فاستسلموا قولاً . وفملا ، فقد أملح اليوم من استعمل لى بطاح
تقلدت من جدولها أسلاكاً ، وأطامت كواكب زهرها فمادت أفلاكاً ، ومياه تبيل
على أعطاني كأدمع المشاق ، وبرد نسيم يردد ما . المتجبر بالانتشاق ، فحسى لا يطعم
فيه ولا يحتال ، فدعوى فكل ذات ذبل تحتال ، فأنا أولى بهذا السيد الأعدل ،
وما لى به من عوض ولا بدل ، ولم لا يعطاف على عنان مجده ويثنى ، وإن أنشد يوماً
فأباى يعنى :

(١) Santiponce من قرى اشبيلية

(٢) الثغر محرمة وقد تسكن السير : الذى فى مؤخر السرج

بلاد بها عَقَّ الشباب تمانى وأول أرض مَسَّ جلدى تُرابها
فما لكم تمتازون لغزى وتتمنون ، وتناخرون في ميدانى وتقدمون ؟ تبرأوا
إلى مما نزعون ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون .

فقال معلقة : أنتركونى بينكم هملا ، ولم تعطونى في سيدنا أملا ؟ ولم ولى البحر
العجاج ، والسبل الفجاج ، والجنات الأثيرة ، والفواكه الكثيرة ؟ اى لدى من البهجة
ما تستغنى به الحام عن الهديل ، ولا تجمح الأنفـس الرقاق الحواشى الى تمويض عنه
ولا تبديل ، فالى لا أعطى في نادىكم كلاماً ، ولا أنشر في جيش فخاركم أعلاماً ؟ اى
فكان الأمصـار نضربها ازدياء ، فلم تر لهديتها في ميدان الذكر اجراء ، لأنها
موطن لا يحظى منه بطائل ، ونظن البلاد تأولت فيها قول القائل :

اذا نَطَقَ السفيهُ فلا تُجِبْهُ فخيرٌ من إجابته السكوتُ

فقال مرسية : أماى تماطلون الفخر ، وبحضرة الدر تنفقون الصخر ، إن عدت
المفاخر ، فى منها الأول والآخر ، أين أو شالكـم من بحرى ، وخرزكم من لؤلؤ نجرى ؟
وجمجمتكم من نفات سحرى ؟ فى الروض النضير ، والمرأى الذى ما له نظير ،
ورقنائى التى سار مثلها فى الآفاق ، وتبرقع وجه جمالها برة الاصفاق ، فن دوحات ، كم
لها من بكور وروحات ، ومن أرجاء ، اليها تمد أيدى الرجاء . فابنائى فى الجنة الدينوية
مودعون ، يتنمون فيما يأخذون ويدعون ، ولهم فيها ما تشتهى أنفسهم ولهم فيها
ما يدعون ، فاقادوا لأمرى ، وحاذروا اصطلا جمرى ، وخلوا بينى وبين سيدنا
أبى زيد ، وإلا ضربتكم ضرب زيد ، فأنا أولاً كم بهذا الملك المستأثر بالمعظيم ،
وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم .

فقالت بنسبة : فيم الجدال والقراع ، وعلام الاستهام والاقتراع ، وإلام
التعريض والتصريح ، وتمت الرغبة اللبن الصريح ؟ اى أنا أحوزه من دونكم ،
فأخذوا نار تحرككم وهدونكم ، فى المحاسن الشائخة الأعلام . والجنات التى
تلقى اليها الآفاق يد الاستسلام ، وبرصافى وجمرى أعارض مدينة السلام ، فأجموا

على الاتقياد لى والسلام ، وإلا فضوا بنا ، وقرعوا أسناننا . فإنا حيث لا تدركون
وأنى؟ ومولانا لا يهلكنا بما فعل السفهاء منا !

فصنذ ذلك ارتمت جرة تدمير بالشرار ، واستدت اسمها لنحور الشرار ،
وقالت : عش رجبا ، ترعجا ! أبداً العصيان والعقوق ، تهبان لترب ذوى الحقوق ؟ !
هذه سماء الفخر ، فن ضمنك أن تمرحى ؟ ليس بشك فادرجى ، لك الوصف
والخبل . آآن ؟ وقد عصيت قبل أيتها الصانعة الفاعلة ، من أدراك أن تضربى
وما أنت فاعلة ، ما الذى يجديك الروض والزهرة ؟ أم يفيدك الجدول والنهر ؟ وهل
يصلح المطار ما أفسد الدهر ؟ هل أنت إلا محط رحل النفاق ، ومنزل ما لسوق
الخصب فيه من نفاق ، ذراك لا يكتحل الطرف فيه بهجوع ، وقراك لا يسن ولا
يفنى من جوع ، فالأم تبرز الاماء فى منصة العقائل ؟ ولكن اذكرى قول القائل :

بلنسية ، يبنى عن القاب سلوةً فانك روض لا أحين لزهرك
وكيف يحب المرء داراً تقست على صارتى جوع وفتنة مشرك ؟

يد أنى أسأل الله تعالى أن يوقد من توفيقك ما حمد ، ويسبل من تسديك
ما حمد ، ولا يطيل عليك فى الجهالة الأمد ، وإياه سبحانه نسأل أن يرد سيدنا
ومولانا إلى أفضل عوانده ، ويحمل مصائب أعدائه من فوائده ، ويمكن حسامه
من رقاب المشنبيين ، ويبقىه وجيباً فى الدنيا والآخرة ومن المقرين ، ويصل له
تأييداً وتأييداً ، ويمهد له الأيام حتى تكون الأحرار لمبيد عبيده عبيداً ، ويمد على
الدنيا بساط سمده ، ويهبه ملكاً لا يبنى لأحد من بعده .

آمين ! آمين ! لأرض بواحدة حتى أضيف إليها ألف آمينا
ثم السلام الذى يتماق عباقاً ونشراً ، ويتألق روهماً وبشراً ، على حضرتهم
العلية ، ومطالع أنوارهم النية الجليلة ، ورحمة الله تعالى وبركاته ^(١) (انتهى)

(١) يرى القارىء أن صاحب النسخ يأق بالجغرافية والتاريخ والمحاضرات والمسارمات
والنظم والنثر ، كل ذلك فى نسق ، وأن الترتيب ليس هو الصفة الغالبة على تاليفه ، بل هو فى

ولما ألمَّ الرَّحالة ابن بطوطة في رحلته بدخوله بلاد الأندلس ، أعادها الله تعالى للإسلام قال : فوصلت إلى بلاد الأندلس حرسها الله تعالى حيث الأجر موفور للساكن ، والثواب مذكور للمقيم والظاعن . . . إلى أن قال عند ذكره غرناطة مانصه : قاعدة بلاد الأندلس ، وعروس مدنها ، وخارجها لا نظير له في الدنيا ، وهو مسيرة أربعين ميلا ، يخترقه نهر شنيل المشهور وسواء من الأنهار الكثيرة ، والبساتين الجليلة ، والجنان ، والرياضات ، والقصور ، والكروم ، محدقة بها من كل جهة ، ومن عجيب مواضعها « عين الدمع » ^(١) وهو جبل فيه الرياضات والبساتين ، لا مثل له بسواها . انتهى

وقال القفندي : غرناطة : دمشق بلاد الأندلس ، ومسرح الأبصار ، ومطبخ الأنفس ، ولم تخل من اشرف أمائل ، وعلواء أكابر ، وشعراء أفاضل ، ولو لم يكن بها إلا ما خصها الله تعالى به من كونها قد نبغ فيها النساء الشعراء ، كثرهون القلمية ، والركونية ، وغيرها ، وناهيك بهما في الظرف والأدب . انتهى
ولبعضهم ، يتشوق إلى غرناطة ، فيما ذكره بعض المؤرخين ، والصواب أن الأبيات قيلت في قرطبة كما مر والله أعلم .

أغرناطة الفراء ، هل لي أوبة إليك وهل يدنو لنا ذلك المهد
سقى الجاسب القربى منك غمامة وقدق في ساحات روضتك الرعد
لياليك أسحار ، وأرضك جنة وتربك في استنشاقها عنبر وورد
وقال ابن مالك الرعيي :

رعى الله بالجرأ عيشاً قطعته ذهبته به للأنس والليل قد ذهب

هذا سائر على قاعدة : إن الحديث شجون ، ولقد رأينا الأولى أن نبق نسقه على غلاته ، وأن لا تصرف إلا ماندر في ترتيبه وتبويه

ترى الأرضَ منها فِضَّةً فاذا انكَمَتَتْ بِشَمْسِ الضُّحَى عَادَتْ سَبِيكَتُهَا ذَهَبًا
وهو القائل :

لا تظنوا أن شوقى خدأ بدمكم ، أو أن دمعى جدأ
كيف أسلو عن أناس مثلهم قَلَّ أن تُبَصِّرَ عيني أحدأ

وغرناطة من أحسن بلاد الأندلس ، وتسمى بدمشق الأندلس ، لأنها أشبه
شىء بها ، وبشقها نهر « حدره » (١) ويطل عليها الجبل المسمى بشاير ، الذى
لا يزول الثلج عنه شتاء ولا صيفاً (٢) ويجمد عليه ، حتى يصير كالحجر الصلب ،
وفى أعلاه الأزهار الكثيرة ، وأجناس الأفاوية الرقيقة . ونزل بها أهل دمشق ،
لما جاءوا إلى الأندلس ، لأجل الشبه المذكور . وقرى غرناطة فيما ذكر بعض التأخرين
مائتان وسبعون قرية (٣) وقال ابن جزى مرتب رحلة ابن بطوطة ، بعد ذكر كلامه
ما نصه : قال ابن جزى : لولا خشيت أن أنسب إلى العصبية ، لأطأت القول فى
وصف غرناطة ، فقد وجدت مكانه ، ولكن ما اشتهر كاشتهارها لا معنى لإطالة
القول فيه . والله در شيخنا أبى بكر ابن محمد بن شيرين السبى ، نزيل غرناطة
حيث يقول :

رعى الله من غرناطة مُتَبَوِّأً يَسْرَ حزيناً أو يُجِيرُ طَريدأ
تبرمَ منها صاحبى عند مارأى مسارحها بالثلجِ عُدُنَ جليدأ
هو النغرُ ، صان الله من أهلت به وما خيرُ نغرٍ لا يكون برودأ ؟

وقال ابن سعيد ، عند ما أجرى ذكر قرية نارجة ، وهى قرية كبيرة تضاهى

(١) الاسبانيول بقولون Darro

(٢) سياتى ذكر غرناطة وقرائها فى محله

(٣) هذا هو الجبل الذى قال فيه القائل وقد حل باحدى قراء :

يحل لئنا ترك الصلاة بأرضهم وشرب الخبأ وهو شىء محرم
فرارأ إلى ناز الجحيم فانها أخف علينا من شلير وأرحم

المدن قد أحدثت بها البساتين ، ولها نهر يقطن الناظرين ، وهى من أعمال مالقة :
انه اجتاز مرة عليها مع والده أبى عمران موسى ، وكان ذلك زمان صباغة الحرير عندهم
وقد ضربوا فى بطن الوادى بين مقطعاته خيما ، وبعضهم يشرب ، وبعضهم يفتى
ويطرب ، وسألوا : يمّ يعرف ذلك الموضع ؟ فقالوا الطراز ، فقال والدى اسم طابق
مسياء ، ولفظ وافق معناه .

وقد وجدت مكان القولِ ذا سَمْعٍ فان وَجَدْتَ لسانًا قائلًا قُلِّ
ثم قال أجز :

- بنار-ج-ةٍ حيثُ الطرازُ المنمَّمُ
قلت : أقومُ فوقَ نهرٍ نَعْرُهُ يتبسَّمُ
وقال : وسَمَمكُ نحوُ المسانِفِ فانها
قلت : لِمَا أبصرتُ مِنْ بهجَةٍ تَنزَّمتُ
وقال : أَيَا جَنَّةِ الفِرْدوسِ لستُ بِأَدَمِ
قلت : فلاَ بكُ حُظيُّ من جَنائكِ التَنَدُّمِ
وقال : يمز علينا أن نزوركِ مثلَ ما
قلت : يزورُ خيالُ من سَلِمى مسلَمُ
وقال : فلو أنى أعطى الخيارَ لَمَّا عَدتُ
قلت : محلكِ لى عَيْنِ بمرآكِ تَنعَمُ
وقال : بحيثُ الصِّبا والطلُّ من نَفثانِها
قلت : وَقَتَ لَسعِ روضِ فيه للنهرِ أَرْقَمُ
وقال : فوا أسفى ! إن لم تسكنِ لى عودِ
قلت : فكنْ مالِكًا إني عليكِ مُتَمِّمٌ^(١)

(١) متمم كمعظم هو متمم بن نوبيرة بن حمزة التميمي البربعي الشاعر الصحابي
أخو مالك بن نوبيرة الصحابي أيضا رضي الله عنهما

- قال : فأحَبَ هذا آخِرَ المَهِدِ بيننا
 قلت : وقد يَلْعَطُ الرَحنُ شَوقي فيرحمُ
 قال : سلام ! لا يزال مُرَدِّدًا
 قلت : عليك ! ولا زالت بك السُّحُبُ تَسْجُمُ ! انتهى .

وقال ابن سعيد : إن كورة بلنسية ، من شرق الأندلس ، بنبت بها الزعفران وتعرف بمدينة التراب ، وبها كُمَّثْرَى تسمى الأرزة ، في قدر حبة النيب ، قد جمع مع حلاوة الطعم ، ذكاه الرائحة ، إذا دخل دارا عرف بريمه ، ويقال إن ضوء بلنسية يزيد على ضوء سائر بلاد الأندلس ، وبها منارة ومسرح ، ومن أبدعها وأشهرها الرصافة ، ومُثْنِيَة ابن ابى عامر .

وقال الشرف أبو جعفر بن مسعدة النراطلى من أبيات فيها :
 هي الفِرْدَوْسُ في الدنيا جَمالًا لساكِينِها وكارِها البعوض
 وقال بعضهم فيها :

ضاقَتْ بِلَنسِيَّةٍ بِي وِدادَ عَنِّي عُمُوضِي
 رَقصُ البِراغِيثِ فيها طَلَى غِناءِ البَعُوضِ

وفيه لابن الزقاق البلنسى :

بلنسيةٌ إذا فَكَّرْتَ فيها وفي آياتِها أسنى البلادِ
 وأعظمُ شاهِدِي منها عليَّها وأنَّ جَمالِها للمينِ بادي
 كَساها رُبُّها دِيباجَ حُسنِ لها عَلمانِ مِن بَحرِ وِوادِي

وقال ابن سعيد أيضاً : أنشدني والدي قال : أنشدني مروان بن عبد الله بن

عبد العزيز ملك بلنسية لنفسه بما كش قوله :

كانَ بِلَنسِيَّةٍ كاعِبُ ومَلبَسِها سُنْدُسُ أخضَرُ
 إذا جَسَّتْها سَتَرَتْ نَفْسَها بأَكايبِها فهِىَ لا تَظْهَرُ

وأما قول أبي عبد الله بن عياش : « بلنسية بيني » البيتين وقد سبقا ، فقال ابن سعيد : إن ذلك حيث صارت ثفرا يصاحبها العدو ويماسها ^(١) .

وقال أبو الحسن بن حريق يجابوب ابن عياش :

بَلَنْسِيَّةٌ قَرَارَةٌ كُلُّ حُسْنٍ حَدِيثٌ صَحَّ فِي شَرْقٍ وَغَرْبٍ
فَانْ قَالُوا مَحَلُّ غَلَاءٍ سَعْرٍ وَمَسْقَطُ دَيْمِي طَلْنٍ وَضَرْبٍ
فَقُلْ هِيَ جَنَّةٌ حُفَّتْ رُبَاهَا بِمَكْرُوهَيْنِ مِنْ جُوعٍ وَحَرْبٍ

وقال الرصافي في رصافتها :

وَلَا كَالرُّصَافَةِ مِنْ مَنَزِلِ سَقَّتَهُ السَّحَابُ صَوَّبَ الْوَالِي
أَجْنُ الْبِهَا وَمَنْ لِي بِهَا وَأَيْنَ السَّرْيُ مِنَ الْمَوْصِلِي

وقال ابن سعيد : وبرصافة ^(٢) بلنسية مناظر وبساتين ومياه ولا نعلم في الأندلس ما يسمى بهذا الاسم إلا هذه ، ورسافة قرطبة . انتهى . ومن أعمال بلنسية قرية « المنصف » التي منها الفقيه الزاهد أبو عبد الله المنصفي وقبره كان بسبته بزار رحمه الله . ومن نظامه :

قَالَتْ لِي النَّفْسُ : أَنْتَاكَ الرَّدَى وَأَنْتِ فِي بَحْرِ الْخَطَايَا مُقِيمٌ
فَمَا إِذْ خَرْتَ الزَّادَ ، قَلْتَ أَقْضَى ! هَلْ يُحْمَلُ الزَّادُ لِدَارِ الْكَرِيمِ ؟

ومن عمل بلنسية قرية « بطرنة » ^(٣) وهي التي كانت فيها الوقعة المشهورة للنصارى على المسلمين . وفيها يقول أبو اسحق بن يعلى الطرسوني : ^(٤)

(١) هذا كان بعد انصداع الوحدة الأندلسية وانقسام البلاد بين ملوك الطوائف واستئساد طواغيت الأسيانبول .

(٢) الأسيان يقولون Ruzafa وهي إلى الجنوب الشرقى من البلدة .

(٣) هي مقلوبة عن طبرنة Tabernes

(٤) نسبة إلى طرسونة من عمل سرقسطة .

لبسوا الحديد إلى الرغى ولبستم حلل الحرير عليكم ألوانا
 ما كان أقبحهم وأحسنكم بها ! لو لم يكن يطرئ ما كانا
 ومن عمل بلنسية « مينطة »^(١) التي نسب إليها جماعة من العلماء والأدباء .
 ومن عمل بلنسية مدينة « أندة »^(٢) التي في جبالها ممدن الحديد . واما « رندة »^(٣)
 بالراء فهي في متوسط الأندلس ، ولها حصن يعرف بأندة أيضاً . وفي أشبيلية ، أعادها
 الله ، من المتفرجات والمتزهات كثير ، ومن ذلك مدينة « طريانة »^(٤) فانها من
 مدن أشبيلية ومتزهاتها ، وكذلك « نيطل » فقد ذكر ابن سعيد جزيرة نيطل
 في المتفرجات . وقال ابو عمران موسى بن سعيد في جوابه لأبي يحيى صاحب سبته ،
 لما استورزه مستنصر بني عبد المؤمن ، وكتب الى المذكور يرغبه في النقلة عن الأندلس

(١) Mogente وهي بلدة صغيرة قديمة واقعة في بقعة طيبة . جاء في دليل بديكر
 أنها من بناء العرب .

(٢) Onda قال ياقوت : بالضم فسكون ، مدينة من أعمال بلنسية بالأندلس ،
 كثيرة المياه والرسائق والشجر ، وعلى الحصص التين ، فانه يكثر بها . وقد نسب
 إليها كثير من أهل العلم اه وذر ياقوت بعضهم وسذكروهم وتذكر كل من انتسب
 إلى أندة ، وكانت أندة دار القضاة .

(٣) إن كانت رندة هي الشهيرة التي نعرفها فليست من متوسط الأندلس ، بل
 هي من الجبال الجنوبية فيها ، نارة كانت تهد من عمل قرطبة ، وطورا من عمل أشبيلية ،
 وأخيرا آلت إلى مملكة غرناطة ، وهي التي منها أبو البقاء صالح بن شريف الرندي
 الشاعر الشهير صاحب مرثية الأندلس : لكل شيء إذا ماتم نقصان .

(٤) قال ياقوت : طريانة حاضرا من حواضر أشبيلية ، ينسب إليها الفقيه عبد العزيز
 الطرياني ، كان نحوياً بارعاً ، قرأ على أبي ذر مصعب بن محمد بن مسعود ، قرأ عليه
 صديقا الفتح بن عيسى القصرى مدرس رأس عين اه قلت : وهي تكتب بالاسبانولية
 هكذا : Triana جاء في دليل بديكر أنها سكن الطبقة الدنيا من الشعب ، وإليها ينسب
 الفخار الطرياني المشهور ، وكان يصنع بها أحسن الزجاج الأشبيلي وقد أحييت هذه
 الصناعة من جديد .

إلى مراکش ، ما نص محل الحاجة منه : وأما ما ذكر سيدى من التخيير بين ترك
الاندلس ، وبين الوصول الى حضرة مراکش ، فكفى الفهم العالى من الاشارة قول القائل :

والعِزُّ محمودٌ ومُتَمَسِّسٌ وألذُّهُ ما كان فى الوطن

فاذا نلت بك السماء ، فى تلك الحضرة ، فعلى من أسود فيها ؟ ومن ذا أضاهى بها ؟

لارَقَّتْ بى همةٌ إن لم أكن فيك قد أملت كل الأمل

وبعدها فكيف أفارق الأندلس ، وقد علم سيدى أنها جنة الدنيا ، بما حباها
الله به من اعتدال الهواء ، وعذوبة الماء ، وكثافة الأفياء ، وأن الانسان لا يبرح

فيها بين قرة عين وقرار نفس ؟

هى الأرضُ لا وِرْدٌ لَدَيْهَا مُكَدَّرٌ ولا طَلٌّ مَقْصُورٌ ولا رَوْضٌ مُجَدَّبٌ

أفنى صقيل ، وبساط مديح ، وماء سائح ، وطائر مترنم بليل ، وكيف يعدل
الأديب عن أرض على هذه الصفة ؟ فياسموه الوفاء ، وياحاتم السماح ، وياجذبة
الصماء ، ككل لمن أملك النعمة ، بتركه فى موطنه ، غير مكدر لخاطره بالتحرك من

معدنه ، متلفتاً إلى قول القائل :

وسوّلت لى نفسى أن أفارقها والماء فى العُزْنِ أصفى منه فى النُدر

فان أغناه اهتمام مؤمله عن ارتياد المراد ، وبلغه دون أن يشدّ قنباً ولا أن ينضى

عيساً غاية المراد ، أنشد ناجح المرغوب ، بالغ المطلوب :

وليس الذى يَسْتَنْبِيعُ الوَبْلَ رائداً كمن جاءه فى داره رائدُ الوَبْلِ

ورب قائل إذا سمع هذا التبسط على الأمانى : ماله تشطط ، وعدل عن

سبيل التادب وتبسط ؟ ! ولا جواب عندى إلا قول القائل :

فهذه خِطَّةٌ ما زلتُ ارقُبُها فاليوم أبسطُ آمالى وأحتكمُ

ومالى لا أنشد ما قاله المتنبي فى سيف الدولة :

ومن كنتَ بجرّاً له ياعلى لم يقبل الدرّ إلا كجاراً

انتهى المقصود منه .

وقال الحجارى : إن مدينة « شريش »^(١) بنت اشبيلية ، وواديها ابن واديها ، ما أشبه سُمْدَى بسعيد ! ! وهى مدينة جليلة ، ضخمة الأسواق ، لأهلها هم وظرف فى اللباس وإظهار الرفاهية ، وتخلق بالآداب . ولا تسكاد ترى بها إلا عاشقاً أو معشوقاً . ولها من الفواكه مايم ويفضل ، ومما اختلفت به احسان الصنعة فى المجبّات ، وطيب جنبها يعين على ذلك . ويقول أهل الأندلس : من دخل شريش ولم يأكل بها المجبّات فهو محروم اه .

والمجبّات نوع من القطائف يضاف إليها الجبن فى عجبتها وتقبل بالزيت الطيب . وفى شلب يقول الفاضل الكاتب أبو عمرو بن مالك بن سديمير

أشجّاك النسيمُ حيث يهبُ؟ أم سقى البرقُ إذ يخبُ ويخبو؟
 أم هتوفُ على الأراكّة تشدُو أم هتونُ من الغمامة سكبُ؟
 كلُّ هذاك للصبابة داعرُ أى صببِ دوعه لا تصبُ؟
 أنا لولا النسيمُ والبرقُ والورُ قُ وصوبُ الغمام ما كنتُ أصبو
 ذكر نبي شلباً ، وهبات مِني بمت ما استحكمت التباءدُ شلبُ!

(١) Xeres أو Jerez وقد كانوا يقولون لها Xeres de la Frontera ومعناه شريش الثغر ، لأنها بقيت مدة طويلة فى أواخر مقام العرب بالأندلس هى الثغر بين المسلمين الذين كانوا فى مملكة غرناطة والاسبانيول الذين كانوا غلبوا على اشبيلية وهى اليوم ثالث بلدة فى اسبانية من جهة الثروة ، ومن أشهر مدن أوربة فى صنعة الخمر . وخرما هو الذى يقال له « شرى » Sherry عند الانكليز والبلدة نظيفة خفيفة على الروح ، والبيوت فيها لانزال على طراز البناء العربى . ذهبت إليها صباحا بسكة الحديد من اشبيلية ، ورجعت منها بعد الغداء إلى اشبيلية . وكان استرداد الاسبان لشريش سنة ١٢٥١ على يد الملك فرديناند الا أن العرب استرجعوها أول مرة . ثم عاد الاسبان فقبلوا عليها . ثم عاد العرب فأخذوها ثانى مرة بعد وقائع شداد . ثم عاد الأذفتش الملقب بالحكيم فاستولى عليها سنة ١٢٦٤ وبقيت فى أيدي الاسبانيول من ذلك الحين . وسابق ذكرها مفصلاً فى وصلنا الى كورة اشبيلية

وتسمى أعمال شاب كورة « أشكونية » وهى متصلة بكورة أشبونة ، وهى ،
أعنى أشكونية ، قاعدة جليية ، لها مدن ومعامل ، ودار ملكها قاعدة « شلب » (١)
وبينها وبين قرطبة سبعة أيام . ولما صارت لبنى عبد المؤمن ملوك مراکش أضافوها
إلى كورة أشبيلية . وتفتخر شلب بكون ذى الوزارتين ابن عمار منها ، سامحه الله .
ومنها القائد أبو مروان عبد الملك بن بدران ، وربما قيل ابن بديون ، الأديب
المشهور شارح قصيدة ابن عبدون التى أولها :

الدَّهْرُ يَجْعَمُ بِمَدِّ الْعَيْنِ بِالْأَنْثَرِ فَا لْبُكَاؤُ عَلَى الْأَشْبَاحِ وَالصُّوَرِ ؟!

(١) Silves قال باقوت الحموى فى معجمه : شلب بكسر أوله وسكون ثانيه ، وآخره
باه موحدة ، هكذا سمعت جماعة من أهل الأندلس يتلفظون بها ، وقد وجدت بخط بعض
أدبائها : شلب يفتح الشين . وهى مدينة بغرب الأندلس ، وبينها وبين باجة ثلاثة أيام ،
وهى غربى قرطبة ، وهى قاعدة ولاية أشكونية ، وبينها وبين قرطبة عشرة أيام للفارس
المجد . بلغنى انه ليس بالأندلس بعد اشبيلية مثلها ، وبينها وبين شنترين خمسة أيام .
وسمعت بمن لا احصى انه قل ان ترى من أهلها من لا يقول شعراً ، ولا يعانى الأدب ،
ولو مررت بالفلاح خلف فدانه وسألته عن الشعر قرض من ساعته ما أفرحت عليه ،
وأى معنى طلبت منه . وينسب إليها جماعة منهم محمد بن ابراهيم بن غالب بن عبد القافر
ابن سعيد العامرى من عامر بن لوى الشلبى ، وأصله من باجة يكنى أبا بكر روى عن
على بن الحجاج الاعلم كثيراً ، وسمع من عبداقه بن منظور صحبج البخارى ، وكان
واسع الأدب ، تولى الخطابة ببلده مدة طويلة ، ومات لخمس خلون من جمادى الاولى
سنة ٥٣٢ ومولده سنة ٤٤٦ وامر أن يكتب على قبره :

لئن فقد القدر السابق بموتى كما حكم الخالق
فقد مات والدنا آدم ومات محمد الصادق
ومات الملوك وأشباعهم ولم يبق من جمعهم ناطق
فقل للذى سره مصرعى تأهب فانك بى لاحق

انتهى . قلنا وينسب الى شلب من العلماء جم غفير سنأتى بتراجهم عند الوصول الى
ذكر هذه المدينة

وهذا الشرح شهير بهذه البلاد الشرقية . ومن نظم ابن بدرون المذكور قوله
 المشقُّ لَدَنُهُ التَّمِيْقُ وَالْقَبْلُ كَمَا مُتَّصُهُ التَّرِيْبُ وَالْعَدْلُ
 يَالَيْتَ شِعْرَى أَهْلُ يَقْضَى وَصَالِكُمْ لَوْلَا النُّنَى لَمْ يَكُنْ ذَا الْعُرَى يَتَصَلُ
 ومنها نحوى زَمَانِهِ وَعَلَامَتُهُ ، أبو محمد عبد الله ابن السيد البطليوس ، فان
 شأبا بِيَضْتُهُ ، ومنها كانت حركته ونهضته ، كما في الذخيرة . وهو القائل :

إِذَا سَأَلْتَنِي عَنِ حَالِي وَحَاوَلْتِ عُدْرًا فَلَمْ يُمَكِّنِ
 أَقُولُ : بِخَيْرٍ ، وَلَكِنَّهُ كَلَامٌ يَدُورُ عَلَى الْأَلْسِنِ
 وَرَبِّكَ يَلْمُ مَا فِي الصُّدُورِ وَيَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ

وقال الوزير أبو عمرو بن الفلاس يمدح بطليوس بقوله :

بطليوس^(١) لَا أَنْسَاكَ مَا اتَّصَلَ الْبُؤْدُ فَلَهُ غَوْرٌ فِي جَنَابِكَ أَوْ نَجْدُ
 وَفِي دَوْحَاتٍ تَحْفَتُكَ يَنْعَمًا تَفَجَّرُ وَاذِيهَا كَمَا شَقِقَ الْبَرْدُ

وبنو الفلاس من أعيان حضرة بطليوس ، وأبو عمرو المذكور أشهرهم ، وهو
 من رجال الذخيرة والمسهب ، رحمه الله تعالى . وفي شاطبة^(٢) يقول بعضهم :

نَسِمَ مَلَقَى الرَّحْلِ شَاطِبَةٌ لِفَتَى طَالَتْ بِهِ الرَّحْلُ
 بَلَدَةٌ أَوْقَاتُهَا سَحْرٌ وَصَبَاً فِي ذَيْلِهِ بَلَلٌ
 وَنَسِمٌ عَرَفَهُ أَرْجٌ وَرِيَاضٌ غُضِنُهَا تَمَلُّ
 وَوُجُوهُ كُلُّهَا غُرُرٌ وَكَلَامٌ كُلُّهُ مُثَلُّ

وفي برجة يقول بعضهم :

إِذَا جِئْتَ بَرَجَةَ مُسْتَوْفِرًا فَخُذْ فِي الْقَامِ وَخَلَّ السَّفْرُ
 فَكُلْ مَكَانَ بِهَا جَنَّةٌ وَكُلْ طَرِيقَ إِلَيْهَا سَفْرٌ

(١) سياتي ذكرها مفصلاً عند ذكر مدائن الغرب من الأندلس

(٢) سياتي ذكرها مفصلاً عند ذكر مدائن الشرق من الأندلس

واعلم أنه لو لم يكن للأندلس من الفضل سوى كونها ملاعب الجياد للجهاد ،
 لكان كافياً ، وبرحم الله لسان الدين بن الخطيب ، حيث كتب على لسان سلطانه
 إلى بعض العلماء العاملين ما فيه إشارة إلى بعض ذلك ما نصه : من أمير المسلمين
 فلان إلى الشيخ كذا ابن الشيخ كذا وصل الله له سعادة تجذبه ، وعناية اليه تقربه
 وقبولاً منه يدعوه إلى خير ما عند الله ويندبه ، سلام كريم عليكم ورحمة الله وبركاته .
 أما بعد حمد الله المرشد المثيب ، السميع المجيب ، مموّد اللطف الخفي ، والصنع العجيب
 المتكفل بأنجاز وعد النصر العزيز والفتح القريب ، والصلاة والسلام على سيدنا
 ومولانا محمد رسوله ذى القدر الرفيع والمز المنيع والجناب الرحيب ، الذى به نرجو
 ظهور عبدة الله على عبّة الصايب ، ونستظهر منه على العدو بالحبيب ، ونمدّه عدتنا
 لليوم العصيب ، والرضا عن آله وصحبه الذين فازوا بمشاهدته بأوفى النصيب ، ورموا إلى
 هدف مرضاته بالسهم المصيب ؛ فانا كتبناه اليكم ، كتب الله تعالى لكم عملاً صالحاً
 يتخّم الجهاد صحائف بره ، وتمتعض لأن تكون كلمة الله هى العليا جوامع أمره ،
 وجملكم بمن تنهى فى الأرض التى فتح فيها أبواب الجنة مدة عمره ، من حراء
 غرناطة ، حرسها الله تعالى ، واطف الله هامى السحاب ، وصنعه رائق الجناب ، والله
 يصل لنا ولكم ما عوده من صلة لطفه ، عند انبتات الأسباب ، وإلى هذا أيها المولى
 الذى هو بركة المقرب المشار اليه بالبتان ، وواحد فى رفعة الشأن المؤثر ما عند الله
 على الزخرف الفتان ، المتقل من المتاع الفان ، المستشرف إلى مقام العرفان ، من درج
 الإسلام والإيمان والاحسان ، فإننا لما نؤثره من برکم الذى نمدّه من الأمر الأكيد
 ونضمه من ودكم الذى نحلّه محل الكنز العتيد ، ونلتمه من دعائكم التماس العدة
 والمديد ، لا نزال نسأل عن أحوالكم التى ترقّت فى أطوار السعادة ، ووصلت جناب
 الحق بهجر العادة ، وألقت إلى يد التسليم لله والتوكل عليه بالمقادة ، ففسر بما هياً الله
 تعالى لكم من القبول وباتكم من المأمول ، وألهمكم من الكلف بالقرب اليه والوصول ،
 والفوز بما لديه والحصول ، وعند ما ردّ الله تعالى علينا الرد الجليل ، وأنالنا فضله

الجزيل ، وكان لثارتنا المقييل ، خاطبناكم بذلك لما كانكم من ودادنا ، ومحلّمكم من حسن اعتقادنا ، ووجهنا إلى وجهة دعائكم وجه اعتدادنا ، والله ينمنا بمجمل الظن في دينكم المتين ، وفضلكم المبين ، ويجمع الشمل بكم في الجهاد عن الدين ، وتعرفنا الآن بمن له بانبايكم اعتناء ، وعلى جلالكم حمد وثناء ، ولجناب ودمك اعتراف وانتهاء ، بتجاوز عزمكم بين حجج مبرور ترغبون من أجره في ازدياد ، وتجدون العهد منه بأليف اعتياد و بين رباط في سبيل الله وجهاد ، وتؤثر مهاد ، بين ربا أنيرة عندالله ووهاد ، يحشر يوم القيامة شهادتها مع الذين أنم الله عليهم من النبيين والصدّيقين ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، والله أصدق القائلين الصادقين ، حيث لاغارة لغير عدو الاسلام تُتقى ، الا لابتقاء مالمدى الله يرتقى ، حيث رحمة الله قد فتحت أبوابها ، وحوار الجنان قد زينت أترابها ، دار العرب الذين قرعوا باب الفتح ، وفازوا بمجزيل المنح ، وخلصوا الآثار ، وأرغموا الكفار ، وأقلوا العثار ، وأخذوا النار ، وأمنوا من لفتح جهنم ، بما علا على وجوههم من ذلك النبار ، فكتبنا اليكم هذا تقوى بصيرتكم ، على جهة الجهاد من العزمين ، ونهب بكم إلى إحدى الحسينين ، والصبح غير خاف على ذى عينين والفضل ظاهر لاحدى المنزلتين ، فانكم إن حججتم أعدتم فرصاً أديتموه ، وفضلا ارتديتموه ، فآذنته عليكم مقصورة ، وقضيته فيكم محصورة . وإذا أقمتم الجهاد ، جلبتم إلى حسناتكم عملا غريباً ، واستأنتم سميّاً من الله قريباً ، وتعدت المنفعة إلى ألفة من النفوس ، المستشرة لباس البوس ، ولو كان الجهاد بحيث يخفى عليكم فضله لأطبنا ، وأعنت الاستدلال أرسنا . هذا لو قدمتم على هذا الوطن ، وفضلكم غفل من الاشتهار ، ومن به لا يوجب لكم ترفيع المقدار ، فكيف وفضلكم أشهر من محيّا النهار ، ولقاؤكم أشهى الآمال وآثر الأوطار ؟ ! فان قوى عزمكم ، والله يقويه ، ويعيننا من بركم على ما نتويه ، فالبلاد بلادكم ، وما فيها طرفكم وتلادكم وكهولها إخوانكم ، وأحداها أولادكم ، ونرجو أن تجدوا لذكركم الله في رباها حلوة

زائدة، ولا تدموا من روح الله فائدة، وتتكيف نفسك فيها بكيفيات تقصر عنها خلوات السلوك إلى ملك الملوك، حتى تغتبطوا بفضل الله الذي يوليكم، وتروا أثر رحمته فيكم، وتخفوا نحر هذا الانتطاع إلى الله في قبيلكم وبنيتكم، وتختصوا العمل الطيب بالجهاد الذي يملككم، ومن الله تعالى يدنيكم، فنيبكم العربي، صلوات الله عليه وسلامه، نبي الرحمة والملاحم، ومُعَوِّل الصوارم، وبجهاد الفرنج ختم عمل جهاده، والأعمال بالحواتم، هذا على بلد بلادهم من بلاده، وأنتم أحق الناس باقتناء جهاده، والاستباق إلى آماده..

هذا ما عندنا حثناكم عليه، ونَدَبْنَاكم إليه، وأنتم في إثارة هذا الجوار، ومقارضة ما عندنا بدمكم على بلادنا من الاستبشار، بحسب ما يخلق عنكم من يده مقادة الاختيار، وتصريف الليل والنهار، وتقلب القلوب وإجالة الأفكار، وإذ تمارضت الحظوظ فاعند الله خير للأبرار، والدار الآخرة دار القرار، وخير الأعمال عمل أوصل إلى الجنة وبعاد من النار، ولتعلموا أن نفوس أهل الكشف والاطلاع، بهذه الأرجاء والاصمق، قد اتفقت أخبارها، واتحدت أسرارها، على البشارة بتتح قرب أوانه، وأظلم زمانه، فخرجوا الله أن تكونوا ممن يحضر مدعاه، ويكرم فيه سماه، ويساف فيه العمل الذي يشكره الله ويرعاه، والسلام الكريم بحضكم ورحمة الله وبركاته. انتهى

ولما دخل الأندلس أمير المسلمين عليّ ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللتوني، ملك المغرب والأندلس، وامن النظر فيها، وتأمل وصفها وحالها، قال: إنها تشبه عقاباً مغالبة طليطلة، وصدرة قلعة رباح، ورأسه جيان، ومنقاره غرناطة وجناحه الأيمن باسط إلى المغرب، وجناحه الأيسر باسط إلى الشرق... في خبر طويل لم يحضرنه الآن، إذ تركته مع كتيبي بالمغرب، جمعي الله بها على أحسن الأحوال.

ومع كون أهل الأندلس سُبَّاق حلبة الجهاد، مهطمين إلى داعيه من الجبال

والوهاد ، فكان لهم في الترف والنعم والمجون ، ومدارة الشعراء ، خوف الهجاء ، محل وثير المهاد . وسيأتي في الباب السابع من هذا القسم من ذلك وغيره ما يشق ويكفي ، ولكن سنح لي أن أذكر هنا حكاية أبي بكر الخزومي الهجاء المشهور ، الذي قال فيه لسان الدين بن الخطيب في الاحاطة : إنه كان أعمى شديد الشر ، معروفاً بالهجاء ، مسلطاً على الأعراض ، سريع الجواب ، ذكي الذهن ، فطنا للمماريض سابقاً في ميدان الهجاء ، فاذا مدح ضعف شعره .

والحكاية هي ما حكاه أبو الحسن بن سعيد في الطالع السعيد إذ قال ، حكاية عن أبيه فيما أظن : قدم المذكور ، يعني الخزومي ، على غرناطة أيام ولاية أبي بكر ابن سعيد ، ونزل قريباً مني ، وكنت أسمع به : نار صاعقة يرسلها الله على من يشاء من عباده ، ثم رأيت أن أبدأ بالتأنيس والاحسان ، فاستدعيته بهذه الأبيات :

ياثانياً للمرعى في حسن نظمٍ ونثرٍ
 وفرط ظرفٍ ونبلٍ وغوصٍ فهمٍ وفكرٍ
 صلِّ ثم واصل حنياً بكل برٍّ وشكرٍ
 وليس إلا حديثٌ كما زها عقدُ دُرٍّ
 وشادين يتفنى على ربابٍ وزمرٍ
 وما يسامح فيه الفسورُ من كأسٍ خمرٍ
 وبيننا عهدٌ حلف لبايرٍ حلف كفرٍ
 نعم نجدده عهدا بطيب سكرٍ وبسرٍ
 والكأس مثل رضاءٍ ومن كنتك بدرى ؟

ووجه له الوزير أبو بكر بن سعيد عبداً صغيراً فاده . فلما استقرَّ به المجلس ، وأفتنته روائح الندِّ والموذ والأزهار ، وهزت عطفه الأوتار ، قال :
 دارُ السَّعِيدِيّ ذِي ؟ أم دارِ رضوان ؟ ما تشتهي النفسُ فيها حاضرٌ دان ا

سَقَتْ أباريقها للندِّ سَحْبَ نَدَى نَحْدَى بَرَعْدٍ لِأوتارِ وَعِيدانِ
وَالْبَرْقُ مِنْ كُلِّ دَنْ سَاكِبٍ مَطَرًا يُعْبِي بِه مَيْتَ أَفْكَارٍ وَأَشْجَانِ
هَذَا النِّعْمُ الَّذِي كُنَّا نَحْدُهُ وَلَا سَبِيلَ لَهُ إِلَّا بِأَذَانِ
فقال أبو بكر بن سعيد : وإلى الآن لا سبيل له إلا بأذان ؟ فقال : حتى يبعث
الله ولد زنا كلما أنشدت هذه الأبيات قال إنها لأعمى . فقال : أما أنا فلا أنطق
بمحرّف . فقال : من صمت نجبا .

وكانت زهون بنت الفلامى حاضرة فقالت : وتراك يا أستاذ ، قديم النعمة
بمجرد ندّ وغناء وشراب ، فتعجب من تأتبه ، وتشبهه بنعيم الجنة ، ويقول ما كان
يظلم إلا بالسمع ، ولا يبلغ إليه بالبيان ! ولكن من يحيى من حصن المدور ، وينشأ
بين ثيوس وبقر ، من أين له معرفة بمجالس النعيم ؟ ! فلما استوفت كلامها تنحج
الأعمى ، فقالت له : ذبحة ! فقال : من هذه الفاضلة ؟ فقالت عجوز مقام أمك !
فقال : كذبت ! ما هذا صوت عجوز . . . الخ . ثم قال :

طلى وجه زهون من الحسن مسحةً وإن كان قد أسمى من الضوء عارياً
قواصداً زهون توارك غيرها ومن قصد البحر استقل السواقيا
(وطوبينا هنا بمض محاضرات لاصلة لها بموضوعنا من جغرافية البلاد إلى أن
يقول) :

والذى رأيتُه لبعض مؤرخى المغرب فى سرقسطة أنها لا تدخلها عقرب ولا حية إلا
ماتت من ساعتها ، ويؤتى بالحيات والمقارب إليها حية ، فبنفس ما تدخل إلى جوف
البلد تموت . قال ولا يتوس فيها شئ من الطعام ، ولا يعفن ، ويوجد فيها القمح
من مائة سنة ، والعنب المعلق من ستة أعوام ، والتين والخوخ وحب الملوك^(١)
والتفاح والأنجاص اليابسة من أربعة أعوام ، والفول والحمص من عشرين سنة ،

(١) هذا الذى يقال له الكرز فى الشرق وبالفرنسية Cerise

ولا يسوس فيها خشب ولا ثوب ، كان صوقاً أو حريراً أو كتاناً . وليس في بلاد الأندلس أكثر فاكهة منها ، ولا أطيب طمها ، ولا أكبر جرماً . والبساتين محدقة بها من كل ناحية ثمانية أميال ، ولها أعمال كثيرة ، مدن وحصون وقرى ، مسافة أربعين ميلاً ، وهي تضاهى مدن العراق في كثرة الأشجار والأنهار ، وبالجملة فأمرها عظيم . وقد أسلفنا ذكرها .

واعلم أن بأرض الأندلس من الخصب والنضرة ومجانب الصنائع وغرائب الدنيا مالا يوجد مجموعه غالباً في غيرها . فمن ذلك ما ذكره الحجارى في المسهب أن السمور الذى يعمل من وبره الفراء الرفيمة ، يوجد في البحر المحيط بالأندلس من جهة جزيرة برطانية ، ويحلب إلى سرقسطة ويصنع بها . ولما ذكر ابن غالب و بر السمور الذى يصنع بقرطبة قال : هذا السمور المذكور هنا لم أتحمق ماهو ، ولا ماغنى به ، إن كان هو نباتا عندهم ، أو و بر الدابة المروفة ، فان كانت الدابة المروفة فهي دابة تكون في البحر وتخرج إلى البر ، وعندها قوة ميز . وقال حامد بن سحر بن الطيب ، صاحب كتاب الأدوية المفردة : هو حيوان يكون في بحر الروم ، ولا يحتاج منه إلا خصاه ، فيخرج الحيوان من البحر في البر ، فيؤخذ وتقطع خصاه ويطلق ، فر بما عرض للقناصين مرة أخرى ، فاذا أحس بهم وخشى أن لا يفوتهم ، استلقى على ظهره وقرج بين فخذه ، ليرى . وضع خصيه خاليا ، فاذا رآه القناصون كذلك تركوه . قال ابن غالب ويسمى هذا الحيوان أيضاً « الجند بادستر » واللواء الذى يصنع من خصيه من الأدوية الرفيمة ، ومنافسه كثيرة ، وخاصيته في العال الباردة ، وهو حار يابس في الدرجة الرابعة

« والقلية » ؟ حيوان أدق من الأرنب ، وأطيب في الطعم ، وأحسن وبرا ، وكثيراً ما يلبس فراؤها ، ويستعملها أهل الأندلس من المسلمين والنصارى ، ولا يوجد في بر البربر ، إلا ماجاب منها إلى سبته ، فنشأ في جوانبها . قال ابن سعيد : وقد جلبت في هذه المدة إلى تونس حضرة أفريقية .

ويكون بالأندلس من الفزال والأبيل وحمار الوحش وبقرة وغير ذلك مما لا يوجد في غيرها كثيرا . وأما الأسد فلا يوجد فيها البتة ، ولا الفيل ، ولا الزرافة وغير ذلك ، مما يكون في أقاليم الحرارة . ولها سبع يعرف « باللب » ^(١) أكبر بقليل من الذئب ، في نهاية من القحة ، وقد يفترس الرجل ، إذا كان جائعا . ويقال الأندلس فارهة ، وخيلها ضخمة الأجسام ، حصون لانتال لحملها الدروع وثقال السلاح والمدود في خيل البرّ الجنوبي . ولها من الطيور الجوارح وغيرها ما يكثر ذكره ويطول ، وكذلك حيوان البحر . ودوابّ بجرها المحيط في نهاية من الطول والعرض قال ابن سميّد : عاينت من ذلك المعجب ، والمسافرون في البحر يخافون منها ، لثلاث تقلب المراكب ، فيقطعون الكلام ، ولها نفخ بالماء من فيها يقوم في الجو ، إذا ارتفع مفرط .

وقال ابن سميّد : قال المسعودي في مروج الذهب : في الأندلس من أنواع الأفاوية خمسة وعشرون صنفا : منها السنبلي ، والقرنفل ، والصندل والقرفة ، وقصب النريّة ، وغير ذلك . وذكر ابن غالب أن المسعودي قال : أصول الطيب خمسة أصناف : المسك ، والكافور ، والعود ، والسنبر ، والزعفران . وكلها من أرض الهند إلا الزعفران والسنبر ، فانهما موجودان في أرض الأندلس ، ويوجد السنبر في أرض الشحر : قال ابن سميّد : وقد تسككوا في أصل السنبر : فذكر بعضهم أنه عيون تنبع في قعر البحر ، يصير منها ماتبله الدواب وتقذفه . قال الجعاري : ومنهم من قال إنه نبات في قعر البحر ، وقد تقدم قول الرازي : إن الحلب ، وهو المقدم في الأفاوية ، والمفضل في أنواع الأشنان ، لا يوجد في شيء من الأرض إلا بالهند والأندلس . قال ابن سميّد : وفي الأندلس مواضع ذكروا أن النار إذا أطلقت فيها فاحت بروائح العود ، وما أشبهه . وفي جبل شلير أفاوية هندية . قال : وأما التمار وأصناف الفواكه فالاندلس أسمى بلاد الله بكثرتها ، ويوجد في سواحلها قصب السكر ،

والموز ، و يوجدان في الاقاليم الباردة ، ولا يدم منها إلا التمر . ولما من أنواع الفواكه ما يدم في غيرها أو يقل كالتين القوطي والتين السفرى بشيباية . قال ابن سعيد : وهذان صنفان لم تر عيني ، ولم أذق لهما ، منذ خرجت من الاندلس ، ما يفضاهما . وكذلك التين المسائي والزبيب المنسكبى ^(١) والزبيب المسلى والرمان السفرى ^(٢) والخوخ والجوز واللوز وغير ذلك مما يطول ذكره .

وقد ذكر ابن سعيد أيضاً : أن الارض الشمالية المغربية فيها المعادن السبعة ،

(١) قال لسان الدين بن الخطيب في معيار الاختبار ، عن المنسكب : مرفأ السفن ومحطها ، ومنزل عباد المسيح ومخبطها بلدة مغلها ضيق ويردها صقيع ، القصر مفتح العليقان ، والمسجد المشرف المسكان ، والائر المنجوه عن كان وكان ، كأنه مبرد واقف ، أو عمود في يد مناقف ، قد أخذ من الدهر الأمان ، وتشبه بصرح هامان ، وأرهدت جوانبه بالصخر المنحوت ، وكاد أن يصل ما بين الحوت والحوت ، (يريد بأحد الحوتين برج الحوت الذى بالسما . وبالثنائي سمك البحر ، كتابة عن الارتفاع ، أو كما يقولون : من السماك إلى السمك) غصت بقصب السكر أرضها واستوعب به طولها وعرضها ، زبيبا فائق ، وجناها رائق ، وقد مت إليها جبل الثوار بنسب الجوار منشأ الاسطول ، فوعده غير مطول ، وأمه لا يحتاج إلى الطول (إلى أن يقول) هواؤه فاسد ، وواؤه مستاسد ، التهب فيها السماء وتغيرت بالسيائم المسميات والاسماء فأهلها من أجدات يوتهم يخرجون ، إلى جبالها يخرجون ، والودك إليها مجلوب ، والقمح بين أهلها مغلوب ، والحرباء بعراثها مصلوب

(٢) قالوا انه لما اتق الأمر لعبد الرحمن الداخل في الأندلس أرسل القاضي معاوية بن صالح إلى الشام ليأتيه باخته أم الاصبغ فأبت عن الانتقال وقالت : كبرت سنى وأشرفت على انتضاء أجل ولا طاقة بي على شق القفار والبحار وحسى أن أعلم ما صار إليه من نعمة الله . ولما صار معاوية بن صالح إلى عبد الرحمن أدخل إليه تحف أهل الشام وكان في تلك التحف من الرمان المعروف اليوم بالاندلس بالرمان السفرى فجعل جلساء الأمير من أهل الشام يذكرون الشام ويتأسفون عليها وكان فيهم رجل يسمى سفر فأخذ من ذلك الرمان شيئاً لطف به وغرسه حتى علق وتم وأثمر ، فهو اليوم الرمان السفرى . نسب إليه

وأنها في الأندلس التي هي بعض تلك الأرض . وأعظم معدن للذهب بالأندلس ، في جهة « شنت ياقو » ^(١) قاعدة الجلالة على البحر المحيط . وفي جهة قرطبة الفضة والزئبق والنحاس في شمال الأندلس كثير ، والصفير الذي يكاد يشبه الذهب ، وغير ذلك من المعادن المتفرقة في أماكنها ، والمين التي يخرج منها الزجاج في لبة مشهورة ، وهو كثير مفضل في البلاد ، منسوب لجبل طليطلة جبل الطفل ^(٢) الذي يجهز إلى البلاد ، ويفضل على كل طفل بالشرق والمغرب .

وبالأندلس عدة مقاطع للرخام . وذكر الرازي : أن بجبل قرطبة مقاطع الرخام الأبيض الناصع اللون والحجري وفي « ناشرة » مقطع عجيب للعمد و « بياغة » من مملكة غرناطة مقاطع للرخام كثيرة غريبة ، موشاة في حمرة وصفرة وغير ذلك من المقاطع التي بالأندلس من الرخام الحثاك والمجزع وحصى المرية يحمل إلى البلاد فانه كاللؤلؤ في رونقه ، وله ألوان عجيبة . ومن عادتهم أن يضعوه في كيزان الماء وفي الأندلس من الأمتان التي تنزل من السماء القرمز الذي ينزل على شجرة البلوط فيجمعه الناس من الشعراء ويصبغون به فيخرج منه اللون الأحمر ، الذي لا تفوقه حمرة .

قال ابن سعيد : وإلى مصنوعات الأندلس ينتمي التفضيل ، وللتعصين لها في ذلك كلام كثير ، فقد اقتصت المرية ومالقة ومرسية بالموشى المذهب الذي يتعجب من صنفته أهل المشرق إذا رأوا منه شيئاً وفي « نيشالة » ^(٣) من عمل مرسية تعمل البسط التي ينال في ثمنها بالمشرق ، ويصنع في غرناطة وبسطة من ثياب اللباس المحررة ، الصنف الذي يعرف باللبد الختم ، ذو الألوان العجيبة . ويصنع في مرسية من الأسمرة المرصمة والحصر الغتانة الضنعة ، وآلات الصفير والحديد من

(١) Santiago وهي شنت ياقب أقدس مكان عند نصارى الأندلس

(٢) الفصيح هو الطفل بالضم وبالكسر وهو الطين اليابس

(٣) Jenechtéla

السكاكين ، والمقاصّ المذهبة ، وغير ذلك من آلات العروس والجفنديّ ما يهر العقل ، ومنها تجهز هذه الاصناف الى بلاد افریقیة وغيرها ، ويصنع بها بالمریة ومالقة الزجاج الغریب العجیب ، ونخار مزجج مذهب ، ويصنع بالاندلس نوع من المفضض المعروف بالمشرق بالفسيفساء ، ونوع یسط به فی قاعات دیارهم ، يعرف بالزیجی ، شبه المفضض . وهو ذو ألوان عجیبة ، یقیمونه مقام الرخام الملون ، الذی یصرفه أهل المشرق فی زخرفة بیوتهم ، كالشاذروان وما یجرى مجراه .

وأما آلات الحرب من التراس والرماح والسروج والألجم والدروع والمغافر ، فأكثرهم أهل الأندلس ، فیما حکى ابن سعید ، كانت مصروفة الى هذا الشأن ، ویصنع فیها فی بلاد السکفر ما یهر العقول . قال : والسیوف البردیات مشهورة بالجوذة ، وبردیل^(١) آخر بلاد الأندلس من جهة الشمال والمشرق والفولاذ الذی بأشبیلیة الیه النهایة . وفی اشبیلیة من دقائق الصنائع ما یطول ذکره . وقد أفرد ابن غالب فی « فرحة الانس » للآثار الاولية الی بالاندلس من کتابه مکانا فقال : منها ما كان من جلبهم الماء من البحر الملح الی الأرحی^(٢) الی « بطرکونة » علی وزن لطیف ، وتدییر محکم ، حتی طحنت به ، وذلك من أعجب ما صنع . ومن ذلك ما صنعه الاولون أيضا من جلب الماء من البحر المحیط الی جزيرة قادس ، من العین

(١) بردیل هی الی یقال لها الیوم بوردو Bordeaux التابعة لفرنسة كان اسمها الاصلی ایام الرومان بوردیغاله Burdigala وكان لها شأن عظیم فی ایام الرومانین وصارت الحاضرة العلیة لبلاد الغال . ثم عند ما زحف البرابرة من الشمال مثل الالینین Alains والسویفین Suèves والغندال أخذ عمرانها یرجع الی الوریاء وسنة ٤١٣ م للسیح استولى علیها القوط ثم أخذها منهم الفرنج لعهد كلوفیس سنة ٧٢٩ م شن العرب علیها الغارة وذهب دوق اکیثانیة الی كانت بردیل تابعة له مسترخاً شارل مارتل الی ان جرت واقعة بلاط الشهداء الی محص فیها العرب وانقطع املمهم من التوغل فی أوربة

(٢) تجمع الریحی علی أرح وریحی وارحاء ونادراً علی ارجبة

التي في إقليم الاصنام ، جلبوه في جوف البحر في الصخر المحجوف ، ذكرراً في انثى ، وشقوا به الجبال ، فاذا وصلوا به الى المواضع المنخفضة بنوا له قناطر على حنايا ، فاذا جاوزها وانصل بالارض المتدلة رجعوا الى البنيان المذكور ، فاذا صادف مسبحة نبي له رصيف وأجرى عليه هكذا الى أن انتهى به الى البحر ، ثم دخل به في البحر وأخرج في جزيرة قادس ، والبنيان الذي دخل عليه الماء في البحر ظاهر بين . قال ابن سعيد : الى وقتنا هذا .

ومنها الرصيف المشهور بالاندلس ، قال في بعض أخبار رومية : انه لما ولي يوليش المعروف بمجاشر ، وابتدأ بتدريج الارض وتكسيرها ، كان ابتداءه بذلك من مدينة رومية ، الى المشرق منها والى المغرب ، والى الشمال والى الجنوب ، ثم بدأ بفرش البطلية ، وأقبل بها على وسط دائرة ، الى أن بلغ بها أرض الاندلس ، وركزها شرق قرطبة ، ببابها المتطامن المعروف بباب عبد الجبار ، ثم ابتدأها من باب القنطرة قبلي قرطبة ، الى شقندة ، الى استجة ، الى قرمونة ، الى البحر ، وأقام على كل ميل سارية قد نقش عليها اسمه ، من مدينة رومية ، وذكر انه أراد تسقيفها في بعض الاماكن ، راحة للخاطرين ^(١) من وهج الصيف ، وهول الشتاء ، ثم توقع أن يكون ذلك فساداً في الارض ، وتغييراً للطارق ، عند انتشار اللصوص ، وأهل الشر فيها في المواضع المنقطعة النائية عن العمران ، فتركها على ما هي عليه .

وذكر في هذه الآثار صنم قادس الذي ليس له نظير إلا الصنم الذي بطرف جايقية . وذكر قنطره طليطلة ، وقنطرة السيف ، وقنطرة ماردة ، وملعب مريبطر ^(٢)

(١) لم يرد في فصح اللغة ، الخاطر ، بمعنى المسافر وإنما هو من استعمال العوام وقد تابعهم فيه بعض المؤلفين

(٢) كان يقال لبلدة مريبطر في الماضي ساغنتو Saginto وهي مدينة ايبيرية استولى عليها القرطاجيون في زمن انيال الذي جاء بمد سدروبال ونازعهم عليها الرومانيون لجزر وقائع هائلة فاستولى القرطاجيون على ساغنتو في أول الامر الا أنها سنة ٢١٤ قبل المسيح آلت الى الرومانيين . والملعب العظيم الذي فيها هو من آثار هؤلاء .

قال ابن سعيد : وفي الأندلس عجائب . منها الشجرة التي لولا كثرة ذكر الإمامة لها بالأندلس ما ذكرتها ، فإن خبرها عندهم شائع متواتر ، وقد رأيت من يشهد بخبرها ورؤيتها ، وهم جم غفير ، وهي شجرة زيتون ، تصنع الورق والنور والتر من يوم واحد معلوم عندهم ، من أيام السنة الشمسية ^(١) .

ومن العجائب : السارية التي بفرب الأندلس ، يزعم الجمهور أن أهل ذلك المكان إذا أحبوا المطر أقاموها ، فطر الله جهتهم ؟ ومنها صنم قلدس ، طول ما كان قائماً ، كان يمتع الريح أن تهب في البحر المحيط ، فلا تستطيع المراكب الكبار على الجرى فيه ، فلما هدم في أول دولة بني عبد المؤمن ، صارت السفن تجرى فيه ؟ وبكورة « قبرة » مفارة ذكرها الرازي ، وحكي أنه يقال إنها باب من أبواب الريح ، لا يدرك لها قمر ؟ وذكر الرازي أن في جهة قلعة « ورد » جبلا فيه شق في صخرة ، داخل كهف ، فيه فأس حديد متعلق من الشق الذي في الصخرة ، تراه العيون وتلمسه اليد ، ومن رام اخراجه لم يطق ذلك ، وإذا رفعته اليد ارتفع وغاب في شق الصخرة ، ثم يعود إلى حاله ^(٢) . وأما ما أورده ابن بشكوال من الأحاديث والآثار في شأن فضل الأندلس والمغرب ، فقد ذكرها ابن سعيد في كتابه المغرب ، ولم أذكرها أنا . والله أعلم بحقيقة أمرها .

وكذلك ما ذكره ابن بشكوال من أن فتح القسطنطينية إنما يكون من قبل الأندلس قال : وذكره سيف عن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، والله أعلم بصحة ذلك . ولعل المراد بالقسطنطينية رومية والله أعلم . قال سيف : وذلك أن عثمان ندب جيشا من القيروان إلى لأندلس ، وكتب لهم : أما بعد ، فإن فتح القسطنطينية إنما يكون من قبل الأندلس ، فانكم إن فتحتموها ، كنتم الشركاء في الأجر والسلام هـ . قلت عهدة هذه الأمور على ناقلها ، وأنا برى من

(١) لم نسمع بذكر شجرة كهذه في عصرنا الحاضر

(٢) وهذا الفأس أيضاً لم نسمع بخبره في هذا الزمن

عهدتها^(١)، وإن ذكرها ابن بشكوال وصاحب المغرب وغير واحد، فإنها عندي

(١) قلت : ان هذا الخبر أقرب جدا إلى العقل من خبر الزيتون التي تورق وتثمر في يوم واحد، وكذلك من خبر الفأس الذي لا يقدر أحد أن يرفعه من المغارة... بل الخبر المروى عن الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه عدا قربه للعقل له آثار ترجع إليه . وفي آخر كتابه غزوات العرب في أوربة ، الذى طبع سنة ١٣٥٢ فصل بقلم الأستاذ السيد عبد العزيز الثعالبي التونسي يتعلق بهذا الموضوع قال في أوله ان أول واضع لحظة الفتوحات الاسلامية في أوربة هو الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه فانه حين ندب أخاه من الرضاع عبد الله بن سعد بن أبي سرح لفتح بلاد شمالى افريقية ووافته البشائر بفوز جيوشه على جيوش جيجير والى جيطلة من قبل البيزنطيين ندب القائدين البحرين الجليلين عبد الله بن عبد الفيس وعبد الله ابن نافع بن الحصين الفهريين وكانا على الأسطول فأمرهما بالمسير إلى الأندلس وكتب لهما وصية سياسية في ذلك تلك الوصية الخالدة التي يقول فيها : إن القسطنطينية تفتح من قبل الأندلس وإنكم إن فتحتم ما أتمت بسيله تكونون شركاء لمن يفتح القسطنطينية في الأجر . وقد اتخذ ولاية شمالى افريقية وقراد أجنادها هذه الوصية نبراساً لسياستهم الاسلامية التي يسرون عليها . وأول أمير شرع في إعاد الوسائل والمعدات لتنفيذ تلك الوصية الامير حسان بن النعمان شيخ وزراء الدولة الاموية بعد أن دانه شمالى افريقية بالطاعة فقد أنشأ بفناء قرطاجنة دار الصناعة لبناء السفن والاساطيل وصنع الأسلحة وجلب لها الصناع من قبط مصر وسار على منهاجه في ذلك مولاه طارق بن زياد بعد أن ول المغرب لجاز بجيوشه أرض العدو وناجز الأندلسيين سنة ٩٢٢م تلاهما في ذلك اسماعيل بن أبى المهاجر الذى تقلد إمارة شمالى افريقية في عهد عمر بن عبد العزيز فأغزى أساطيله جنوبى أوربة سنة ١٠٥ وكانت قيادتها لعبد الرحمن بن عبد الله العافق ولم يد الا بعد أن أمخن في ايطالية . وهذه الغزوة تعتبر كبشير لانقاذ الايطاليين من حكم البيزنطيين الطغاة . وفي ولاية عبيد الله بن الحجاب لافريقية جهز أسطولا كبيرا جعل إمارة لقائد جيوشه الموفق حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة الفهرى ففزاها سنة ١٢٣ ونكل فيها بالبيزنطيين أشد تنكيل . ولولم تحصل ثورة البربر ضد الحكم العربى بسبب تخميس أعشارهم لتلك شطوط ايطالية وطهرها من حكم البيزنطيين كما فعل ذلك من قبل حسان بن النعمان في شمالى افريقية . وفي سنة ٢٠٧

لا أصل لها ، وأى وقت بعث عثمان إلى الأندلس ؟ مع أن فتحها بالاتفاق إنما كان زمان الوليد ! وإنما ذكرت هذا للتنبيه عليه لا غير . والله أعلم .

قال ابن سعيد : وميزان وصف الأندلس ؛ أنها جزيرة قد أحدقت بها البحار ،

بعد استقرار الدولة الأغلبية جهز زيادة الله الأكبر أسطولا بامارة قائده محمد بن عبد الله التميمي لمنازلة سردينية ثم أعاد عليها الكرة سنة ٢١٢ وكانت إمارة الجبوش في هذه المرة لفاضى القضاة الامام أسد بن الفرات فلك و مازرة و حاصر سر كوسة ، و حول أسوارها و أدركت الامام الشهادة رضى الله عنه سنة ٢١٣ فتولى القيادة العامة صاحب اسطول الأندلس القائد أصبح المعروف بفرغلوسن : و بعد أن استقرت الأمور في البلاد المفتوحة فقد زيادة الله إمارة إيطالية لابن أخيه ابراهيم بن عبد الله بن الأغلب و ما زال متولياً للجهاد حتى فتح بليرم و نابولى . له و من شاء الاطلاع على تمة البحث فليراجعه في كتابنا ، غزوات العرب في أوربة ، و لقد قابلت روايات الشيخ الثعالبي بالكتب المعتمدة في التاريخ فلم أجد إلا ما يؤيدها قال أبو الفداء : في أيام عثمان فتحت أفريقية و كان المتولى لذلك عبد الله بن سعد بن أبي سرح و لما فتحت أفريقية أمر عثمان عبد الله بن نافع بن الحصين أن يسير إلى جهة الأندلس ففزا تلك الجهة و عاد عبد الله بن نافع إلى أفريقية ، و سنة ثمان و عشرين استأذن معاوية عثمان في غزو البحر فسير معاوية إلى قبرص جيشا و سار إليها أيضا عبد الله بن سعد من مصر فاجتمعوا عليها و قاتلوا أهلها ثم صلحوا على جزية سبعة آلاف دينار في كل سنة . و جاء في تاريخ البيان المغرب في أخبار المغرب ، لابن عذارى المراكشي خبر غزو معاوية ابن حديج لجزيرة صقلية في ماتى مركب . ولم أجد شيئا فيه نظر من كلام الاستاذ الثعالبي إلا إهماله ذكر موسى بن نصير في فتح الأندلس ، و جعله طارق بن زياد مولى لحسان بن النعمان ، و الحال أن طارق كان مولى موسى بن نصير وهو الذى أغزاه الأندلس و أما قول المقرئ في النصح : و أى وقت بعث عثمان إلى الأندلس مع أن فتحها بالاتفاق إنما كان زمان الوليد . فليس بشيء لأن عثمان بن عفان رضى الله عنه أمرهم بأن يغزوا الأندلس و كانوا في ذلك الوقت يحسبون جزائر غربى البحر المتوسط كلها من الأندلس فغزوها و أرادوا أن يعملوا بفكرة عثمان بغزو نفس الأندلس الكبيرة عند أول فرصة تلوح لهم فبقيت هذه الفكرة تتخمر في رؤوس عمال الخلافة على أفريقية إلى زمن موسى بن نصير عامل الوليد الاموى فخرجت من القوة إلى الفعل

فأكثر فيها الخصب والعمارة من كل جهة ، ففى سافرت من مدينة إلى مدينة لانكاد تنقطع من العمارة ، ما بين قرى ومياه ومزارع ، والصحارى فيها معدومة ^(١) . وما اختصت به أن قراها فى نهاية من الجمال ، لتصنع أهلها فى أصنامها وتبنيها ، لثلاث تنبو العيون عنها ، ففى كما قال الوزير بن الحارة فيها :

لأَحْتِ قُرَاهَا بَيْنَ خُضْرَةِ أَيْسِكِيهَا كَالدَّرِّ بَيْنَ زَبَرٍ جَدِيدٍ مَكُونِ

ولقد تعجبت لما دخلت الديار المصرية من أوضاع قراها التى تسكدر العين بسوادها ، ويضيق الصدر بضيق أوضاعها . وفى الاندلس جهات تقرب فيها المدينة العظيمة المصرة من مثلها . والمثال فى ذلك أنك إذا توجهت من اشبيلية فعلى مسيرة يوم وبعض آخر ، مدينة شريش ، وهى فى نهاية من الحضارة والنضارة ، ثم يليها الجزيرة الخضراء كذلك ، ثم مالقة . وهذا كثير فى الاندلس . ولهذا كثرت مدنها ، وأكثرها مسور من أجل الاستعداد للعدو ، فحصل لها بذلك التشديد والتزيين وفى حصونها ما يبقى فى محاربة العدو ما ينيف على عشرين سنة ، لامتناع معاقبتها ، ودرية أهلها على الحرب ، واعتيادهم مجاورة العدو بالطنم والضرب ، وكثرة ماتتخزن الثلة فى مطايرها ، فنها ما يطول صبره عليها نحو من مائة سنة .

قال ابن سعيد : ولذلك أدامها الله تعالى من وقت الفتح الى الآن ، وان كان العدو قد تقصص من أطرافها ، وشارك فى أوساطها ، ففى البقية منعة عظيمة ، فأرض بقى فيها مثل اشبيلية ، وغرناطة ، ومالقة ، والمرية ، وما يضاف الى هذه المحواضر العظيمة المصرة ، الرجاء قوى فيها بحول الله وقوته . انتهى . قلت قد خاب ذلك الرجاء ^(٢) ، وصارت تلك الارزاء لكفر مفرجا ، ونسأل الله تعالى ، الذى جعل

(١) يريد بقوله إن الصحارى فيها معدومة ، الاندلس القديمة ، أى الولايات الجنوبية من أسبانية . فاما شمال أسبانية فبها صحراء شاسعة واسعة جاء فى دليل بديكر أن هذا البسيط المتوسط كان من جملة الصحارى لو لم يكن العرب أنشأوا له نظام رى جرورا به المياه إليه لحياته ولا تزال بقايا آثارهم فى ذلك مدهشة للناظرين

(٢) نعم خاب ذلك الرجاء كما قال المقرئ وبعد ان كان فى الاندلس خمسة عشر

لهم فرجا ، وللضيق مخرجا ، أن يعبد اليها كلّة الاسلام ، حتى يستنشق أهله منه فيها
أرجا . آمين !

(ومن غرائب الاندلس) البيتان ^(١) اللتان بطليطة ، صنعهما عبد الرحمن ،
لما سمع بخبر الطلمس الذي بمدينة أرين من أرض الهند . وقد ذكره المسعودي ، وانه
يدور بأصممه من طلوع الفجر الى غروب الشمس . فصنع هو هاتين البيتين خارج
طليطة ، في بيت مجوف ، في جوف النهر الاعظم ، في الموضع المعروف بباب الباغين
ومن عجبهما انهما يمثلان وينحسران مع زيادة القمر وقصانه ، وذلك ان أول
انهلال الهلال يخرج فيها يسير ماء ، فاذا أصبح ، كان فيها سبعهما من الماء ، فاذا
كان آخر النهار كل فيها نصف سبع ولا يزال كذلك بين اليوم والليلة نصف سبع
حتى يكمل في الشهر سبعة أيام وسبع ليال ، فيكون فيها نصفهما ، ولا تزال كذلك
الزيادة نصف سبع في اليوم والليلة ، حتى يكمل امتلاؤهما بكامل القمر ، فاذا كان في
ليلة خمسة عشر ، وأخذ القمر في النقصان ، نقصتا بنقصان القمر كل يوم وليلة نصف
سبع . فاذا كان تسعة وعشرون من الشهر لا يبقى فيها شيء من الماء . واذا تكلف
أحد حين ينقصان أن يملأهما ، وجلب لها الماء ، ابتلعتا ذلك من حينها حتى لا يبقى
فيهما إلا ما كان فيها في تلك الساعة . وكذا لو تكلف عند امتلاؤهما أفراغهما ، ولم
يبق منهما شيئاً ، ثم رفع يده عنهما ، خرج فيها من الماء ما يملأهما في الحين . وهما
أعجب من طلسم الهند ، لأن ذلك في تقلة الاعتدال ، حيث لا يزيد الليل على

مليون مسلم لم يبق منهم فيها الا خمسة عشر مغرباً في جبل طارق يتماطون البيع والشراء
وبعد ان كان فيها خمسة عشر الف مسجد احدهما مسجد قرطبة الذي يسع ثمانين الف
مصل لم يبق فيها الا مسجد يسع ثلاثين مصلياً داخل دار بجبل طارق تخص حكومة
المغرب صليت فيه يوم زرت الجبل المذكور (وتلك الايام نداؤها بين الناس)

(١) البيلة هي صهريج منحوت من رخام او حجر وكثيراً ما يذكر في تواريخ
المغرب ان فلانا صنع في المسجد أو القصر بيلة أو بيتين . وفي فاس بالمدرسة العنانية
بدار الرضوة بيلة جلها ابو عنان المريني

النهار . وأما هاتان فليستا في مكان الاعتدال ، ولم تزالا في بيت واحد ، حتى ملك النصرى ، دمرهم الله ! طليطلة ، فأراد الغنش ^(١) أن يعلم حركاتهما ، فأمر أن تقلع الواحدة منهما لينظر من أين يأتي اليهما الماء ، وكيف الحركة فيهما ، فقلعت ، فبطلت حركتهما ، وذلك سنة ٥٢٨ .

وقيل ان سبب فسادهما حينئذ اليهودى الذى جلب حمام الاندلس كلها الى طليطلة في يوم واحد ، وذلك سنة ٥٢٧ ، وهو الذى أعلم الغنش ان ولده سيدخل قرطبة ويملكها ، فأراد أن يكشف حركة البيطين ، فقال له : أيها الملك ، أنا أقامهما وأردهما أحسن مما كانتا ، وذلك انى اجعلهما تمتلئان بالنهار وتحمسان في الليل . فلما قلعت لم يقدر على ردها ، وقيل انه قلع واحدة ليمرق منها الصنعة فبطلت ، ولم تنزل الاخرى تهطي حركتها . والله أعلم بحقيقة الحال .

وقال بعضهم في أشبيلية : إنها قاعدة بلاد الاندلس ، وحاضرتها ، ومدينة الادب والاهو والطرب ، وهى ضفة النهر الكبير ، عظيمة الشان ، طيبة المكان ، لها البر المديد والبحر الساكن ، والوادى العظيم ، وهى قريبة من البحر المحيط ، إلى أن قال : ولو لم يكن لها من الشرف الاموضع الشرف المقابل لها ، المطل عليها ، المشهور بالزيتون الكثير ، المتد فراسخ في فراسخ ، لسكنى ، وبها منارة ^(٢) فى جامعها ، بناها يعقوب

(١) Alphonse وقد يقول له الرب الاذغش

(٢) يقال لهذه المنارة عند الاسبانول الخبيرالده I.a Giralda وهى أعجوبة أشيلية جاء فى دليل بديكر أن هذه المنارة كانت منارة الجامع الأعظم بناها المهندس العربى جابر يعقوب بن يوسف سلطان الموحدين بين سنة ١١٨٤ للمسيح وسنة ١١٩٦ وقد وضع فيها بقايا أبنية قديمة لوجود كتابات رومانية لا تزال فى حيطانها وهى مبنية من الطوب كلما ازداد ارتفاعها تزداد ضيقا وهى فى الغاية والنهاية من تناسب الخطوط وقاعدتها مربع يبلغ ١٣ متراً و ٥٥ من جهة إلى جهة وسماك الحائط من مترين وثمانية إلى مترين وثلاثين ومن جهتها الشمالية يوجد تجويفان فيهما تصاورير محوطة من رسم لويس برقاش Vargas . وعند ما يبلغ العلو ٢٥ متراً يصير السطح الاعلى

المنصور ، ليس في بلاد الاسلام اعظم بناء منها . وعسل الشرف يبقى حيناً لا يترمل ولا يتبدل ، وكذلك الزيت والتين . وقال ابن مفلح : ان أشبيلية عروس بلاد الأندلس لان تاجها الشرف ، وفي عنقها سمط النهر الاعظم ، وليس في الارض أتم حسناً من هذا النهر ، يضاهاى دجلة والفرات والنيل ، تسير القوارب فيه للترهه والسير والصيد تحت ظلال الثمار ، وتفريد الاطيوار ، أربعة وعشرين ميلاً ، ويتعاطى الناس السرح من جانبيه عشرة فراسخ ، في عمارة متصلة ، ومنارات مرتفعة ، وأبراج مشيدة ، وفيه من أنواع السمك مالا يحصى ، وبالجملة فهى قد حازت البر والبحر ، والزرع والضرع وكثرة الثمار من كل جنس ، وقصب السكر . ويجمع منها القرمز الذى هو أجل من اللك الهندى وزيتونها يخزن تحت الارض أكثر من ثلاثين سنة ، ثم يتمصر فيخرج منه أكثر مما يخرج منه وهو طرى . انتهى ملخصاً .

للحدران بجانب النوافذ مغطى بشبكات من الطوب ومزينا بمحاريب . وقد أفرد المنظر البديع الذى كان لهذه المنارة ماتوجوها به في أيام العهد المسيحي فان قسيس الكنيسة العظمى قد أزال القمه المحرمة التى كانت تنتهى بها المنارة وجعل مكانها أبنية مربعة تنتهى بقبة عليها كتابة وصورة امرأة تمثل . الايمان ، وكان هذا البناء الذى شوها به هذه المنارة سنة ١٥٦٨ وعلوه الخيرالده ، عن الارض ٩٣ متراً .

هذا وقد صعدت إليها يوم زرت اشبيلية وهى من أثار العرب في أسبانية وإلها يقصد السياح من أقطار الأرض ويبرح النظر من أعلاها فيما لا نهاية له . ولكنى لم أعلم من أين جاء اسمها هذا الخيرالده ، إلا إن كان محرفاً عن الخالده ، ويعقوب المنصور سلطان الموحدين كان من أعظم ملوك الاسلام وأضخم آثاراً وله في الرباط من العدوة جامع حسان الشهير كان قائماً على ٤٠٠ سارية يحيط كل منها ١٤ شبراً وطولها أزيد من ٢٠ شبراً ومساحة الجامع ٢٦٥٩ متراً مربعاً وكانت له منارة علوها يزيد على ٦٠ متراً ومحيطها ٢٤٠ شبراً وكانت هذه المنارة أعجوبة من الأعاجيب وكانت أشبه شئ بمنار الاسكندرية ولا تزال ماثلة تشهد بعلو همة المنصور فليست منارة اشبيلية هي الفذة من آثاره الخالده

ولما ذكر ابن البسج الاندلس قال : لا يتزود فيها أحد ما حيث سلك ، لكثرة أنهارها وعيونها ، وربما نقي المسافر فيها في اليوم الواحد أربع مدائن ، ومن المعامل والقرى ما لا يحصى ، وهى بطاح خضر ، وقصور بيض . قال ابن سعيد : وأنا أقول كلاماً فيه كفاية : منذ خرجت من جزيرة الاندلس ، وطلت في بر العدوة ، ورأيت مدنها العظيمة كمر اكش وفاس وسلا وسبتة ، ثم طفت في أفريقية ، وما جاورها من المغرب الاوسط ، فرأيت بجاية وتونس ، ثم دخلت الديار المصرية ، فرأيت الاسكندرية والقاهرة والفسطاط . ثم دخلت الشام فرأيت دمشق وحلبا وما بينهما لم أر ما يشبه رونق الاندلس في مياها وأشجارها ، إلا مدينة فاس بالمغرب الاقصى ومدينة دمشق بالشام . وفي حماة مسحة اندلسية . ولم أر ما يشبهها من حسن المباني والتشييد والتصنيع إلا ما شيد بمراكش في دولة بنى عبد المؤمن ^(١) ، وبعض أماكن في تونس وان كان الغالب على تونس البناء بالحجارة كلالاسكندرية ، ولكن الاسكندرية أفسح شوارع وأبسط وأبدع ، ومباني حلب داخلية فيما يستحسن لأنها من حجارة صلبة ، وفي وضعها وترتيبها اتقان ، انتهى . ومن أحسن ما جاء من النظم في الاندلس قول ابن سفر المريني والاحسان له عادة :

في أرض اندلس تلتذ نعماءه ولا يفارق فيها القلب سراه

(١) من أحسن ما كتب عن آثار البناء الباهرة في المغرب كتاب اسمه . مرا كش ومدن الصناعة الفنية التى مها طنجة وفاس ومكناس والرباط ومراكش فيه ٢٢٧ صورة لتلك الآثار الباهرة والمعالم الزاهرة مؤلفه . بيارشامبيون Peirre Champion

Le Maroc et ses villes d' Art

والقارى . يجد في هذا الكتاب من المناير التى أنشأها يعقوب المنصور في المغرب ما لا يقل حسنا وبداعة وفضامة عن منارة اشيلة ويرى من آثار المرينيين والسعديين والعائلة المالكة اليوم ما لا نقي العبارات بأوصافه مها ملك الكتاب من ناصية البيان . وقد قال الاخوان الكاتبان جيروم وجان تارو من مشاهير كتاب فرنسة : إن من لم يشاهد في حياته مقبرة الملوك السعديين في مرا كش لم يدرك إلى أية درجة من الارتقاء بلغت المدينة الاسلامية ،

وليس في غيرها بالعيش مُنْتَفِعٌ
 وأين يُمدلُّ عن أرضٍ تحضُّ بها
 وكيف لا يُبْهِجُ الابصارَ رؤيتها
 أنهارها فِضَّةً ، والمِسْكُ تُرْبَتُها
 وللوهاء بها لطفٌ يَرِيقُ به
 ليس النسيم الذي يَهْفُو بها سَحْرًا
 وإنما أَرَجُ الندى استنثارَ بها
 وأين يبلغُ منها ما أصنَعُهُ ؟
 قد مُيزت من جهات الأرض حين بدت
 دارت عليها نطاقا أبحرُ خَفَقَتْ
 لذلك يبسمُ فيها الزهرُ من طَرَبِ
 فيها خَلَمَتْ عِذَارِي ما بهما عَوْضُ
 ولله در ابن خفاجة حيث يقول :

إن للجنة بالأندلس
 فسَى صُبْحَتها من شَبَب
 فإذا ما هبَّت الريحُ صَبًا
 مُجْتَلِي مرأى وريا نفس
 ودجى ظلمتها من لَمَسِ
 صَحَّتْ : وَأَشَوْقِي إلى الأندلس!

وقد تقدمت هذه الأبيات . قال ابن سعيد . قال ابن خفاجة هذه الأبيات وهو بالمغرب الأقصى ، في بر المدوة ، ومثله في شرق الأندلس بجزيرة شقر . وقال ابن سعيد في المغرب مانعه : قواعد من كتاب الشهب الثاقبة ، في الانصاف بين المشاركة والمغاربة ، أول ما تقدم الكلام على قاعدة السلطنة بالأندلس فنقول : إنها مع ما بأيدي عباد الصليب منها ، أعظم سلطنة ، كثرت ممالكها ، وتشتبت في

وجوه الاستظهار للسلطان إغانتها ، وندع كلاتنا في هذا الشأن وننقل ما قاله ابن حوقل النصيبي في كتابه ، لما دخلها في مدة خلافة بني مروان بها ، في المائة الرابعة ، وذلك أنه لما وصفها قال : وأما جزيرة الاندلس فجزيرة كبيرة ، طولها دون الشهر ، في عرض ثيف وعشرين مرحلة ، تغلب عليها المياه الجارية ، والشجر والتمر ، والرخص والسعة في الأحوال ، من الرقيق الفاخر ، والحصب الظاهر ، إلى أسباب التملك الفاشية فيها ، ولما هي به من أسباب رغد العيش ، وسمته وكثرته ، يتلك ذلك منهم مهاتهم ، وأرباب صنائعهم ، لقلة مؤتمهم ، وصلاح معاشهم وبلادهم . ثم أخذ في عظم سلطانها ، ووصف وفور جباياته ، وعظم مراقه ، وقال في أثناء ذلك : وبما يدل بالقليل منه على كثيره ، أن سكة دار ضربه على الدرهم والدنانير ، دخلها في كل سنة ، مائتا ألف دينار ، وصرف الدينار سبعة عشر درهماً ، هذا إلى صدقات البلد وجباياته ، وخراجه وأعشاره ، وضماناته ، والأموال المرسومة على المراكب الواردة والصادرة ، وغير ذلك ^(١) .

وذكر ابن بشكوال أن جباية الأندلس بلغت في مدة عبد الرحمن الناصر خمسة آلاف ألف دينار وأربعمائة ألف وثمانين ألفاً من السوق ، والمستخلص ^(٢) سبعمائة ألف وخمسة وستون ألف دينار ^(٣) ثم قال ابن حوقل : ومن أعجب ما في هذه

(١) نقلنا فيما تقدم جميع ما ذكره ابن حوقل عن الاندلس

(٢) هو ما يقال له اليوم « الحزينة الخاصة » وكان لسان الدين بن الخطيب يقول « مستخلص السلطان » .

(٣) قال لاوى بروقتسال في كتابه « اسبانية المسلمة في القرن العاشر » ما يلي : « أما من جهة مجموع دخل الخزنة في أيام خلافة بني أمية بالاندلس لمهد الناصر فقد وردت بشأنه شهادة يزيد قيمتها صدورها عن رجل هو اميل إلى التنزيل من قدر الامويين منه إلى التعظيم من امرم وهو ابن حوقل الذي أقام مدة بقرطبة وذلك في النصف الثاني من القرن العاشر فهو يقول إن دخل خزنة الخلافة من أول تولى الناصر إلى سنة ٣٤٠ (٩٥١) بلغ عشرين مليون دينار ذهب وثلثمائة وأربعين مليون درهم

الجزيرة بقاؤها على من هي في يده ، مع صفر أحلام أهلها ، وضمة نفوسهم ، وتقص عقولهم ، و بدم من البأس والشجاعة ، والفروسية والبسالة ، ولقاء الرجال ، ومراس الأبحاد والأبطال ، مع علم أمير المؤمنين بمحلبها في نفسها ، ومقدار جباياتها ، ومواقع نعمها ولذاتها . قال طي بن سعيد مكمل هذا الكتاب : لم أر بدءاً من إثبات هذا الفصل ، وإن كان على أهل بلدى فيه من الظلم والتعصب ما لا يخفى ، ولسان الحال في الرد أنطق من لسان البلاغة ، وليت شرى إذ سلب أهل هذه الجزيرة العقول والآراء ، والمهم والشجاعة ، فمن الذين دبروها بأرائهم وعقولهم ، مع مرصدة أعدائها لمجاورين لها من خمسمائة سنة ونيف ؟ ومن الذين حموها ببسالتهم من الأمم المتصلة بهم ، في داخلها وخارجها ، نحو ثلاثة أشهر ، على كلمة واحدة ، في نصرة الصليب وإني لأعجب منه إذ كان في زمان قد دلفت فيه عبّاد الصليب إلى الشام والجزيرة وعاثوا كل الميث في بلاد الاسلام ، حيث الجمهور والقبة العظمى ، حتى إنهم دخلوا مدينة حلب ، وما أدراك ! فعملوا فيها ما فعلوا ، و بلاد الاسلام متصلة بها من كل جهة ، إلى غير ذلك مما هو مسطور في كتب التاريخ

ومن أعظم ذلك وأشدّه أنهم كانوا يتغلبون على الحصن من حصون الاسلام التي يتمكنون بها من بسائط بلادهم ، فيسبون ويأسرون ، فلا يجتمع هم الملوك المجاورة على حسم الداء في ذلك ، وقد يستعين به بعضهم على بعض ، فيتمكن من ذلك الداء الذي لا يطب .

وقد كانت جزيرة الأندلس في ذلك الزمان بالضد من البلاد التي ترك وراء ظهره ، وذلك موجود في تاريخ ابن حيان وغيره . وإنما كانت الفتنة بعد ذلك .

من الفضة وهو مبلغ عظيم جداً بالنسبة إلى ذلك العصر . ولقد كان هذا الدخل مضاعفاً في أيام الحكم المستنصر فبلغ إذ ذاك أربعين مليون دينار . اهـ وسنعود إلى هذا البحث عند الكلام على التاريخ

الاعلام بينة ، والطريق واضح ^(١) . فلنرجع إلى ما نحن بسبيله .
كانت سلطنة الأندلس في صدر الفتح على ما تقدم من اختلاف الولاة عليها
من سلاطين أفريقية ، واختلاف الولاة داع إلى الاضطراب ، وعدم تأمل الأحوال
وترية الضخامة في الدولة ^(٢) : ولما صارت الأندلس لبني أمية ، وتوارثوا ممالكها ،
واقاد اليهم كل أبي فيها ، وأطاعهم كل عصى ، عظمت الدولة بالأندلس ، وكبرت
المهم ، واستتبت الأحوال ، وترتبت القواعد . وكانوا صدرا من دولتهم مخاطبون
لأنفسهم بأبناء الخلائف . ثم خطبوا لأنفسهم بالخلافة ، وملكوا من بر العدة

(١) هذا البحث قد تقدم عند نقلنا عن ابن حوقل وهو عبارة عن مناقشة بين
مسلى الشرق والغرب كل فريق منهما يعير الآخر ويتمه بخذلان قومه وقد أوردنا
حكمتنا في ذلك وقلنا إن الجميع في هذا المرض سواء وانهم بعضهم ببعض أشبه من الماء
بالماء ولا حول ولا قوة إلا بالله

(٢) أصاب الكاتب هنا الحزن ، وما لاجدال فيه ان تعاقب الولاة المستمر على القيروان
وبالتالى تعاقب امراء الاندلس الذين كانوا يتولونها من قلمهم لا يكاد الواحد منهم يصل
إلى قرطبة حتى يأتي الخبر بعزله قد كان الاصل الاصيل في اضطراب جبل الادارة وفي
وقوف الفتوحات العربية في أوربة لأن الثبات والاطراد هما من اهم شروط النجاح .
فلما صار الحكم إلى بنى أمية في قرطبة واستقر بها ملكهم وتوطد سلطانهم عظمت للدولة
في الاندلس ورسخت العزائم وسمت المهمم واستتبت القواعد كما قال . غير أن هناك
ملاحظة لا بد منها هي أن الجهاد العربي في أوربة أيام وحدة الخلافة كان وراءه الجيوش
الجرارة تزحف من أقاصى خراسان إلى فارس إلى العراق إلى الشام إلى مصر إلى المغرب
فلا ينقطع مددها ولا يكاد يحصى عددها . فلما انفصلت الأندلس عن الخلافة العباسية
انفردت الأندلس بنفسها ولم يبق لها معول في الجهاد الا على مسلى الأندلس وحدهم
وهؤلاء دائرتهم محدودة ومادتهم منحصرة وليسوا أكفاء بأنفسهم لاهم النصرانية
التي هي أمامهم كلبج البحر الاخضر . فن بعد افتراق الأندلس عن الخلافة العباسية
انقطع ما بينها وبين سائر بلاد الاسلام وأصبحت يتيمة غريبة مقطوعة الظاهر الا ما كان
يرد عليها في الاحياء من مجاهدين ومهاجرين من المغرب الاقصى دون سواء وشتان
بين هذا المدد المحدود والمدد العام الذي كان ينظم ما بين الشرق والغرب

ما ضحمت به دولتهم ، وكانت قواعدهم إظهار الهيبة ، وتمكن الناموس من قلوب العالم ، ومراعاة أحوال الشرع في كل الأمور ، وتعظيم العلماء ، والعمل بأقوالهم ، وإحضارهم في مجالسهم ، واستشارتهم ، ولهم حكايات في تاريخ ابن حيان ، منها ما هو مذكور من توجه الحكيم على خايفتهم ، أو على ابنه أو أحد حاشيته المختصين وأنهم كانوا في نهاية من الاقياد إلى الحق ، لهم أو عليهم ، بذلك أنضبط لهم أمر الجزيرة .

ولما خرقوا هذا الناموس ، كان أول ما تهتك أمرهم ثم اضمحل ^(١)

وكانت ألقاب الأول منهم الأمراء أبناء الخلائف ، ثم الخلفاء أمراء المؤمنين .

(١) أمراء بني أمية في قرطبة كانوا على وجه الاجمال على استفادة في أمورهم ولم يخرج منهم من يجاهر بالفسق كما خرج من أمراء بني أمية في دمشق . وكانوا في الأندلس مذعنين للحق مقبحين لشعائر الاسلام متحلين بحلى التقوى وبجاهدين في سبيل الله ولم يتهتك أمرهم بسبب فسق أو ظلم أو أهمال للحكم ، ولكن اراد الله أن يكون هشام بن الحكيم المستنصر فلا ضعيفاً لا يقدر على ادارة أمور المملكة بنفسه فاستبد بالامر الحاجب المنصور بن أبي عامر وحجر على الخليفة ولم يبق له شيئاً فاحفظ ذلك بني أمية وأعوانهم وكثيراً من أبناء البيوتات العربية الذين غصوا بمكان العامريين ولم تتحمل نفوسهم هذا الاستتار من هؤلاء بالدولة فصاروا قاعدين لهم كل مرصد حتى يثبوا عليهم ويعبدوا الامر كما بدأ . وكان المنصور وابنه المظفر يعلمان ما يجيش في صدور الاموية وبيوتات العرب من الحقد عليهم فأخذوا باستعمال البربر وعولوا عليهم واورقوا العداوة والبغضاء بين العرب والبربر وكان كل منهما من الحزم والتدبير بحيث استوسق له الامر فلما جاءت دولة شنجول ابن المنصور وكان فلا فاسد التدبير تمكن الامويون من اسقاطه واشتعلت الفتنة التي أسالت الدماء جداول في قرطبة ووقع بين العرب والبربر ما كانت السبب في صدع وحدة الدولة وظهور ملوك الطوائف واستئساد طواغيت لاسبانيول واسترجاعهم كثيراً من الحصون والمدن وباختصار رجوع النصارى في الأندلس فكفروا على المسلمين وكانوا أوشكوا أن يقلعوه من الأندلس تماماً لولا نصره الدول المغربية كالمرابطين ثم الموحدون ثم بني مرين الذين نساؤا في اجل لإسلام الأندلس نحواً من ثلاثمائة سنة بالاقبل

إلى أن وقعت الفتنة بحمد بعضهم لبعض ، وابتغاء الخلافة من غير وجهها الذي رتب عليه ^(١) . فاستبدت ملوك الممالك الأندلسية ببلادها ، وسُمّوا بملوك الطوائف . وكان فيهم من خطب للخلفاء الروانيين ، وإن لم يبق لهم خلافة . ومنهم من خطب للخلفاء العباسيين المجمع على إمامتهم ^(٢) ، وصار ملوك الطوائف يتباهون في أحوال الملك حتى في الألقاب ، قال أمرهم إلى أن تلقبوا بنعمت الخلفاء ، وترفعوا إلى طبقات السلطنة العظمى ، وذلك بما في جزيرتهم من أسباب الترفه والضحامة ، التي تتوزع على ملوك شتى فتكفيهم ، وتنهض بهم للباهاة

ولأجل توثيقهم على نعمت العباسية قال ابن رشيقي القيرواني :

مما يُزهدني في أرضِ أندلسٍ تَلْقَيْبُ مُعْتَصِدٍ فِيهَا وَمُعْتَمِدِ
ألقابُ مَمْلُوكِيهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا كَالهَرِّ يَحْكِي انْتِفَاحاً صَوْلَةَ الأَسَدِ

وكان عباد بن محمد بن عباد قد تلقب بالمتعصد ، واقتفى سيرة المتعصد العباسي أمير المؤمنين . وتلقب ابنه محمد بن عباد بالمتعمد . وكانت لبني عباد مملكة اشبيلية ، ثم انضاف إليها غيرها . وكان خلفاء بني أمية يظهرون للناس في الأحيان على أبهة الخلافة ، ولهم قانون في ذلك معروف إلى أن كانت الفتنة ، فازدرت العيون ذلك الناموس ، واستخفت به . وقد كان بنو حمود من ولد ادريس الملوي ، الذين توثبوا على الخلافة في أثناء الدولة الروانية بالأندلس ، يتعاطون ، ويأخذون أنفسهم بما يأخذها خلفاء بني العباس ، وكانوا إذا حضرهم منشد لمدح ، أو من يحتاج إلى الكلام بين أيديهم ، يتكلم من وراء حجاب ، والحاجب واقف عند الستر يجارب بما يقول له الخليفة . ولما حضر ابن مقانا الاشبوني أمام حاجب إدريس بن يحيى

(١) يشير إلى استئثار العامرين بالأمر وغلبيتهم على الخلافة وما آل إليه ذلك من الفتنة التي بددت شمل الأمة وأظهرت ملوك الطوائف

(٢) مثل ابن مردنيش وغيره

المجودي ، الذي خطب له بالخلافة في مالقة ، وأنشده قصيدته المشهورة النونية التي منها قوله :

وَكأنَّ الشَّمسَ لَمَّا أُشْرِقَتْ فَانْتَنَّتْ عنها عَيونُ النَّاطِرِينَ
وَجَهْ إِدْرِيسَ بنِ يَعْقى بنِ عَلِيٍّ بنِ حَمُودَ أميرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَبَلَغَ فيها إلى قولهِ :

انظُرُونَا تَقْتَدِسُ مِن نُورِكُمْ إِنَّهُ مِن نُّورِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
رفع الخليفة الستر بنفسه وقال : انظر كيف شئت . وانبسط مع الشاعر وأحسن إليه . ولما جاء ملوك الطوائف صاروا يتبسطون للخاصة ، وكثير من العامة ، ويظهرون مداراة الجند وعوام البلاد ، وكان أكثرهم يحاضر العلماء والأدباء ، ويجب أن يشهر عنه ذلك . عند مباديه في الرياسة . ومدد وقت الفتنة بالأندلس ، اعتاد أهل الممالك المنفرقة الاستبداد على إمام الجماعة ، وصار في كل جهة مملكة مستقلة يتوارث أعيانها الرياسة ، كما يتوارث ملوكها الملك ، ومرنوا على ذلك ، فصعب ضبطهم إلى نظام واحد ، وتمسكن العدو منهم بالفرق ، وعداوة بعضهم لبعض ، ببيع المنافسة والطمع إلى أن اتقادوا إلى عبد المؤمن وبنيه ، وتلك القواعد في رؤوسهم كامنة ، والثوار في الماقل تتور ، وتروم السكرة ، إلى أن نار ابن هود ، وتلقب بالمتوكل ، ووجد القلوب منحرفة عن دولة البرعدوة^(١) ، مهيأة للاستبداد . فلسكها بأيسر محاولة ، مع الجهل المفرط ، وضمف الرأي . وكان مع العامة كأنه صاحب شعودة ، يمشى في الأسواق ، ويضحك في وجوههم ، ويبادرم بالسؤال ، وجاء للناس منه مالم يمتادوه من سلطان ،

(١) عند ما ظهرت ملوك الطوائف وأخذ بعضهم يغزو بعضاً والعدو يستفيد من الغازي والمغزو ويهتبل كل غرة ، خاف المرابطون ومن بعدهم المرحدون أن يسقط الإسلام كله في الأندلس ، نحفوا لتجدته وأجازوا إلى الجزيرة بالجيش الجرامة واستولوا على أكثر ما كان بأيدي ملوك الطوائف . ولكن بعض هؤلاء كانوا مجاذبونهم الجبل مثل ابن هود مثلاً وطالما استظهروا بالاسبانبول على دول البرعدوة .

فأعجب ذلك سفهاء الناس وعامتهم العمياء ، وكان كما قيل :

أمرٌ يضحك السفهاء منها وَيبيكي من عواقبها الحليمُ

فآل ذلك إلى تلف القواعد العظيمة ، وتلك الأمصار الجليلة ، وخروجها من يد الاسلام ، والضابط فيما يقال في شأن أهل الأندلس في الساطن ، أنهم إذا وجدوا فارساً يبرع الفرسان ، أو جواداً يبرع الأجواد ، تهافتوا في نصرته ، ونصبوه ملكاً من غير تدبير في عاقبة الأمر ، الام يؤل ؟ وبعد أن يكون الملك في مملكة قد توورت وندولت ، ويكون في تلك المملكة قائد من قوادها ، قد شهرت عنه وقائع في العدو ، وظهر منه كرم نفس للأجناد ، ومراعاة ، قدموه ملكاً في حصن من الحصون ، ورفضوا عيالهم وأولادهم إن كان لهم ذلك بكرسي الملك ، ولم يزالوا في جهاد وتلاف أنفس ، حتى يظهر صاحبهم بطلته . وأهل المشرق أصوب رأياً منهم في مراعاة نظام الملك ، والمحافظة على نصابه ، لئلا يدخل الحلل الذي يقضى باختلال القواعد ، وفساد الترية ، وحل الأوضاع ، ونحن نمثل في ذلك بما شاهدناه .

لما كانت هذه الفتنة الأخيرة بالأندلس ، تخضت عن رجل من حصن يقال له أرجونة ، ويعرف الرجل بابن الأحمر ، كان يكثر مفاورة العدو من حصنه ، وظهرت له مخايل وشواهد على الشجاعة ، إلى أن طار اسمه في الأندلس ، وآل ذلك إلى أن قدمه أهل حصنه على أنفسهم ، ثم نهض فلك قرطبة العظمى ، وملك اشبيلية ، وقتل ملكها الباجي ، وملك جيان ، أحسن بلد بالأندلس ، وأجله قدراً في الامتناع ، وملك غرناطة ومالقة ، وسموه بأمير المسلمين . فهو الآن المشار إليه بالأندلس والمعتمد عليه

وأما قاعدة الوزارة بالأندلس فإنها كانت في مدة نبى أمية مشتركة في جماعة بينهم صاحب الدولة للاعانة والمشاورة ويخصهم بالمجالسة ، ويختار منهم شخصاً لسكران النائب المعروف بالوزير ، فيسميه بالحاجب ، وكانت هذه المراتب لضبطها

عندهم كالتوارثة في البيوت المألومة^(١) لذلك ، إلى أن كانت ملوك الطوائف ، فكان الملك منهم ، لعظم اسم الحاجب في لدولة الروانية ، وأنه كان نائباً عن خليفهم يسمّى بالحاجب^(٢) . ويرى أن هذه السمة أعظم ما تنوفس فيه وظفر به ، وهى موجودة فى أمداح شعرائهم وتوارىخهم ، وصار اسم الوزارة عاملاً لكل من يجالس الملوك ، ويختص بهم ، وصار الوزير الذى ينوب عن الملك ، يعرف بذى الوزارةين^(٣) ، وأكثر ما يكون فاضلاً فى علم الأدب ، وقد لا يكون كذلك ، بل عالماً بأمر الملك خاصة .

وأما الكتابة فهى على ضربين ، أعلماها كاتب الرسائل ، وله حظ فى القلوب والعيون عند أهل الأندلس ، وأشرف أسيانه السكاتب . وبهذه السمة يخصه من يعظمه فى رسالة . وأهل الأندلس كثير والانتقاد على صاحب هذه السمة ، لا يكادون يضلون عن عثراته لحظة ، فان كان ناقصاً عن درجات السكالك ، لم ينفعه جاهه ، ولا مكانه من سلطانه ، من تسلط الألسن ، والظمن عليه وعلى صاحبه .

والسكاتب الآخر كاتب الزمام^(٤) ، هكذا يعرفون كاتب الجهبذة ، ولا يكون

(١) مثل بنى أبى عبده وبنى حدبر وبنى شهيد وبنى جهور وغيرهم مما سياتى ذكره فى محله .

(٢) الحاجب فى زمن الحكم المستنصر كان فى يده جميع أمور المملكة . ولذلك عند ما مات ووراه ولد صغير هشام الثانى غلب الحاجب على الأمر ، وحجب الخليفة وأدى ذلك فيما بعد إلى الفتنة وسقوط الخلافة ، ولقد كان الناصر أبصر بالعواقب فأبقى المملكة بدون حجابة مدة ثلاثين سنة ووزع الأعمال بين وزرائه فراراً من حصر السلطة فى الحاجب

(٣) كان هذا اللقب من أوضاع بنى العباس ومعناه وزارة القلم ووزارة السيف وأول من لقب به فى الأندلس عبد الملك بن شهيد سنة ٣٢٧ فى دولة عبد الرحمن الناصر

(٤) ويقال له : صاحب الأشغال الحراجية ، وكانوا يقولون أحياناً لديوان المالبة ، وديوان الأزيمة ،

بالأندلس وبرّ المدوة ، لانصرانياً ولا يهوديا البتة ، إذ هذا الشغل نبيه ، يحتاج إلى صاحبه عظمه الناس ووجوههم . وصاحب الأشغال الخراجية في الأندلس أعظم من الوزير ، وأكثر اتباعاً وأصحاباً ، وأجدى منفعة ، فاليه تميل الأعناق ، ونحوه عند الأئمة ، والأعمال مضبوطة بالشهود والنظار .

ومع هذا إن تأملت حاله ، واعتدّ بكثرة البناء والاكتساب ، نكسك وصودر . وهذا راجع إلى تقلب الأحوال ، وكيفية السلطان

وأما خطة القضاء بالأندلس فهي أعظم الخطط عند الخاصة والعامّة ، لتعلقها بأمر الدين ، وكوث السلطان لو توجه عليه حكم حضر بين يدي القاضي ، هذا وصفها في زمان نبى أمية ومن سلك مسلّكهم ، ولا سبيل أن يتّسم بهذه السمة إلا من هو وال للحكم الشرعى في مدينة جليّة ، وإن كانت صغيرة ، فلا يطاق على حاكمها إلا مسدّد خاصة ، وقاضى القضاة يقال له قاضى القضاة وقاضى الجماعة .

وأما خطة الشرطة بالأندلس فإنها مضبوطة إلى الآن ، معروفة بهذه السمة ، ويعرف صاحبها في السنّ العامّة بصاحب المدينة ، وصاحب الليل ، وإذا كان عظيم القدر عند السلطان ، كان له القتل لمن وجب عليه دون استئذان السلطان ، وذلك قليل ، ولا يكون إلا في حضرة السلطان الأعظم . وهو الذى يحدّ على الزنا وشرب الخمر ، وكثير من الأمور الشرعية راجع إليه ، قد صارت تلك عادة تقرر عليها رضا القاضى ، وكانت خطة القاضى أوفر وأتق عند من ذلك .

وأما خطة الاحتساب فإنها عند من موضوعة في أهل العلم والفطن ، وكان صاحبها قاض ، والمادة فيه أن يمشى بنفسه راكباً على الأسواق ، وأعوانه معه ، وميزانه الذى يزن به الخبز في يد أحد الأعوان ، لأن الخبز عند من معلوم الأوزان ، للربح من الدرهم رغيّف ، على وزن معلوم . وكذلك للثمن ، وفى ذلك من المصلحة أن يرسل المتاع الصبى الصغير ، أو الجارية الرعاء ، فيستويان فيما يأتياه به من السوق مع الحاذق ، فى معرفة الأوزان .

وكذلك اللحم تكون عليه ورقة بسمره ، ولا يجسر الجزائر أن يبيع بأكثر
أو دون ما حد له المحتسب في الورقة ، ولا يكاد تخفى خيافته ، فإن المحتسب يدس عليه
صبياً أو جارية يتناع أحدهما منه ، ثم يختبر الوزن المحتسب ، فإن وجد نقصاً قاس على
ذلك حاله مع الناس ، فلا تسأل عما يلقى ! وإن كثر ذلك منه ، ولم ينب بعد الضرب
والتجريس في الأسواق نفي من البلد . ولهم في أوضاع الاحتساب قوانين يتداولونها
ويتدارسونها كما تدارس أحكام الفقه ، لأنها عندهم تدخل في جميع المناعات ، وتنفع
إلى ما يطول ذكره . وأما خطة الطواف بالليل وما يقابل من المغرب أصحاب أرباع في
المشرق ، فانهم يعرفون في الأندلس بالدرابين ، لأن بلاد الأندلس لها دروب باغلاق
تغلق بعد العتمة ، ولكل زقاق باث فيه له سراج معلق ، وكتب يسهر ، وسلاح ممد
وذلك لشطارة عامتها ، وكثرة شرم ، واعيانهم في أمور التلصص ، إلى أن يظهروا
على المباني المشيدة ، ويفتحوا الاغلاق الصعبة ، ويقتلوا صاحب النار ، خوف ان يقر
عليهم ، أو يطالبهم بعد ذلك ، ولا تكاد في الأندلس تخلو من سماع : دار فلان
ذخبت البارحة ، وفلان ذبحه الاصرص على فراشه . وهذا يرجع التكثير منه والتقليل
إلى شدة الوالى ولينه ، ومع افراطه في الشدة ، وكون سيفه يقطر دما ، فإن ذلك لا يدم
وقد آل الحال عندهم إلى أن قتلوا على عنقود سرقه شخص من كرم ، وما أشبه ذلك
ولم ينته اللصوص .

وأما قواعد أهل الأندلس في ديانتهم فانها تختلف بحسب الاوقات والنظر إلى
السلطين ، ولكن الاغلب عندهم اقامة الحدود ، وإنكار التهاون بتعطيلها ، وقيام
العامة في ذلك وإنكاره ، ان تهاون فيه أصحاب السلطان ، وقد يلج السلطان في شيء
من ذلك ولا ينكره ، فيدخلون عليه قصره المشيد ، ولا يعثون بجنيه ورجله ، حتى
يخرجوه من بلدهم . وهذا كثير في أخبارهم .

وأما الرجم بالحجر للقضاة والولاة للاممال ، إذا لم يمدلوا ، فكل يوم . وأما طريقة
الفقراء على مذهب أهل الشرق في الدورة التي تنكسل عن الكدة ، وتخرج الوجوه

للطلب في الاسواق فستقبحة عندهم الى النهاية . واذا رأوا شخصاً صحيحاً قادراً على الخدمة يطلب ، سبوه وأهانوه ، فضلا عن أن يتصدقوا عليه ، فلا تجد بالاندلس سائلا إلا أن يكون صاحب عذر .

وأما حال أهل الاندلس في فنون العلوم فتحقيق الانصاف في شأنهم في هذا الباب أنهم احرص الناس على التميز ، فالجاهل الذي لم يوقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعة ، ويربأ بنفسه أن يرى فارغاً ، عالة على الناس ، لأن هذا عندهم في نهاية القبح . والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة ، يشار اليه ، ويحال عليه ، ويذبه قدره وذكره عند الناس ، ويكرم في جوار أو ابتياع حاجة وما أشبه ذلك . ومع هذا فليس لأهل الاندلس مدارس تمينهم على طلب العلم ، بل يقرأون جميع العلوم في المساجد بأجرة ، فهم يقرأون لأن يملوا ، لا لأن يأخذوا جاريا . فالعالم منهم بارع لأنه يطلب ذلك العلم يباعث من نفسه ، يحمله على أن يترك الشغل الذي يستفيد منه ، وينفق من عنده ، حتى يعلم ، وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء ، إلا الفلسفة والتنجيم ، فان لها حظاً عظيماً عند خواصهم ، ولا يتظاهرون بها خوف العامة ، فانه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة ، أو يشتغل بالتنجيم ، اطاعت عليه العامة اسم زنديق ، وقيدت عليه أنفاسه ، فان زل في شبهة رجوه بالحجارة ، أو حرقوه قبل أن يصل أمره لاسلطان ، أو يقتله السلطان تقربا لقلوب العامة . وكثيراً ما يأمر ملوكهم باحراق كتب هذا الشأن اذا وجدت ، وبذلك تقرّب المنصور بن أبي عامر لقلوبهم أول نهوضه ، وإن كان غير خال من الاشتغال بذلك في الباطن ، على ما ذكره الحجاري ، والله أعلم .

وقراءة القرآن^(١) بالسبع ورواية الحديث عندهم ربيعة ، وللقه رونق ووجاهة

(١) ما رأيت في التاريخ بلداً من بلدان الاسلام يعنى أهله بقراءة القرآن بوجهها أكثر من الاندلس

ولامذهب لهم إلا مذهب مالك^(١)، وخواصهم يحفظون من سائر المذاهب ما يباحثون به بمحاضر ملوكهم ذوى الهمم فى العلوم . وسمة الفقيه عندهم جليلة ، حتى ان المسلمين كانوا يستقون الامير العظيم منهم الذى يريدون تنويهه بالفقيه ، وهى الآن بالمغرب بمنزلة القاضى بالمشرق ، وقد يقولون للكاتب والنحوى واللغوى فقيه ، لأنها عندهم أرفع السمات^(٢) . وعلم الاصول عندهم متوسط الحال . والنحو عندهم فى نهاية من علو الطبقة ، حتى أنهم فى هذا العصر فيه منهم كأصحاب عصر الخليل وسيبويه ، لا يزداد مع هرم الزمان إلا جدة ، وهم كثيرو البحث فيه وحفظ مذاهبه ، كذاهب الفقه . وكل عالم فى أى علم لا يكون متمكنا من علم النحو ، بحيث لا تخفى عليه

(١) كان أهل الأندلس لأول الفتح على مذهب الامام الأوزاعى إمام أهل الشام الذين كانت لهم اليد الطولى فى فتح الأندلس ، وكانت الدولة الأموية تعول عليهم قبل الجميع ، وبنى الأندلسيون على مذهب الأوزاعى إلى زمن هشام بن عبد الرحمن الداخل فى ذلك الوقت رحل زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي المعروف بشبطون إلى الشرق ، وسمع من مالك كتابه الموطأ ورحل جماعة غير شبطون كقرعوس بن العباس وعيسى بن دينار ، وسعيد بن أبى هند ، وغيرهم ممن رحل إلى الحج ، فلما رجعوا إلى الأندلس وصفوا من فضل مالك ، وسمة علمه وجلالة قدره ، ما عظم به صيته بالأندلس وكان رائدهم فى ذلك شبطون ، وهو أول من أدخل موطأ مالك إلى الأندلس مكلا متقنا . وقيل إن الامام مالك رضى الله عنه سأل بعض الحجاج الأندلسيين عن سيرة ملك الأندلس فوصفوا له سيرة الأمير هشام بن عبد الرحمن وأثنوا له عليه وكان مالك غير راض عن سيرة بنى العباس ولا سما بعد أن فعل أبو جعفر المنصور بدعوة المدينة الافاعيل من الحبس والامانة فقال الامام مالك للأندلسيين : نسال الله أن يزين حرمنا بمنزل ملككم . فوصل الخبر إلى الأمير هشام مع ما علم من جلالة مالك وورعه لحمل الناس على مذهبه ، وقد ذكرنا هذه القصة برواياتها فى حواشينا على كتاب محاسن المسامى فى مناقب الامام أبى عمرو الأوزاعى ، الذى طبعا من ثلاث سنوات فى نساء فليراجعها فى ذلك الكتاب .

(٢) لم يبرح هذا الاصطلاح فى المغرب إلى اليوم .

الدقائق ، فإيس عندهم يستحق للتمييز ، ولا سالم من الازدراء ، مع ان كلام أهل الاندلس الشائع في الخواص والعموم كثير الانحراف عما تقتضيه أوضاع العربية ، حتى لو أن شخصاً من العرب سمع كلام الشلويني أبي علي المشار اليه بلم الذوق في عصرنا الذي غرّبت تصانيفه وشرّفت ، وهو بقرى . درسه ، لضحك بمل . فيه ، من شدة التحريف الذي في لسانه . والخاص منهم اذا تكلم بالاعراب وأخذ يجرى على قوانين النحو استثقلوه واستبردوه ^(١) ، ولكن ذلك مراعى عندهم في القراءات والمحاطبات في الرسائل . وعلم الادب المنشور من حفظ التاريخ والنظم والنثر ، ومستطرفات الحكايات ، أنبل علم عندهم ، وبه يتقرب من مجالس ملوكهم واعلامهم ومن لا يكون فيه أدب من علمائهم فهو غفل مستقل . والشعر عندهم له حظ عظيم وللشعراء من ملوكهم وجاهة ، ولهم عليهم حظ ووظائف ، والمجيدون منهم يشدون في مجالس عظام . ملوكهم المختلفة ، ويوقع لهم بالصلات على أقدارهم ، إلا أن يختل الوقت ، ويناب الجهل في حين ما ، ولكن هذا الغالب . وإذا كان الشخص بالاندلس نحوياً أو شاعراً فإنه يعظم في نفسه لاجالة ، ويستخف ويظهر العجب ، عادة قد جيلوا عليها .

وأما زى أهل الأندلس فالغالب عليهم ترك المأمم ، لاسيا في شرق الأندلس ، فان أهل غربها لا تكاد ترى فيهم فاضياً ولا قبيحاً مشاراً إليه إلا وهو بجماعة . وقد تسامحوا بشرقها في ذلك . ولقد رأيت عزيزين خطاب ، أكبر عالم بحرسية حضرة السلطان في ذلك الأوان ، وإليه الاشارة ، وقد خطب له بالملك في تلك الجهة : وهو حاسر الرأس ، وشبيه قد غلب على سواد شعره .

وأما الأجناد وسائر الناس فقليل منهم من تراه بجمعة ، في شرق منها أو في غرب وابن هود الذي ملك الأندلس في عصرنا ، رأيت في جميع أحواله ببلاد الأندلس وهو دون عمامة ، وكذلك ابن الأحمر الذي معظم الأندلس الآن في يده ، وكثيراً

(١) ولا أظن هذا الاستقلال خاصاً بأهل الأندلس

ما يتزيا سلاطينهم وأجنادهم بزى النصارى المجاورين لهم^(١)، فسلاحتهم كسلاحتهم،

(١) قال ابن خلدون رحمه الله في مقدمته تحت عنوانه إن المغلوب مولع أبداً بالاعتداء بالغالب في شعاره وزيه ونمطه وسائر أحواله وعوائده: إن النفس أبداً تمتد الكمال في من غلبها وانفادت إليه، إما لظنه بالكمال بما وفر عندها من تعظيمه أو لما تغالط به من أن اقتيادها ليس لغلب طبيعي، وإنما هو لكمال الغالب، فإذا غالطت بذلك واتصل لها، حصل اعتقاداً، فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به، وذلك هو الاعتداء. أو لما تراه، والله أعلم، من أن غلب الغالب لها ليس بمصيبة ولا قوة بأس، وإنما هو بما انتحله من العوائد والمذاهب، تغالط أيضاً بذلك عن الغلب، وهذا راجع للاول. ولذلك ترى المغلوب ينتسب أبداً بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها وأشكالها، بل وفي سائر أحواله، وأظهر ذلك في الأبناء مع آبائهم، فكيف تجدم متشبهين بهم دائماً؟

وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمال فيهم. وانظر إلى كل قطر من الأقطار كيف يغلب على أهله زى الحامية وجند السلطان في الأكثر، لأنهم الغالبون لهم، حتى إنه إذا كانت أمة تجاور أخرى، ولها الغلب عليها، فيسرى إليهم من هذا التشبه والاعتداء حظ كبير كما هو في الأندلس لهذا العهد مع أمم الجلائفة فانك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم وأحوالهم، حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت، حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء والأمر لله اه.

قلت وقد نظرنا هذا بأعيننا في الأعصر الأخيرة عند ما ظهر غلب الغرب على الشرق بأسباب كثيرة ليس هنا موضع ذكرها فتهاقت ولاية الأمور في الشرق على تقليد الأوربيين لاني اتقان العلوم والصناعات وتنظيم أحوال الاجتماع وتسديد أمور الملك فقط، مما هو واجب حتماً، بل تهاقتوا على تقليدهم في أزيائهم وملابسهم وما كلهم ومشاربهم

وبدأ ذلك في أيام السلطان محمود الثاني. ولكن لم يبلغ في وقت من الأوقات حب هذا الاعتداء ما بلغه في هذا العصر، لا سيما بعد الحروب العامة، فما كادت تزكية وإيران تسترجعان استقلالهما، حتى بدأنا بالنتسب بالأوربيين في الدقيق والجليل

وأقبيتهم في الأشكر لاط وغيره كأقبيتهم ، وكذلك أعلامهم وسروجهم . ومحاربتهم بالتراس والرماح الطويلة للاطمن ، ولا يعرفون الدبايس ، ولا قسى العرب ، بل يعدون قسى الافرنج للمحاصرات في البلاد ، أو تكون للرجالة عند المصافاة للحرب ، وكثير ما تصبر الخيل عليهم أو تمهلهم لان يؤثروها .

ولا تجد في خواص الأندلس وأكثر عوامهم من يمشى دون طيلسان ، إلا أنه لا يضعه على رأسه منهم إلا الأشياخ المظلمون . وغفائر الصوف كثيراً ما يلبسونها حمراً وخضراً ، والصفرة مخصصة باليهود ، ولا سبيل لليهودى أن يتمم البتة . والنزابة لا يرخيها إلا العالم ، ولا يصرفونها بين الأكتاف ، وإنما يسدلونها من تحت الاذن اليسرى ، وهذه الأوضاع التى بالشرق فى العائم لا يدرها أهل الأندلس ، وإن رأوا فى رأس مشرقى داخل إلى بلادهم شكلا منها أظهر وا تعجب والاستظراف ، ولا يأخذون أنفسهم بتعليقها ، لأنهم لم ينادوا ولم يستحسنوا إلا أوضاعهم . وكذلك فى تفصيل الثياب .

وأهل الأندلس أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون ، وغير ذلك مما يتعلق بهم ، وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته يومه ، فيطوبه صائماً ،

والكلى والجزقى وأصدرت الحكومة التركية أوامرها بلبس القبعة حتما . ودقت مئات من الاعناق على مجرد الاعتراض عليها . وجعلت الأحرف اللاتينية مكان الأحرف العربية رغم ان كتابة التركية بالأحرف اللاتينية قد انحرفت هذه اللغة عن لهجتها الاصلية ، واستبدلت بها لغة غير الاولى ، ولم يكتفوا بهذا حتى أرادوا حمل الأتراك على طمس معالم كل قديم ، وتحدثوا بالفاء التاريخ التركى من أصله ، ومنوا الالحان الشرقية وآلات الطرب الشرقى ، وتبدلوا بها الموسيقى الاوربية ، وكادوا ينتقلون الى منع المآكل الشرقية لو لم تكن الاذواق أصعب مراسا من غيرها ، وكل هذا من باب اقتداء المغلوب بالغالب ، مما أشار اليه امام علم الاجتماع ابن خلدون رحمه الله ، وليس فى الحقيقة بضرورة من الضرورات ، ولقد ترقى اليابانيون ، وبلغوا مبالغ الاوربيين فى كل شىء ، وربما بذوهم ، ولم يزالوا يابانيين فى اذواقهم وعاداتهم ، وماخذهم ومشاركهم ، وكل شىء توارثوه عن آباؤهم

ويبتاع صابوناً يفسل به ثيابه ، ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها . وهم أهل احتياط وتديير في المعاش ، وحفظ لما في أيديهم ، خوف ذل السؤال ، فذلك قد ينسبون للبخل . ولهم مروآت على عادة بلادهم ، لو فطن لما حاتم لفضل دقائقها على عظائمه . ولقد اجتزت مع والدي على قرية من قراها ، وقد نال منا البرد والمطر أشد النيل ، فأويننا إليها وكنا على حال ترقب من السلطان ، وخلقوا من الرضاية ، فزلنا في بيت شيخ من أهلها من غير معرفة متقدمة فقال لنا : إن كان عندكم ما اشتري لكم فخبأ تسخنون به ، فإني أمضي في حوائجكم ، وأجعل عيالي يقومون بشأنكم ، فأعطيناه ما اشتري به فخا . فأضرم ناراً ، فجاء ابن له صغير ليصطلي ، فضربه ، فقال له والدي : لم ضربته ؟ فقال : يتعلم استغنام أموال الناس ، والضجر للبرد من الصفر . ثم لما جاء النوم قال لابنه : اعط هذا الشاب كساءك التليظة يزيد بها على ثيابه . فدفعت كساءه إلي . ثم لما قمنا عند الصباح وجدت الصبي منتبهاً ، ويده في الكساء ، فقلت ذلك لوالدي فقال : هذه مروآت أهل الأندلس ، وهذا احتياطهم أعطاك الكساء وفضلك على نفسه ، ثم أفكر في أنك غريب ، لا يعرف هل أنت ثقة أو لص ، فلم يطب له منام حتى يأخذ كساءه ، خوفاً من انفصالك بها وهو نائم . وعلى هذا الشيء الحقيق قفس الشيء الجليل .

انتهى كلام ابن سعيد في المغرب باختصار يسير . والله درّه ، فانه أبدع في هذا الكتاب ما شاء ، وقسمه إلى أقسام ، منها كتاب وشي الطرس ، في حلى جزيرة الأندلس . وهو ينقسم إلى أربعة كتب : الكتاب الأول : كتاب حلى المرس ، في حلى غرب الأندلس . الكتاب الثاني كتاب الشفاء اللمس ، في حلى موسطة الأندلس . الكتاب الثالث : كتاب الأونس ، في حلى شرق الأندلس . الكتاب الرابع كتاب لحظات المررب ، في ذكر ما حماه من الأندلس عبّاد الصليب .

والقسم الثاني كتاب الأملحان المسلية في حلى جزيرة صقلية . وهو أيضاً ذو أنواع . والقسم الثالث : كتاب الغاية الاخيرة في حلى الارض الكبيرة . وهو

أيضاً ذو أقسام . وصور رحمه الله تعالى أجزاء الأندلس في كتاب وثى الطرس . وقال أيضاً : إن كلاماً من شرق الأندلس وغربها ووسطها يقرب في قدر المساحة بعضه من بعض ، وليس فيها جزء يجاوز طوله عشرة أيام ليصدق التثليث في القسمة ، وهذا دون ما بنى بأيدي النصارى . وقدّم رحمه الله كتاب حلى المرس ، في حلى غرب الأندلس ، لكون قرطبة قطب الخلافة الروانية ، واشبهاية التي ما في الأندلس أجل منها فيه . وقسمه إلى سبعة كتب ، كل كتاب منها يحتوي على مملكة منحازة عن الأخرى . الكتاب الأول : كتاب الحلة المذهبة ، في حلى مملكة قرطبة . الكتاب الثاني : كتاب الذهبية الأصيلية ، في حلى المملكة الاشبيلية . الكتاب الثالث : كتاب خدع المرافقة ، في حلى مملكة مالقة . الكتاب الرابع : كتاب الفردوس ، في حلى مملكة بطليوس . الكتاب الخامس : كتاب الخلب ، في حلى مملكة شلب . الكتاب السادس : كتاب الديباجة ، في حلى مملكة باجة . الكتاب السابع : كتاب الرياض المصونة ، في حلى مملكة اشبونة . وقد ذكر رحمه الله تعالى في كل قسم ما يليق به ، وصور أجزاءه على ما ينبغي . فالحمد لله بما جاز به خيراً ، والكلام في الأندلس طويل عريض .

وقال بعض المؤرخين : طول الأندلس ثلاثون يوماً ، وعرضها تسعة أيام ، ويشقها أربعون نهراً كباراً ، وبها من العيون والحمامات والمعادن ما لا يحصى ، وبها ثمانون مدينة من القواعد الكبار ، وأزيد من ثلثمائة من المتوسطات ، وفيها من الحصون والقرى والبروج ما لا يحصى كثرة ، حتى قيل إن عدد القرى التي على نهر اشبيلية اثنا عشر ألف قرية . وليس في معمر الأرض صقع يجد المسافر فيه ثلاث مدن وأرباباً من يومه إلا بالأندلس .

ومن بركتها أن المسافر لا يسافر فيها فرسخين دون ماء أصلاً . وحيثما سار في الاقطار يجد الحوانيت في الغلات والصحارى والأودية ورؤس الجبال لبيع الخبز والفواكه والخبز واللحم والحوت وغير ذلك من ضروب الأطعمة .

وذكر صاحب الجغرافيا أن جزيرة الأندلس مسيرة أربعين يوماً طويلاً، في ثمانية عشر يوماً عرضاً، وهو مخالف لما سبق. وقال ابن سيده: أخذت الأندلس في عرض الاقليمين الخامس والسادس من البحر الشامي في الجنوب، إلى البحر المحيط في الشمال، وبها من الجبال سبعة وثمانون جبلاً ٥١. ولبعضهم:

لله أندلسٌ وما جمعت بها من كلِّ ما ضمنت لها الاهواء
فكأنما تلك الديار كواكبٌ وكأنما تلك البقاع سما.
وبكل قطرٍ جدولٌ في جنفٍ ولت به الأفياء والأنداء
وقال آخر:

حبذا أندلسٌ من بلدٍ طائرٌ شادٍ، وظلٌّ وارِفٌ
لم نزلْ نُنتجُ لى كلِّ سرورٍ ومياهٌ سابحاتٌ في قصورٍ

وقال آخر:

يا حسنَ أندلسٍ وما جمعت لنا فيها من الاوطارِ والاطانِ
تلك الجزيرة لست أنسى حُسنها بتعاقبِ الأحيانِ والازمانِ
نَجِّجَ الربيعُ نَبأَها من سُندسٍ موشيةٍ ببدائعِ الالوانِ
وغدا الذسيمُ بها عليلاً هانماً برُبوعِها ، وتلاطمُ البحرانِ
ياحُسنِها والطلُّ ينثرُ فوقها دُرّاً خلالَ الوردِ والريحانِ
وسواعدُ الانهارِ قد مُدت الى نُدَمَها بشقائقِ النمانِ
وتجاوبتُ فيها شواذى طيرها والتفتُ الاغصانُ بالاغصانِ
ما زُرُتها إلا وحياني بها حدقُ البهارِ وأنملُ السوسانِ
من بدوها ما أعجبتني بلدةٌ مع ما حللتُ به من البلدانِ

وحكى بعضهم ان بالجامع في مدينة اقلش بلاطاً فيه جوائز منشورة مربعة

مستوية الاطراف ، طول الجائزة منها مائة شبر وأحد عشر شبراً . وفي الاندلس جبل من شرب من مائه كثر عليه الاحتلام من غير ارادة ولا تفكر ، وفيها غير ذلك مما يطول ذكره . والله أعلم . انتهى .

ماقاله المسعودى فى مروج الذهب عن الاندلس

وصاحب الاندلس كان يدعى لذريق ، هذا كان اسم ملوك الاندلس ، وقد قبل انهم كانوا من الاسبان ، وهم أمة من ولد يافث ابن نوح ، واتصلت هنالك ، والاشهر عند من سكن الاندلس من المسلمين ان لذريق كان من ملوك الاندلس الجلالة ، وهم نوع من الافرنجة ، وأخو لذريق الذى كان بالاندلس قتله ^(١) طارق مولى موسى بن نصير حين افتتح بلاد الاندلس ، ودخل الى مدينة طليطلة ، وكانت قصبة الاندلس ودار مملكتهم ، ويشقها نهر عظيم يدعى تاجه ، يخرج من بلاد الجلالة « والوسقيد » ^(٢) وهى أمة عظيمة ، لهم ملوك ، وهم حرب لاهل الاندلس

(١) لا نعلم لماذا قال المسعودى ان أخا لذريق هو الذى قتله طارق بن زياد ، على حين أن الرواية المشهورة هى أن لذريق نفسه هو الذى قتل فى المعركة التى وقعت بين المسلمين والاسبانول ، وبها انهار ملك القوط بالاندلس ، وقد جاء فى كتاب أخبار مجموعة ، الذى هو أول تاريخ للاندلس بعد أن انهزم لذريق . وفى أخبار مجموعة يقول رذريق ، وهى أقرب إلى الأصل - لم يدر أين وقع ، إلا أن المسلمين وجدوا فرسه الأبيض ، وكان عليه سرج له من ذهب مكال بالياقوت والزبرجد ، ووجدوا حلة من ذهب مكللة بالدر والياقوت ، وقد ساخ الفرس فى الطين ، وفى السواخ وقع فيه وغرق الملح ، فلما أخرج رجله ثبت الخف فى الطين ، واقه أعلم ما كان من أمره ، لم يسمع له خبر ، ولا وجد حياً ولا ميتاً . انتهى .

وقد جاء فى بعض تواريخ الاسبان أن لذريق لم يقتل فى المعركة ، وأنه فر إلى شمال اسبانية ، وبقي يقاتل المسلمين إلى أن مات ، ولكن الرواية الغالبة هى أن لذريق قتل فى المعركة .

(٢) هذه اللفظة محرفة بالنسخ ولا شك بأن مراد المسعودى ، بها أمة الباسك أو الباشكونس وكان يقال لهم قديماً Vascongados

كالجلائقة والافرنجة . ويصب هذا النهر في البحر الرومي ^(١) وهو موصوف بأنه من أنهار العالم ، وعليه على بصد من طليطلة قنطرة عظيمة تدعى قنطرة السيف ، بنتها الملوك السالفة ، وهي من البنيان المذكور والموصوف ، أعجب من قنطرة سنجة ^(٢) من الثغر الجزرى ، مما على سميساط من بلاد سرحة .

ومدينة طليطلة ذات منعة ، وعليها أسوار منيعة ، وأهلها بمد أن فتحت وصارت لبني أمية قد كانوا عصوا على الامويين ، فأقامت مدة سنين ممتمة ، لا سبيل للامويين إليها فلما كان بعد الخمس عشرة وثلاثمائة ، فتحها عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وعبد الرحمن هذا هو صاحب الأندلس في هذا الوقت ، ^(٣) وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وقد كان غير كثير من بنيان هذه

(١) أخطأ المسعودى في قوله أن نهر تاجه ينصب في البحر الرومي ، والحقيقة أن مصبه في المحيط الاطلانطىكى ، ولعله وقع منه سهو لحسب نهر تاجه هو نهر إيره الذى يمر بسرقة ، فان هذا ينصب في البحر الرومي .

(٢) لعله أراد سنجار ، لأننا لا نعلم بلداً اسمه سنجة في بلاد الجزيرة : وأما سنجار فهى منها وهى على نهر . ويوجد بلدة يقال لها سنجة ، والمعجم تقول لها سنكة ولكنها ليست في الثغر الجزرى ، بل في خراسان ، ويقال لبلادها الفور . وقد كنا نقول لعل في جملة الثغر الجزرى ، تصحيحاً ، وحقها أن تكون « الثغر الجزرى » نسبة إلى بحر الحزر ولكن يبنى ذلك قوله « مما على سميساط ، والحال أن سميساط هى مدينة من الثغر الجزرى بالمعجم . فأما بلاد « سرحة » فلم نجد لها ذكر في بلاد الجزيرة . وإنما يوجد سرحة في اليمن : فالصحيح أنها سرحة بنقطة وهى بقرب سميساط ، على شاطيء الفرات كما ذكر ياقوت في معجم البلدان .

(٣) أهم شئ في التاريخ ، وهو الذى يقرب الوقائع الى الذهن ، ويجعل القارىء كأنه يراها بعينه ، هو أن يكون المؤرخ معاصراً للأشخاص الذين يفهم ، وللوقائع التى يروها ، لا سيما إذا كانوا من الرجال المشهورين في التاريخ ، أو كانت الوقائع

المدينة حين افتتاحها . وصارت دار مملكة الاندلس قرطبة الى هذا الوقت .

ومن قرطبة الى مدينة طليطلة نحو من سبع مراحل ، ومن قرطبة الى البحر مسيرة نحو من ثلاثة أيام . ولهم على بحر تونس من الساحل مدينة يقال لها اشبيلية . وبلاد الاندلس مسيرة عاثرها ومدنها نحو من شهرين ، ولهم من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة . وتدعى بنو أمية الخلائف ، ولا يخاطبون بالخلفاء ، لأن الخلافة لا يستحقها عندهم إلا من كان مالكا للحرمين ، غير أنه يخاطب بأمر المؤمنين^(١)

التي يتحدثون عنها من الحوادث التي اشتهر خبرها : فالمسعودي ، كابن حوقل ، كان معاصرا للخليفة العظيم عبد الرحمن الناصر وهو يكتب تاريخه هذا سنة ٣٣٢ ، أي بعد أن خرج ابن حوقل في سياحته ، وبدأ بكتابه ، بسنة واحدة : والواقعة التي يحص فيها المسلمون في زمان عبد الرحمن في بلاد الجلالة عند مدينة سمورة ، وذكر المسعودي وقوعها سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وقتل فيها من المسلمين أربعين ألفاً ، وقيل خمسون ألفاً هذه نفسها جاء خبرها في كتاب أخبار مجموعة ، ولكنه جعلها في عام ستة وعشرين وثلاثمائة ، ولم يذكر عدد شهداء المسلمين فيها ، وإنما قال انهم هزموا أقيح هزيمة وانبهم العدو أياما بأسروهم ويقتلونهم في كل محلة فلم يكذب ينجو منهم إلا قوم جمعوا أمهاتهم على الويتهم ، وتخلصوا إلى بلدانهم . ثم إن المسعودي يذكر أن الثغرى بين المسلمين والأفريج سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، كان طرطوشة ، على ساحل البحر الرومي ، ثم يذكر غارات الجوس على الأندلس .

ثم هناك تقطع ذات بال وهي أن من ملك الحرمين الشريفين يحق له أن يدعى الخلافة . وهي من النظريات التي كانت تدور في ذلك العصر ، ولا تزال إلى يوم الناس هذا .

(١) ستعلم أن عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر عاد فنادى بنفسه خليفة ، وأطلق عليه مسلوب الأندلس هذا اللقب ، وذلك بعد أن ضعف شأن الخلافة العباسية واستبد بهم الأعاجم ، وتصعدت وحدة المملكة العربية . فرأى عبد الرحمن نفسه جديرا بالخلافة ، ولم يكبر ذلك أحد ، لانه كان أعظم ملوك عصره في عالمي الاسلام والثصرانية وسار على خطه ابنه الحكم الملقب بالمستنصر ، ولكن خلف من بعدهما خلف أضاعوا الخلافة ، وكان ذلك مبدأ ضياع الأندلس .

وقد كان عبد الرحمن بن معاوية ، أو هشام بن عبد الملك بن مروان سار إلى الأندلس في سنة تسع وثلاثين ومائة ، فلسها ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر . ثم هلك فلسها ابنه هشام بن عبد الرحمن سبع سنين . ثم ملكها ابنه الحكم بن هشام نحواً من عشرين سنة ، وولده ولانها إلى اليوم ، على ما ذكرنا أن صاحبها عبد الرحمن ابن محمد . وولى عبد الرحمن في هذا الوقت فتاه الحكم ، وكان أحسن الناس سيرة وأجملهم عدلاً . وقد كان عبد الرحمن صاحب الأندلس في هذا الوقت المقدم ذكره غزاة سنة سبع وعشرين وثلاثمائة في أزيد من مائة ألف فارس من الناس ، فنزل على دار مملكة الجلائقة ، وهى مدينة يقال لها سمورة ، عليها سبعة أسوار من عجيب البنيان ، قد أحكمها الملوك السالفة ، بين الأسوار فصلان وخنادق ، ومياه واسعة ، فافتتح منها سورين ، ثم ان أهلها ثاروا على المسلمين ، فقتلوا منهم ، بمن أدرك الاحصاء ، وعن عرف ، أربعين ألفاً ، وقيل خمسين ألفاً . وكانت للجلائقة والوسكيد على المسلمين وآخر ما كان بأيدي المسلمين من مدن الأندلس وثغورها مما بلى الافرنجة مدينة أربونة ، خرجت عن ايدي المسلمين من مدائن الأندلس وثغورها سنة ثلاثين وثلاثمائة ، مع غيرها مما كان في أيديهم من المدن والحصون . وبقى ثغر المسلمين في هذا الوقت ، وهو سنة ست وثلاثين وثلاثمائة من شرقى الأندلس ، طرطوشة ، وعلى ساحل بحر الروم مما بلى طرطوشة آخذاً في الشمال « افراغة »^(١) على نهر عظيم ، ثم لاردة . ثم بلغنى عن هذه الثغور أنها تلاقى الافرنجة وهى أصبىق مواضع الأندلس . وقد كان قبل الثلاثمائة ورد إلى الأندلس مراكب في البحر فيها ألوف من الناس أغارت على سواحلهم ، زعم أهل الأندلس أنهم ناس من الجوس^(٢) ، تطراً إليهم في هذا البحر في كل مائتين

(١) Fraguas ومن عادة العرب أن يحملوا ألفاً قبل الاسم حتى لا يبدأوا بالساكن وقد قبل في طرابلس اطرابلس وفي غرناطة اغرناطة وفي فراغة افراغة ولها نظائر .

(٢) هؤلاء هم النورمندیون وكانوا وقتئذ مجوساً

من السنين ، وأن وصولهم إلى بلادهم من خليج يعترض من بحر أوقيانوس ، وليس بالخليج الذي عليه المنارة النحاس . وأرى ، والله أعلم ، أن هذا الخليج متصل ببحر مانطش^(١) ونيطش ، وأن هذه الأمة هم الروس الذين قدمنا ذكرهم في ماساف من هذا الكتاب ، إذ كان لا يقطع هذه البحار المتصلة ببحر أوقيانوس غيرهم

قول القلقشندي في صبح الأعشى عن الأندلس

قال في الجزء الخامس تحت عنوان « الملكة السادسة من ممالك بلاد المغرب جزيرة الأندلس » قال في تقويم البلدان : وجزيرة الأندلس على شكل مثلث : ركن جنوبي غربي ، وهناك جزيرة قادس ، وفم بحر الزقاق . وركن شرقي ، بين طرّة كونة ، وبين برشلونة ، وهي في جنوبيه ، والقرب من بلنسية وطرطوشة وجزيرة ميورقة . وركن شمالي بميلة إلى البحر المحيط ، حيث الطول عشر درجات ودقائق ، والمرض ثمان وأربعمون . وهناك بالقرب من الركن المذكور مدينة شنتياقوه ، وهي على البحر المحيط في شمالي الأندلس وغربها . قال : والضلع الأول من الركن الجنوبي الغربي - وهو عند جزيرة قادس - إلى الركن الشرقي الذي عند ميورقة ، وهذا الضلع هو ساحل الأندلس الجنوبي الممتد على بحر الزقاق . والضلع الثاني من الركن الشرقي المذكور إلى الركن الشمالي الذي عند شنتياقوه . وهذا الضلع هو حد الأندلس الشمالي ، ويمتد على الجبل المعروف بجبل البرت^(٢) ، الحاجز بين الأندلس وبين أرض تعرف بالأرض الكبيرة . وعلى ساحل الأندلس الممتد على بحر برّديل . والضلع الثالث من الركن الشمالي المذكور إلى الركن الجنوبي المقدم الذكر ، وهذا الضلع هو ساحل الأندلس الغربي الممتد على البحر المحيط .

La Manche (١)

(٢) وربما قال العرب البرتات ، وهي لفظة افرنجية معناها الأبواب وهذا الجبل هو البرانس أو البيرانة .

قال ابن سعيد : قال الجباري : وطول الأندلس من جبل البرت الفاصل بين الأندلس والأرض الكبيرة ، وهو نهاية الأندلس الشرقية إلى اشبونة ، وهي في نهاية الأندلس الغربية ، الف ميل . وعرض وسطه ، من بحر الزقاق إلى البحر المحيط ، عند طليطلة وجبل البرت ، ستة عشر يوماً . قال في تقويم البلدان : وقد قيل : إن طوله غرباً وشرقاً من اشبونة ، وهي في غرب الأندلس إلى أربونة ، وهي في شرق الأندلس ، مسيرة ستين يوماً ، وقيل : شهر ونصف . وقيل : شهر . قال : وهو الأصح .

واعلم أن جبل البرت المقدم ذكره متصل من بحر الزقاق إلى البحر المحيط ، وطوله أربعون ميلاً ، وفيه أبواب فتحها الأوائل ، حتى صار للأندلس طريق في البر من الأرض الكبيرة ، وقبل فتحها لم يكن للأندلس من الأرض الكبيرة طريق . وفي وسط الأندلس جبل ممتد من الشرق إلى الغرب ، يقال له جبل الشارة ، يقسمه بنصفين : نصف جنوبي ونصف شمالي هـ . ثم ذكر القلقشندي أهم حواضر الأندلس وسنأثر عنه ما نجد جديراً بالنقل ، وذلك عند وصولنا إليها .

مقالة ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب

في سنة أربع وثمانين افتتح موسى بن نصير أوردية من المغرب ، وبلغ عدد السبي خمسين ألفاً . هـ . سمى الأندلس أوردية ، من باب تسمية البعض بأسم الكمل وذكر في حوادث سنة ٨٧ فتح سردانية من المغرب . وفي حوادث ٨٩ فتح جزيرتي ميورقة ومنورقة . وقال عن حوادث ٩٢ : فيها افتتح إقليم الأندلس على يد طارق مولى موسى بن نصير ، وتم موسى فتحه في ثلاث سنوات . وذكر في حوادث سنة ١٧٢ موت صاحب الأندلس أبي المطرف عبد الرحمن بن معاوية بن الخليفة هشام بن عبد الملك الأموي الدمشقي المعروف بالداخل وقال إنه : فرّ إلى المغرب عند زوال دولتهم ، قامت معه الجمانية ، وحارب يوسف الفهري ، متولى

الأندلس ، وهزمه ، وملك قرطبة في يوم الأضحى سنة ثمان وثلاثين ومائة .
وامتدت أيامه ، وكان عالماً ، وحسن السيرة ، وعاش اثنتين وستين سنة . وولى بعده
ابنه هشام ، وبقيت الأندلس لقبه إلى حدود الأربعمائة الخ .

قول المقدسى في جغرافيته الشهيرة المسماة

« أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم »

ذكر المقدسى الأندلس في جملة إقليم المغرب ، بدأ بإفريقية ، أى مملكة تونس
الحاضرة ، وتقدم إلى المغرب الأوسط ، وكان يسمى في ذلك اوقت إقليم تاهرت
ثم تقدم إلى سجلماسة ، وفاس ، والسوس الأقصى . ثم ذكر جزيرة صقلية ، وبعد
أن عدد مدنها بدأ بالأندلس فقال : وأما الأندلس فنظيرها هيطل من جانب
المشرق ، غير أننا لم نتف على نواحيها فنسكوورها ، ولم ندخلها فنقسمها . ويقال أنها
الف ميل . وقال ابن خرداذبة : الأندلس أربمون مدينة ، يعنى المشهور منها ،
لأن أحداً لم يسبقنا إلى تفصيل الكور ، ووضع القصبات ، فبعض المدن التى ذكر
هى قصبات ، على قياس مارتينا .

وسألت بعض العقلاء منهم عن الرساتيق المحيطة بقرطبة ، والمنسوبة إليها والمدن
فقال : انا نسى الرساتاق اقالما ، فالاقاليم المحيطة بقرطبة ثلاثة عشر مع مدنها ، فذكر
« أَرْجُونَ » « قَطْلَةَ » « شَوَذَر » « مَارْتُنُس » « قَنْبَانُس » « فَيْجَ ابْنِ لَقِيَط »
« بِلَاطُ مَرَوَانَ » « حَصْنُ بُلْكُونَةَ » « الشنيدة » « وادى عبد الله » « قرسيس »
« المائدة » « جيان » - وعلى ما دل اخر الاسم هى ناحية مدنها الجفر - « تَيْغُو »
« مَارْتُنُس » « قانت » « غَرْنَانَةَ » « مَذْنِيْشَةَ » « بِيَّاسَةَ » وسائر مدن اندلس
المذكورة « طَرْطُوشَةَ » « بَلَنْسِيَةَ » « مَرْسِيَةَ » « بَجَانَةَ » « مَالِقَةَ » جزيرة
جبل طارق « شَدْنَةَ » « إِشْبِيلِيَةَ » « أُخْشَبَةَ » « مَرَبَةَ » « شَنْتَرِينَ » « بَاحَةَ »

« لَبَّامَةٌ » « قَرْمُونَةٌ » « مَوْزُورٌ » « إِسْتِجِيَّةٌ » .

ثم عاد بعد قليل فذكر الأندلس بشئ من التفصيل فقال : قرطبة هي مصر الأندلس سميت بمصر المثمانية يقول : هي أجلُّ من بغداد . في صحراء يطل عليها جبل ، ولها مدينة جَوَانِيَّةٌ ، وربض الجامع في المدينة وأسواق . وأغلب الأسواق ودار السلطان في الربيض . قدامها واد عظيم ، سطوحهم قراميد . الجامع من حجر وجير . وسواربه رخام . حواله مياض .

وللمدينة خمسة ابواب : باب الحديد ، باب المطارين ، باب القنطرة ، باب اليهود ، عامر . وقد دلت الدلائل ، وانفقت الآراء على انه مصر جليل ، رفق طيب ، وان تمَّ عدلا ، ونظراً ، وسياسة ، وطيبة ، ونما ظاهرة ، وديناً ، وان ناحية الأندلس على سجة « هيطل »^(٢) ابدأ ثم غزاة ، ابدأ في جهاد ونفير^(١) مع علم كثير ، وسلطان خطير ، وخصائص ، وتجارات ، وفوائد .

وحدثني بعض الأندلسيين انها ثلاثة عشر رستاقا على خمسة عشر ميلا « أَرْجُونَةٌ » مسورة ، ليس لها بساتين وأشجار ، لكنها بلد الحبوب ، ولهم عيون ، ومزارعهم على المطر ، و « قَطْلَةٌ » على ثلاثة عشر ميلا من أرجونة ، وهي في سهلة كثيرة الأشجار والزيتون والكرمات ، ومشاربهم من آبار ، ويسقون البساتين بالسواني . و « شَوَذْرٌ » على ثمانية عشر ميلا من قرطبة ، وهي في سهلة كثيرة الزيتون جداً ، شربهم من أعين ، « مَارْتُشٌ » على خمسة عشر ميلا من قرطبة ، وهي جبلية ، ليس لها غير الكرمات ، ولهم أعين . و « قَنْبَانُشٌ » على خمسة عشر ميلا ، وهي سهلية ، ذات مزارع أكثرها بموضع يقال له « قَنْبَانِيَّةٌ » مشاربهم من آبار . و « فِجْجُ ابْنِ لَيْطِطٍ » على خمسة وعشرين ميلا في سهلة كثيرة المزارع ، شربهم من آبار . و « بِلَاطٌ مَرْوَانٌ » على ثلاثين ميلا ، لها واد جرَّار ، سهلية ، ذات مزارع . و « بُرْيَانَةٌ » ذات

(١) هذا خلاف ما زعمه ابن حوقل . والصحيح في هذا المقام هو كلام المقدسي

(٢) يقال هيطل لبلاد ما وراء النهر : بخارى وسمرقند وما جاورها

مزارع سهلية ، شربهم من آبار ، وفيها حصن من حجارة ، والرّبع حوله ، والجامع في الحصن ، والأسواق في الرّبع . وحصن « بُلْكُونَة » كثير الزيتون والأشجار ، والعيون ، مسورةً بحجارة ، شربهم من عين واحدة وآبار ، على أربعين ميلاً من قرطبة ، و « الشنيدة » على جبل ، كثيرة الكروم والمزارع والضب ، شربهم من أعين وآبار ، على يومين من قرطبة ، المنزل فج ابن لقيط . و « وادي عبد الله » من نحو القبلة ، على أربعين ميلاً من قرطبة . المنزل « وادي الرّمان » سهلية ذات مزارع وأشجار . و « قرسيس » على ستين ميلاً من قرطبة ، سهلية كثيرة التين والأغاب والزيتون الكبير ، شربهم من أعين . و « جيان » على خمسين ميلاً من قرطبة ، اسم الرستاق « أولبة » ومدينة جيان على جبل ، كثيرة الأعين ، قد خرب حصنها ، غير أنها منيعة بالجبل ، بها اثنتا عشرة عيناً ، ثلاث عليها أرحية ، تقوم بالأندلس ، ومن ثمّ ميرة قرطبة وغارها كثيرة ، وصِفْ ماشئت من طيها وزُحبا ، فإنها جنة الأندلس على ما حكى لى . ودل آخر الاسم على أنها ناحية بنيانهم بالحجارة ، باردة كثيرة الرياح ، وبكورتها حرّ ، هي في عداد النواحي قياساً على مارتينا . ومدنها الجفر^(١) ، على الجبل ، كثيرة الأودية والأرحية ، على عشرة أميال من جيان ، كلها أشجار ونمار ، وزيتون وأغاب ، على واد تجمع الفواكه . و « بيغو » وهي جبلية لها أودية تخرمها عيون تدبر الأرحية ، كثيرة التوت والزيتون والتين . و « مارتش » مسورة على جبل ، شربهم من أعين ، كثيرة التين والزيتون والكروم . « قانت » مسورة في قنباية ، لا بساتين لها زاكية . و « غرناطة » على واد به منية ، طوله ثلاثة عشر ميلاً للسلطان ، فيه من كل النمار حسن عجيب ، سهابة كثيرة المزارع . قلت : وما المنية ؟ قال البستان^(٢) . « مَتَيْشَة » مسورة على واد

(١) كذا ولم يظهر لنا مراد المؤلف هنا إلا أن يكون ثمة تحريف

(٢) تقدم لنا ذكر لفظة المنية وماذا كانوا يعنون بها ، وهذا نص يؤيد ما ذكرناه وهو أن المنية المنزه أو البستان

كثيرة الزيتون والتين سهلية . و « ياسة » مسورة في جبل ، بناؤم طين ، وشربهم من أعين ، كثيرة التين والسكرمات . قلت : هل بقي لقرطبة غير هذه الرساتيق والمدن ؟ قال : لا . قلت : فاشبيلية و بجانة . . . وذكرت عدة من البلدان . قال : هذه نواح لها أقاليم ، كما تقول : القيروان وتاهرت وسجلماسة وم يسمون الرستاق اقلبا . فملت أنها كور على قياسنا ، وأنها إن لم تكن أجل من كور هيطل فليست بأقل منها فيحصل القول ، وثبتت الدلائل ، على ان مثل المغرب كمثل للشرق ، كل واحد منهما جانبان : فكما ان المشرق خراسان وهيطل يفصل بينهما جيحون ، فكذلك المغرب والاندلس يفصل بينهما بحر الروم .

غير انا نعجز عن تكوير الاندلس ، فتركناها على الجلة ، ووصفنا كورة قرطبة لما كثر الخبر ون عنها ، واتضح عندنا أمرها . وعرضت كتابي على شيخ من مشايخهم فقال : على هذا القياس يجب أن تكون الاندلس ثمانى عشرة كورة ، فصدّ بجانة ، مالقة ، بلنسية ، تدمير ، سرقوسة ^(١) ، ياسة ، وادى الحجارة ، تطيلة ، وشقة ، مدينة سالم ، طليطلة ، إشبيلية ، بطليوس ، باجة ، قرطبة ، شدونة ، الجزيرة الخضراء وسألت آخر فقال : صدق ، وزاد ليرة ، حُشْبُبة . ويجوز أن يكون بمض هذه البلدان نواحي ، قياساً على بلاق وكشّ والصانين . والله أعلم بالصواب .

ثم ذكر المقدسى جل شؤون هذا الاقليم فقال : هو اقليم جليل كبير طويل يوجد فيه أكثر ما يوجد في سائر الاقاليم ، مع الرخص ، كثير النخيل والزيتون ، به مواضع الحرّ ، ومعادن البرد ، كثير اليهود ، جيد الهواء والماء .

فأما الحر فانك تجده من معسر الى السوس الاقصى ، إلا في مواضع ، فان بها جبلاً وبلداتاً باردة ، والغالب على الاندلس البرد ، كثير المجدمين ، والخصيان ، والثقلاء ، والبغلاء ، قليل القصاص ، رفق ، يحبون السلم وأهله ، ويكثرون التجارات والتغرب .

(١) يعنى سرقسطة وهو أقرب إلى لفظ الاسبانول بها

وأما المذاهب فلي ثلاثة أقسام : أما في الأندلس فذهب مالك وقرائة نافع .
 وهم يقولون : لا نعرف إلا كتاب الله وموطأ مالك . فان ظهروا على حنفي أو شافعي
 نفوه ، وان عثروا على معتزلي أو شيبي ونحوهما رجا قتلوه . وبساتر المغرب الى مصر
 لا يعرفون مذهب الشافعي (رحه) انما هو ابو حنيفة ومالك (رحهما) . وكنت
 يوماً اذا كر بعضهم في مسألة فذكرت قول الشافعي (رحه) فقال : اسكت ! من هو
 الشافعي ؟ انما كانا بجزيرين : ابو حنيفة لأهل المشرق ، ومالك لأهل المغرب ، افتركهما
 ونشتغل بالساقية ؟ ورأيت أصحاب مالك (رحه) يبهضون الشافعي قالوا : أخذ العلم
 عن مالك ثم خالفه .

وما رأيت فريقين أحسن اتفاقاً وأقل تعصباً منهم ، وسمعتهم يحكون عن
 قدماتهم في ذلك حكايات عجيبه ، حتى قالوا انه كان الحاكم سنة حنفي ، وسنة مالكي .
 قلت : وكيف وقع مذهب أبي حنيفة (رحه) اليكم ولم يكن على سابلتكم ؟ قالوا : لما
 قدم وهب بن وهب من عند مالك (رحه) وقد حاز من العلوم والفقه ما حاز استنكف
 أسد بن عبد الله أن يدرس عليه ، لجلالته وكبر نفسه ، فرحل إلى المدينة ليدرس
 على مالك ، فوجده عليلاً ، فلما طال مقامه عنده قال له : ارجع إلى ابن وهب فقد
 أردت على وكفيتكم به الرحلة ، فصعب ذلك على أسد ، وسأل : هل يعرف لمالك
 نظير ؟ فقالوا : فتي بالسكوفة يقال له محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة . قالوا : فرحل
 إليه وأقبل عليه محمد اقبالا لم يقبله على أحد ، ورأى فهماً وحرصاً ، فزقه الفقه زقاً ، فلما
 علم أنه قد استقل وبلغ مراده فيه ، سببه إلى المغرب ، فلما دخلها اختلف إليه الفتيان ،
 ورأوا فروعاً حيرتهم ، ودقائق أعجبتهم ، ومسائل ما طنت على أذن بن وهب وتخرج به
 الخلق ، وفشا مذهب أبي حنيفة (رحه) بالمغرب قلت : فلم لم يفسد بالأندلس ؟ قالوا
 لم يكن بالأندلس أقل منه ههنا ، ولكن تناظر الفريقان يوماً بين يدي السلطان فقال
 لهم : من أين كان أبو حنيفة ؟ قالوا : من السكوفة . فقال : مالك ؟ قالوا : من المدينة .
 قال : عالم دار الهجرة يكفينا ؟ فأمر بإخراج أصحاب أبي حنيفة . وقال : لا أحب أن

يكون في عمل مذهبان . وسعت هذه الحكايات من عدة من مشايخ الأندلس والقسَم الثالث مذاهب الفاطمية ، وهي على ثلاثة أقسام : أحدها ما قد اختلف فيه الأئمة مثل القنوت في العجر ، والجهر بالبسملة ، والوتر بركعة ، وما أشبه ذلك . والثاني الرجوع إلى ما كان عليه السلف ، مثل الإقامة مشى التي ردها بنو أمية إلى واحدة ، ومثل لبس البياض الذي رده بنو العباس إلى السواد ، والثالث ما تفرّد به مما لا يخالف الأئمة ، وإن لم يعرف له قدمة ، مثل الحيلة في الآذان ، وجعل أول الشهر يوماً يرى فيه الهلال ، وصلاة الكسوف بخمس ركعات وسجدين في كل ركعة وهذه مذاهب الشيعة ، ولهم تصانيف يدرسونها .

ونظرت في كتاب « الدعائم » فإذا هم يوافقون المعتزلة في أكثر الأصول ويقولون بمذهب الإسماعيلية . ولهم فيه سر لا يعلمونه ولا يأخذونه على كل أحد ، إلا من وثقوا به ، بعد أن يحثفوه ويماهدوه . وإنما سموا باطنية لأنهم يصرفون ظاهر القرآن إلى بواطن ، وتفسير غريبة ، ومعان دقيقة . وهذه الأصول مذاهب الأدرسية وغلبتهم بكثرة السوس الأقصى ، وهي قريبة من مذاهب القرامطة .

وأهل المغرب والمشرق في مذاهب الفاطمية على ثلاثة أقسام : منهم من أقر بها واعتقدها . ومنهم من كفر بها وأنكرها . ومنهم من جعلها في اختلاف الأمة . وأكثر أهل اصقاية حنفيون . وقرأت في كتاب صنفه بعض مشايخ الكرامية بنينايبور أن بالمغرب سبعمائة خاتمه لهم ، قفلت لا والله ولا واحدة ا

وأما القراوات في جميع الأقليم قراءة نافع حسب الرسوم ، لا يشهد في هذه الأقليم الستة إلا المعدل ، وحضرنا يوماً^(١) ملاكا فأمرني أبو الطيب حمدان أن أكتب شهادتي ، فهنّيت بذلك ، ولا يأخذون الميت إلا من الرأس أو الرجلين ، ويصلون كل ترويجة ويجلسون ، ولا يسلخون الأغنام إذا شووها ، ويدخلون

(١) الملاك : الزواج

الحمامات بلا مآزر إلا القليل ، و بالمغرب رسومهم مصرية ، إلا أنهم قل ما يتطأون
وكثيراً ما يجلدون الرداء بطاقتين ثم يطرحونه على ظهورهم مثل العباة ، أصحاب قلانس
مصبتة ، والبربر بيرانس سود ، وأهل الرساتيق باكسية ، والسوقة بمناديل ، والتجار
يركبون أحمره مصرية وبقالا ، وكل مصاحفهم ودفاترهم مكتوبة في رقوق ، وأهل
الاندلس أخذق الناس في الورافة ، خطوطهم مدورة ، و به تجارات تحمل من برقة
ثياب الصوف والاكسية ، ومن اصفاية الثياب المقصورة الجيدة ، ومن افريقية الزيت
والفستق ، والزعفران ، واللوز ، والبرقوق ، والمراود ، والانطاع والقرب ، ومن فاس
التور ، وجميع ما ذكرنا ، ومن الاندلس بز كثير ، وخصائص ومجائب ، ومن
خصائص الاقليم المرجان ، يخرج من جزيرة في البحر اسم مدينتها مرسى الحرز ، يدخل
إيها في طريق دقيق كالمهدية ، من بحرها يرتفع القرن ، وهو المرجان ، لا تمدن له
غيرها . وهى جبال في البحر ، يخرجون إلى جمه في قوارب ، ومهم صلبان من خشب
قد لفوا عليها شيئاً من السكتان المحلول ، وربطوا في كل صليب حليين ، يأخذهما
رجلان ، فيرميان بالصليب . ويدبر النواتى القارب ، فيتعلق بالقرن ثم يجذبونه ،
فهم من يخرج عشرة آلاف إلى عشرة درام . ثم يجلى في أسواق لهم ، و يباع جزافا
رخيصاً ، ولا اشراق له قبل جليه ولا لون . و بتبليطة سمور كثير ^(١) .

وبالاندلس السفن ^(٢) الذى يتخذ منه مقابض السيوف . ويقع اليهم من البحر
المحيط عنبر كثير في وقت من السنة ، ويرتفع من اصفاية نوشادر كثير ايض .
وسمعت انه قد اقطع ممدنه ، واستشفى عنه أهل مصر بدخان الحمامات .

وأما الارطال فسكانت بندادية في الاقليم كله ، إلا الذى يوزن به القفل ، فانه
يشف على البندادى بعشرة درام . والآن هو المستعمل في أعمال الفاطمى بالمغرب
كله . والمكاييل قفيز القيروان اثنان وثلاثون مثناً ، والثن ستة أمداد بمدّ النبي

(١) المشهور أنه بسرقة ولكن تبليطة هي من عملها

(٢) السفن محرقة جلد أخش كجلود القاسح يجعل على قوائم السيف

صلى الله عليه وسلم . وقبض الأندلس ستون رطلا ، والرابع ثمانية عشر رطلا . وفتحة نصف القنبر . ومكاييل الفاطمي الدوّار ، وهي التي تشفّ على وية مصر بشى . يسير قد ألجم رأسها بعارضة من حديد ، وأقيم عمود من قاعها الى العارضة فوقه حديد يدور على رأس الوية ، فاذا اترعها أدار الحديد ، فسحت فم الوية ، وصح السكيل . وأرطاله رصاص على كل رطل اسم أمير المؤمنين ، فان اجتمعت أرطال بموضع واحد بسيط صبيها ، وطبع على كل رطل ، ولو كانت عشرة .

وأما نقوده في جميع أجماله الى أقصى دمشق فالدينار ، يزلّ عن المثقال بحبة ، أعنى شميرة ، والسكّة مدوّرة السكّابة . وله ربع صغير يؤخذان بالعدد . والدرهم أيضا زالّ له نصف يسمونه القيراط ، وربع ، ونمن ، ونصف نمن ، يسمونه الخرنوبة ، يؤخذ الجميع بالعدد . ولا يرخصون في المعاملة بالقطع ، وسنجهم^(١) من زجاج مطبوع ، كما ذكرنا من الارطال . ورطل مدينة تونس اثنتا عشرة أوقية ، والوقية اثنا عشر درهماً .

والمجائب بهذا الاقليم كثيرة ، منها ابو قلون ، وهي دابة تحنك بحجارة على شط البحر فيقع منها وبرها ، وهو في لين الخبز ، لونه لون الذهب ، لا ينادر منه شيئاً ، وهو عزيز الوجود ، فيجمع وينسج منه ثياب تتلون في اليوم أواناً ، ويمنع السلطان من حمل ذلك الى البلدان ، إلا ما ينجفى عنهم ، ربما بلغ الثوب عشرة آلاف دينار . بأصقلية جبل تفور منه النار أربعة أشهر ، في كل عشر سنين مرة ، وسائر الاوقات يدخن ، وحوله ثلوج متلبدة ، إلا موضع الدخان .

بمدينة « إيكيجا » عيون تخرج أوقات الصلاة ثم تفور . فان قصدها رجل كان قد قتل نفساً بغير حق لم يخرج له شى .

فان قال قائل : إنك تركت كثيراً من المجائب في هذا الاقليم لم تذكرها . قيل له : إنما تركنا ما ذكره من قبلنا في تصانيفهم . ومن مفاخر كتابنا الاعراض

(١) جمع سنجة وهي ما يوزن به كالأوقية والرطل

عما ذكره غيرنا . وأوحش شئ . في كتبهم ضد ما ذكرنا . ألا ترى أنك إذا نظرت في كتاب الجبهاني وجدته قد احتوى على جميع أصل ابن خردادبه ، وبناء عليه ، وإذا نظرت في كتاب ابن النقيب ، فكأنما أنت ناظر في كتاب الجاحظ والزبيج الأعظم ، وإذا نظرت في كتابنا وجدته يسبيح وحده يتقيا في نظمه . ولوجودنا رخصة في ترك جمع هذا الأصل ما اشتغلنا به ، ولكن لما بلغنا الله تعالى أقاصي الاسلام ، وأرانا أسبابه ، وألمنا قسمته ، وجب أن ننهي ذلك إلى كافة المسلمين . ألا ترى إلى قوله تعالى : (قل سيروا في الأرض) (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا) وفيما نذكر عبرة لمن اعتبر وفوائد لمن سافر .

مما قاله عن الاندلس لسان الدين بن الخطيب

وقال لسان الدين بن الخطيب السلماي عن مملكة غرناطة ، وقوله هذا في الاحوال الاجتماعية يصدق على جميع الأندلس : أحوال أهل هذا القطر في الدين ، وصلاح العقائد أحوال سنة ، والنحل فيهم معروفة ، فذاهبهم على مذهب مالك بن أنس إمام دار الهجرة جارية . وطاعتهم للأمرء محكمة . وأخلاقهم في احتمال المعاون الجبائية جميلة . وصورهم حسنة . وأنوفهم معتدلة غير حادة . وشعورهم سود مرسل . وقدودهم متوسطة معتدلة ، إلى القصر . وألوانهم زهر مشربة بجمرة . وألسنتهم فصيحة عربية يتخللها أعراب كثير ، وتغلب عليهم الامالة ^(١) وأخلاقهم أبية في معاني المنازعات . وأنسابهم عربية ، وفيهم من البربر والمهاجرة كثير . ولباسهم الغالب على طرقاتهم الفاشي بينهم الملف المصبوغ شتاء ، وتنفاضل أجناس البر بتفاضل الجدة والقدار والسكتان والحريير والقطن والمورع والاردية الافريقية والمقاطع التونسية والمآزر المشقوقة صبغا ، فتبصرهم في المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة في البطاح الكريمة ، تحت

(١) عرب الاندلس كانوا يتكلمون بالامالة ، وسنأق بأمثال من ذلك عند الوصول إلى هذا الموضوع

الاهوية المتعددة . أنسابهم حسبما يظهر من الاشتراءات والبياعات السلطانية والاجازات
عربية يذكر فيها القرشي^(١) . والفهري^(٢) . والأُموي^(٣) . والانصاري^(٤) .
والاوسى^(٥) . والخزرجي^(٦) . والقحطاني^(٧) . والحميري^(٨) . والخزومي^(٩) .

(١) قرشه : جمعه من ههنا وههنا وضم بهضه إلى بعض . قال الفراء : ومنه قريش القبيلة
وأبوم النضر ابن كنانة بن خزيمه بن مدركة بن الياس بن مضر فكل من كان من ولد
النضر فهو قرشي دون ولد كنانة ومن فوقه كذا في الصحاح . قال الزبيدي في تاج
العروس : قلت وعند أئمة النسب كل من لم يلده فهر فليس بقرشي ، قاله ابن الكلبي ،
وهو المرجوع إليه في هذا الشأن . وقيل سميت قريش بهذا الاسم حين غلب عليها قصي
ابن كلاب ، وكان يقال : تفرش القوم إذا اجتمعوا ، وكان قصي يسمى بجمعاً يلجمه
قريش بالرحلتين ، وقيل لأنهم كانوا يتفرشون البياعات فيشترونها ، أولان النضر بن كنانة
اجتمع في ثوبه يوماً فقالوا تفرش . أولانه جاء إلى قومه يوماً فقالوا كآءه . جبل قريش
أى شديد . أو سموا قريش بمضفر القرش ، وهي دابة بحرية سيدة دواب البحر
وذلك قريش سادات الناس جاهلية وإسلاماً ، وقيل سموا بذلك لأنهم كانوا أهل
تجاره ، لا أصحاب زرع وضرع ، من قولهم فلان يتقرش المال ، والنسبة إلى قريش
قرشي ونادراً يقال قريشي

(٢) هو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة وقريش كلهم ينسبون إليه

(٣) نسبة إلى بني أمية ، وهما اميتان الأكبر والأصغر ابنا عبد شمس بن عبد

مناف من قريش ، والنسبة اليهم أهوى بضم ففتح وأهوى بالتحريك على التخفيف

(٤) نسبة إلى أنصار الرسول عليه السلام

(٥) نسبة إلى الأوس وهو أوس بن قيلة أخو الخزرج

(٦) نسبة إلى الخزرج وكان الخزرج والأوس أخوين ، وهما ابنا قيلة ، وهي

أهمما ، وأبوها حارثة بن ثعلبة النخعا بن عمرو مزقييا بن عامر ماء السماء بن حارثة

القطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد من عرب اليمن

(٧) نسبة إلى قحطان أبو عرب اليمن ، وقالوا في نسبه قحطان بن عابر بن شالخ

ابن أرغند بن سام بن نوح عليه السلام

(٨) نسبة إلى حمير وهو ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان

(٩) نسبة إلى مخزوم وهو ابن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب وأولاده

والتنوخى (١) . والثماني (٢) . والازدى (٣) . والقيسى (٤) . والمافرى (٥) .
والكنانى (٦) . والتميمي (٧) . والهذلى (٨) . والبكرى (٩) . والسكلابى (١٠) . والنمرى (١١) .

حى من قريش ومخزوم أيضاً قبيلة من عبس وهو بن مالك بن غالب بن قطعة
ابن عبس

(١) نسبة إلى تنوخ كهسور قبيلة من اليمن ، قبل إنهم عدة قبائل اجتمعوا وتحالفوا
وقبل تنوخ ونمر وكلب ثلاثهم إخوة

(٢) نسبة إلى غسان كشداد وهو ما، نزل عليه قوم من الأزد بين رمع وزيد
من اليمن ، فسموا به وهم بنو مازن بن الأزد بن الفوث بن نبت بن مالك بن كهلان بن سبأ ،

(٣) نسبة إلى الأزد وهو الأزد بن الفوث بن نبت بن مالك بن كهلان بن سبأ ،
ويقال أزد شنومة وأزد عمان وأزد السراة واستدرك الزيدى على صاحب القاموس

أزد بن عمران بن عمرو بن عامر ، وقالوا ان الأزد افترقوا على سبع وعشرين قبيلة
(٤) نسبة إلى قيس عيلان وهو أخو الياس الذى هو خندف ، وكلاهما ولد مضر

وقد قلب هذا الاسم على العرب العدنانية ، فالتاس يقولون قيس ويمن
(٥) نسبة إلى معافر حى من ممدان من عرب اليمن

(٦) نسبة إلى كنانة بن خزيمه بن مدركة بن الياس بن مضر وهم خمس قبائل
بنو عبد مناة بن كنانة ، وبنو عمرو بن كنانة ، وبنو عامر بن كنانة ، وبنو ملكان

ابن كنانة ، وبنو مالك بن كنانة ، ثم بنو كنانة قبيلة أخرى فى تغلب بن وائل ،
وقبيلة من كلب منهم خلف بن حاهد الكنانى من قضاة الأندلس

(٧) تميم كأمير ابن مرة بن أد بن طابخة أبو قبيلة من مضر مشهورة

(٨) هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر حى من مضر

(٩) نسبة إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه أو إلى بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة
ابن خزيمه أو إلى بكر بن عوف بن النخع أو إلى بكر بن وائل بن قاسط بن هنب

أو إلى بكر بطن من عذرة

(١٠) كلاب فى قريش هو ابن مرة وفى هوازن ابن ربيعة بن صعصعة

(١١) النمر ككتف بن قاسط بن هنب بن أفضى بن دعى بن جديلة بن أسد بن

ربيعة ، والنسبة إليه نمرى بفتح الميم ، والحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر
المالكي الأندلسى هو نمرى

والبعمرى ^(١) . والمازني ^(٢) . والثقفي ^(٣) . والسلي ^(٤) . والفزاري ^(٥) .
والباهلي ^(٦) . والعبسي ^(٧) . والمنسي ^(٨) . والمذري ^(٩) .

(١) يعمر بطن من كنانة وربما كان هذا اللفظ هو البعمرى، لا البعمرى، وذلك لأننا
تقلنا كلام لسان الدين بن الخطيب عن الاحاطة طبعة مصر، وهي طبعة مشحونة غلطا
وتصحيفا وتحريفا. وقد رددنا كثيراً من الفاظها إلى الاصل بالقريظة والاستدلال
فإن كان هذا اللفظ هو البعمرى، فيوجد في العرب قبيلة اسمها يعمر جاء ذكرها في
تاج العروس، إلا أنه لم ينسبها ولكن السويدي ذكر أنها من كنانة. وإن كان هو
البعمرى فبنو يعمر هم بطن من حير ويقال لهم الأوزاع

(٢) مازن بن مالك بن عمرو بن تميم وهم حى مشهور منهم أبو عثمان المازني النحوى
وبنو مازن أيضا من الخزرج، وبنو مازن بن منصور بن عكرمة من قيس عيلان.
وبلادم الطائف وجبالها

(٣) ثقيف كأثير أبو قبيلة من هوازن واسمه قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن
منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان

(٤) نسبة إلى سليم كزبير وهو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة من قيس عيلان،
وهم قبيلة كبيرة منتشرة في الشرق والغرب، ومنهم أكثر عرب بركة

(٥) فزارة بلالام ابن ذيان بن غصيب بن ريث بن غطفان، أبو قبيلة من غطفان
منهم بنو العشاء وبنو غراب وبنو شمع

(٦) نسبة إلى باهلة قبيلة من قيس عيلان، وباهلة اسم امرأة من همدان كانت تحت
ممن بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان فنسب ولده إليها

(٧) نسبة إلى عبس اسم أصله الصفة وهو عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن
سعد بن قيس. وهم رهط الحطيئة الشاعر وعروة بن الورد وإليه ينسب عنقرة بن
شداد، وفي بني هلال أحياء ينسبون إلى عبس

(٨) العنسي بسكون التون بطن من كهلان وإليه ينسب الأسود العنسي الذي
كان في البهامة وارتد هو ومسيبة الكذاب

(٩) عنزة بلالام قبيلة في اليمن وهم بنو عنزة بن سعد هذيم بن سعد بن ليث
ابن سود بن أسلم بن الحلاف بن قضاة واخوته الحارث ومعاوية ووائل وصعب
بنو سعد هذيم بطون كلهم عنزة وأهمهم قائد بنت مر بن أد، وكذلك منهم سلامان

والمجعي^(١) والنضبي^(٢) والسكوني^(٣)، والتيمي^(٤) والدبشمي^(٥)، والمرى^(٦)، والعقبلي^(٧)

ابن سعد في عذرة أيضا كذا قاله ابن عبيد وهم مشهورون في العشق والغفة حتى ضرب المثل بالهوى العذرى، ومنهم جميل بن عبد الله بن معمر صاحب بئنة، ومنهم عروة بن حزام صاحب عفران.

(١) جاء في تاج العروس : والحجبيون محرمة بنو شيبه لتولبهم حجابة البيت الشريف
(٢) ضبة ابن أدم تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر وأبناء ضبة ثلاثة سعد ، وسعيد ، مصفرا ، وباسل . فـ سعيد وباسل لا عقب لها فاتحصر جماع ضبة في سعد بن ضبة وهم جمرة من جمرات العرب

(٣) السكون كصورشى من العرب ، وهو ابن أشرس بن ثور بن كندة
(٤) في قريش تميم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ، ومن تميم هؤلاء اثنان من العشرة المبشرين بالجنة ، أبو بكر الصديق ، وأبو محمد طلحة بن عبيد الله ، وهما يجتمعان في عمرو بن كعب بن سعد بن تميم ، ويجتمعان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرة ابن كعب وفي قريش أيضا تميم بن غالب بن فهر أخو لؤى بن غالب وفي بني بكر بن وائل ، تميم بن قيس بن ثعلبة بن عكابة وفيهم أيضا تميم بن شيان بن ثعلبة وقبل إن تميم بن شيان هذا هو من بني شيان بن ذهل ثم في بني ضبة تميم اللات ابن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد ، وفي الخزرج تميم اللات بن ثعلبة ، قال في تاج العروس . والتيوم كثيرون

(٥) نسبة إلى عبد شمس ، وهم بطن من قريش ، وبوجد في العرب عبشمس ابن سعد بن زيد بن مناة بن تميم ، والعب هنا قبل ضوء الشمس ، وقيل لعاب الشمس وقيل هو العبي . بالهمز يفتح فيكسر والنسبة أيضا عبشمى قال الشاعر :

وتضحك مني شبيحة عبشمية كأن لم ترى قبلى أسيراً يمانيا

(٦) نسبة إلى مرو هو تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر قبيلة مشهورة، وهناك مر ابن عمرو بن الفوث بن جلهمة من طي . وإخوته ستة عشر ، ويقال أيضاً مرى نسبة إلى مرة بالناء . وفي قريش مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ثم إنه يوجد في قيس عيلان قبيلة اسمها بنو مرة ، وهو مرة بن عرف ابن سعد بن قيس عيلان .

(٧) نسبة إلى عقيل كزبير ، وعقبيل بن كعب بن ربيعة بن عامر ، وفي بني فزارة عقيل بن هلال ، وفي أشجع أيضاً عقيل بن هلال .

والفهמי^(١) . والصريمي^(٢) . والجزلي^(٣) . والقشيري^(٤) . والسكابي^(٥) . والقضاعي^(٦) .

(١) نسبة إلى فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان ، ردهط تأبط شرا . وفهم أيضا هم فهم الجمرات ، بطن من لحم . وفي الأزدي فهم بن غنم بن دوس ، منهم جذيمة بن مالك بن فهم الملك الأبرش .

(٢) لم نقف حتى الآن على اسم قبيلة يقال لها الصريح ، وغاية ما رأينا أنه في تاج العروس يقول : (والصريمحان قبيلة) ولم يزد على هذه الكلمة شيئاً . ونظراً لكثرة التعريف والتصحيح في طبعة الاطبعة التي أخذنا عنها فيقبل على ظننا أن (الصريمي) هنا إنما هو الصليحي باللام ، فإذا كان كذلك فالصليح نخد من همدان منهم القاضي محمد بن علي الهمداني الصليحي ، وكانوا قائلين بدعوة البيهدين باليمن كما جاء في سبائك الذهب للسويدي وذكر السلطان بن رسول صاحب أنساب العرب منهم أمراء .

(٣) نسبة إلى جزيلة كـفينة بطن من كندة .

(٤) نسبة إلى قشير كزبير وهو قشير بن كهب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن ، وإلى هذه القبيلة ينسب الامام أبو القاسم القشيري صاحب الرسالة المشهورة .

(٥) نسبة إلى كلب بن وبرة وهو أخو نمر وتبوخ كما في معارف ابن قتيبة وقال العيني : في طيء كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحلاف بن قضاة .

(٦) قضاة قبيلة من حمير من القحطانية . وعليه جرى ابن اسحاق والكلبي وغيرهما وذهب بعض النسابين إلى أن قضاة من العدنانية وأنه بن معد بن عدنان . قال ابن عبد البر وعليه الأكثر : قال السويدي : والأشهر هو الأول . قلنا وهو المعتمد عليه . إلا أن النسابة جمعوا بين حبيب قال : لم تزل قضاة في الجاهلية والاسلام تعرف بمعد حتى كانت الفتنة بالشام بين كلب وقيس عيلان أيام مروان بن الحكم فالت قضاة إلى اليمن واتمت إلى حمير . وذكر ابن الأثير في الانساب هذا الاختلاف ونقل عن محمد بن سلام المصري وقد سئل انزار أكثر أم اليمن ؟ أنه قال : إن تعددت قضاة فنزار أكثر وإلا فاليمن . ومن الغريب أنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثان كل منهما له طريق أحدهما يفيدان قضاة من اليمن والآخر أنها من معد بن عدنان . وهذا برهان على كثرة الوضع في الأحاديث ، وقد رأيت كلا منهما في كتاب انساب العرب لابن رسول من سلاطين اليمن .

والاصبغى ^(١) . والمرادى ^(٢) . والرعيى ^(٣) . واليحصى ^(٤) . والتجيبى ^(٥) .

(١) نسبة إلى ذى أصبح من حمير ، قبل هو الحارث بن عوف بن مالك بن زيد ابن سدد بن زرعة وقال ابن حزم ، وهو ذو أصبح مالك بن زيد بن العوث بن ولد سبأ الأصغر . وإلى هذه القبيلة ينسب سيدنا مالك بن أنس أحد أصحاب المذاهب الأربعة . وجده الأقرب هو أبو عامر بن عمرو بن الحارث بن عثمان الاصبغى الحميرى من التابعين .

(٢) نسبة إلى مراد كغراب وهو مراد بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ، وفى المصباح : مراد قبيلة من مذحج قال الزيدى : ومذحج هو مالك بن زيد المتقدم ذكره (٣) نسبة إلى ذى رعين كزبير قال الجوهري إنه من ولد الحارث بن عمرو بن حمير بن سبأ من عرب اليمن ، ورعين حصن أو جبل فيه حصن ، وفى اليمن مخلاف يقال له شعب ذى رعين .

(٤) نسبة إلى يحصب ذكر الحافظ بن حزم فى جمهرة الانساب : أن يحصب هو أخو ذى أصبح جد الامام مالك ، وقلة يحصب بالاندلس سميت بمن نزلها من اليحصيين من حمير ، منها سعيد بن مقرون بن عفان ، والناطقة ابن ابراهيم المحدثان ، والقاضى عياض بن موسى صاحب الشفاء ، وعبد الله بن محمد بن معدان اليحصى الاندلسى كتب عنه السلفى .

(٥) تجيب بالضم كما حزم به أهل الحديث ، وأكثر الأدباء : قال الزيدى فى تاج العروس : إن أهل الانساب يميلون إلى فتحه وقال القاضى عياض : إنه بالفتح كما قديناه عن شوخنا ، وذهب أبو محمد بن السيد النحوى إلى صحة الوجدتين ، وسمعت الاستاذ السيد رشيد رضا رحمه الله يلفظ تجيب بالضم نقلا عن أحد مشايخه فى الحديث والناه فى تجيب أصلية عند الخليل ، وتابمه فى ذلك الفيروز آبادى مجد الدين ، ولكن الجوهري وابن فارس وابن سيدة ذهبوا إلى أنها زائدة ، والقبيلة بطن من كندة ، قال ابن قتيبة ، ينتسبون إلى جدتهم العليا ، وهى تجيب بنت ثوبان بن سليم بن مذحج وقال ابن الجرانى : هى تجيب بنت ثوبان بن سليم بن رها بن منه بن حريث بن جلد ابن مذحج وهى أم عدى وسعد ابني أشرس بن شيب بن السكون ، قال ابن حزم : كل تجيبى سكوفى ولا عكس . ومن تجيب كنانة بن بشر التجيبى قاتل أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضى الله عنه ، وهناك قبيلة أخرى اسمها تجوب منها عبد الرحمن بن ملجم قاتل أمير المؤمنين علي بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فهو تجيبى من مراد ثم من حمير .

والصدفي (١) . والغافقي (٢) . والحضرمي (٣) . واللخمي (٤)

(١) نسبة إلى صدف ككتف قيل هو صدف بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ ، وينسب إلى صدف خاني من الصحابة وغيرهم ، نزلوا بمصر واختلطوا بها ، ومنهم يونس بن عبد الأعلى الصدفي صاحب الامام الشافعي رضي الله عنه ، وقد نزل من الصدف قوم بالأندلس ولهم قرية بقرية الأندلس تقدم ذكرها والنسبة إلى انصدف صدف بالتحريك كراهة الكسرة قبل ياء النسب

(٢) بطن من عك قال ابو عبيد كان منهم في الاسلام أمراء ورؤساء ، ويوجد النافق بالالف واللام وهم بطن من اعمار بن أراش ، وجاء في نفع الطيب أن أكثر أهالي شقورة من الأندلس ينتسبون إلى غافق ، وإلى غافق ينسب عبد الرحمن الغافقي أمير الأندلس الذي استشهد في وقعة بلاط الشهداء.

(٣) نسبة إلى حضرموت وهو ابن سبأ الأصغر ، وسميت به مدينة حضرموت ويقال للعرب الذين من حضرموت حضارمة . وقد انتسب إلى هذه البلدة أعيان كثيرون من كل قطر ، وأورد في تاج العروس من أسماء الحضرميين من قتها . ومحدثين ماملأ صحيفة كبيرة وابن خلدون إذا انتسب يقول عن نفسه الحضرمي

(٤) قبيلة من كهلان ، جاء في أنساب العرب لابن رسول من ملوك اليمن أن اسم لحم مالك بن عدى . قال : واختلف في لحم وجذام ، فقال قوم : هم ابنا عدى بن عمرو بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وقال ابن اسحاق : وأكثر أهل النسب على أن لحم وجذام ابنا عدى بن عمرو بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وقال ابن الكلبي : لحم وجذام ابنا عدى بن عمرو بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . قال ابن رسول : وكل هؤلاء قد أجمعوا أن لحمًا وجذامًا في قحطان . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة باسناد ليس بالقوى : الايمان بمان آل لحم وجذام ، صلوات الله على لحم وجذام . يقاتلون الكفار على رؤوس الشعف ، ينصرون الله ورسوله . وقالت فرقة : إن قصص بن معد بن عدنان هو أبو لحم ، واحتجوا بحديث روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أتى بسيف الزمان بن المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة

والجذامى (١)

وعنده جبير بن مطعم ، فقال له عمرو يا جبير عن كان النعمان بن المنذر ؟ فقال كان من اشلاء قصص بن معد بن عدنان يعنى من بقايا قصص ، انتهى .

فلما فى هذه الرواية شك ، وإن صححت عن جبير بن مطعم فيكون خطأ منه ، لأن لحم وجذام هم من عرب اليمن ، والقول بخلاف ذلك هو خرق للاجماع قال فى سبائك الذهب : وقد كان للخميين ملك بالحيرة من العراق وإنه كان لقباً بالحلم ملك بأشيلية من الأندلس ، وهى دولة بنى عباد : وقال القضاعى فى خطط مصر أنهم حضروا فتح مصر واختطوا بها ، وفى صعيد مصر بنو سهاك وبنو سهل وبنو شنوة وبنو عدى وبنو راشد وأغاذ كثيرة من لحم ومنهم بنو عجم الذين ينسب إليهم ملوك الحيرة رهط النعمان بن المنذر واسم عمم الأصيل هو عدى ، ولما كانت عائلة محرر هذه السطور تنسب إلى المناذرة فقد راجعت سلسلة نسبهم إلى لحم فى سجل النسب الارسلانى المبدره به سنة ١٤٢ للهجرة المتسلسل خلفاً عن سلف من ذلك التاريخ إلى الآن تحت تصديق القضاة والحكام ، والعلماء الإعلام فوجدهم يقول : إن الملك المنذر الذى لقبته العرب بالمغرور هو ابن الملك النعمان أبى قابوس بن الملك المنذر بن الملك المنذر ، وهو ابن ماء السماء مارية ابنة ربيعة التى تلي أخى كليب والمهلل بن الملك امرى القيس ابن الملك النعمان الأعور ابن الملك امرى القيس بن الأمير النعمان ابن الملك عمرو بن الملك امرى القيس بن الملك عمرو ، وهو بن أخت جذيمة الأبرش الذى زوجها من ابنة عدى حتى يملك على لحم . وعدى هو ابن نصر بن ربيعة بن المنذر بن تميم بن عمرو ابن سعد بن ذميل بن الحارث بن زيد بن الحارث بن إباد بن نصر بن فهم بن عامر بن زهير بن مالك بن جزيلة ابن مالك . وهو لحم بن عدى بن عمرو بن عبد شمس ، وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان جد العرب العرباء والله أعلم .

(١) نسبة إلى جذام ، وهى يضم الجيم وبالذال المعجمة ، بطن من كهلان ، ويقال ان جذام كان أخوا لحم ، وهذه هى الرواية المشهورة ، وإنك لتجد هذين القبيلين دائماً متلازمين . قال الجوهري : ويرغم نسبة مضر أن جذام من مضر وأنهم انتقلوا إلى اليمن لحسبوا من اليمن ، ثم إن جذام هم فى مقدمة العرب الذين فتحوا مصر مع عمرو ابن العاص ، ذكر السويدي فى سبائك الذهب نقلاً عن الحدائق قال : وبالأسكندرية من جذام ولحم أقوام ذوو عدد وعدد ، وأهل شجاعة وإقدام وضرب بالسيف ورشق بالسهم ، ولحم أيام معلومة ، وأخبار مرووفة ، ووقائع فى البر والبحر مشهورة . ومن جذام ملوك بنى هود أصحاب سرقة

والسلولي^(١) . والحكمي^(٢) . والمهمداني^(٣) . والمذحجي^(٤) . والحشني^(٥) .

(١) سلول فخذ من قيس بن هوازن ، وفي الصحاح والعياب قبيلة من هوازن هم بنو مرة بن صهصمة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وسلول اسم امهم ، وهي ابنة ذهل ابن شيدان بن ثعلبة ، وفي سلول هؤلاء قبيل :

وإنا أناس لا نرى القتل سبة إذا ما رأته عامر وسلول

(٢) نسبة إلى الحكم وهو مخلاف في اليمن نسب إلى الحكم بن سعد العشيبة . من مذحج . قال الزبيدي في تاج العروس : ولبنى الحكم بقية كثيرة باليمن منهم بنو مطير ، وقال ابن الكلبي أن الحكم بن يتبع بن الهون بن خزيمه دخل في مذحج منهم رهط الجراح بن عبد الله الحكمي عامل خراسان

(٣) نسبة إلى همدان بفتح فسكون ، بطن من كهلان ، واسم همدان هو أوسلة بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الحنبار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ قال الزبيدي : والعقب من همدان في جشم بن خيران بن نوف بن همدان ، والعقب من جشم في فخذين لصلبه بكيل وحاشد فن بكيل في رومان وسوران وخيران ، ومن حاشد في سديع بن سبع بن صعب بن معاوية بن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد ولهم بطون مدمعة باليمن انتهى .

وهم الذين نصروا علياً في حرب صفين حتى قال رضى الله عنه .

فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وإلى همدان ينسب الهمداني صاحب الأكليل وصفة جزيرة العرب ، وكان علامة فيلسوفاً ، وقد سمي بهمدان أحد حصون مملكة غرناطة والإسبانول يقولون ، هنديين Alhendin ، قلبوا الميم نونا ولفظوا الاسم بالامالة كما سمعوا من العرب الأندلسيين

(٤) مذحج كمجلس هو مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ، وقيل بل مذحج هو ابن يحابر بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ . قال الزبيدي : وهم شعب عظيم من بطون وأفخاذ

(٥) نسبة إلى خشين كزبير وهو جابر بن خشين بن عاصم بن لؤى في نسب فزارة وأيضاً هالك خشين بن النثر بن وبرة بن أمّال بن حلوان في قضاعة . ومن هؤلاء جرتوم بن ناشر الحشني رضى الله عنه ، ومنهم بشر بن حيان التابعي ، ومنهم محمد بن عبد السلام الحشني أبو عبد الله صاحب كتاب القضاة في قرطبة وولده محمد بن محمد

والبوى (١) . والجهنى (٢) . والمزنى (٣) . والطائى (٤) . والاسدى (٥) .

وأبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الخشنى الأندلسى النحوى المعروف بابن أبى الركب أخذ عنه الشريشى صاحب المقامات

(١) نسبة إلى بلى كرضى قبيلة معروفة وبلى هو ابن العمرو بن الحافى بن قضاة والنسبة إلى بلى بلوى مثل علوى

(٢) نسبة إلى جينة بضم الجيم وفتح الهاء وسكون الياة المتناه وفتح التون بعدها حتى من قضاة يسكنون اليوم فى سواحل الحجاز وعددهم كبير

(٣) نسبة إلى مزينة كجينة قبيلة من مضر . وهو بن أد بن طابخة . وم رهط ابن أبى سلى الشاعر صاحب المعلقة . وم يسكنون اليوم حول المدينة المنورة

(٤) نسبة إلى طىء بفتح الطاء وتشديد الياة وهمزة فى الآخر قبيلة من كهلان كانت منازلهم باليمن فخرجوا على أثر خروج الأزد منها ، وانتهى أمرهم بالاستيلاء على جبل

أجأ وسلى الذين يعرفان الآن بجبلى طىء ، قال السوىدى فى سبائك الذهب : وافترقوا فى أول الاسلام فى الفترحات قال ابن سعيد : هم الآن أمم كثيرة تملأ السبل والجبل

حجازاً وشاماً وعراقاً قال : وهم أصحاب الرئاسة فى العرب إلى الآن فى العراق والشام ومن بنى طىء بنو نهان ، وبنو نعل المشهورون بالاجادة فى الرى ، وبنو جرم الذين

أعقابهم فى بلاد غزة ، وبنو بولان بفتح أوله وسكون الثانى ، ومنهم الثلاثة الذين يقال إنهم وضعوا الخط العربى . وكان منهم بنو الجراح أيام الفاطميين ، وكانت

لهم رئاسة على طىء . ثم صارت الآن لآل عيسى بن مهنا . ومنهم بنو سبب طائفة يطايح العراق ، وطائفة بدمياط من الديار المصرية ، ومنهم بنو لام فى العراق ومنهم

بنو تيم الذين كان يقال لهم مصايح الظلام ، وهم الذين مدحهم امرؤ القيس . ومنهم بنو صخر فى بلاد البقاء . ومنهم آل فضل من ربيعة طىء . ولهم رئاسة وامارة ، ومنهم

بطون وأفتاذ لا يحصيها إلا خالقتها كما أن الاعيان والاعلام المنسوبين إلى بنى طىء لا يحصى عددهم . ومنهم حاتم الطائى الذى ضرب به المثل فى الكرم ، وأبو تمام الطائى

والبحترى كلاهما أشعر شعراء المولدين . ومنهم يحيى الدين بن عربى المتصوف الشهير ومنهم ابن مالك النحوى الجياى الأندلسى

(٥) نسبة إلى اسد وهو أسد بن خزيمه بن مدركة بن الياس بن مضر ، وكذلك أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وهى قبيلة أخرى

والاشجى^(١)، والعالمى^(٢)، والخولاني^(٣)، والايادى^(٤)، واليئى^(٥)، والخنصى^(٦)

(١) نسبة إلى أشجع وهم حى من غطفان كانوا عرب المدينة، وكان سيدهم معقل ابن سنان. قال في العبر: إن منهم بالمغرب الأقصى حياً عظيماً في جهات سجلماسة
(٢) نسبة إلى عاملة وهم حى باليمن من ولد الحارث بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ نسبوا إلى أهمم عاملة بنت مالك بن وديعة بن قضاة، أم الزاهر، ومعاوية بن الحارث بن عدى نفسه، ومنهم عدى ابن الرقاع الشاعر قال الجوهري: وبزعم نساب مضر أنهم من ولد قاسط قال الاعشى:

أعامل حتى متى تذهين إلى غير والدك الأكرم
ووالدكم قاسط فارجموا إلى النسب الفاخر الأقدم

قال في تاج العروس: وشذ بن الأثير حيث جعل عاملة من العالقة اه.

وجاء في سبائك الذهب نقلًا عن أبي عبيد أن بنى عاملة هم بنو الحارث بن مالك يعنى ابن الحارث بن مرة بن أدد وأنه كان تحتها عاملة بنت مالك بن وديعة بن عفير ابن عدى قال الحمداى: وجبل عاملة من بلاد الشام وقيل إن هذه القبيلة من اليمن نزلت به قبيل له عاملة وقد يحذفون التاء فيقال جبل عامل وهو الواقع بين صيدا وصور من الشمال إلى الجنوب وبين البحر المتوسط وغور الحولة من القرب إلى الشرق

(٣) نسبة إلى خولان بطن من كهلان وبلاد خولان في اليمن من شرقيه وقد افترقوا في الفوحات ومنهم بنو سعد وبنو بكر وبنو قيس وبنو الأصهب وبنو حبيب وبنو عمرو وما أتدكره أنتى رأيت في الجبل الأخضر من برقة مكاناً إلى الجنوب منه يقال له خولان
(٤) نسبة إلى أباد وهم حى من معد إلا أنهم يسكنون اليمن قال ابن دريد: هما إبادان إباد بنى نذار وإباد بن سود بن الحجر بن عمار بن عمرو

(٥) نسبة إلى ليث وهو ليث بن بكر بن عبدمناف بن كنانة بن خزيمه بن مدركة بن إلياس بن مضر وفي التهذيب بنو ليث حى من كنانة

(٦) بنو خثعم بطن من أنمار بن أراش قال في العبر: بلاد خثعم مع اخوتهم بجيلة بسروات اليمن والحجاز. وقال السلطان ابن رسول في كتابه أنساب العرب. واختلف في خثعم وبجيلة فأكثر أهل النسب يقولون أنهما أبناء أنمار بن نزار بن معد ابن عدنان وأنهما لاحقاً باليمن وانتسبا عن جهل منهما إلى أنمار بن أراش بن العمرو بن غوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ.

والسكسكى^(١) . والزيدي^(٢) . والثعالي^(٣) . والسكلاعى^(٤) . والدوسى^(٥)

(١) نسبة إلى سكاسك حى باليمن وهما قبيلتان الأولى من كندة وهو كندة بن غفير بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد وولد لكندة أشرس وولد لأشرس سكسك ويقال له حميس وهو أخو السكون وحاشد ومالك بنى أشرس . والقبيلة الثانية هم بنو زيد بن وائلة بن حمير وزيد هذا كان يلقب بالسكاسك .

(٢) نسبة إلى زيد كزبير وهم بطن من مذحج وهو منه الأكبر بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك وهو جماع مذحج وزيد الأصغر هو منه بن ربيعة بن سلمة بن مازن ابن ربيعة بن زيد الأكبر قال ابن دريد : زيد نصغير زيد وهو العطية . وينسب إلى زيد عمرو بن معدى كرب الصحابى الفارس المشهور أسلم سنة تسع وشهد الفتوح واستشهد بالفادية وقيل بناوند رضى الله عنه والقاضى أبو الهذيل محمد بن الوليد بن عامر الزبيدي ومحمد بن الحسين الزبيدي الأندلسى صاحب القالى ومحمد بن عبيد الله بن مذحج بن محمد بن عبد الله بن بشر الزبيدي الأشيبلى اللغوى نزيل قرطبة .

(٣) نسبة إلى ثعلب ويوجد فى العرب قبائل شتى باسم ثعلبة . ثعلبة فى أسد . وثلبة فى تميم . وثلبة بن ربيعة . وثلبة فى قيس . وثلعتان فى طى . وهما ثعلبة بن جذعاء بن ذهل بن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن قطرة بن طى وثلبة بن رومان بن جندب المذكور قال الزبيدي : وقرأت فى أنساب أبى عبيد : الثعالب فى طى يقال لهم مصاييح الظلام كالربائع فى تميم . ويوجد بطن اسمه ثعلبة فى عطفان

(٤) نسبة إلى ذى الكلاع وهما من اليمن أحدهما الأكبر . وهو يزيد بن النعمان الحميرى من ولد شهاب بن وحاضة بن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد بن سدد بن زرجة بن سبأ الأصغر وذو الكلاع الأصغر هو أبو شراحيل سميفع بن ناكور بن عمرو بن يعفر بن ذى الكلاع الأكبر .

(٥) الدوس بن عدنان بن عبد الله وأخطأ بعضهم فظن أنه عدنان بالتحقة الموحدة والحال أنه بالياء المثناة وهم قبيلة من الأزد قال ابن الجوانى النسابة : هو دوس بن عدنان بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن أزد منهم أبو هريرة الدوسى الصحابى المشهور ، ودرس أيضاً قبيلة من قيس وهم بنو قيس بن عدوان بن عمرو بن قيس عيلان .

والحوارى^(١) . والسلماني^(٢) .

هذا ويرد كثير من شهادتهم ، ويقل من ذلك السلي نسباً والدوسى والحوارى والزبيدى ، ويكثر فيهم كالانصارى والحيدى^(٣) والجذامى والقيسى والنسائى . وكفى بهذا شاهداً على الاصلة ودليلاً على المروبة .

وجندم صفنان : اندلسى ، وبربرى . والاندلسى منهم يقودهم رئيس من القرابة وحمى^(٤) من شيوخ المالک ، وزيتهم فى القديم شبه زى اقبالهم وأصدادهم من جيرانهم الفرنج : اسباغ الدروع ، وتعليق الترس ، وجفاء البيضات ، واتخاذ عراض الأسنه ، وبشاعة قرابيس السروج ، واستركاب حملة الرايات خلفه ، كل منهم بصفة تختص بسلاحه ، وشهرة يعرف بها . ثم عدلوا الآن عن هذا الذى ذكرنا الى الجواشن المختصرة ، والبيض المرهفة ، والدرق العربية ، والسهام الأملطية^(٥) ، والاسل المطفية . والبربرى يرجع الى قبائله المرينية ، والزناية ، والنجانية ، والمفراوية ، والمعجيسية

- (١) لم نجد فى ما قرأناه الى الآن قبيلة لها هذه النسبة وإنما ورد فى تاج العروس : وحوار كغراب صقع بهجر ، وكذلك بلد الحيرة بقرب الكوفة النسبة اليها حيارى وقد تكون هذه اللفظة من جملة الألفاظ التى حرفها النساخ فأصبح لا يعرف أصلها .
- (٢) نسبة الى سلمان بطن من مراد وهو سلمان بن يشكر بن ناجية بن مراد قال الرشائى : وأهل الحديث ينحون اللام . منهم عبدة بن عمرو وقيل ابن قيس الكوفى السلماني أسلم فى حياة النبي عليه السلام ولم يره وروى عن على وابن مسعود . وإلى هذه القبيلة ينسب الوزير العلامة لسان الدين بن الخطيب الذى نقل كلامه الآن . ويوجد بطن من جذام اسمهم السلان بالالف واللام
- (٣) لعله يريد الحميدات وهم من بنى أسد بن عزي ينسبون إلى حميد بن زهير بن الحرث بن راشد كما فى التوشيح قاله الزبيدى فى تاج العروس .
- (٤) الحمصى بالحاء المهملة المعروف بالمقل .
- (٥) نسبة إلى قبيلة من البربر اسمها اللطط معروفة بنوع من الدرق إلى النهاية فى التاتة ولكن الموصوف هنا هو السهام .

والعرب المغربية ، الى أقطاب ورؤوس يرجع أمرهم الى رئيس على رؤسائهم ، وقطب لعرفائهم ، من كبار القبائل المرينية ، يمت الى ملك المغرب بنسب . والمعائم تقل في زى هذه الحضرة ، إلا ما شذّ في شيوخهم وقضاةهم وعلماهم والجند العربي منهم . وسلاح جموعهم المعسى الطويلة المثناة بمعنى صفار ذوات عرى في أوساطها ، ترفع بالانامل عند قذفها ، تسمى « بالامداس » وقسى الافرنجة يحملون على التدريب بها على الايام . والمواسم متوسطة ، وأعيادهم حسنة ماثلة الى الاقتصاد : والفنى بمدينتهم فاش ، حتى في الدكاكين التي تجمع صنائعها كثيراً من الاحداث كالحفانين ومثلهم . وقوتهم الغالب البرّ الطيب عامة العام ، وربما اقتات في فصل الشتاء الضمّة والبوادى والغمّة في الفلاحة الذرة العربية ، ومثل أصناف القطاني الطيبة .

وفواكهم اليابسة عامة العام متعددة ، يدّخرون العنب سايبا من الفساد الى شطر العام ، الى غير ذلك من التين ، والزبيب ، والتفاح ، والرمان ، والقسطل^(١) ، والبلوط ، والجوز ، واللوز ، الى غير ذلك مما لا ينفد ولا يتقطع ، إلا مدة في الفصل الذي يزهد في استعماله .

وصرفهم فضة خالصة ، وذهب ابريز طيب محفوظ ، ودرهم مربع الشكل من وزن المهدي القائم بدولة الموحدين ، في الاوقية منه سبعمون درهما ، يختلف السكتب فيه : فملى عهدنا في شق : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وفي شق آخر : « لا غالب إلا الله » غرناطة . ونصف ، وهو القبراط ، في شق : « الحمد لله رب العالمين » وفي شق : « وما النصر إلا من عند الله » ونصفه ، وهو الربيع ، في شق : « هدى الله هو الهدى » وفي شق : « العاقبة للمتقى » .

ودينارهم في الاوقية منه ستة دنانير وثلاثا دينار ، وفي الدينار الواحد ثمن أوقية وخمس ثمن أوقية ، وفي شق منه : « قل اللهم مالك الملك (الى) بيدك الخير » ويستدير به قوله تعالى : « وإلهم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » وفي شق :

(١) هو ما يقال له الكستنا

« الامير عبد الله يوسف بن أمير المسلمين ابى الحجاج بن أمير المسلمين أبى الوليد اسماعيل ابن نصر أيد الله أمره » ويستدير به : « لا غالب إلا الله » ولتاريخ تمام هذا الكتاب في وجه : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » ويستدير به : « لا غالب إلا الله » وفي وجه : « الامير عبد الله الفى بالله محمد بن يوسف بن اسماعيل بن نصر أيد الله وأعانه » ويستدير بربيع : « بمدينة غرناطة حرصها الله » .

وعادة أهل هذه المدينة الانتقال الى حبل العصير ، أو ان إدراكه بما تشتمل عليه دورم ، والبروز الى الفحوص بأولادهم وعيالمهم ، معولين في ذلك على شهادتهم . وأسلحتهم على أكتاد دوابهم ، واتصال أمصارهم بمحدود أرضهم ، وحلبهم في القلائد والدمالج والشنوف والخلالخل الذهب الخالص الى هذا العهد في أولى الجدة ، والبعين في كثير من آلة الراجلين فيمن عدام ، والاحجار النيسة من الياقوت والزرجد والزمرد ، ونفيس الجواهر كثير ممن ترتفع طبقاتهم المستندة الى ظل دولة ، أو اصالة معروفة موقرة .

وحریمهم حریم جميل موصوف بالحسن وتنعم الجسوم ، واسترسال الشعور ، ونقاء الثغور ، وطيب النشمر ، وخفة الحركات ، ونبل الكلام ، وحسن المحاوره ، إلا أن الطول يندر فيهن . وقد يبلنن من التنفن في الزينة لهذا العهد ، والمظاهرة بين المصبغات ، والتنافس بالذهبيات والدياجيب ، والتماجن في اشكال الحلى الى غاية ، نسأل الله أن يفض عنهن فيها عين الدهر ، ويكف كف الخطب ، ولا يجعلها من قبيل الابتلاء والفتنة ، وأن يعامل جميع من بها بستره ، ولا يسلبهم خنى لطفه بمرته وقدرته . انتهى . قلت : كيف لو عاش ابن الخطيب في عصرنا هذا ! فإذا كان يقول ياليت شعري !؟ والله الأمر من قبل ومن بعد ! .

ما ذكره المقرئ في النسخ عن أنساب عرب الأندلس

قال : إنه لما استقر قدم أهل الاسلام في الأندلس ، وتنام فتحها ، صرف أهل الشام وغيرهم من العرب همهم إلى اللول بها ، فنزل بها من جرائم العرب وساداتهم جماعة أورتوها أعقابهم ، إلى أن كان من أمرهم ما كان . فأما المدنايون فهم خندف ومنهم قريش . وأما بنو هاشم من قريش فقال ابن غالب في فرحة الأنفس : بالأندلس منهم جماعة كلهم من ولد إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب . ومن هؤلاء بنو حمود ملوك الأندلس بعد انتشار ملك بني أمية . وأما بنو أمية فهم خلفاء الأندلس . قال ابن سعيد : ويرفون هنالك إلى الآن بالقرشيين ، وربما عموا نسبهم إلى أمية في الآخر ، لما انحرف الناس عنهم ، وذكروا أفعالهم في الحسين رضى الله عنه . وأما بنو زهرة فهم باشبيلية أعيان متميزون . وأما الخزوميون فهم أبو بكر الخزومي الأعمى الشاعر المشهور من أهل حصن اللدور . ومنهم الوزير الفاضل في النظم والنثر أبو بكر بن زيدون ، ووالده الذي هو أعظم منه ، أبو الوليد ابن زيدون وزير معتضد بنى عباد .

قال ابن غالب : وفي الأندلس من ينسب إلى ججح ، وإلى بنى عبد الدار ، وكثير من قريش المروفين بالفهريين من بنى محارب بن فهر ، وهم من قريش الظواهر ، ومنهم عبد الملك بن قطن سلطان الأندلس . ومن ولده بنو القاسم الأمراء الفضلاء ، وبنو الجد^(١) الأعيان العلماء . ومن بنى محارب بن فهر يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، سلطان الأندلس ، الذى غلبه عليها عبد الرحمن الأموى الداخل وجد يوسف عقبة بن نافع الفهري ، صاحب الفتوح بأفريقية . قال ابن حزم : ولهم بالأندلس عدد وثروة .

وأما المنتسبون إلى عموم كنانة فكثير ، وجلهم في طلميطلة وأعمالها ، ولهم

(١) لمولاي سليمان سلطان المغرب تأليف خاص في نسب بنى الجد الذين يقال لهم

ينسب الوشقيون الكنتانيون الأعيان الفضلاء ، الذين منهم القاضي أبو الوليد ، والوزير أبو جعفر ، ومنهم أبو الحسين بن جبير العالم صاحب الرحلة ، وقد ذكرناه في محله .

وأما هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر فذكر ابن غالب أن منزلهم بجهة أريولة من كورة تدمير . وأما تميم بن مرة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر فذكر ابن غالب أيضاً أنهم خلق كثير بالأندلس ، ومنهم أبو الطاهر صاحب المقامات اللزومية . وأما ضبة بن أد بن طابخة فذكر أنهم قبايل بالأندلس . فهؤلاء خندف من المدنانية .

وأما قيس عيلان بن الياس بن مضر من المدنانية ففي الأندلس كثير منهم ينتسبون إلى العموم ، ومنهم من ينتسب إلى سليم بن منصور بن عكرمة بن خصة ابن قيس ، كعبد الملك بن حبيب السلمي الفقيه ، صاحب الامام مالك رضى الله عنه وكالقاضي أبي حفص بن عمر قاضي قرطبة . ومن قيس من ينتسب إلى هوازن بن منصور بن عكرمة . قال ابن غالب : وهم بأشبيلية خلق كثير ، ومنهم من ينتسب إلى بكر بن هوازن قال ابن غالب : ولهم منزل بجوف بانسية ، طى ثلاثة أميال منها وبأشبيلية وغيرها منهم خلق كثير ، ومنهم بنو حزم ، وهم بيت غير البيت الذى منه أبو محمد بن حزم الحافظ الظاهري ، وهو فارسى الأصل ^(١) ومنهم من ينتسب إلى سمد بن بكر بن هوازن . وذكر ابن غالب أن منهم بفرناطة كثيرا كبنى جودى وقد رأس بعض بنى جودى . ومنهم من ينتسب إلى سلول ، امرأة نسب إليها بنوها وأبوهم مرة بن صمصمة بن معاوية بن بكر بن هوازن . ومنهم من ينتسب إلى كلاب ابن ربيعة بن عامر بن صمصمة بن معاوية بن بكر بن هوازن . ومنهم من ينتسب إلى غير بن عامر بن صمصمة . قال ابن غالب : وهم بفرناطة كثير ومنهم من ينتسب إلى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صمصمة . ومنهم بلج بن بشر صاحب

(١) الأفرنجي مجموعون على أنه من أصل اسبانيول

الأندلس وآله و بنو رشيق . ومنهم من ينتسب إلى فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سمد بن قيس عيلان . ومنهم من ينتسب إلى أشجع بن ريث ابن غطفان . ومن هؤلاء محمد بن عبد الله الأشجعي سلطان الأندلس

وفي تقيف اختلاف : ففهم من قال إنها قيسية ، وإن تقيفاً هو قيس بن منبه ابن بكر بن هوازن ، ومنهم بالأندلس جماعة ، وإليه ينتسب الحر بن عبد الرحمن الثقفي صاحب الأندلس وقيل إنها من بقايا عمود . انتهى قيس بن عيلان وجميع مضر وأما ربيعة بن نزار ففهم من ينتسب إلى أسد بن ربيعة بن نزار . قال في فرحة الأنفس : إن إقليم هؤلاء مشهور باسمهم ، بجوف مدينة وادي آش . انتهى . والأشهر بالنسبة إلى أسد أبداً بنو أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، ومنهم من ينتسب إلى محارب بن عمرو بن وديعة بن بكير بن أفضى بن دعوى بن جديلة بن أسد ابن ربيعة ، . قال ابن غالب في فرحة الأنفس : ومنهم بنو عطية أعيان غرناطة . ومنهم من ينتسب إلى النمر بن قاسط بن هنب بن أفضى بن دعوى بن جديلة بن أسد كبنى عبد البر الذين منهم المحافظ أبو عمر بن عبد البر ، ومنهم من ينتسب إلى تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب ، كبنى حمديس أعيان قرطبة ، ومنهم من ينتسب إلى بكر بن وائل كالبكرين أصحاب أونة وشلطيش ، الذين منهم أبو عبيد البكري صاحب التصانيف . انتهت ربيعة .

وأما إيلاد بن نزار ، وقد يقال أنه ابن معد ، والصحيح الأول ، فينتسب إليهم بنو زهرة المشهورون بأشيباية وغيرهم . انتهت العدنانية . وهم الصريح من ولد اسماعيل عليه السلام .

واختلف في القحطانية ، هل هم من ولد اسماعيل ؟ أو من ولد هود ؟ على ما هو معروف ، وظاهر صنيع البخاري الأول ، والاكثر على خلافه . والقحطانية هم المعروفون باليمانية ، وكثيراً ما يقع بينهم وبين المضربة وسائر العدنانية الحروب بالأندلس ، كما كان يقع بالشرق ، وهم الاكثر بالأندلس ، والملك فيهم أرسخ ، إلا ما كان من

خلفاء بنى أمية ، فان القرشبة قدمتهم على الفرقتين ، واسم الخلافة لهم بالشرق . وكان عرب الاندلس يتميزون بالماثر والقبائل والبطون والانخاذ ، إلى أن قطع ذلك المنصور بن أبى عامر الداھية الذى ملك ساطنة الاندلس ، وقصد بذلك تشقيتهم ، وقطع التحامهم وتمصبهم فى الاعتزاء ، وقدم القواد على الأجناد ، فيكون فى جند القائد الواحد فرق من كل قبيل ، فأنحسمت مادة الفن والاعتزاء بالاندلس ، إلا ما جاءت على غير هذه الجهة .

قال ابن حزم : جماع أنساب البين من جرم بن كهلان ، ورحمير بن يشجب ابن يَمْرُب بن قحطان بن عابر بن شائع بن ارقعشذ بن سام بن نوح ، وقيل قحطان بن المديس بن تيهان بن نابت بن اسماعيل ، وقيل قحطان بن هود ابن عبد الله بن رباح بن جارف بن عاد بن عوص بن إرم بن سام . والخلف فى ذلك مشهور ، ففهم كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ومنهم الازد ابن القوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ، واليهم ينتسب محمد بن هانىء الشاعر المشهور الالبيرى ، وهو من بنى المهلب . ومن الازد من ينتسب الى غسان ، وهم بنو مازن بن الازد ، وغسان ماء شربوا منه . وذكر ابن غالب ان منهم بنى القسيمي من أعيان غرناطة ، وكثير منهم بصالحه ، قرية على طريق مالقة ، ومن الازد من ينتسب إلى الأنصار على العموم ، وهم الجرم الصغير بالاندلس .

قال ابن سعيد : والمجب أنك تقدم هذا النسب بالمدينة ، وتجد منه بالاندلس فى أكثر بلدانها ما يشذ عن العدد كثرة . ولقد أخبرنى من سأل عن هذا النسب بالمدينة فلم يجد منه إلا شيئاً من الخرزج ، وعجوزاً من الأوس . قال ابن غالب : وكان جزء الأنصار بناحية طليطلة ، وهم أكثر القبائل بالاندلس فى شرقها ومغربها انتهى . ومن الخرزج بالاندلس أبو بكر عبادة بن عبد الله بن ماء السماء ، من ولد سعد بن عبادة ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو المشهور بالموشحات . و إلى قيس بن سعد بن عبادة ينتسب بنو الأحمر سلاطين غرناطة ، الذين كان لسان

الدين بن الخطيب أحد وزرائهم ، وعليهم اقترض ملك الأندلس من المسلمين ، واستولى المدو على الجزيرة جميعاً كما يذكر . ومن أهل الأندلس من ينتسب إلى الأوس أخى الخزرج ، ومنهم من ينتسب إلى غافق بن عك بن عديان بن أزان بن الأزد . وقد يقال عك بن عدنان بالنون . فيكون أحامد بن عدنان وليس بصحيح قال ابن غالب : من غافق : أبو عبد الله بن أبي الخصال الكاتب ، وأكثر جهات شقورة ينتسبون إلى غافق . ومن كهلان من ينتسب إلى همدان ، وهو أوسلة ابن مالك بن زيد بن أوسلة بن الخيسار بن مالك بن زيد بن كهلان ، ومنزل همدان ^(١) مشهور ، طى ستة أميال من غرناطة . ومنهم أصحاب غرناطة بنو أضحى . ومن كهلان من ينتسب إلى مذحج . ومذحج اسم أكمة حمراء باليمن ، وقيل اسم أم مالك وطفى . بن أدد بن زيد بن كهلان . قال ابن غالب : بنو سراج الأعيان من أهل قرطبة ينتسبون إلى مذحج . ومنزل طى . بقبلى مرسية . ومنهم من ينتسب إلى مراد بن مالك بن أدد . وحصن مراد بين أشبيلية وقرطبة مشهور . قال ابن غالب : وأعرف بمراد منهم خلقاً كثيراً . ومنهم من ينتسب إلى عنس بن مالك بن أدد ومنهم بنو سميد مصنفو كتاب المغرب . وقلمة بنو سميد مشهورة في مملكة غرناطة . ومن مذحج من ينتسب إلى زبيد قال ابن غالب : وهو منه بن سعد الشيرة بن مالك بن أدد . ومن كهلان من ينتسب إلى مرة بن ادد بن زيد بن كهلان . قال ابن غالب : منهم بنو المنتصر العلماء من أهل غرناطة . ومنهم من ينتسب إلى عاملة . وهى امرأة من قضاة ، ولدت للحوث بن عدي بن الحوث مرة بن أدد فتسب ولدها منه إليها . قال ابن غالب : منهم بنو سهاك القضاة من أهل غرناطة . وقوم زعموا أن عاملة هو ابن سبأ بن يشجب بن يهر بن قحطان ، وقيل هم من قضاة .

(١) الاسبان يسمون هذا المكان . هدين ، Hendin لأنهم قبلوا الميم نوناً ثم لفظوا الألف بالأالة فصارت كالباء .

ومن كهلان خولان بن عمرو بن الحرث بن مرة . وقلة خولان مشهورة بين الجزيرة الخضراء واشبيلية . ومنهم بنو عبد السلام أعيان غرناطة . ومنهم من ينتسب إلى المعافرين يعفر بن مالك بن الحرث بن مرة ، منهم المنصور بن أبي عامر صاحب الأندلس . ومنهم من ينتسب إلى لحم بن عدى بن الحرث بن مرة . منهم بنو عباد أصحاب اشبيلية وغيرها . وهم من ولد النعمان بن المنذر صاحب الحيرة . ومنهم بنو الباجي أعيان اشبيلية ، وبنو وافر الأعيان . ومنهم من ينتسب إلى جذام ، مثل ثوبة بن سلامة صاحب الأندلس ، وبنو هود ملوك شرق الأندلس . ومنهم المتوكل ابن هود الذي سعت له سلطنة الأندلس بعد الموحدين . ومنهم بنو مردنيش أصحاب شرق الأندلس . قال ابن غالب : وكان لجذام جزء من قلعة رباح . واسم جذام عامر ، واسم لحم مالك ، وهما ابنا عدى

ومن كهلان من ينتسب إلى كندة ، وهو ثور بن عنبر بن عدى بن مرة بن أدد ، ومنهم يوسف بن هرون الرمادي الشاعر . ومنهم من ينتسب إلى نجيب ، وهي امرأة أشرس بن السكون بن أشرس بن كندة . ومن كهلان من ينتسب إلى خنم بن أنمار بن أراش بن عمرو بن التوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ومنهم عثمان بن أبي نعمة^(١) سلطان الأندلس . وقد قيل أنمار ابن نزار بن معد ابن عدنان . انتهت كهلان .

وأما حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمنهم من ينتسب إلى ذي رعين . قال ابن غالب : وذو رعين هم ولد عمرو بن حمير في بعض الأقوال ، وقيل هو من ولد سهل بن عمرو بن قيس بن معارية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن النوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهذيل بن حمير . قال : ومنهم أبو عبد الله الحنط الأعمى الشاعر . قال الحارثي في كتاب النسب : واسم ذي رعين

(١) أكثر الأفرنج يجعلون عثمان بن أبي نعمة هذا الذي تزوج بابنة الكونت اود ملك غالبا بربريا ولم نعلم سندهم في ذلك

عريم بن زيد بن سهل . ووَصَلَ النسب . ومنهم من ينتسب إلى ذى أصبَح . قال ابن حزم : هو ذو أصبَح بن مالك بن زيد من ولد سبأ الأضر ابن زيد بن سهل ابن عمرو بن قيس ، ووَصَلَ النسب . وذكر الحازمي أن ذا أصبَح من كهلان . واخبر أن منهم مالك بن أنس الامام ، والمشهور أنهم من حمير . والأصبَحيون من أعيان قرطبة . ومنهم من ينتسب إلى محصب قال ابن حزم : إنه أخو ذى أصبَح ، وهم كثير بقلمة بنى سعيد ، وقد تُرِف من أجهم في التواريخ الأندلسية بقلمة محصب . ومنهم من ينتسب إلى هوازن بن عرف بن عبد شمس بن وائل بن الفوث . قال ابن غالب ومنزلهم بشرق اشبيلية والهوازنيون من أعيان أشبيلية . ومنهم من ينتسب إلى قُضَاعَة بن مالك بن حمير ، وقد قيل إنه قضاة بن معد بن عدنان ، وليس برُض ومن قضاة من ينتسب إلى مهرة ، كالوزير أبي بكر بن عمار ، الذى وثب على ملك مرسية ^(١) ، وهو مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة . ومنهم من ينتسب إلى خشين بن تنوخ ، قال ابن غالب : وهو بن مالك بن فهم بن نمر ابن وبرة بن تغلب . قال الحازمي : تنوخ هو مالك بن فهر بن فهم بن نيم الله بن أسد بن وبرة . ومنهم من ينتسب إلى بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة . ومنهم البلويون الاشبيلية . ومنهم من ينتسب إلى جهينة بن أسود بن أسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاة . قال ابن غالب : وقرطبة منهم جماعة . ومنهم من ينتسب إلى كلب بن وبرة بن تغلب بن جلوان ، كفى أبي عبدة الذين منهم بنو جهور ملوك قرطبة ووزراؤها . ومنهم من ينتسب إلى عذرة بن سعد هذيم بن زيد بن أسود بن أسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاة . ومنهم أعيان الجزيرة الخضراء بنو عذرة

ومن أهل الأندلس من ينتسب إلى حضرموت منهم الحضرميون بمرسية وقرطبة واشبيلية ^(٢) و بطليوس وقرطبة . قال ابن غالب : وهم كثير بالأندلس ،

(١) وهو الذى قتله المعتد بن عباد صاحب اشبيلية لهجوه اياه مجرماً مقذعاً
 (٢) ابن خلدون صاحب التاريخ هو من حضارمة اشبيلية ولا تزال في اسبانيا
 وثائق خطية تثبت املاك بنى خلدون في ذلك الصقع

وفيه خلاف ، قيل : إن حضرموت هو ابن قحطان ، وقيل هو حضرموت بن قيس ابن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن القوث بن جيدان بالجيم بن قَعَن ابن العريب بن الفرز بن نبت بن أيمن بن الهيسع بن حمير . كذا نسق النسب الحازمي ومن أهل الأندلس من ينتسب إلى سلامان ، ومنهم الوزير لسان الدين بن الخطيب حسبما ذكر في محله .

وقد رأيت أن أسرد هنا أسماء ملوك الأندلس من لدن الفتح إلى آخر ملوك بني أمية ، وإن تقدم ، ويأتي ذكر جملة منهم بما هو أتمّ مما هنا فنقول : طارق بن زياد مولى موسى بن نصير ، ثم الأمير موسى بن نصير ، وكلاهما لم يتخذ سرير السلطنة ثم عبد العزيز بن موسى بن نصير ، وسريه اشبيلية ، ثم أيوب بن جيب اللخمي وسريه قرطبة . وكل من يأتي بعده فسريه قرطبة ، والزهراء والزاهرة بمجانيها ، إلى أن اقتضت دولة بني مروان ، على ما ينبت عليه ، ثم الحر بن عبد الرحمن الثقفي ، ثم السّمح بن مالك الخولاني ، ثم عبد الرحمن بن عبد الله العافقي ، ثم عنبسة بن سحيم الكلابي ، ثم عذرة بن عبد الله الفهري ، ثم يحيى بن سلمة الكلابي ، ثم عثمان بن أبي نسمة اللخمي ، ثم حذيفة بن الأحوص القيسي ، ثم الهيثم بن عبيد الكلابي ثم محمد بن عبد الله الأشجعي ، ثم عبد الملك بن قَعَن الفهري ، ثم بلج ، ثم بشر ابن عياض القشيري ، ثم ثعلبة بن سلامة العاملي ، ثم أبو الخطار بن ضرار الكلابي ، ثم ثوبان بن سلامة الجذامي ، ثم يوسف بن عبدالرحمن الفهري . وههنا انتهى الولاية الذين ملكوا الأندلس من غير موارثة ، أفرادا ، عددهم عشرون ، فيما ذكر بن سعيد ، ولم يتمدوا في السمة لفظ الأمير قال ابن حيان . مدتهم ، منذ تاريخ الفتح من لتريق سلطان الأندلس النصراني ، وهو يوم الأحد لخمس خلون من شوال سنة اثنتين وتسمين إلى يوم الهزيمة على يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، وتظلب عبد الرحمن بن معاوية المرواني على سرير الملك بقرطبة ، وهو يوم الأضحى لمشر خلون من ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين ومائة . ست وأربعون سنة وخمسة أيام اه .

ثم كانت دولة بني أمية ، أولهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ثم ابنه هشام الرضى . ثم ابنه الحكم بن هشام . ثم ابنه عبد الرحمن الأوسط . ثم ابنه محمد بن عبد الرحمن . ثم ابنه المنذر بن محمد . ثم أخوه عبد الله بن محمد . ثم ابن عمه عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله . ثم ابنه الحكم المستنصر ، وكرسيهما الزهراء . ثم هشام ابن الحكم . وفي أيامه بنى حاجبه المنصور بن أبي عامر الزاهرة . ثم المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر . وهو أول خلفاء الفتنة ، وهدمت في أيامه الزهراء ، والزاهرة ، وعاد السرير إلى قرطبة . ثم المستمين سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر ، ثم تحملت دولة بني حمود الملويين ، وأولهم الناصر على بن حمود العلوى الادريسى . ثم أخوه المأمون القاسم بن حمود . ثم كانت دولة بني أمية الثانية وأولها المستظهر عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر . ثم المستكفي محمد ابن عبد الرحمن بن عبد الله . ثم المتمد هشام بن محمد بن عبد الملك بن الناصر ، وهو آخر خلفاء الجماعة بالأندلس . وحين خلع اسقط ملوك الأندلس الدعوة للخلافة الروانية ، واستبدت ملوك الطوائف كابن جهور في قرطبة ، وابن عباد باشبيلية ، وغيرها ، ولم يمد نظام الأندلس إلى شخص واحد إلى أن ملكها يوسف بن تاشفين الملقب من بردوة ، وقتك بموك الطوائف ، وبعد ذلك ما خلصت له ولا لولده على ابن يوسف ، لأن بنى هود نازعوه في شرقها بالشر ، إلى أن جاءت دولة عبد المؤمن وبنيه . فاصفت لعبد المؤمن بمحمد بن مردنيش الذي كان ينازعه في شرق الأندلس ثم صفت ليوسف بن عبد الرحمن بموت ابن مردنيش ، ثم لمن بعده من بنيه ، وحضرتهم مراكش . وكانت ولائهم تتردد على الأندلس وممالكها ، ولم يوتوا على جميعها شخصاً واحداً لمظلم ممالكها ، إلى أن انقضت منها دولتهم بالتموكل محمد بن هود من بنى هود ، ملوك سرقسطة ، وجهاتها ، فلك معظم الأندلس بحيث يطلق عليه اسم السلطان ، ولم ينازعه فيها إلا زيان بن مردنيش في بلنسية من شرق الأندلس ، وابن هلالة في طبيرة من غرب الأندلس . ثم كثرت عليه الخوازيج قريب موته

ولما قتله وزيره ابن الرميبي بالمرية زاد الأمر إلى أن ملك بنو الأحمر . وكان عرب أهل الأندلس في المائة السابعة يخطبون لصاحب إفريقية السلطان أبي زكريا يحيى ابن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص . ثم تقلصت تلك الظلال ، ودخل الجزيرة الانحلال ، إلى أن استولى عليها حزب الضلال . والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

نظرة إجمالية

إن إسبانية والبرتغال ليستا على وجه الاجمال معروفين حق المعرفة عند الناس ومهما اتسعت المعلومات عنهما فالناس تعلم عن أكثر البلدان الأوربية ما لا تعلمه عنهما ، لأن الممالك المدودة كأنموذجات للمدينة الحاضرة ، والمواسم التي يقصد إليها السياح لأجل الفرحة والاستشفاء أو البحث . ويؤمها الطلبة لأجل تحصيل العلوم ، ليست في إسبانية ولا في البرتغال ، وإذا رجعنا إلى طبيعة الأرض ، وبداعة المناظر فليس في الجزيرة الايبيرية في الحقيقة من تنوع المناظر الساحرة ما في إيطاليا مثلاً ، كأن السائح لا يرى فيها تلك المروج الزمردية ، والبحيرات اللطيفة ، والجبال الشائعة ، المممة بالثلج ، ولا مسارح اللوحات التي يراها في سويسرة ، ولكن مما لا جدال فيه أن مواقع معدودة من إسبانية والبرتغال - تمد من أبداع مواقع العالم ، وأنها المثل الأعلى من جهة الجنان والبساتين .

أما من جهة المدينة فهي في جنوبي إسبانية راجعة إلى أشد أدوار التاريخ توغلاً في القدم ، وقد كان للفينيقيين في هذه البلاد دور طويل عريض ، وقد أثروا فيها آثاراً لا تزال بقاياها ماثلة إلى الآن ، ثم جاء الرومانيون ، وكانت لهم طبيعة عمرانية معروفة لهم شرقاً وغرباً ، فوجدوا مجال العمل في إسبانية ذات سعة ، فصلاوا ، وبنوا ، وأثروا ، وأثناوا ، وتركوا آثاراً ناطقة بفضلهم ، وجسوراً وأقنية مملقة منبثة عن شأومهم وملاهي وهياكل ، كالتي في ماردة ، وطرك كونه ، ومريطير ، وغيرها مما لا يدريسه الزمان ، ولا ينال منه الحدثان .

وجاء بعد ذلك العرب فأثّلوا في الجزيرة الأيبيرية ، أو الجزيرة الأندلسية على رأيهم ، حضارة عربية شرقية بلغت من الأبهة ، والفراغة ، وسلامة الذوق ، سدرة المنتهى ، فلا تكاد تمر بمكان إلا للعرب فيه آثار باهرة ، وغنم أخبار تتحدث بها السامرة ، ولا يزال نظام سقيا الجنان ، وتوزيع المياه على الارضين ، هو النظام الذي رتبوه في أيامهم ، ثم انه لا ينكر ان الفن المسيحي ، سواء في القرون الوسطى ، أو من بعد عهد النهضة Renaissance قد ترك في اسبانية آثاراً فاخرة ، ومباني فخمة ، كقصر الاسكوريال مثلاً .

فالذين يقصدون إلى اسبانية من السياح لا تخيب آمالهم ، ولا تذهب نقاتهم سدى ، وذلك لأن السائح الأوربي يجد دائماً في اسبانية أشياء جديدة بالنسبة اليه . فالبلاد كلها عبارة عن جزيرة يحيط بها البحر من جهاتها الثلاث ، وتحيط بها جبال البرانس الشاخحة من الجهة الرابعة ، فهي معزلة في مكانها ، متباعدة من اوروبا زاوية خاصة بها ، غير متأثرة بغيرها ، محتفظة بجميع مميزاتا وخصائصها ، لا هي شرقية تماماً ، ولا هي غربية تماماً ، بل هي متوسطة بين اوروبا وأفريقية ، واصلة بين المشرق والمغرب ، منطوية في أحناء وجودها هذا المستقل على أسرار لا يعرفها إلا من أكثر من التجوال فيها ، وقرن السير بالنظر .

وهناك شعب شديد الخنزوانة قائم بذاته ، لا يشبه غيره ، ولا يريد أن يتشبه بغيره ، وله مأخذ ومثارك لا ينزل عنها ، وهو بفطرتة لا يجب تقليد الشعوب الاخرى ، بل هو من قديم الزمان مستمسك بأوضاعه ، متمال عن السير وراء أقرانه ، لا يرضى بما لديه بدلا ، ولا ينتهي عما ائتمنه جوالا .

نعم من جهة الصناعة وفن الرسم والتصوير قد يقلد الاسبانيول سوامم ، بل يجد الناظر في كنانسهم وقصودهم آثاراً للفن الايطالي ، الذي يدور على محاكاة الطبيعة . وكذلك يجد في رسومهم وتصاويرهم تأثير الفن الافرنسي ، والفلسفي ، بل ليس في اسبانية فن تصوير خاص بها ، ولا فن بناء خاص بها ، وإنما هي محاكاة للاسم

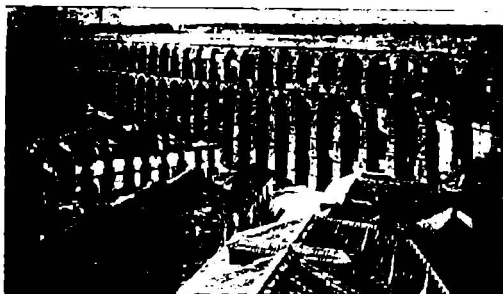
الغريبة الأخرى مع جزء فيها من الطبع الإسباني . وإذا كان السائح الأوربي لم يعرف بلاد الشرق ، أو لم يقيض له أن يزور بلاد الإسلام ، فانه يجد في إسبانية آثاراً عربية ، تكفيه لأخذ صورة حقيقية عن المدينة الإسلامية ، التي منها في الأندلس أمثلة كافية ، وقِطَع تعد من أنفس وأرق ما تركه العرب من الآثار في الأرض .

وأما السائح الشرقي فانه يقضى سياحته في إسبانية متأملاً ، غانصاً في بحار المبر هاماً في أودية الفكر . كلما عثر على أثر عربي خفي له قلبه ، واهتزت أعصابه ، وتأمل في عظمة قومه الخالين ، وما كانوا عليه من بعد نظر ، وعلوم ، وسلامة ذوق ، ورفق يد ، ودقة صنعة . وكيف سمحت بهم مهمهم إلى أن يقوموا بتلك الفتوحات في ماوراء البحر في بحبوحة النصرانية ، وملتطم أمواج الأمم الأوربية ، وأن يبنتوا فيها بناء الخلالدين ويشيدوا فيها ألوفا من الحصون ، وأن يملأوها أساساً وغراساً ، كأنهم فيها أبد الآبدين ، فلا يزال قلب السائح المسلم في الأندلس مقسماً بين الإعجاب بما صنعه آباؤه فيها ، والابتهاج بما يمتد عليه من آثارهم ، وبين الحزن على خروجهم من ذلك الفردوس الذي كانوا ملكوه ، والوجد على ضياع ذلك الارث الذي عادوا فتركوه ، وأكثر ما يلبث عليه في سياحته هناك هو الشعور بالألم ، فهو لا يزال يسير بين تأمل وتألم ، وتفكر ، وتحسر ، لكنه يريد مع ذلك أن يقتري هذه الآثار ، وأن يمشى في مساكن أولئك الآباء ، وأن يخاطب الأحجار ، وذلك لأنه لهوى النفوس سرائر لا تعلم ، من جعلها أنها تنزع إلى البكاء عند دواعي الوجد ، كما ترتاح إلى الطرب عند بواعث السرور ، وأنها قد تهتف بالأمرين معاً ، وتجمع الضدين شرعاً ، وأن كل ما هو حنين وتذكار ، وولوع بعد الأعيان بالآثار ، هو من سرائر البشرية ، وبما هو غالب على النفس الناطقة .

العمران والفسه فى اسبانية

هذا ، و إذا حاولنا تحليل الإنشاء العمرانى الذى يعول عليه فى اسبانية وجدناه يتقسم إلى أربعة أدوار : رومانى ، وقوطى ، وعربى ، وأوروبى متجدد ، فالرومانى أعظم آثاره متجلية فى مدينة ماردة ، قاعدة « لوزيتانيا » التى بناها أغسطس ، فيها الجسر الذى كانت له ٨١ حنية ، وفيها القناتان المعلقةتان ، وفيها المنهى التمثيلى ، وفيها ماهى التمثيل البحرى وفيها الملعب العام ، وفيها هيكل المريخ الذى تحول فيما بعد كنيسة وفيها قوس النصر الشهيرة . وغير ذلك من المباني الخالدة . وطركونة فيها عدة هياكل و ماهى تمثيلية ، وملعب وحمامات ، وجميعها من أنعم المباني الرومانية التى يقبدها التاريخ لتلك الأمة العظيمة . وسقوية Ségopice هى ذات القناة المعلقة التى طولها ٨١٨ متراً ، منها ٣٦٦ متراً رابكة على طاقتين من الحنايا ، الواحد فوق الآخر ، عدد فناظرها ١١٩ قنطرة ، وهو أكمل وأروع بناء رومانى فى اسبانيا .

وأما القوطى فأقدم آثاره فى « أوبيط » Oviedo وهى كنيسة « سان ميكال دواينو » San Mikal de Lino من بناء رامير الأول (٨٤٣ - ٨٥٠) وكنيسة



القناة الرومانية المعلقة فى شقوية

« سانتا مارية نارنكو » Naranco وغيرهما . وفي برشلونة اديار البندكتيين « سان بابلو دلكامبو San Pablo delcampo و « سانت بديرو دولاس بويلاس » San Pedro de Las Puellas من أبنية القرن العاشر .

وبعد ذلك لهد بداية الكثرة الاسبانية على العرب ظهرت صنعة جديدة في البناء تدل عليها كنائس ذلك الوقت ، يكثر في بنائها شكل الصليب ، ويقل الزخرف ، وتمتاز بالرصانة والمتانة . ومن هذا النوع كنيسة « سانت ياقودوكومبوستيلا » De Compostela التي يرجع بناؤها إلى سنة ١٠٦٠ ، وقد امتد إلى سنة ١٠٩٦ وهي تقايد لكنيسة « سان سرنين » في طلوزة . وعلى نسق هذه الكنيسة بنيت كنيسة « سان ايزيدورو » في ليون بين سنتي ١٠٦٣ و ١١٤٩ و « سانتا مارية » في « كورنية » وسان بديرو في وشقة وغيرها . ثم في القرن الثاني عشر بدأوا في اسبانية يقلدون نسق البناء المعروف في فرنسا ، ويقال له هناك غوثيق Gothique وأصله نسبة إلى القوط ، ولكنه ليس بالقوطي الاسباني القديم ، فبنيت كنائس في طلمنكة ، وطركونة ولاردة ، وتطيلة ، وآبله ، وسقوية ، على هذا النسق . وقد فاقت في الضخامة جميع ما تقدمها .

وفي مدينة برغش Burgos كنيسة كبرى بناها للمطران موريسيو سنة ١٢٢١ تحتوي مجموعة فنون البناء في الثلاثة الاعصر الاخيرة لذلك الهد . وكان يقال انها أبداع كنيسة في اسبانية . بناها الاستاذ يوحنا الكولوني Jean Cologne وكان من بلدة كولونية بناؤون كثيرون يعملون في اسبانية ، وكانوا يتوخون في ذلك العهد مناغاة الابنية العربية ، ويحاولون التوفيق عليها . فكنيسة برغش بنيت سنة ١٢٢١ وبعد ذلك بقليل ، عند ما حوّلوا المجد الأعظم في طابطة الى كنيسة في سنة ١٢٢٧ اجتهدوا في أن يعطوه من السمة والاتقان والفضامة والظخامة ما لم يكن مهورداً إلى ذلك الوقت ، وليس في اسبانية كنيسة أوسع رقعة من كنيسة طابطة سوى كنيسة اشبيلية . ثم بعد بناء كنيسة طابطة أنشأوا الكنيسة الكبرى في ليون ،

ذات الصور البديمة على البلور ، وتبع ذلك كنيسة « آبله » Avila ثم في القرن الرابع عشر والخامس عشر جد طرز آخر للبناء يميل إلى توسيع الداخل، ومنه كنيسة سانت ياقو في طليطلة ، وكنيسة « استورقة » Astorca وكنيسة سان بنيتو في « بلد الوليد » Valladolid ودير « البرغال » Parrel في سقوية ، وفي « نبارة » Navarre كنيسة بنبلونة Panpelonne وهي أشبه بكنائس فرنسة . وأهبي تلك الكنائس كلها الكنيسة العظمى في برشلونة ، بناها فابر الميورتي . وفي القرن الخامس عشر بنيت كنيسة أشبيلية مكان الجامع الكبير الذي كان فيها ، وهي أوسع بنية في ذلك العصر ، بناها معلون من هولاندة ، وكانوا قد بدأوا يقلدون العرب في نقش الكتابات على أحجار المباني العامة ، وتطريس الخطوط على الأبواب

وأما في كتالونية فانهى طرز انشاء الكنائس بأن أصبح مطابقاً تمام المطابقة لطرز بنائها في فرنسة ، ولما كشف الاسبانيول أميركة ، وبلغت اسبانية ما بلغت من العظمة والبسطة في القرن الخامس عشر ، ازداد الاسبان تقنناً في البناء ، وشادوا تحت تأثير العز ، ونشوة الساطان ، وكثرة الخيرات ، مبانى مدهشة ، تستحق السياحة من البلاد النائية ، وذلك من قبيل « سان بابلو » وسان غريغوريو « في بلد الوليد ، و« سنتا كروس » في سقوية ، وفي ذلك العصر نبع « خيل دوسيلو » الذي يعد عبقرى وقته في البناء . إلا أنه قد دخل إذ ذلك في هندسة الكنائس في أسبانية بدعة لم تكن لتزيدها بهاء ولا رونقا ، وهي جمل موضع خاص في وسط البيمة لأجل الأحبار والتسيبين ، مما كان يخجل بالهندسة ، وينافى وحدة الخطوط .

وكذلك هناك بدعة أخرى ، ليست بأقل منها هجئة ، وهي الاجتهاد في منع النور عن الكنائس ، وإبقاء داخلها مظلماً بقدر الامكان . وهذه المادة فاشية في أكثر بيع أوربة حتى يظن النريب الجاهل بالأوضاع أن الظلمة هي مستحبة في قانون الكنيسة ، وأن النور مكروه فيه . ولا نظن أحداً يكابر في هذه الحالة

وأما طرز البناء العربي فهو على العكس من ذلك فهو يكره الظلام ، ويجب

النور، كما تشهد ذلك في جميع المساجد والمباني العمومية التي شادها المسلمون في الأندلس وغيرها، فأما مسجد قرطبة فهو أعظم مسجد في أسبانية، ومن أعظم المساجد في الاسلام، لا أظن مسجداً يفوقه في السعة سوى المسجد الحرام، وسوى المسجد الأقصى. وربما كان جامع ابن طولون في مصر بهذا المقدار. ولم يقع إنشاء المسجد الأعظم في قرطبة دفعة واحدة، بل وقع شيئاً فشيئاً، كما سيأتي تفصيل ذلك، فكان يزداد فيه كلما ازداد سكان قرطبة. وترى الافرنج الذين يدخلون إليه يؤثرون سمته هذه بأنه بناء قوم كانوا يحملون بأن الاسلام لابد أن يسم العالم، فان المسقوف والصحن من هذا المسجد يسمان ثمانين ألف مصل يصلون وراء إمام واحد.

فأما النقش والمُصَيِّفَاء اللذان في هذا المسجد فلا شك في كونها من الصنعة البيزنطية، كما أنه لا شك في أن صنّاع المسلمين تعلموها وتفننوا فيها، وقد تفننوا في الخرط والنحت والنقش والزينة بما جعل لهم أسلوباً خاصاً معروفاً بهم منسوباً إليهم، تجده في مساجدهم، وقصورهم، وحماماتهم، وأبراجهم، وأبوابهم، وكل بناء يولونه شطراً من عنايتهم.

وعما يمتاز به المبانى الاسلامية نقش آيات القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة والامثال، والأشعار، في الحيطان والسقوف، وفوق الابواب، وفي الامكنة المروضة للنظر، بما تزداد به الابنية سناء، والابهاء بهاء، ويمد من نفائس الزينة التي تزهر بها هذه المعاهد. ولقد رأيت في رُندة قاعة انكشفت جديداً، حيطاسها كلها من المرمر، وقد حُفر عليها سورة الفتح من أولها إلى آخرها. وكان الاسبانيول يوم أجلاو الرب عن الاندلس إذا رأوا بناء متقناً، وضمنوا به أن يحملوه ذكاً، أبقره مائلا، لكنهم غطوا بالحصص جميع ما على الحيطان من الكتابات العربية، حتى يمحو أثر الاسلام من بلادهم بالمرّة.

ولبت ذلك ديدنهم إلى هذا العصر الذي شعروا فيه بأن السباح إنما تقصد ببلادهم لأجل مشاهدة الآثار العربية، فرجموا ينقبون عنها في كل سهل وجبل،

وكما انكشف لأحدهم منها شيء عدّ نفسه قد عثر على كنز ، وصارت المجالس البلدية تمنع هدم أى أثر قديم للعرب ، وإن كان متداعياً إلى الخراب اكتفوا بتقويم شعثه ، وأبقوه على هيئته . وقد يكون الشارع ضيقاً ولا يسمحون بتوسيعه ، إذا استلزم ذلك هدم الأبنية المرية .

ومما يُعجب به الافرنج من مساجد الأندلس جامع في طليطلة يقال له اليوم « سانتو كريسو دولالوز » Dela Luz تاريخ بنائه كما يفهم من الكتابة التى فى مدخله سنة ٩٢٢ مسيحية . ولما استرجع الأسبانيول طليطلة فى القرن الحادى عشر المسيحى حولوه كنيسة ، ولم يغيروا فيه إلا الجهة الشرقية . وفى هذا المسجد بقايا نقوش عربية بديمة . ويقال إن الأذفونش السادس الذى احتال على ابن ذى النون حتى أخذ من يده طليطلة قد سمع أول قداس بعد استيلائه على هذه البلدة فى هذا المسجد نفسه . وفى طليطلة أيضاً من أمثلة الصنعة العربية كتبس لليهود يقصد إليه السياح لنفاضة بنائه . وقد بقى فى الأندلس من المآثر العربية التى يشار إليها بالبنان قصر الجعفرية فى سرقسطة ، ومنارة اشبيلية الشهيرة ، وباب ساحة النارج فى هذه البلدة ، والقصر Alcazar الذى بناه الملك بترى الملقب بالناشم ولكن على الطرز العربى بأيدى بنائين من العرب .

فأما حمراء غرناطة فلا تزال إلى يوم الناس هذا زينة اسبانية وحليتها ، ومقصد المتفرجين من جميع الأقطار يزورها فى دور السنة من سبعمين الى مائة ألف متفرج ، ومن أغرب ما سمعت أن بعضهم يقيم الشهر والشهرين والثلاثة فى غرناطة ، وفقاً يمتضى يوم إلا ويقصد فيه إلى الحمراء حتى يمتع نظره بما فيها من نفائس الصنعة ، وبدائع الطبيعة ، لأن موقع الحمراء الطبيعى هو أيضاً نادر فى الدنيا . ومما يحمد الله عليه أن صناعة البناء الأندلسية هى محفوظة كلها فى المغرب ، لا تختلف فى شيء عما كانت عليه فى الأندلس ، وان الزليج الذى تزين به الجيطان والباحات ، والذى يشبه القاشانى فى المشرق ، لا يزال يصنع ويتنافس به .

هذا ، وبعد أن استرد الاسبان بلاد الاندلس من أيدي العرب ، وصار هؤلاء تبة لهم تحت اسم المدجنين ، والاسبان يقولون مدجر Mudéjar بقيت الصنعة العربية زاهرة ، يبنى بها الاسبان أنفسهم ، ويدخلونها حتى في بعض كنائسهم ، وقد يجمعون بينها وبين الصنعة القوطية . ومن القصور المبنية على الطراز العربي قصر « الاماتادو » في وادي الحجارة ، وقصر اسمه « كزادل كركدون » Casa del Cardon في برغش ، من بناء مهندس عربي اسمه محمد ، من سقوية ، تاريخ بنائه يرجع الى القرن الخامس عشر .

ولا تخلو اسبانية من أبنية قلدوا فيها الصنعة الإيطالية بعد عصر التجدد Renaissance ثم رغبوا في زيادة التزيين والتزويق والتخريم والترصيع ، حتى سمي هذا الطرز من البناء بطرز الصياغة . وكان البناءون من الطليان يطوفون في اسبانية ، وينتولون القصور لأمراتها بحسب الصنعة الإيطالية ، وربما أرسل بعض المترفين من اسبانية إلى جنوة ، فأوصوا على رسوم لقبور موتاهم ، وبنوا بحسبها في بلادهم . ولم يكن الطليان وحدهم الذين يبنون بمقتضى الهندسة الجديدة في اسبانية بل كان هناك بناءون من فرنسة وهولاندة وبلجيكة وكان أشهر هؤلاء « أنريك دوايقاس » Enrique de Egas الذي هندس مدرسة « سفتا كروز » في بلد الوليد ، وعدة مستشفيات في طليطلة وغرناطة وسانت ياقو .

واشتهر من النحاتين في ذلك العصر « فيليب فيكارني » Vigarni « وسيلو » Siloe الذي بنى كنائس غرناطة وكنيسة مالقة . واشتهر أيضاً دياغو دوريانو Diego Deriano الذي له ابنية شهيرة في اشبيلية . مثل دار البلدية ، وكذلك في تلك الحقبة بنيت في ياسة دار بلدية فاخرة . وفي أبذة كنيسة ساننا مارية الشهورة بناها المهندس المسمى « بلد البيرة » وهو الذي بنى كنيسة جيان . واشتهر أيضاً « ريبارا » ناني دار البلدية في شريس . ومن المدن الشهيرة بالمباني المشيدة بحسب الطراز الجديد طلنكة Salamanca ذات الادبار والمدارس ، ومدينة القلمية

Alcala وقونكة . ثم جاء عهد فيليب الثاني ، وكان الميل فيه إلى الفخامة ، مع عدم الاعتناء بالزخرف ، وبحسب هذا الاسلوب بُني الاسكور يال الشهير كما لا يخفى .
 ثم جاء مهندسون أحبوا الخروج عن قواعد الفن ، ونزعوا منزع عدم التقيد مثل « جوفاره » Juvara الذي بنى قصر آل ربون الملوكي ، ويقال انه من أنفـس آثار هذا الأسلوب الجديد الحر الذي يسميه الاسبان باسم « روكوكو » Rococo وكذلك يمدون مدخل كنيسة مرسية من طرف هذا الاسلوب . وبالاجمال ففي اسبانية من جميع أساليب الفنون النفيسة ، وكلها تستحق النظر . وفيها عدا الكنائس وقصور الملوك والمباني العمومية منازل للتبلاء والمترفين في كثير من المدن ، يجدر بالسامعين أن يعوجوا عليها ، مثل قصور « آل بينافنت » Benavente في بياسة ، وآل مدينة سالم Medinaceli في « كوغولودو » Cogoludo وقصور « فالاسكو » Velasco « وميراندا » Miranda في برغش وقصور « مندوزه » Méndoza في وادي الحجارة ، وغيرها من قصور العائلات النبيلة .

فأما صناعة النحت فقد وجد منها آثار قديمة ترجع إلى زمن الرومانيين ، لكنها شخوص معدودة . ثم وجدت تماثيل قليلة من أوائل عهد النصرانية ، ولكن فن النحت ، في اسبانية لم يبلغ درجة تستحق الذكر إلا في النصف الثاني من القرن الثاني عشر ، وإن وجد في اسبانية بعض تماثيل تعد من طرف الفن فيكون ذلك من صنع الطليان أو الفرنسيين ، وفي كنيسة طركونة أمثلة من جميع أساليب النحت المعروفة حتى إن من جعلها محراباً باقياً من عهد المسلمين . وقد كان الغالب على بلاد « نبارة » الأسلوب الافرنسي في النحت ، كما ترى ذلك في دبر بنبلونة وأما كن أخرى وأجمل ما في اسبانية من التماثيل تماثيل السيدة مريم العذراء ، نجد منها نفائس في اشبيلية وطرطوشة وميورقة وطليلطة وغيرها . وأكثر ماتنحت التماثيل هو للأموات من ملوك وأمراء وأحبار وأعيان . وأشهر هذه تماثل الملك فرديناند في برغش ، وتماثل الأسقف « فرنندس دولونا » Deluna في كنيسة سرقسطة . وكذلك تماثل الأسقف

« دوسار فنس » De Cervantes في اشبيلية وأرباب الفن يتعمون دائماً بذكر تماثيل برغش ، التي هي من خرط خيل « سيلو » Siloe ويسجون بقبور كارلس الثالث وامراته في بنبلونة « وجوان كرادو » Grado في زمورة . ثم إنه في كنيسة سرقسطة المسماة « بالسيو » وفي كنيسة طركونة تمانيل يقول أهل الصنعة إنها يتائم في بابها .

ولو جاء الكاتب يحمي ما في اسبانية من التماثيل الشهيرة ، والتصاوير المستعذبة والتهاويل المعروفة بيداغة الصنعة ، لاطل به الأمر ، فان هذه البلاد ملامى بهذا النوع منه ما هو من عمل صنّاع طليان ، ومنه ما هو من عمل صنّاع البلدان الشمالية ، كفرنسة والمانية وبلجكة وهولاندة . ومن أشهر المتفننين في النحت من أمة الاسبانيول « الوزو بروغيت » Berruguete الذي كانت له حظوة لدى الامبراطور شارلكان في بلد الوليد ، فقد ترك هذا الفن آثاراً كثيرة ، أثيرة ، يطول تعدادها . ومثله « يياترو توريجياني » Torrigiani . وبما يجب ذكره أن مملكة أراغون كانت لها ملكة قوية في صناعة النحت ، امتازت بها على غيرها من الأقطار الاسبانية واشتهر من صناعها « داميان فورمان » Forment ، كما أنه كان في قشتالة من الصنّاع المشهورين « كسبار بسرة » Becerra أقام مدة طويلة في رومة ، وقد رجع منها أستاذاً كبيراً في النحت والتصوير معاً ، وكان يؤثر العمل في الخشب على العمل في الحجر ، وأحسن آثاره المذبح الذي في استورقة . ومن اشهر في اشبيلية « مارتينس مونتانس » Montanes المدود من فحول هذا الفن ، وكان أسلوبه وطنياً محضاً ، غير متأثر بأى فن أجنبي . ونبغ في القرن الثامن عشر نحات أصله طلياني ، مولود في مرسية اسمه « زار سيلو » Zarcillo وكان له مذهب خاص لا يقلد فيه غيره .

أما من جهة التصوير فلم يوجد في اسبانية بقايا تصوير من عهد القوط الأولين وإنما بقيت تصاوير راجعة إلى القرون التي كان فيها العرب مالكين لاسبانية . وان السّامح يجد في الاسكوربال ، وفي المكتبة الوطنية في جريط ، وفي أكاديمية التاريخ

في هذه العاصمة ، كتباً أثرية تشتمل تضاعيفها على صور يأخذ منها صورة ذهنية عن درجة هذا الفن في اسبانية لهد العرب ، ومنها صور لبعض القصور العربية ، وكان يسمى هذا النوع من الرسم بالبيزنطى . ثم دخل في اسبانية التصوير الافرنسى ، ومنه آثار تذكر في طلمنكة ، وبنبلونة ، ونطيلة ، ودخل من جهة أخرى التصوير الايطالى واشتهرت له نفانس في بلنسية وكتلونية وجزيرة ميورقة ، وامتاز بصناعة الألوان ، ودقة التقاطيع ، وغاب عليه الجمال . وقد وجد في اسبانية نوع من التصوير لا يخلو من الصنعة العربية منه مذيبح دير « بيادره » Piedra

وعلى كل حال فلا الفن الافرنسى ، ولا الفن الايطالى ، بلغ في اسبانية في التصوير ما بلغه الفن الفلمنكى ، فلقد اشتهر من مصورى الفلمنك الذين كانت اسبانية معرضاً لبدائعهم « جان فان أيلك » Van Eyck ونيف مصورون اسبانيوليون في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، هم من مقلدى الطريقة الفلمنكية . وفى كل مقاطعة من أسبانية يجد المعارف بهذا الفن مسحة منتقلة اليها من مملكة أجنبية . ففي الشمال مثل نبارة وأراغون تسود الريشة الافرنسية ، وفى الشرق مثل بلنسية وميورقة تسود الريشة الإيطالية ، وأما في برشلونة فتوجد آثار الرسم الافرنسى والألمانى والإيطالى على السواء ، وأبداع أمثلة التصوير الاراغونى والقشتالى يجدها الإنسان فى سقوية وآبله ، وفى المتحف الآنازى فى مجريط ، كما أنه يجد أنفس قطع الفن السكتلونى فى كنيسة برشلونة ، وكذلك يجد فى متحفى بلنسية وميورقة نفانس كثيرة . وفى اشبيلية يتجلى أيضاً الفن الفلمنكى عياناً ، لأن أعظم مصور فى هذه البلدة وهو « كاسترو » Castro كان من أتباع الطريقة الفلمنكية ، ثم طرأت على اشبيلية طريقة جديدة طليانية الأصل تميل إلى محاكاة الواقع بمخاديفه ، وعدم الاسترسال إلى التخيل ، واشتهر بها مصور اسمه « زور باران » Zurbaran ولا تنس آثار مصورى البنادقة الذين من علمهم أمائيل أنيقة فى الاسكوريال وقصر مجريط . وكان قد نيف من رجال الفن البندقى مصور يقال له « تتوان » Tetuan ونيف له تليذ يونانى الأصل

أطلق عليه الأسبان لقب « الكريكو » Greco وقد رأيت لهذا الكريكو صورا كثيرة في طليطلة

وفي القرن السادس عشر نبع في مصورى اسبانية رجل يقال له « هريره » Herrera يده الاسبانول الفن الوطنى الأكبر ، لأنه يمثل الرصانة والشدة والحمية والصفات التى تغلب عليهم . وكان أهل بلنسية معروفين بحسن الذوق فى التصوير ونبغ فيهم نوابغ فى هذا الفن ، ولكن تأثير الفن الايطالى ظاهر فى تصاويرهم ، ومن أشهر هؤلاء « ريبالتا » Ribalta ثم « اسپينوزة Espinosa نديده ثم « ريباره » Ribera . وليس فى اسبانية مدرسة أحدث عهداً فى التصوير من مدرسة غرناطة وعن نبغ فيها « الونزوكانو » Cano . وفى القرن السابع عشر نبغ « مورلو » Murullo الذى يحبه الاسبانول أكثر من غيره ، وقد كان فى فنه من مقلدى الطبيعة ، أميناً للحقيقة ، لا يؤثر الخروج عنها ، وكان له ميل إلى محاكاة أذواق الدامة وله تلاميذ كثيرون مثل « اوزوريو » Osorio و « طوبار » Tobar وظهر فى ذلك المصر أيضا « فلاسكس » Velazquez وأصله من شلب وقد تبع فى التصوير الطريقة الاشبانية ، وترك آثاراً يفخر بها الاسبانول ، مثل صورة فليب الرابع ، وصورة اللون كارلوس ، ولم يسن لنفسه طريقة يقال إنها طريقة مدرسيه ليتابعه الناس فيها ، بل لم يكن يتقيد بأسلوب خاص به . وفى مجرى نبغ « جوان كارينو » Carreno فى أوائل القرن السابع عشر ، وكان مصوراً للبلاط الملكى فى أواخر عهد آل هيسبورغ ، ثم اشتهر « سيريزو » Cerezo و « فرنسيسكو ريزى » Rizi الذى يحاكي فى تصويره الألوان المستعجة فى الشرق . ومن مصورى القرن السابع عشر فى مجرى « ليوناردو » Leonardo ثم « مينوز » Munoz : وفى أواخر القرن السابع عشر نبغ « كولو » Coello وكان يحاكي الفلمنكيين بسطوع الألوان واشماع النور ، وشثونة التقاطيع . وبه ختمت دولة التصوير القديمة فى اسبانية ، وقبل انه مات كذا ، لأن البلاط الملكى استدعى إليه « جيوردانو »

Jiordano وفي زمن آل بوربون نبيغ « بالومينو » Palomino ولكن البوربون في القرن الثامن عشر اعتمدوا على مصورى الفرنسيين ، وروجوا بضائهم . وفي أواخر القرن الثامن عشر ، إلى أوائل التاسع عشر ، اشتهر « فرنسيسكو غويا » Goya وكان هذا الرجل أعجوبة في طريقته ، يرسل نفسه على سجيبتها ، ولا يعرف المحاباة ، وقد تعرض غويا هذا لجميع المواضيع ، وله تصاوير دينية مملقة في كنائس طليطلة وبلنسية ومجريط ، إلا أنه لم يكن يحسن إلا هذا اللون ، ولم يكن الناس يحبون تصاويره إلا لخشونتها ، ولذبه في الصراحة ، لا رثاء فيها . والصورة التي رسمها لعائلة كارلوس الرابع هي في الحقيقة مخزاة ناطقة بمظالم أمور . وله تصوير ملاعب النيران ، وديوان التفتيش ، وتصاوير تمثل حرب الاستقلال ، أجاد فيها إلى الغاية ويقال إنه أقدر مصور مثل أعياد الاسبانيول . وجاء خلفا له مصور يقال له « مدرازو » Madrazo

ثم جاء العصر الأخير فنيغ « براديللا » Pradilla « وبنليور » Benlliure واضرابهما ، فأقتنوا الصور التاريخية ، وفق هوى الاسبانيول في الغرام بالماضى المجيد ، والافتتان بالعظيم والمهزّن والمناظر القاسية . ثم ظهر المصور « فورتوني » Fortuny وهو من كتلونية ، اعتنى بالحياة المصرية ، وكان له ملكة تامة في إيجاد تناسب الألوان ، على نمط نساخى خراسان وكشمير . وبالجملة فالاسبانيول أصحاب دولة في التصوير والنحت ، ور بما كانوا أدرى بتمثيل أحوالهم الداخلية ، والأشكال التي ترتاح إليها نفوسهم من سائر الأمم ، ولو كان الآخرون أعلى منهم كعباً في الفنون النفيسة على وجه العموم

كلام القاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد

الأندلسي الطليطلي

المتوفى سنة ٤٦٢ وذلك عن الأندلس العربية في كتابه « طبقات الأمم »

قال تحت عنوان « العلوم في الأندلس » : وأما الأندلس فكان فيها أيضاً بعد تغلب بنى أمية عليها جماعة عُنيت بطلب الفلسفة ، ونالت أجزاء كثيرة منها ، وكانت الأندلس قبل ذلك في الزمان القديم خالية من العلم ، لم يشتهر عند أهلها أحد بالاعتناء به إلا أنه يوجد فيها طليطات قديمة في مواضع مختلفة ، وقع الاجماع على أنها من عمل ملوك رومية ، إذ كانت الأندلس منتظمة بمملكتهم

ولم تزل على ذلك عاطلة من الحكمة إلى أن افتتحها المسلمون في شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين من الهجرة ، فتبادت على ذلك أيضاً لا يعنى أهلها بشيء من العلوم إلا بعلوم الشريعة ، وعلم اللغة ، إلى أن توطن الملك لبنى أمية ، بعد عهد أهلها بالفتنة ، فتحرك ذوو المهتم منهم لطلب العلوم ، وتنبهوا لإشارة الحقائق على حسب ما يأتي ذكره بعد ان شاء الله تعالى .

وأما دين أهل الأندلس فدين الروم من الصابئة أولاً ثم النصرانية إلى أن افتتحها المسلمون في التاريخ الذي ذكرناه ، وأما ملكهم فكان لطوائف من الأمم مختلفة ، تداولوها أمة بعد أمة ، فمن تلك الأمم الروم وكان عمّالهم يزلون مدينة طلاقة العتيقة المجاورة لاشبيلية . واتصل ملكهم بها زمناً طويلاً إلى أن غلبتهم عليها القوط . فانسخ الملك الرومي منها ، وأخذ القوط مدينة طليطلة ، من مدائن العتيقة قاعدة للملكه ، وملكوا الأندلس أنعم ملك قريباً من ثلاثمائة سنة ؛ إلى أن غلبهم المسلمون عليها في التاريخ الذي قدمنا ذكره ، واقتصد ملوكهم قرطبة وطننا ، ولم تزل مركزاً لملك المسلمين بها إلى زمان الفتنة ، وانتشار الأمر على بنى أمية . فافترق عند

ذلك شمل الملك بالأندلس ، وصار إلى عدة من الرؤساء ، حالمهم كحال الطوائف من الفرس .

وأما حدود الأندلس ، فإن حدها الجنوبي منها الخليج الرومي ، الخارج مما يقابل طنجة في موضع يعرف بالزقاق ، ستمه اثنا عشر ميلا ، ثم ينتهي إلى مدينة صور من مدائن الشام . وحدها الشمال والغربي ، البحر الأعظم المسمى أوقيانوس المعروف عندنا ببحر الظلعة . وحدها الشرقى الجبل الذى فيه هيكل الزهرة أو اصل ما بين البحرين : بحر الروم ، والبحر الأعظم ، ومسافة ما بين البحرين في هذا الجبل ثلاث مراحل ، وهو الحد الأصغر من حدود الأندلس ، وحدها الأكبران الجنوبي والشمالى ، ومسافة كل واحد منهما نحو ثلاثين مرحلة ، ومسافة حدها الغربى نحو من عشرين فرحلة ، ووسط الأندلس مدينة طليطلة العتيقة ، التى كانت قاعدة القوط . وعرضها ٣٩ درجة و ٥٠ دقيقة ، وطولها ٢٨ درجة بالتقريب ، فصارت بذلك فى التقريب من وسط الاقليم الخامس ، وهى فى وقتنا هذا الذى هو سنة ستين وار بمائة قاعدة الأمير أبى الحسن يحيى بن اسماعيل بن عامر بن مطرف بن موسى بن ذى النون عظيم ملوك الأندلس . وأقل بلاد الأندلس عرضاً المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء ، على البحر الجنوبى منها ، وعرضها ٣٦ درجة ، وأكثر مدنها عرضاً بعض المدائن التى على ساحلها الشمالى ، وعرض ذلك الموضع ٤٣ درجة ، فمعظم الأندلس فى الاقليم الخامس ، وطائفة منها فى الاقليم الرابع ، كأشبيلية ، ومالقة ، وقرطبة ، وغرناطة ، والمرية ، ومرسية . وهذا الجبل الذى ذكرنا فيه هيكل الزهرة الذى هو الحد الشرقى من الأندلس ، هو الحاجز ما بين الأندلس وبين بلاد افرنسة من الأرض الكبيرة ، التى هى بلاد افرنجية المسمى والأندلس آخر الممدور فى المغرب ، لأنها كما ذكرنا منتهية إلى بحر الأوقيانوس الأعظم اه

التقسيمات الجغرافية

القشتالان وليون

لم تسكن اسبانية في الماضي مملكة واحدة كما هي الآن ، بل كانت أقساماً شتى ، وممالك مستقلة بعضها عن بعض . وبعد أن غلب العرب على جميعها ، ولم يبق موضع قدم منها لم يستولوا عليه ، بقيت صخرة لاذ بها ملك يقال له « بلاى » ، دخل في كهف منها بثلاثمائة رجل ، فلم يزل العرب يقاقلونه حتى مات أصحابه جوعاً ، وترامت طائفة منهم إلى الطاعة ، فلم يزالوا يتحصون حتى بقى في ثلاثين رجلاً ، معهم عشرين نساء أصروا على الامتناع في ذلك الكهف ، الذي كان يصعب الوصول اليه ، وجعلوا يقتاتون من العسل الذي كان النحل يجعه في خروق الصخرة ، فاستخف بهم المسلمون وتركوهم وقالوا على ما في رواية « أخبار مجموعة » : ثلاثون عجباً ما عسى أن يكون أمرهم ! ؟ فهؤلاء ، بعد رجوع المسلمين عنهم عادوا فخرجوا من الصخرة غير خاضعين ، واعصوب حولهم كل من نزع به في تلك الأرض عرق الأنفة عن الخضوع للأجنبي ، ورأس بلاى هذا تلك العصاة التي لم تنزل تنمو وتلفظ ، حتى صارت اماراة حقيقية ، ثم مملكة يحسب حسابها . ثم تكونت منها سلطنة قشتالة التي هي أول حكومة اسبانية استقلت عن العرب بعد أن دانت لهم جميع الجزيرة الايبيرية .

ثم لما بدأ العرب يتراجعون إلى الجنوب ، بسبب الفتن التي كانت تقع بينهم وبين البربر ، وتقع فيما بينهم بعضهم مع بعض ، جعلت قشتالة تسترد شيئاً فشيئاً من البلدان التي كان المسلمون قد استمروها ، وصار المسلمون يجلبون عن الشمال إلى الجنوب ، فلذلك اقسمت قشتالة الى ما يقال له « قشتالة القديمة » و « قشتالة الجديدة » وجميع قشتالة Royaume de deux Castilles واقعة بين جبال « استورياس » Asturias و « بسقاية » Biscaye من الشمال ، وملكى « اراغون » و « بلنسية »

من الشرق ، وعمسكة « مرسية » والاندلس من الجنوب ، و « الاسترامادور » و « ليون » من الغرب . فأما « قشتالة القديمة » Castilla la Vieja فهي إلى الشمال وأما « قشتالة الجديدة » Castilla la Heuva فهي إلى الجنوب . والبسيط المرتفع الايبيري الذي يقول له الاسبانيول « ميزيتا » Meseta . يشمل على القشتالين وليون والاسترامادور . وليس في هذا البسيط شئ . ينطبق على ما يتخيله الناس ، وما تدير به الأخبار عن خصب اسبانية ، وكرم تربتها . وطيب نجمتها ، واعتدال هوائها . والحقيقة ان اسبانية التي كسبت تلك الشهرة ، وقيل انها جنة الله في أرضه ، هي مقاطعات اسبانية الجنوبية والشرقية ، وقطعة من وادي ابره لاغير . ومتوسط ارتفاع هذا البسيط الذي نحن في صدده عن سطح البحر هو ٨٠٠ متر يحده من الشمال جبال اشثورياس Asturias وجبال قنتبريه Cantabres ومن الشرق الجبال المسماة بالايبيرية ومن الجنوب شارات مورينا . وقولنا انه ليس مطابقاً للصفة التي يتخيلها الناس عن اسبانية لا ينفى أن يكون فيه أودية عميقة ، ذات زرع وضرع ، وإن كان يوجد بجانبها بساط ، هي في الحقيقة غير قابلة للسكى ، من قوة هوائها ، وكرازة أرضها . وأما تقسيمات قشتالة القديمة التي أوتادها جبال قنتبريه في الشمال والتي ريسها بواسطة « الوادي »^(١) الجوفي « أي « دورو » Douro و وادي « إبره » و وادي

(١) هذا النهر أول منابعه مكان يقال له اوربيون Urbion على علو ٢٢٥٥ متر عن سطح البحر بين شارات دومندا Demanda وشارات سان لورانزو Lorenzo وشارات سيوليرا Cebollera وهي التي منها تنحدر مياه نهر إبره أيضا . وأصل اسمه دورو Duero مشتق من لفظة « دور » Dour ، ومعناها الغزارة ، واتصال هذا النهر بنهر ابره كان له تأثير في الوحدة الاسبانية ، أي في توحيد قشتالة مع أراغون . والوادي الجوفي هذا يجرى على ارتفاع سبعمائة متر فوق سطح البحر ، فهو يسوق بساط في غاية الاتساع ، إلى أن يصل إلى بلد الوليد ، التي هي على يمينه ، وفي أول مجراه ينحدر انحداراً خفيفاً حتى يصل إلى الحدود بين أسبانيا والبرتغال ، فهو ينصب هناك بحرية شديدة في مضائق تحمل منه نهراً هائلاً ، ويصير مجراه في غاية العمق ، وفي بعض

« بسبورقة » Pisuerga فهي ست مقاطعات : الاولى « برغش » Burgos ومساحتها ١٤١٩٦ كيلو متراً مربعاً ، وعدد سكانها نحو من ٣٥٠ ألف نسمة . والثانية « آبله » Avila ، ومساحتها ٨٠٤٧ كيلو متراً مربعاً . وعدد سكانها ٣١٠ آلاف نسمة ، والثالثة « سقوية » Ségovie ومساحتها ١٠٣١٨ كيلو متراً مربعاً ، وعدد سكانها زهاء ١٧٠ ألف نسمة . والرابعة « شورية » Soria ومساحتها ١٠٣١٨ كيلو متراً مربعاً وعدد سكانها ١٦٠ ألف نسمة . والخامسة « لوكروني » Logrono ومساحتها ٥٠٤١ كيلو متراً مربعاً ، وعدد سكانها ١٩٠ ألف نسمة . والسادسة « شنت اردم » أو « شنت اندر » Santander ومساحتها ٥٤٦٠ كيلو متراً مربعاً ، وعدد سكانها نحو من ٣٠٠ ألف نسمة .

أما قشتالة الجديدة فهي في قلب اسبانية تنوسطها اشارات « وادي الرمل » Guadarrama وأعلى قمة فيها ترتفع عن سطح البحر ٢٣٨٥ متراً وهي إلى الشمال من قشتالة الجديدة ، وأما اشارات مورينا فهي منها إلى الجنوب الغربي ، وفيها يمر « وادي تاجه » Tago « ووادي شقر » Xucar و « مَنَزَانَارَس » Manzanares « ووادي يانة » Guadiana وهي تشتمل على المقاطعات الآتية :

الاماكن ترتفع صفاهه مائتي متر عن سطح المياه ، وأحياناً تقارب الصفتان تقارباً شديداً ، ويحصر الماء انحصاراً مجيياً ، وتتكون من هذا الوادي شلالات ، لو استخدمت قوتها الكهربائية لجامات بالخرائق ، ولكنه عندما يدخل في بلاد البرتغال ينسط في الارضين ، ويمود هادئاً . وللوادي الجوفي أنهر تمده من اليمين ومن الشمال ، منها دوراتون Duraton وسيغه Cega وأداجه Adaja وزابارتيال Zapartiel وطورماس Tormes ويقال انهم يفكرون في شق جداول بين هذه الأنهار ، حتى يمكن المجيء على الماء من طلنكة ، التي هي على نهر طورماس ، إلى زمورة ، التي هي على الوادي الجوفي . ونهر أداجه هو نهر آبله ، ولكن أراضيها لا تستفيد منه كما يجب ، ونهر زابارتيال وهو نهر مدينة الكجو . وأما نهر طورماس ، فإنه يسقى بسبط طلنكة ويتصبب إلى الوادي الجوفي على مقربة من البرتغال وأما اشقوية فان نهرها هو المسمى بأرسما Aresma

مقاطعة « مجريط » Madrid ومساحتها نحو من ٨٠٠٠ كيلومتر مربع، وعدد سكانها ٨٨٠ ألف نسمة . و « طليطلة » ومساحتها ١٥٣٣٤ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها نحو من ٤١٥ ألف نسمة . و « سيوداد ريال » Ciudad - Real ومنعانا البلدة الملكية ، وهى محدثة بعد مجي العرب ، ومساحتها ١٩٧٤١ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها ٣٨٠ ألف نسمة . و « قونكة » Cuenca ومساحتها ١٧١٩٣ كيلو متراً مربعاً ، وأهلها ٢٧٠ ألفاً . و « وادى الحجارة » Guadalajär^a ومساحتها ١٢١٩٢ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها ٢١٠ آلاف .

وأما مملكة « ليون » León فكانت حدودها من الشمال الاشتورياس ، ومن الشرق والجنوب الشرقى قشتالة القديمة ، ومن الجنوب نجرماً « الاسترامادور » L'Estremadure . ومن الغرب غاليسية - وبلاد البرتغال ، وليون اليوم هى عبارة عن المقاطعات التالية :

نفس ليون ومساحتها ١٥٣٧٧ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها ٤٠٠ الف نسمة .
 « وطفنكة » Salamanca ومساحتها ١٢٣٢١ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها ٣٣٥ الفاً . و « زنورة » Zamora ومساحتها ١٠٦١٥ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها ٢٨٠ الفاً . و « بلد الوليد » Valladolid ومساحتها ٨١٤١ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها ٢٨٥ الفاً و « بالنسية » Palencia - هى غير بلنسية Valencia التى على البحر المتوسط - ومساحتها ٨٤٣١ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها نحو من ٢٠٠ الف نسمة .
 ولقد كانت هذه المقاطعات التى فى قلب اسبانية تعد من فيافي بنى أسد ، لولا ما ساق اليها العرب من مياه ، وشقوا من جداول ، وأخذوا من وسائل ، حتى اهترت ووربت وأنبئت من كل زوج بهيج ، وكانوا إذا عدموا الينابيع المتفجرة ، التى تلزم لأجل الرى ، يبادرون إلى إنشاء البرك ، والمصانع الهائلة ، يجمعون اليها المياه السائلة فى الشتاء ، على نمط ما كانوا يعملون فى اليمن ، وذلك مثل البركة التى فى « منسا » Mansa وهى تحريف المصنع ، وأما بعد رحيل العرب فقد تهدمت المصانع وطدمت

تلك القنى ، ورجعت هذه الأرضون إلى قوتها الأولى ، وتبدلت من خضرتها غبرة وصارت تلك الغلات من حنطة وحبوب وزعفران سداداً من عوز ، في أما كن معلومة ، وبقي ذلك الى العصر الحاضر الذي عمّت به المدينة ، وامتدت السكك الحديدية ، فعاد الأهالي يمتنون بهذه الأراضى ، ويستدرون خيراتها ، لأنهم أصبحوا قادرين على اخراجها الى الخارج ، بواسطة السكك الحديدية ، وصاروا يميرون بمحظتهم بلاد البرتغال ، وقويت رغبتهم في زراعة قصب السكر ، والشمندرو . وقد كان في أسبانية من عشرين سنة أكثر من ثمانين موعلا للسكر

بلاد البشكفس

أما بلاد البشكونس فهى ثلاث مقاطعات : الأولى « غيبوسكوه » Guépuzco ، والثانية « بسقاية » Biscaye أو Vizcaya والثالثة « ألبة » بالتحريك Alava ومساحة جميعها ٧٠٧٥ كيلو مترا وعدد سكانها نحو من سبعمائة ألف . وهم أمة مستقلة بنفسها ، تسكن إلى الشرق من جبال قنتبرية ، على أبواب فرنسا ، وأصل اسم هذه الأمة هو « الباسقوانادوس » Vascongados ومنه اشتق اسمها الحالى « الباسك » أو « الباسكس » Les Basques . وكان العرب يقولون لهم الباشكونس ، ومنهم من يقيم على حدود « نباريه » Navarre ومجموعهم يقارب مليوناً أو أكثر . ومنهم جمٌ في أرض فرنسا ، ولغة الجميع واحدة مختصة بهم . ومنهم من يتكلم بالأسبائى أو الافرنسى ، ولكن نحواً من نصف مليون لا يتكلمون بغير لغة الباشكونس . وهم من أشد أمم الأرض استمساكاً بقوميتهم ، واحتفاظاً بخصوصيتهم ، يزعمون أنهم أقدم أمة في أوربة ، ولا نزاع في أنهم هم بقايا الشعب الايبيري القديم ، والثالة الخالصة المحضة التى لم تدخل عليها شائبة من ذلك الشعب القديم . أشداء جليون ، موثقو الخلق ، تغاب عليهم الصخرة ، إلا من كان منهم (٢١ - ج أول)

في أعلى الجبال ، فيغلب عليه اللون الأشقر ، شَمَّ الأنوف ، مجدّدو الأذقان ، شعورهم مائلة إلى السواد ، وكان لهم زىّ خاص بهم لا يعرفون سواه ، ولكن قد بدأ هذا الزى يضمحل ، ولم يبق منه إلا طاقية من الصوف يقال لها البوانه Laboina لا يزالون يلبسونها على رؤوسهم ، وهي زرقاء في مقاطعة غيبوسقوه ، وحمراء في بسقاية وبيضاء في ألبة . والبشكونس الذين في أرض فرنسا أيضاً يحافظون عليها . وأما من جهة عاداتهم القديمة فمنهم من تركها ، ومنهم من لا يزال يعرض عليها بالنواجذ ، مثل أهل بسقاية . وتجددهم يستعملون محاريتهم القديمة ، ومجالات تجرها البقر ، وعابها نيرٌ مزخرف مغطى بجلد ضان . وعندهم نوع من الرقص في أعيادهم ومواسمهم يسوونه « أور يسكو » Aurréscu يجرونه على صوت مزمار صغير يسمى « دولسينيه » Dulsinya مع قرع الطبول .

والبشكونس من أشد أمم الأرض حباً بالحرية وأمنّة عن قبول الضيم ، وكانوا يردّون غارات العرب من الجنوب ، كانوا يردّون غارات الفرنج من الشمال وكانت مواقع بلادهم الجبلية تساعد على رد غارات هذه الأمم المظلمة ، فان مساكنهم أكثرها في الجبال تحيط بها الأوعار ، والأرض كما يقال تقاثل مع أهلها . وهم الذين أوقفوا بجيش شارلمان وهو منصرف عن سرقة بعد أن عجز عن أخذها . وسيأتي في كتابنا هذا عند الوصول إلى التاريخ تفصيل جميع ما وقع بين البشكونس والعرب . ولم يخضع البشكونس للملك ليون ، وملكو نبارة ، وملكو قشتالة في الآخر ، إلا على شرط احترام هذه الدول لعاداتهم وقواعدهم . وكانت لهم امتيازات يقال لها « فيُورس » Fueros ولم تزل امتيازاتهم هذه محفوظة ، إلى أن جرت الحروب الداخلية المسماة بالكارلوسية ، واتفق آخرها كان سنة ١٨٧٦ فن بعدها أزالته الحكومة الأسبانية امتيازاتهم وأخضعتهم للخدمة العسكرية ، ولقانون احتكار الملح ، واحتكار الدخان .

وهم يسمون أنفسهم بغير الاسم الذي يسميهم به الأسبان ، أي الباسقونفادوس ،

الذي منه جاء اسم الباشكونس ، الذي كان يسميهم به العرب . فاسمهم هم بلغتهم هو « أوسكالدوناك Euscaldunac ولا يعرف معنى هذه الكلمة . وفي لغتهم لا يضعون أل التعريف قبل الاسم بل بعده . وهذا الاصطلاح ليس بنادر ، بل اللغة السويدية واللغة الدانمركية واللغة البلغارية واللغة الرومانية فيها ذلك . وليس في هذه اللغة المنى بل عندهم المفرد والجمع . وعلامة الجمع هي الكاف (K) وكذلك لا يوجد عندهم فرق بين المذكر والمؤنث في التعبير . وقد غاب ذلك على لسانهم حتى إذا تكلم البشكونسي بالفرنسية يقول . هذا المرأة Ce Femme بدلا من هذه المرأة . وأما من جهة الأفعال فربما كان بينهم بعض المشابهة مع العرب ، فانه إذا أراد البشكونسي أن يقول مثلا : أنا أجي . « يقول « أنا عمل أجي . » وإذا أراد أن يقول لك « ستأكل » قال « عليك أن تأكل » وكذلك هم مثل العرب في كثرة المترادفات في لغتهم ، رغم أن لغتهم في أصلها فقيرة ، وهي لم تكمل إلا بالالفاظ الكثيرة الاجنبية ، من غشقوي ، وفرنسي ، واسبانيولي ، وعربي . بحيث إذا تجرد هذا اللسان من هذه الالفاظ الداخلة عليه لا يبقى منه إلا ما يبرر عن الاشياء المادية والمحسوسة ، فهو في هذا أشبه بالتركي . وليس عند الباشكونس لفظة تعبر مثلا عن « الروح » واسم الله عندهم « السيد الذي في العلى » وعنهم « الارادة » يعبر عنها بلفظة تفيد « الفكر والشهوة والتمنى » وقد اجتهد كثير من العلماء في درس لغة الباشكونس ، ولكن صعوبة هذا الدرس جاءت من كثرة اختلاف لهجات هذه الأمة ، فان القرية الواحدة لا تتكلم بلهجة القرية التي تجاورها ، فصارت اللهجات لا تحصى . وهذا شأن كل لغة الكتابة فيها نادرة ، وشأن كل شعب تغاب عليه الأمية . ومع هذا فقد أحصى الأمير لويس بونابرت ٢٥ لهجة باشكونسية ، يمكن إعادتها إلى ثمانية أصول بالتحليل الدقيق . وهذه الأصول الثمانية تتلخص في ثلاثة عامة . أما الأصول الثمانية فهي : اللابوردى ، والسولتي ، والنبارى الادنى الشرقى ، والنبارى الأدنى الغربى ، والنبارى الأعلى الشمالى ، والنبارى الأعلى الجنوبى ، والنيبوشقى ،

والبسقي ، ويمكننا أن نرد أيضا هذه اللهجات المختلفة إلى شرق وغربي ، فالسواتي والنيباري الأدنى هما الشرقي ، والبسقي هو الغربي . واللهجات الأخرى هي المتوسطة بينهما . وبلاد الباشكونس لا تخلو من أجناس غريبة عنها ، وليس فيها مقاطعة خالية من الغرباء غير « غيبوسقوه » وبلاد نبارة نصفها أو أقل من الباشكونس . وأمائيونة وبنبلونة ولباوا فلا يتكلمون فيها بلغة الباشكونس ، وقد بدأت هذه اللغة تنحل وتضمحل بنبله الاسبانيولي والافرنسي عليها . ولا عجب في ذلك ، فان مكتوباتها نادرة ، ولم يثر الباحثون على كتب هذه اللغة ترجع إلى أعلى من القرن العاشر للسيخ ، قيل إنهم وجدوا صحيفة قديمة من سنة ٩٨٠ فيها تحديد مقاطعة بيونة Bayonne ، وقيل إن هذه الصحيفة نفسها ليست بوثيقة لا يعترضا الشك .

وقد كشف أحد الرهبان اليسوعيين جدولا فيه ثمانية عشر كلمة من لغة الباشكونس ، وذلك في كتاب مخطوط لزاثر افرنسي زار كنيسة سنت ياقو في القرن الثاني عشر ، وأقدم كتاب عند الباشكونس طبع سنة ١٥٤٥ ، وهو ديوان شعر مشتمل على قصائد دينية ، وأخرى غرامية . وقد طبعوا أيضا ترجمة الانجيل الى هذه اللغة سنة ١٥٧١ ، وذلك على نفقة مجلس نبارة وجميع ما هو مكتوب بلغة الباشكونس يبلغ ستائة مجلد لا أكثر . وأكثر الذين كتبوا هذه الكتب هم مؤلفون تلقوا ثقافة افرنسية أو قشتالية ومظلمها في مواضع دينية ، وعن حياة القديسين . نعم يوجد من الباشكونس من تلقوا ثقافة اسبانيولية أو افرنسية ، وأجادوا الكتابة ، لكن باللغة الافرنسية واللغة الاسبانية ، وقد جمع بعض المؤلفين كثيرا من قصص الباشكونس وتقاليدهم وأخبارهم . وأحسن الجامع في هذا الموضوع هو ما كتبه بوليان فيسون Viuson الذي له على الباشكونس بحث في الانسيكلو بيديا الافرنسية الكبرى ^(١) .

(١) في هذه الأيام الأخيرة انبرى الكتاب الافرنسي المسمى فرنسوا دهوركو François Duhourcau فنشر في جريدة عطارد فرنسة Mercure de France بحثا طويلا عن البشكنس ، لانه من الكتاب المهجين بهذه الأمة ومثانة أخلاقها

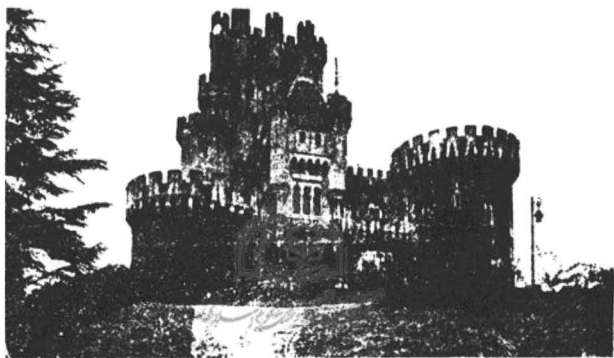
أما الباشكونس الذين في أرض فرنسة فهم يسكنون، مقاطعات لا بورد La bourd وباره السفلى La basse Navarre وسول Soule ومساحة هذه المقاطعات الثلاث

وشدة استمساكها بأوضاعها القديمة . فالباشكنس يزعمون أنهم أقدم أمة على وجه الأرض وأنهم لم يطرأوا على أسبانية من مكان آخر ، بل كانوا نزلوا من السماء إلى أرضها ، ولكن المؤرخين مع اقرارهم بشدة توغل هذه الأمة في القدم ، يذهبون إلى أنها هي أيضاً طارئة على اسبانيا من مكان آخر ، ومن حملتهم المسيو دوهوركو ، يرى ان أصل أهالي الجزيرة الايبيرية هو الجنس الايبيري ، وأن الفرق بين الباشكنس وسائر الاسبانول أن الباشكنس هم ايبيريون اقحاح ، وان سائر الاسبانين هم ايبيريون امشاج ، وان الايبيريين شعب قوقازي طراً على أسبانية ، عن طريق البحر المتوسط وجنوب فرنسة ، فنزل على المنحدرين الشمالي والجنوبي من اليرانس . وقد حاول الكاتب المذكور أن يستدل على أصل الباشكنس وقرايتهم من الأمم الأخرى بأدلة من لغتهم ، وهو منزع كنا في مقدمة من نه عليه ، ولنا رسالة في ذلك قرأناها في مؤتمر المستشرقين المنعقد في ليدن سنة ١٩٣١ ونشرناها في مجلة المقتطف ، وعنوانها « علاقة اللهجات بالتاريخ ، إذ لا نرى هذا الباحث محطناً في تقيمه عن أصل هذه الأمة من جهة تشابه لغتها مع لغات أمم أخرى . فهل وفق دوهوركو إلى بلوغ مراده ؟ الجواب أنه من المعلوم أن اللغة الباشكنسية هي اقدم من اليونانية واللاتينية ، ولم يثبت كونها فرعاً من لغة السنسكريت الهندية ، بل يظن الباحثون أن أصلها لغة منقرضة فرض العلماء وجودها فرعاً ، وهي في هذا أشبه باللغة الاتروسكية Etrusque فان هذه اللغة أيضاً ليست فرعاً من فروع السنسكريت ، فيظهر للمسيو دوهوركو أن الاتروسكيين والباشكنس من أصل واحد ، وقد وجد بهض الكلمات في لغة الباشكنس تشبه كلمات أخرى في لغة الاتروسك . من ذلك كلمة « لار » فهي تعني « رئيس » في لغة الباشكنس ، وهي كذلك في لغة الاتروسك ، فمن هنا استدلل على كون هذين الشعبين من أصل واحد ، ولما كان الرومانيون أصلهم من الاتروسك ، وصل إلى الاستنتاج بأن الباشكنس هم أولاد عم الرومان ، وأصل الأصل هو من القوقاز ، وليس هذا الرأي بكراً ، فقد زعم البره وكلوز الجغرافي الشهير من خمسين سنة أنه يوجد بين لغتي الباشكنس والكرج تشابه ، وان أصلهما لغة كانت شائعة في آسيا الصغرى منذ آلاف وآلاف من السنين ، ولم تكن هذه اللغة لان اللغات الآرية ولا السامية ولا الاورالية.

هى ستة آلاف كيلومتر مربع . فأما المقاطعات التى يسكنونها فى اسبانية فقد تقدم ذكرها . وهى جز. من ثلاثين من مساحة الجزيرة الأيبيرية بحسب تعريف اليزى « ركلوس » الجغرافى الشهير Lisée Reculs و بلادهم فيها قابلية زراعية ، وفيها معادن كثيرة كالتصدير والرصاص والحديد ولكنهم من جهة الزراعة لم يكونوا ممن بلغ شأواً عالياً . ومن الباشكونس مهاجرون كثيرون إلى أميركة كل سنة ، فلهذا عددم يقل فى بلادهم الأصلية يوماً فيوماً .

وقد لخص الأطباء مثل الدكتور بروكا والدكتور فالسكو من مجربط حجاجم الباشكونس من سبعين سنة ، وأخذوا منها عدداً كبيراً من مقابر تلك البلاد ، كما أنهم ميزوا حجاجم الأحياء ، فوجدوا أن هذه الأمة فيها نوعان من الحجاجم ، منها النوع الذى يزيد طوله على عرضه بنحو الربع ، ومنها الذى يتساوى طوله بعرضه . ويقال عن أخلاق الباشكونس أنهم كثيرو الخيالات ، سريعو الانفعالات ، وان عددم خرافات قديمة لم يتخلصوا منها حتى الآن ، ولكن فطرتهم الأصلية مبنية على الاستقامة ، وعددم حسن معاشره ومخالفة ، إلا أنهم بطاشون عند الغضب ، ومع ان الرصانة غالبه على طباعهم ، فانهم يحبون الألعاب ، ويتلذذون بالآكل والشارب وحسن الوفادة ، واکرام الضيف عددم مما لا يفوقهم فيه أحد . ونساؤهم حلائل أمينات ، وأمهات مريبات ، إلا أن التدين عندهن بالغ درجة الوسواس ، لاسيما عند البنات اللواتى ينسن من الحيفض ، وكثيراً ماينتهى أمر العانس من هؤلاء بالجنون . والباشكونسى بطبيعته ذكى الفؤاد ، شهم ، عزيز النفس ، صعب المقادة ، واذا تعلم وتهذب فيه قابلية كبيرة للترقى ، أما خرافاتهم القديمة فيها أن الانسان اذا رأى امرأة يوم الاثنين تحت نافذة بيته فى ذلك الاسبوع يحصل له بلاه ، واذا صاح الديك فى أول الليل فيكون هذا الصباح علامة على كون الديك أحسن بمرور الساحرات وهو خطر يتلافونه بأخذ قبضة من الملح وذرهما فى أرض البيت ، والمتزوج يوم مرسه يجتهد أن يمسك بذيل من ثوب زوجته ويضمه تحت ركبته حتى يكون فيها بدم

هو السيد في البيت ، وكان للباشكونس اعتقاد عظيم بالسحر ، وكانت السحرة عندهم في كل مكان ، وكانت لهم اجتماعات يتداعون إليها ، ويمتقدون ان هؤلاء السحرة لهم علاقات مع الشيطان وأنهم يدفعون شره ، واسكن هذه الحرافات قد بدأت تضمحل شيئاً فشيئاً .



حصن برترون في بلبلو من بلاد الباشكنس

وقد كان للباشكونس دور مهم في حروب استرداد الاندلس من أيدي المسلمين وبهذا السبب تميزت بينهم عائلات كثيرة ، ورأست وعزّت وبزّت ، وبتوالي الزمن صارت نبيلة . ففي قشتالة وليون الملك هو المالك لجميع الأرض ، أما في نبرة ، حيث مواطن الباشكونس ، فالملك يشاركه في ملك الأراضي هؤلاء النبلاء الذين ساعدوه على طرد المسلمين ، ولهذا عندهم هناك ثلاث طبقات : النبلاء ، والعامّة ، والطبقة المتوسطة بينهما . وفي « آلبه » الأهالي ينقسمون إلى نبلاء وإلى عامّة ، وذلك لأن منهم من حارب المسلمين ، ومنهم من خضع لهم ، فالذين خضعوا لهم هم المدودون من صنف العامّة .

ولهذا حصل التمايز بينهما ، أما في « بقاية » و « غويبوسقوه » و « لابورد »

حيث لم يتمكن المسلمون ، ولم تكن لهم ولاية ، فجميع الأمة معـمدودة من النبلاء ، لأنه ليس فيها من أسلم ، ولا من خضع للإسلام . والنبالة في هذه المقاطعات يقال لها نبالة أرض ، لا نبالة دم ، والفرق بينهما أن الذين أخرجوا المسلمين بالحرب صارت لهم حقوق متأنلة ، واستولوا على الأراضي التي كانت صارت إلى العرب ، وأقاموا فيها أكـكـارين من عبيدم وجنودهم ، فصار هؤلاء بـكـرور الأيام عائلت نبيلة ذوات اقطاع ، وأما نبلاء الأرض فهم الذين توارثوا أراضيهم من القديم ، وحفظوها خلفاً عن سلف ، لأنه لم يقع عليها فتح ، وأما القوانين والأعراف التي يمشي الباشكنس عايبها فهي عبارة عن عادات واصطلاحات قديمة مختلطة بقوانين جديدة ولكل ناحية عادات تختلف عن غيرها . وأكثرها يدور حول الامتيازات التي نالها بعض الأهالي ، وتمسكوا بها الأراضي في حروبهم مع العرب . وهذا هو خلاصة ما يقال عن الباشكنس ، إحدى الأمم الأيبيرية وأقدمها ، ونزيد عليه أن باشكنس فرنسا وباشكنس اسبانية عقدوا سنة ١٩٠٢ مؤتمر في « فونتارابية » سموه مؤتمر اتحاد الباشكنس .

عود إلى ليون وقشتالة

ثم نعود إلى تفصيل ما أجملناه عن ليون والقتالتين بقدر الامكان فنقول :
الحدود بين فرنسا واسبانية من جهة الشمال الغربي هي وادي « بيداسوا » Bidassoa الذي يجرى بين « هنداي » Hendaye و « فونتارابية » Fontarabie وهناك جزيرة اسمها جزيرة الحجل ، في وسط النهر انفتحت فرنسا واسبانية من قديم الزمان على جعلها منطقة متحايدة ، وفيها تلاقى السكردينال مازارين مع الدون « دوهارو » ، لأجل عقد صلح البرانس ، وتقرير زواج بنت فيليب الرابع ولويس الرابع عشر ، وفي هذه الجزيرة نفسها انقذ سنة ١٤٦٤ مؤتمر بين لويس الحادى عشر ملك فرنسا ، وهنرى الرابع ملك قشتالة ، وفيها أيضاً ودّع فرنسوا الأول ملك فرنسا أولاده وعانقهم وهم ذاهبون رهائن إلى مجريط ، بحسب معاهدة سنة ١٥٢٦

وفي هذه الجزيرة أيضاً تقررت بين فرنسا وإسبانية مصاهرة مزدوجة ، وذلك سنة ١٦١٥ بعقد نكاح ايزابيل ابنة هنرى الرابع ملك فرنسا على فايب الرابع ملك اسبانية وعقد نكاح حنة النمساوية أخت فايب الرابع هذا على لويس الثالث عشر .



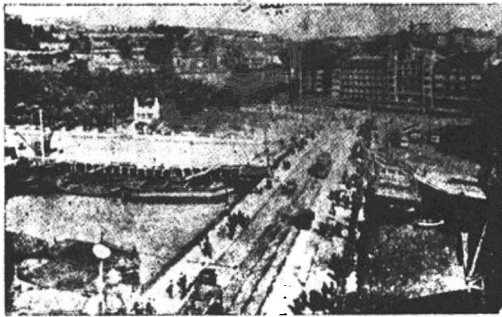
مدينة ايرون

ويوجد على وادى بيداسوا جسر مشترك طوله ١٣٠ متراً ، والنقطة المتوسطة منه هي الحد الفاصل بين المملكتين ، فاذا تجاوزته إلى الغرب فأنت في مقاطعة « غينبوسكو » من بلاد الباشكونس . وأول مدينة تستقبلك هي مدينة « ايرون » Irun وعدد سكانها بضعة عشر ألف نسمة ، وهي بلدة عصرية ذات موقع جميل على الضفة اليسرى لوادى بيداسوا . ثم على مسافة عشرين كيلومتراً من هناك تصل إلى مدينة « سان سيباستيان » Saint - Sebastien والباشكونس يقولون لها « دونوستيا » Donostiya ويقولون لها أيضاً « أيروشولو » Eruchulo وهي قاعدة مقاطعة « غينبوسكوا » وموقعها من أبداع المواقع . وفيها كانت تصيف العائلة الملوكية في أسبانية ، ونبلاء الاسبانول يقصدونها للترهة ، وعدد سكانها يقرب من خمسين ألف نسمة . وهي قسمان ، قديم وجديد ، وحوها جبال يصعد إليها المتزهون ، وعليها حصون منها جبل « ايقيلو » Igueldo وجبل « العليا » Illia وعلى خمسين كيلومتراً

من هناك مدينة « طولوزه » Tolosa وهي بلدة صغيرة ، سكانها ستة آلاف نسمة ، وموقعها بهيج ، وفيها معامل للورق ، وهي على نهر « أوربة » ، وبالقرب منها على مسافة عشرين كيلو متراً بلدة « زومراقة » Zumarraga وهي بلدة على نهر أوروله Urola ، ولها أيضاً منظر بديع . ومن هذه البلدة خرج « ميكال لويس دوليكازي » De Ligazpi فاتح جزر الفيليبين سنة ١٥٦٩ ، وله فيها تمثال ، وبالقرب منها بلدة صغيرة يقال لها « فرغاره » Vergara والبلاد هناك كلها جبال وأودية ، إلى أن يصل المسافر إلى بسيط « ألبة » Alava ولألبة ذكر كثير في كتب العرب . وهذا البسيط تنحدر إليه جداول أهمها نهر يقال له « زادوره » وقاعدة مقاطعة ألبة مدينة « فيتورية » وكانت معروفة عند العرب ، ويقال إنهم كانوا يقولون لها سنت مرية ؟ وهي بلدة صناعية ، سكانها ٣٥ ألفاً ، يقال أن بانها هو « ليوفيجلد » ملك البيزيقوت Leovigilde بناها سنة ٥٨١ بعد يوم كان له على الباشكونس ، ثم إن الأذفونش الثامن ملك قشتالة انتزعها من يد النباريين سنة ١١٩٨ وفيها تمثال لرجل يقال له « مازومورازة » من زعماء الباشكونس ، كان يدافع عن امتيازاتهم . والبلدة قسبان عتيق وجديد ، والعتيق هو القسم الأعلى . وفي هذه البلدة ، أي فيتورية ، جرت معركة بين الانكليز والفرنسيين في ٢١ يونيو سنة ١٨١٣ وكانت هذه المعركة ختام حرب أسبانية في زمان نابوليون الأول . ثم هناك بلدة يقال لها « كستيلو » وبلدة أخرى يقال لها « أرغانزون » وهما من البلاد الصغيرة القديمة . ثم بلدة « ميرانده » وهذه سكانها خمسة آلاف نسمة ، وفيها حصن قديم وهي على نهر إبره .

ومن جهة البحر يوجد بلدة يقال لها « غوتارية » Guetaria وبلدة يقال لها « زوميا » Zumaya على مصب نهر أوروله ، وبلدة يقال لها « سيستونه » Cestona وفي تلك الناحية دير كبير منسوب إلى القديس أغناطيوس لوبوله Ignacio de Loyola مؤسس رهبانية الجزويت ، وهو مبني في مكان البيت الذي ولد فيه لوبوله . وعلى البحر مرسى يقال له « ديفا » Deva سكانه ثلاثة آلاف ، وبلدة أخرى إسبها « ليكتيو »

Lequeitio سكانها أربعة آلاف ، ولها مرسى بديع . ثم بلدة « موتريكو » Motrico ، وأهلها صيادو سمك ، وفيها تمثال من رخام للجنرال « داميان » المولود في موتريكو ، والمقتول في واقعة طرف الأغر سنة ١٨٠٥ ثم بلدة « أونداروه » Ondarroa وهي مرسى سكانه صيادو سمك أيضاً ، وبلدة « الزولة » Alzola وفيها حمامات معدنية تنفع لأجل مرض الثآليل ، وبلدة « الجويبار » Elgoibar وبلدة أخرى اسمها « إيبار » وفي كليتها معامل للسلاح . ثم بلدة دورنغو Durango ولها واد خصيب وفيها كنيسة « سان بطرودو طيبره » من أقدم كنائس الباشكونس ، وبلدة يقال لها « آموربيطه » Amorebieta وبلدة يقال لها « غرنيقه » Guernica وسكانها



بيلباو

٣٥٠٠ ، ولها موقع في غاية الجمال ، وكانت في القديم قاعدة لمقاطعة « سقاية » وهناك وادٍ بديع يقال له « مينداكا » Mundaca . وكان للأمبراطوره أوجيني زوجة نابوليون الثالث قصر للترهه في تلك البقعة . ثم بلدة « برميو » Bermeo وسكانها عشرة آلاف ، وفيها بيارستان للمجانين يخصص ثلاث مقاطعات الباشكونس . ثم بلدة « بيلباو » Bilbao وسكانها ٩٥ ألفاً ، وهي على نهر « نرفيون » Nervion وهي

قاعدة مقاطعة بسقاية ، تحيط بها جبال مغطاة بالحراج ، وتبعد عن البحر ١٢ كيلومتراً ولها تجارة واسعة ، وهي قسمان . المدينة الجديدة ، والمدينة القديمة . فالقديمة هي على الضفة اليمنى للنهر ، والجديدة هي على الضفة اليسرى . وعلى النهر خمسة جسور ، وقد أصلحوا النهر حتى صارت البواخر التي محمولها أربعة آلاف طن تدخل فيه . ولهذه البلدة مرسى على البحر عند مصب النهر يقال له « العبرة » El - Ebra وهذه المدينة ممدودة من المدن الغنية ، بسبب معادن الحديد التي بجانبها ، وفيها مبانٍ جديدة بالذکر ، ومعاهد خيرية ، منها ملجأ للعريان وللأخرس ، وفيها معامل ، ويقال إن باني هذه المدينة هو « لويس دوهارو » Haro أمير بسقاية ، وذلك سنة ١٣٠٠



الحمام في بيلار

وفي تلك الناحية بلدة « ارانغورن » Arenguren وفيها معامل للورق ، و بلدة « كارانزا » Carranza وفيها يتابع معدنية والمهم هناك هو مدينة « سانت اندر » Santander وهي مدينة بحرية سكانها سبعون ألفاً . وهي قاعدة مقاطعة بهذا الاسم ، وهي بلدة قديمة ، كانت تنتهي إليها طريق رومانية ، وكان العرب يقولون لها « شنت أدرم » وأحياناً « شنت اندر » وهي قسمان : القسم الأعلى ، وهو المدينة القديمة ، وأزقتها ضيقة ، والقسم الأدنى ، وهو المدينة الجديدة ومرساها بديع ، وتجارتها واسعة ، وهي من أهم المرافئ البحرية في شمالي اسبانية

ثم مدينة «أوردونية» وهي على وادي «نرفيون» وعدد سكانها ٣٥٠٠ وجميع مناظر تلك البلاد شائقة نظراً لكثرة الجبال والأودية والغابات فيها .
ثم نعود إلى الجهة الداخلية ، وهي التي يمر بها نهر ابره ، فمن مدن هذه الجهة « بريفسكا » Brivesca وهي بلدة صغيرة سكانها ٣٥٠٠ اجتمع فيها نواب البلاد سنة ١٣٨٨ وقرروا أن ولي عهد قشتالة ينبغي أن يحمل لقب « برانس الاشتورياس »



أحد البيوت المأولة في بيلباو

وبقرها بلدة «أونيه» One وفيها دير لابندكتيين اسمه سان سلفادور ، مبنى سنة ١٠١١ وفيه أربعة قبور من قبور الملوك وهناك قرية «كينتانا بالاً» Qnintanapalla التي فيها سنة ١٦٨٢ تزوج كارلوس الثاني ملك اسبانية بجارية لوز من آل برون ، في زمن لويس الرابع عشر. وقرية «توركلادة» التي ينسب اليها «تومادوتوركلادة» Torquemada رئيس ديوان التفتيش الشهير في اسبانية . وفي تلك البلاد مساكن كثيرة منحوتة في الجبال . ومن الأماكن المذكورة فيها قرية «دويناس» Duenas التي تلاقى فيها فرديناند ملك أراغون مع ايزابلا ملكة قشتالة قبل زواجهما وعلى وادي دورو Duero الذي يقول له العرب «الوادي الجوفى» بلدة «ارانده» Aranda وهي صغيرة بديمة المنظر ، وهناك مدينة «سان استبان»

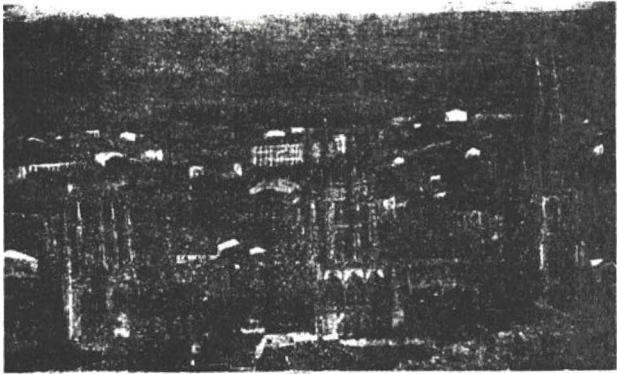
San Estevan de Gormaz وكان العرب يقولون لها « شت استاين » وفيها حصن قديم من أيام حروب العرب . ومدينة « اوسما » Osma وهي بلدة ايبيرية عتيقة ، كان لها ذكر في الدور العربي ، وبالقرب منها على شفير واد عميق دمن حصن عربي قديم . وقرية « المازان » Almazan ، وفيها مسارح نظربديمة ، وآثار أسوار قديمة ، وقنطرة على الوادى الجوفى طولها ١٦٣ متراً . ومدينة « الكامبو » Medina del Campo وهي صغيرة ، وكان فيها قصر اسمه « قصر مونا » Castillo de la Mota . مبنى من سنة ١٤٤٠ كانت تؤثره الملائكة ايرابلا ملكة قشتالة ، زوجة الملك فرديناند ، وتقيم به وماتت فيه سنة ١٥٠٤

ومن مدينة « السكامبو » أو « الكامبو » إلى « زمورة » ٩٠ كيلو مترا بالسكة الحديدية ، وبينهما بلدة « تورو » Toro مبنية على جبل شاهق مدحش فوق الوادى الجوفى

برغش

وأما برغش ، Burgos فهي مركز مقاطعة بهذا الاسم ، وسكانها يزيدون على ثلاثين ألفاً ، وهي مركز قيادة عسكرية ، ومقر رئاسة أساقفة ، وموقعها على يفتاع من الأرض في القسم الشمالى من قشتالة ، يسقيها نهر اسمه « ارنسون » Arlançon تراه أكثر السنة شحيحا ، لكن له فيضانات مدهشة . وفي برغش حصن على رابية مشرفة على البلد ، لم يبق منه إلا رسوم طامسة . وفي أسفل هذه الرابية الكنيسة الكبرى وهي من أبداع بدائع الصنعة القوطية في اسبانية . ولبرغش سهل مربع يسقيه جدول اسمه « بيكو » وأقنية من ارنسون . وهذه البلدة هي من أقرس مدن اسبانية بردا ، يتسلط عليها ربح الشمال ، وقد يقع فيها الثلج في شهر يونيو وفي الشتاء يصح أن يقال فيها :

لا ينبح السكلب فيها غير واحدة من الصقيع ولا تسرى أظاعها
وأما في القبط فهي من أشدها حرارة ، يهب عليها ربح الجنوب المحرق فيشوى



مدينة برغش ، منظر عمومي ،

الوجوه ، وعليها يصدق المثل الذي يقال عن مجريط وهو : تسعة أشهر شتاء ، وثلاثة أشهر جهنم الحراء .

وفي برغش أبنية تعد من أجل ما يوجد في اسبانية ، وأهمها الكنيسة الكبرى بدأ بنائها الملك فرديناند الثالث الذي يقال له القديس فرديناند ، وذلك سنة ١٢٢١ واستمروا يبنون فيها ويزخرفون ويزينون مدة ثلاثمائة سنة . فتأمل كم فيها من بدائع وتصاوير وتمائيل وتحاريم ، تعد في الدرجة الأولى من درجات الفن . ويوجد غير الكنيسة الكبرى كنائس أخرى تفصدها السياح . مثل كنيسة سان نيقولا ، وكنيسة سان اشتاين ، وكلها على طرز البناء القوطي ، وكذلك في هذه البلدة حصن قديم يقال له « كاستيليو » يصعدون إليه من باب عربي اسمه قوس سان اشتاين وكان يسكن فيه ملوك قشتالة . وفي هذا الحصن احتفل بزواج السيد لدرينق دو بيفار المسمى بالقديس بيدور الشهير في التاريخ الذي يجمله الاسبانول بطلهم القومي ، نظراً لشجاعته واقدامه . برغم أنه كان ظالماً غداراً ، ناقص الذمام ، عديم الوفاء . مما ثبت في التاريخ ثبوتاً لا ريب فيه ، ولكن الشعب الأسباني تعامى عن ذلك وخلق لهذا

الرجل محاسن لم تسكن فيه ، حتى يمكنه تمام الاعجاب به ، وقد ولد لنريق البيفارى De Bover هذا سنة ١٠٢٦ ومات سنة ١٠٩٩ ، وسنأتى على ذكره في قسم التاريخ ، ونزوى كيفية استيلائه على بلنسية ، واحرقه القاضى ابن حجاب في ساحة تلك البلدة ، بحجة أنه خبأ عنه بعض خزائنه والحقيقة انه إنما أراد إلقاء الرعب في قلوب أهل بلنسية . حتى لا يخفوا عنه شيئاً من الأموال التي كان يطمع فيها . وقد كانت ولادة هذا البطل النشوم في برغش ، ومكان البيت الذي ولد فيه لا يزال معروفاً . وفي دار البلدية نجد في عظام السيد المذكور . وقد كانت من قبل مدفونة في دير « كاردينية » Cardena ، وتقلبت هذه العظام على حالات شتى إلى أن جموها سنة ١٨٨٣ في دار البلدية في برغش . وبالقرب من دير كاردينية ، كانت تسكن امرأة السيد ، وهي المسماة « شيانة » وكانت ابنة السكونت دياغو من « اوبيط » diego d'oviedo فلما بعد أن مات زوجها وأخرجت من بلنسية سكنت في برغش إلى أن ماتت ^(١) سنة ١١٠٤ .

(١) اختلف الناس في أمر هذا البطل الاسباني اختلافاً شديداً من كونه عبقرى بسالة وأصالة متجلياً بجميع مزايا الأبطال، إلى كونه سيدياً عملياً سفاكاً للدماء . غداراً نهاباً ، ليس فيه شيء من مزايا الكرام . وقد كتب المؤرخون سيرته بين قاذح ومادح ، وقد وجد في مكتبة دير سان ايزيدور في ليون مخطوط نشر سنة ١٧٩٢ يتكلم عن هذا السيد . ولكن أحسن كتاب عن السيد باعتراف الافرنج انفسهم هو المخطوط الذي عثر عليه دوزى في غوته (Gotha) سنة ١٨٤٤ وهو كتاب كتبه الكاتب العربي ابن بسام بعد موت السيد بمسح سنوات ، لازيادة . وكان ابن بسام يعرف السيد معرفة شخصية فوصفه عن معرفة تامة ، ولم يكن يذكروه إلا ويرد في اسمه باللعنة ، ولذلك إذا قال فيه خيراً فلا بد من تصديقه ، لانه كلام عدو بحق عدوه ، فهو يقول عن السيد ما يأتي : برغم هذا كله لا بد من الاعتراف بأن هذا الرجل الذي كان نعمة إلهية في وقته ، بحبه للجد ، ومثانة خلقه ، ورباطة جأشه ، وشجاعته الحارقة للمادة ، كان أعجوبة وقته ، وكان النصر لا يفارق رايته ، وكانوا يقرأون سير أبطال العرب بحضوره ، ولما وصلوا إلى سيرة المهلب أعجب بها اعجاباً شديداً ، انتهى .

ويقال ان باني برغش هو « رودريغس بورسالوس Rodriguez Porcelos كونت قشتالة ، بناها سنة ٨٨٤ ، وكانت من قبل تابعة للاشتورياس ، ولكن الملك «أوردونيو» الثاني Ordonez قتل ذرية بورسالوس ، فانتقلت المدينة واتحدت لنفسها حكومة جمهورية ، ثم في زمن « فرنان غونزاليز » Farnen Gonzales صارت قاعدة قشتالة^(١) ثم عند ما اتحدت قشتالة وليون مملكة واحدة كانت هي مركز قشتالة القديمة . وفي برغش هذه هزم الفرنسيين في زمن نابليون الجيوش الاسبانية .

ومن مباني برغش الشهورة القصر المسمى « بالكردون » Caza del Cordón وهو قصر بناه أمير الجيوش « فاليسكو » في أواخر القرن الخامس عشر على يد البناء المشهور المسلم محمد العقوي Mahomat de Segovia وفي برغش دير للراهبات شهير أصله مقصود للملك قشتالة ، ثم حوَّله الأذفونش الثامن سنة ١١٨٧ ديراً للراهبات ، وكان فيه مائة من هؤلاء المنتبلات . ولم يبق الآن سوى ثلاثين . ويقال لواحدة منهن

هذا كلام بن بسم بحق السيد ، ترجمه دوزي من العربية ، ونحن الآن نترجمه إلى العربية عودا على بدء ، والله أعلم بمكان الأصل . ومنه يعلم أن السيد كان بطلا حقيقياً ، لا بطلا خيالياً ، وإنما الناس يحلوه محاسن لم تكن فيه وربما أضافوا إليه مقايح تجاوزوا فيها الحدود ولكن بما لا مشاحة فيه أن الشر غالب عليه ، وأنه أحرق القاضي ابن جحاف في ساحة بلنسية ، لكونه خياً عنه أموره . أما شجاعته وإقدامه فما لا يختلف فيه اثنان ، وكان ملكاً قشتالة واراغون فرديناند ورامير يتنازعان على مدينة كالاهوره Calahorra فلولا السيد لم يتغلب ملك قشتالة على ملك اراغون ، وسأنتي بقصة السيد على وجهها في القسم التاريخي من هذا الكتاب ، وإنما اكتفينا الآن بالإشارة إليها .

(١) وقرأت في كتاب الصلاة لأبي القاسم خلف بن بشكوال ترجمة صادق بن خلف ابن صادق بن كيبيل الأنصاري من طليطلة فقال عنه إنه سكن برغش . فن هنا يظهر أن العرب استولوا على برغش وسكنوا بها . هذا إلا إذا كان المقصود بالبلدة التي سكن بها صادق بن خلف الأنصاري هي قرية « برغش » بفتح الباء Bargas التي في وادي الرمل على مسافة ٦٣ كيلو مترا من مجريط . فاما برغش المدينة المشهورة فهي بضم الباء Burgos .

« سنيوره » أى سيدة ، ولا يقال « أخت » كما يقال لغيرهن .

وفي هذا الدير كنييسة خزانة فيها راية عربية أخذها الأسبان من المسلمين في وقعة المقاب . وأما دير كوردينية فهو من أقدم الأديار ، كان بناؤه سنة ٥٣٧ وبانيه سنثه Sancha أم الملك تيودوريق . وهناك دير آخر تاريخ بنائه يرجع إلى سنة ٥٩٣ في قرية صغيرة بقرب برعش يقال له دير سيلوس Silos بانيه الملك « ريكاريد » Hécared وهو اليوم للبلد كتيب

بلد وليد

ثم بلد الوليد Valladolid وهذه اللفظة عربية محرفة عن « بلد الوالى » . هكذا سماها العرب ، فأضاف إليها الأسبان حرف الدال ، فصار الانسان يتوهم أنها بلد بناها رجل يقال له الوليد ، وهى الآن مركز مقاطعة بهذا الاسم . سكانها فوق السبعين ألفاً وموقعها في مرج أفتح ، على الضفة اليمنى من وادى بسبورقة . وكانت هذه البلدة مقراً للوك قنتاله ^(١) وفيها تاهل فرديناند بايزابلا سنة ١٤٦٩ وفيها مات كريستوف كولولب في ٢١ مايو سنة ١٥٠٦ وفيها أقام فيليب الثانى وفيليب الثالث ، وكذلك نابوليون الأول جعل فيها مركزه عند ما فتح أسبانية ، وفيها كنييسة كبرى بدأوا بها سنة ١٥٨٥ على يد « هريرة » من البنائين المشهورين ، طول المسقوف من هذه الكنييسة ١٢٢ متراً ، وعرضها ٦٢ متراً ، وفيها مدرسة جامعة ، عدد طلبتها يقارب خمسة آلاف ، وأساتيذها خمسون ، وفيها خزانة كتب تشتمل على ٣٥ ألف مجلد . منها

(١) قال في صبح الأعتى : مدينة وليد بفتح الواو وكسر اللام وسكون المثناة من تحت ودال مهملة فى الآخر . وموقعها فى أواخر الاقليم الخامس من الاقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول احدى عشرة درجة واثننا عشرة دقيقة والعرض ثمان وثلاثون درجة وثلاث دقائق . قال فى « تقويم البلدان » : وهى من أحسن المدن وهى فى الغرب من طليطلة فى جنوبى جبل الشارة الذى يقسم الاندلس نصفين . قال : ويحلها الفونش ملك الافرنج فى أكثر أوقانه



الساحة الكبرى ، بلد الوليد .

ثلاثمائة مخطوط ، وأمام المدرسة الجامعة تمثال للكاتب الاسبانيولى الشهير « ميشال دوسرفانزس » Cervantes صاحب كتاب « الدون كيشوط » . وفي هذه البلدة متحف كان في أصله مدرسة يقال لها مدرسة « سانتا كروز » Santa Cruz وعلى باب هذه البناية القديمة صورة المطران « مندوزا » ساجداً أمام القديسة « تيريزه » وفي هذا المتحف مجموعة من تماثيل خشبية نادرة في بابها ، لأشهر نحاتى أسبانية ، وفيه من نقائس التصاور والتماثيل ما يدهش السامعين .

وفي هذه البلدة أيضاً كنيسة يقال لها كنيسة المجدلية ، فيها قبر بانيتها «الدون بدور دولاغاسكا » de Lagasca وفيها كنيهة يقال لها كنيهة « سانتامارية لانطيقا » la Antigua هي من الكنائس الاثرية ، ومدرسة يقال لها مدرسة « سان غريغوريو» ، بناها البناء الشهير « فينارنى » في أواخر القرن الخامس عشر . على بابها شجرة نسب الملك الكاثوليكيين أى فرديناند وأيزابلا والمطران الونزو دو برغش . وفي بلد الوليد أيضاً كنيهة سان بابلو ، بدأوا ببنائها سنة ١٢٧٦ ثم جدها سنة ١٤٦٣ الكردينال « توركادا » وفيها ست أو سبع كنائس غير التى ذكرت . وكلها من الأبنية الموصوفة

بحسن الصنعة . وبالقرب من بلد الوليد بلدة « شنت طانكش » ، وأصل اسمها في زمن الرومانيين « سبتيمانكة » Septimanca ثم اقلب إلى سيمينكاس Simancas والعرب يقولون لها « شنت طانكش » وفيها حصن مودعة فيه أوراق دولة اسبانية من القديم ، وهى ثمانون ألف اصابة ، تشتمل على ٣٣ مليون وثيقة .

وبالقرب من سيمينكاس مدينة قديمة صغيرة اسمها « طوررد زلاس » Tordsillas ومن مدن تلك الجهة « أريفالو » Arevalo وهى بلدة قديمة صغيرة ، سكانها أربعة آلاف نسمة ، وكانت فى الماضى معدودة من مفتاح مملكة قشتالة . ثم مدينة « آبله »^(١)

(١) قد سكن المسلمون فى آبله لأول فتح العرب لاسبانيا ، وانتسب اليها جماعة من أهل العلم ، منهم أناس هاجروا منها إلى فاس ، وقد ذكر لى الاديب المدقق السيد محمد الفاسى من بنى الجد الفهريين أن أبا عبد الله محمد بن ابراهيم بن احمد العبدرى الآبلى المتوفى فى فاس سنة ٧٥٧ للهجرة ، أصل أجداده من آبله ، نزحوا منها إلى تلسان وهما ولد أبو عبد الله هذا ، ثم انتقل إلى فاس ومات بها ، وهو تلميذ العالم الرياضى الكبير ابن البناء المراكشى ، والشيخ العلامة ابن خلدون

وقد وجدت فى آبله بلاطة تاريخ الكتابة التى عليها سنة ٨٠١ للهجرة ، قلها لاوى بروفسال ، وقال إن هذه البلاطة وجدت بقرب باب القصر Alcazar فى آبله ، وهى هذه : هـ هذا قبر عبد الله بن يوسف السبى (٢) المقتول على ظلم (٣) ظه وملسكه عام ض ١ لهجرة نينا محمد صلى الله عليه وسلم (٤) الله يجمعنا معه فى الجنة التمتع لاحول ولا قوة إلا بالله ،

قال لاوى بروفسال إن هذا التاريخ يوافق سنة ١٣٩٨ - ٩٩ مسيحية . قلنا إن آبله هى من المدن التى أخلاها المسلمون من أوائل الفتح ، مثل شقوية ، وسيمينكاس ، واستورفة ، وليون ، وزموره وغيرها ، نعم ان المنصور بن أبى عامر كان قد غزا فيها بعد هذه البلاد كلها ، واستولى عليها ، بعد أن أوقع بجيوش جميع أمم الاسبانول ، وأعاد شمالي اسبانية إلى ملك الاسلام . ولكن لم يمض على ذلك إلا قليل ، حتى كانت الفتنة فى قرطبة ، وسقطت الخلافة ، وصار المسلمون يستعين بعضهم على بعض بالنصارى ونجحت ملوك الطوائف ، وأصبحت الحالة أشبه بالفوضى ، فاسترجع النصارى جميع تلك المدن ، منها ما أخذوه بالقوة ، ومنها ما اشترطوا التخلي عنه لأجل الصرة التى كان

Avila وسكانها ١٢ ألف نسمة ، وهى مركز مقاطعة بهذا الاسم ، ومركز أسقف ، وموقعها على سطح رابية منقطعة من الجهات الثلاث ، وأمامها الجبال التى يقال لها شارات « مالاغون » من جهة الشرق ، وشارات آبله من جهة الشمال الغربى . وهواء هذه البلده هو فى غاية القسوة ، وقد تنازع الأسبانيول والعرب هذه البلده مدة أربعة قرون متوالية ، ولم تدخل فى حوزة المسيحيين نهائياً إلا سنة ١٠٩٠ فى زمن الاذفونش السادس ، فخصنها الاذفونش ، وجدد فيها أبنية كثيرة ، وبقيت إلى القرن السابع عشر من أحفل مدن اسبانية وكان فيها جم غفير من الموريسك ، أى العرب الذين نصرهم الأسبانيول ظاهراً ، ولبسوا مسلمين باطناً ، وكانت هذه المدينة عامرة بهم ، فلما طردوهم فى سنة ١٦١٠ ، وهو الجلاء الأخير ، سقطت هذه المدينة سقوطاً تاماً . وفى آبله من الكنائس ما يمد فى الطبقة الأولى بين كنائس أسبانية ، على كثرة احتفال الأسبانيول بالكنائس ، وبذلهم فى بنائها ما عزوهان . ومن أشهرها كنيسة « سان سلفادور » San Salvador وهى مبنية من الحجر المحبب ، يخالها الناظر إليها حصناً من الحصون . وهى من القرون الوسطى ، وبابها بديع الصنعة ، وفى داخلها تصاوير لأشهر المصورين ، وفيها قبر المطران « الفونسو دومادرينال » من عمل النحات الشهير « فاسكو زارزا » Zarza ، وفيها كنيسة « سان بدرو » ودير « سانتو توماس » بناه الملوك الكاثوليكيون ، أى فرديناند وإيزابلا سنة ١٤٨٢ ، وفيه قبر البرنس جوان الذى مات سنة ١٤٩٧ وكان الولد الوحيد لفرديناند وإيزابلا وسور آبله القديم طوله ٢٤٠٠ متر ، ولم يكملوه إلا سنة ١٠٩٩ . وفى آبله ماتت

برجوها منهم كل من الفريقين المتقاتلين فى قرطبة ، إذ فى سنة ٨٠٠ للهجرة لم يكن فى آبله مسلمون غير المدجنين ، فان آبله كانت قبل تاريخ هذه الكتابة بثلاثمائة سنة رجعت إلى النصرانية . فان كان قد بقى فيها مسلمون فيكونون ممن اختاروا « الدجن » أى الإقامة تحت حكم النصارى ، من دجن دجنا ودجوننا أى أقام بالمكان وألفه واستأنس به . وأصل استعماله للحمام والحيوانات ، يقال الحيوانات الداجنة ، ضد الحيوانات البرية



سور مدينة آبله

القديسة « تريزا » Teresa ، ولها هناك دير مشيد في محل البيت الذي ولدت فيه سنة ١٥١٥ ، وهذه القديسة هي شفيمة آبله . وفيها أيضاً كنانس أخرى متقنة مثل « سان سفونديو » Segundo و « سان فيسنت » Vicente نسبة إلى القديس فيسنت الذي يقال انه في سنة ٣٠٣ للمسيح قتل من أجل عقيدته المسيحية . وهناك صخرة هي في داخل الدير ، يقال إن القديس المذكور قتل عليها . وفي آبله ساحة مذبوحة إلى المنصور بن أبي عامر . وبالقرب من آبله واد بهيج ، يقال له « وادي البرش » Alberche ، وفيه بلدة مشهورة بنوع من العنب يسمى البياو Albillo ويقال لهذه البلدة « سبريروس » Cebreros

ومن مدن قشتالة « فيلالبة » Villalba واقعة على واد متسع تحيط به أهاضيب من شارات وادي الرمل ، وهي على حدود قشتالة الجديدة . وفي تلك الجهة قرية يقال لها « شارمارتين » Charmartin وهي التي فيها كانت نابليون الأول عند ما استسلمت له مدينة مجربط .

ومن مدن قشتالة « أوليدو » Olmedo وهي صغيرة ، ثلاثة آلاف نسمة ،

إلا أنها كانت ذات شأن في الماضي ، وكانت مسكن نبلاء ، قشتالة ، حتى ضرب
 المثل بها ، فسكانوا يقولون : من أراد أن يسود في قشتالة ، فعليه أن يستند على أوليدو
 وأربالو . ثم بلدة يقال لها « كوكو » Coco كان لها شأن عظيم في القديم ، والسكنها
 اليوم قرية صغيرة . و بلدة سقوية Ségovia ، وكل هذه البلاد قريبة من مجريط ،
 والسكة الحديدية تمر على سقوية ثم تدخل في نفق وادي الرمل ، وطوله ٢٧٠٠ متر
 وإذا أفاض الانسان من هذا النفق وقع نظره على سهل قشتالة الأفيج ، فشاهد أجمل
 ماتع عليه العين . وفي تلك الناحية دير الاسكور يال للشهير ، ثم مجريط
 وهذه البلدة هي اليوم عاصمة أسبانية ، وسكانها يزيدون على ثمانمائة الف وفيها
 مدرسة جامعة ، ومركز اسقفية ، وموقعا على ٦ ، ١ ، ٣١ من الطول الغربي من خط
 نصف النهار الباريزي ، وعلى ٤٠ ، ٢٤ ، ٣٠ من العرض الشمالي ، وهي تلو عن
 سطح البحر ٦٤٠ متر

مجريط Madrid

قال ياقوت في معجم البلدان : مجريط بفتح أوله ، وسكون ثالثة ، وكسر الراء ،
 وياه ساكنة ، وطاء : بلدة بالأندلس ينتسب إليها هارون بن موسى بن صالح بن جندل
 القيسي الأديب القرطبي ، أصله من مجريط ، يكنى أبا نصر ، سمع من أبي عيسى اللبني
 وأبي حلى القالي ، روى عنه الخولاني ، وكان رجلاً صالحاً صحيح الأدب ، وله قصة في
 القالي ذكرتها في أخباره من كتاب الأدباء - هي كتابه معجم الأدباء - ومات
 الجريطي لأربع بقين من ذي القعدة سنة ٤٠١ هـ قاله ابن بكير قال . ٨١
 ومن غريب الأمور أن ياقوت ذكر مجريط في حكايتين من كتابه ، ففي الأول
 ذكرها في صفحة ٣٨٨ من الجزء السابع من معجمه ، القطعة الأولى المصرية المصححة
 بقلم الشيخ احمد بن الأمين الشنيطي ، ثم في صفحة ٣٩٤ من الجزء نفسه ، عاد فذكر
 مجريط هي نفسها وترجمها غير للترجمة الأولى فقال : مجريط بالفتح هم الهككون وكبير
 الراء ، وياه ، وآخره طاء مهملة : مدينة بوادي الحياطرة . اختطها محمد بن عبد الرحمن

ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك . ينسب إليها سعيد بن سالم الثوري ، ساكن مجريط ، يكنى أبا عثمان . سمع بطليطلة من وهب ابن عيسى ، و بواصي الحجارة من وهب بن مسرة وغيرهما ، وكان فاضلا ، وقصد السماع عليه ، ومات لمشرخلون من شهر ربيع الآخر سنة ٣٧٦ قاله ابن الفرضى انتهى نقله عن فضيلة المتس

. والنسب يلوح لنا أنه كتب عن مجريط أولا ، وانتهى منها ، ثم تلقى معلومات جديدة عنها فبدلا من أن يلحقها بما تقدم له في شأن مجريط ، عاد فترجمها مرة أخرى وينسب إلى مجريط عدد من أهل العلم في الاسلام منهم أبو محمد عبد الله بن سعيد الجريطي^(١) وعبد الرحمن^(٢) بن عبد الله بن حماد الجريطي . وهارون بن موسى ابن صالح ابن جندل القيسي القرطبي ، أصله من مجريط ، وأبو العباس يحيى بن محمد ابن فرج بن فتح ، المعروف بابن الحاج^(٣) الجريطي ، توفي بقرطبة سنة ٥١٥ وأبو يعقوب يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حماد^(٤) الجريطي ، توفي بمجريط نفسها سنة ٤٧٣ وعبد الرحمن بن عيسى بن عبد الرحمن بن الحاج الجريطي ، سكن قرطبة ، وكان

(١) سمع من علماء طليطلة وعلماء قرطبة وتوفي بالمشرق سنة ٣٩٠ أو في السنة التي بعدها

(٢) أخذ عن ابن مدراج وعبدوس بن محمد وأبي بكر الزبيدي وابن الهندي وابن المطار وابن أبي زمين وكان فاضلا ثقة متواضعا قال ابنه يوسف بن عبد الرحمن : توفي أبي رحمه الله في صفر سنة ٤٠٧ . وهو ابن ٧٧ سنة

(٣) كان من علماء الأدب والعربية قال ابن بشكوال : وقد أخذ عنه أصحابنا وكان أحد المدول وتوفي رحمه الله يوم الاثنين لاربع بقين من ربيع الأول سنة ٥١٥ بقرطبة ودفن بمقبرة أم سلمة حضرت جنازته اه

(٤) روى عن أبي عبد الله بن الفخار وأبي عمر الطلنكي وأبي محمد الشستجالي ورحل الى المشرق حاجا ولقي أبا ذر الهروي ويحيى بن تجماح ولقي برفة ميمون ابن طريف وباطر ابلس أبا الحسن بن المنذر وقرأ عليه كتابه في الفرائض وكان أبو يعقوب ابن حماد هذا ثقة حسن الخط من بيت خير وفضل توفي بمجريط سنة ٤٧٣

يكنى بأبي الحسن^(١). وأبو الحسن غريب بن خلف بن قاسم الخطيب القيسي الجريطي
نزىل ماله ، كان من أهل العلم ، وله تصنيف
وأعظم المنسوين إلى مجريط أبو القاسم مسلمة بن احمد الجريطي الفلكي
السيماوي الشهير . ومن ينسب إلى مجريط سعيد بن سالم الجريطي المعروف بأبي عثمان
الثغري الذي ذكره ياقوت ، وينسب إلى مجريط أبو العباس يحيى بن عبد الرحمن
ابن عيسى بن عبد الرحمن بن الحاج ، كان ساكناً في قرطبة . وتولى قضاء جيان ،
وقضاء مرسية ، وقضاء غرناطة ، ثم تولى قضاء قرطبة بعد أبي الوليد بن رشد ، وكان
فاضلاً جليلاً ، توفي^(٢) سنة ٥٩٨ .

وأما أبو يعقوب يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حماد الجريطي الذي
قلنا إنه توفي بمجريط سنة ٤٧٣ . فإذا كان القشتاليون استولوا على مجريط سنة ١٠٨٣
فينبغي أن تكون وفاته وقيمت في مجريط بمد استرداد الاسبانيول لهذه البلدة .
وأخبرني مهندس اسبانيولي مدقق متخصص بعلم الآثار اسمه فرناندس من أهل قرطبة
أنه لما استولى الأسبان على مجريط كان فيها أربعة جوامع

كان بناء مجريط في زمن العرب ضرورة عسكرية ، لأنهم جعلوها قلعة في وجه
القشتاليين ، ولولا القلعة ما تكونت ثمة بلدة ، إذ ليس إلا بلد محل ، وما ضَعَل ،
وبقيت في أيدي العرب مدة طويلة إلى أن تمكن الاسبانيول من إرجاعها سنة ١٠٨٣
وذلك على يد الأذفونش السادس ، وكانت القلعة المرية في مكان القصر الملوكي
الحالي وهذا القصر هو أنخم بناء في هذه العاصمة الآن ، وكان الشروع بينائه سنة ١٧٦٤

(١) قال ابن الأبار في التكملة : يعرف بالمجريطي لان أصله منها أخذ الفراءات
عن أبي القاسم بن الحباس وتولى القضاء برندة وحدث عنه ابنه القاضي أبو العباس
يحيى بن عبد الرحمن وكان مولده سنة ٤٧٣ وتوفي سنة احدى وعشرين وخمسمائة

(٢) ترجمه ابن الأبار . فقال : انه اخذ الفراءات عن أبيه وقرأ على ابى بكر ابن
العربي وأبى زيد الخزرجي وأبى بكر بن سمجون وتولى قضاء جيان ومرسية وغرناطة
ثم قضاء قرطبة بعد ابن رشد وكان معدوداً في رجالها مع الجزالة والعدالة والايثار للحق

هذا ، ولما دخلها الاسبانول حوّلوا مسجدها الكبير إلى كنيسة باسم السيدة العذراء ، وأعطوا مجريط امتيازات كثيرة ، وصارت لذلك المهمد مدينة لابأس بها ، تمتد إلى باب « لاتينه » Latina و باب « سراده » Cerrada ، و باب « وادي الحجارة » و باب « سانتو دومينكو » Sato Domingo و باب « سان مارتين » San Martin و باب « الصول » Del Sol ، و وقع بين أهل مجريط وأساقفة أسبانية دعوى على مشاعات البلدة ، فصدر الحكم بأن تكون المراعى لرجال الكنيسة وأن تكون الغابات للمدينة .

وفي سنة ١٣٢٩ جمع فرديناند الرابع أول مجلس للأمة الاسبانية في مجريط وفي سنة ١٣٨٣ التجأ إلى اسبانية لاوون ملك أرمينية شريداً ، فولّوه على مجريط ، ولكن بعد وفاته رجعت البلدة إلى حكم قشتالة ، وفي سنة ١٣٩٠ حصلت في مجريط فتن متتابة أيام كان الملك هنري الثالث صغيراً فانتقلت العائلة المالكة إلى سقوية . ثم تجددت هذه الفتن في زمن هنري الرابع بين سنتي ١٤٥٤ و ١٤٧٤ ، ولم تستقر أحوال مجريط إلا في زمن الملوك الكاثوليكين ، أي فرديناند و ايزابلا سنة ١٤٧٧ وفي زمن شارل كان ثار مجريط عليه ، وانضمت إلى الحزب الذي كان يأبى الاقياد للحكم المركزي ، إلا أن هذا الحزب انتهى أمره بالفشل ، فدخل شارل كان مجريط سنة ١٥٢٤ و بعد ذلك بسنة ، لما وقع فرنسوا الأول ملك فرنسة أسيراً في يد الامبراطور شارل كان ، بعد معركة « بايئه » Pavia جيء به إلى مجريط ، واعتقلوه مدة في البرج المسمى « لوجانس » Lujanes ثم قلّوه إلى القصر Alcazar ، وكان عدد أهالي مجريط في أوائل القرن السادس عشر لا يتجاوز ثلاثة آلاف نسمة .

والذي فكر في جعل مجريط عاصمة اسبانية هو فيليب الثاني ، وذلك سنة ١٥٦٠ و قبها كانت العاصمة طليطلة . وكان في طليطلة كرسى الأسقف الأكبر ، فكانت هذه المدينة عاصمة اسبانية في الدين والدنيا ، وكان الاحتكاك الدائم لايجلو من حوادث تبعث على الاختلاف ، فأخذ فيليب الثاني يفكر في الانتقال إلى مركز

آخر يتوسط المسكة من جميع الجهات ، فلم يجد أفضل من مجريط ، على علاقتها ، وقحولة أرضها ، وعظمتها من أكثر المواهب الطبيعية التي تقوم بها عمارة البلدان . فانه فكر في سرقسطة ، فوجدها منحرفة إلى الشمال . وفي برغش وليون ، فلم يجد فيها التوسط اللازم الذي جعله نصب عينيه ، وفي قرطبة واشبيلية ، فوجدهما ضاربتين في الجنوب ، وكان مراده على كل حال أن يفادر طليطلة فراراً من مجاورة أحبار الكنيسة فاختر مجريط ، برغم وقوعها في أرض قليلة الخيرات ، لا تجرى فيها أنهار ولا تمتاز بزرع ولا ضرع ، كأن هواءها جامع بين الأضداد ، فنوافح البرد القارس ، إلى نوافح الحر المحرق ، ففي أيام الشتاء قد تنزل درجة الحرارة في الميزان إلى ١١ تحت الصفر ويتجمد الماء أكثر فصل الشتاء ، وفي الصيف تصعد الحرارة إلى الدرجة ٤٣ في الظل ، كأنه حر الساحل الجنوبي ، ثم ان هواء مجريط ، إما أن يكون شديداً عاصفاً ، يصرع الرجل الماشي في الشارع ، وإما أن يتقطع تماماً ، حتى لا يطفئ . المصباح ، فتقلبات الأحوال الجوية في هذه العاصمة أعجوبة من الأعاجيب ، ومن أمثالهم : لا تترك معطفك قبل ٢٠ مايو .

ولما انتقل فيليب الثاني إلى مجريط كان فيها ٢٥٠٠ بيت ، و ٢٥ ألف نسمة ، فضاقت على رجال الدولة والجنود . وصدرت الأوامر بانزال الأمراء والقواد وأصحاب المناصب في البيوت الكبيرة ، فمن ذلك الوقت امتنع الناس عن بناء الدور الفيحاء ، وصار الأغنياء منهم يمتدنون السكنى في المنازل الحقبية ، حتى لا ينزل رجال الدولة في دورهم . فلذلك بقيت مجريط لا تتقدم إلى الأمام مدة طويلة ، مع ان الفن لذلك العهد كان بلغ أوج الترق ، واستمرت هذه الحالة على مجريط إلى أن جاء آل بوربون ملوكاً على اسبانية ، فشرع كارلس الثالث ، أفضل ملوك هذه العائلة ، في عمارة مجريط والاعتناء بشأنها . ولما استعفى كارلس الرابع من عرش اسبانية سنة ١٨٠٨ جاء يوسف بونابرت ، وأخذ يوسع شوارع مجريط ، ويهدم حاراتها القديمة ، والأديار التي كانت تضيق بها الأرض بما رحبت ثم ذهب حكم نابليون ، وأعيد حكم آل

بربون ، وجاء فرديناند السابع ، فأخذ يعنى بتوسيع مجريط وتزيينها ، إلى أن كسبت شكل عاصمة حقيقية .

وأشهر ساحة في مجريط هي التي يقال لها « باب الشمس » Peurta del Sol ومن هذه الساحة يمتد شارعان ، أحدهما المسمى شارع « القلعة » Alcala وهو أوسع شوارع المدينة وأبهاها ، وبه تسير جميع المواكب في الاحتفالات ، والثاني شارع « جيرونيمو » وفيه أعظم المتحازن وأغناها .

وفي مجريط أكاديميه للفنون النفيسة ، وفيها متحف المدفعية وفيه آثار ونفائس كثيرة . وفيه قاعة تسمى القاعة العربية ، جمعوا إليها كل ما قدروا عليه من مخلفات العرب ، من رايات ، وعمام ، وأثواب ، وأحذية ، وسيوف ، ومن جملتها سيف أبي عبد الله بن الأحمر ، آخر ملوك غرناطة . وقد اشتمل هذا المتحف أيضاً على غنائم كثيرة مما حازه الاسبانيول في فتح أميركة ، وتلك المستعمرات الواسعة ، وكذلك في هذا المتحف نذ كارات كثيرة من أيام حروب الكركوسيين .

وحروب الكركوسيين تشغل من تاريخ اسبانية جزءاً كبيراً ، بحيث لا يفهم القارى . حقيقة تاريخ اسبانية في القرن الماضي بدون أن يعرف قضية الكركوسيين هذه . فلذلك رأينا تلخيصها فيما يلي :

الدون كارلوس البربونى المولود سنة ١٧٨٨ التوفى سنة ١٨٥٥ كان ابن كارلس الرابع ، ملك أسبانية ، واخا فرديناند السابع . فلما حمل نابليون الأول فرديناند هذا على الاستمفاه واعتقله ، كان الدون كارلس مع أخيه في الاعتقال ، فلما عاد فرديناند الى الملك ، بعد سقوط نابليون سنة ١٨١٤ عاد الدون كارلس أيضاً مع أخيه ونظراً لكون فرديناند لم يعقب ولداً ، كان كارلس هو ولى المهد الشرعى ، وحوله اجتمعت رجال الكنيسة والرهبان والنبلاء الذين يكرهون مبادئ الثورة ، وجميع من كان من أنصار الملكية المطلقة ، وأصحاب الامتيازات والاقطاعات ، فصار الدون كارلس يناوئ أخاه الملك ، ولم يتمكن فرديناند من العرش في وسط هذه المزاهاز إلا بواسطة

جيش أمجدته به فرنسا سنة ١٨٢٣ ، واشتدت المداوة بين الأخوين ، فزوج الملك فرديناند ببارية كرسينا من ملوك الصقليتين ، وولد له منها الأميرة ايزابلا ، فصارت هي في نظر أبيها وارثة الملك . والحال ان قانون أسبانية كان يحصر الارث في الذكور ، فادى الامر الى الحرب بين حزب الملك وحزب الدون كارلس ، ومزقت هذه الحروب الأمة الأسبانية تمزيقاً ، وانفتحت فرنسا وانكلترا ، فعضدنا الملك فرديناند في وجه أخيه ثم مات الملك سنة ١٨٣٣ فقامت مقامه زوجته الدونة مارية ، وعضدتها فرنسا وانكلترا ، فانهزم كارلس الى البرتغال ، لمصاهرة بينه وبين الدون ميكال ملك البرتغال . إلا ان حزب الدون كارلس كان كبيراً ، وثار مع المقاطعات التي كانت تكبره النظام المركزي ، فاشتعلت نار الفتنة في الاستورياس ، وبلاد الباشكونس ، وتباراه ، واراغون ، وكتلونية . واشتدت الحرب الأهلية في أسبانية ، الى ان وقع الخلف أخيراً بين زعماء حزبه ، فقتلوا ، واضطر كارلوس الى الفرار سنة ١٨٣٩ ، والتجأ الى فرنسا في زمن الملك لويس فيليب ، واعتقل فيها .

ثم نزل عن دعواه لشخصه وخلفه ابنه الدون المسمى كارلس أيضاً ، فاخذ هذا يشير حزبه على ابنة عمه ، وجرت وقائع وحروب في أيامه ، كما جرت في أيام أبيه . وما زال يقاتل ويشير الفتنة الى أن مات . فخلفه أخوه الدون جوان . ثم خلف الدون جوان ولده الدون كارلس أيضاً ، وذلك سنة ١٨٦٨ ، وسماه حزبه كارلس السابع ، ودخل أسبانية ، وأثار الفتنة ، فظير عمه وجده . وتقلب على عساكر الدولة الأسبانية ، وقام بتشكيل وزارة ، واوشك ان يستولى على العرش . واستمرت هذه الحالة مدة أربع سنوات ، الى أن تقلبت الدولة الأسبانية في الآخر عليه ، فانهزم الى الخارج ، فصار يجمول في الاقطار الى ان مات . وانتهت الشحنة الكارلوسية .

ثم تعود الى ذكر مدينة مجريط فنقول : انه فيها دار لمجلس النواب ، يقال لها دارالمؤتمر Palacio del Congreso وهي بناء نفيم ، انشاء المهندس . ترسيو بشكوال Pascual . وأمام الرتاج اسدان من سكب الرمل ومدافع غنمها الاسبان من

المراكشيين في واقعة تطوان سنة ١٨٦٠ . وفي مجريط متحف يقال له متحف البرادو Prado ، بدأوا به سنة ١٧٨٥ ، وهو قسمان ، أحدهما للثايل ، والآخر للتصاوير . وفيه آثار ايدي مشاهير المصورين والنحاتين ، ممن تقدم لنا ذكرهم في الفصل المتعلق بالفن ، ومن غيرهم . فهو من أحفل متاحف أوربة بلا نزاع ، يختلف اليه عشاق الفن ما شاؤا ان يختلفوا ، ولا يزالون يرون فيه أشياء جديدة . وفيها جنة النبات Jardin Botanique ، وقد بدأوا بها سنة ١٧٧٤ الا ان دليل بديكر يحملها دون حديقة النباتات التي في بلنسية ، ودون حدائق النباتات التي في البرتغال .

وفي مجريط ساحة يقال لها ساحة الشرق ، في نهايتها ملهى التمثيل الملوكي . وأما قصر مجلس الشيوخ فانه في طرف من المدينة ، بينما مجلس النواب هو في الطرف الآخر .

وأما خزانة الكتب الوطنية ففيها عدا الكتب ، وعدا الوثائق التاريخية ، متحف يقال له متحف الفن الحديث ، ومتحف آخر يقال له متحف الآثار القومية . وقد بدأوا ببناء دار الكتب هذه سنة ١٨٦٦ ، وانتهوا منها سنة ١٨٩٤ ، وامام رتاجها تماثيل المشاهير من رجال أسبانية ، وفي داخلها تماثيل ملوكهم وملكاتهم . وأول من جمع هذه الكتب في مجريط هو الملك فيليب الخامس ، وذلك من مائتين وخمس وعشرين سنة . وسنة ١٨٦٦ اشترت الحكومة مجموعة كتب مخطوطة كانت تخص دوق اوشونة ، و اضافتها الى هذه المكتبة . ومجموع ما تشتمل عليه من الكتب هو ستمائة وخمسون الف مجلد ، منها ثلاثون الف مخطوط ، والفان وسبعة وخمسون كتاباً طبعت في بداية عهد الطباعة . وفيها عشرون الف ورقة من الوثائق . وثلاثون الف صورة يدوية . وفيها ثمانمائة طبعة من كتاب الدون كيشوط . والبناء هو سبع طبقات من الحجر والحديد ، وفي قاعة القراءة ٣٢٠ كرسيًا . ولما ذهبت الى مجريط سنة ١٩٣٠ كنت أذهب كل يوم الى هذه المكتبة ، وفيها اطلعت على كتب كثيرة تتعلق بالأندلس ، ثم اقتنيت أكثرها فيما بعد ذلك ، ونسخت بخط يدي

يومئذ قسما من كتاب اخبار مجموعة ، وهو أول تاريخ عربي لسفى الاندلس ، يصل الى زمان الناصر ، وقسما من كتاب القضاة بقرطبة ، لأبى عبد الله محمد الخشنى وأما خزانة الآثار القومية ففيها مائتا ألف وثيقة ، جمعت من كل الأطراف ، ولا سيما من كنيسة آبله . ونحت المكتبة أقباء ، ملأى بالآثار القديمة التى قبل التاريخ وعظام بشرية ، وهناك مكان للعاديات الشرقية ، ومنسوجات بقلية ، وآنية أصلها من قبرص ، وكثير من المصنوعات اليبيرية ، والتماثيل العتيقة ، مما يحار له العقل .

ويقضى السائح الأيام والأشهر وهو يقضى منه العجب ، ويوجد قاعات لآثار القرون الوسطى : من كتابات ، وقطع فنية ، ونواويس . وهناك قاعة خاصة بآثار العرب . والآثار المسيحية التى يطلق عليها اسم الطراز المدجن ، والاسبانيول يقولون المدجر ، وأكثر هذه الآثار العربية مأخوذة من أشبيلية وقرطبة وسرقسطة وغرناطة وفى القاعة العربية أسطرلابان عريان ، أحدهما تاريخ صنعه سنة ١٠٦٧ مسيحية ، وهو أقدم أسطرلاب معروف اليوم . وفيها تحت الزجاج مجموعة عظيمة من الصحن والآنية العربية . وإلى الحائط الغربى من القاعة العربية قوسان من باب الجعفرية ، فى سرقسطة ، وقطع من البهو الملوكى فى الجعفرية المذكورة ، وباب عربى جىء به من ليون ، وحوض للوضوء جىء به من مدينة الزهراء فى قرطبة ، وآثار من جامع بناء محمد الثالث فى غرناطة . وإلى الحائط الجنوبى باب عربى من خشب وجدوه فى « دروقه » ، وإلى الحائط الشرقى مجموعة من الزليج ، وفى الوسط فوارة أشبه بفوارة قاعة الأسود فى الحمراء ، وفورتان من قرطبة ، ويوجد سيوف عربية ، وخوادم ، وآنية من العاج ، وغير ذلك من نفيس صناعات العرب . وما يوجد فى هذا المخزن مفاتيح مدينة وهران يوم دخلها الاسبانيول سنة ١٥٠٩

وفى الطبقة الأولى من خزانة الآثار هذه توجد آثار مكسيكية قديمة ، حازها الاسبانيول يوم فتحوا تلك البلاد ، وآثار غريجة ، وآنية خزفية ، ومنسوجات من أميركا الجنوبية ، وفسيفساء من صنعة أميركا الشمالية القديمة وغير ذلك مما وجدوه فى المكسيك وكولومبية وكوبا وغيرها .

ومكتبة مجريط هي من أغنى مكاتب أوربة بلا نزاع ، سواء في الكتب ، أو في الآثار أو في التحف النفيسة ، وفيها أيضاً نفائس من صنعة فارس وتركية والهند ، وتماثيل صينية ، ومصنوعات من العاج من عمل الصين ، وفيها أيضاً من صناعة اليابانيين وبلاد الفيليبين ، وفيها معرض للمسكوكات القديمة ، من زمان قرطاجنة فما بعدها ، وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به العقل .

وفي مجريط تمثال لكريستوف كولومب منصوب في ساحة منسوبة إليه . وتمثال للملكة إيزابلا الكاثوليكية ، وتماثيل أخرى لأعظم الرجال . وفيها متحف للعلوم الطبيعية أنشأه سنة ١٧٧١ ، يوجد فيه كثير من الحيوانات والطيور والحشرات والهوام والبقايا المتحجرة . ولما كانت مجريط خالية من الماء في وسطها قد جروا إليها قناة يقال لها « لوزويا » Lozoya ، وأنشأوا خزاناً يفيض إليه الماء في أعلا تقطة من المدينة ، وهذا الخزان يسع ١٨٠ ألف متر مكعب من الماء ، وهناك برج عال ارتفاعه ٣٧ متراً تتفرق منه المياه على الحاضرة . وأوسع ساحة في مجريط هي الساحة التي يقال لها « ساحة الشرق » Plaza de Oriente أنشأها يوسف بونابرت لما كان ملكاً على أسبانية ولكثرة ما أنشأ من الساحات صاروا يقولون له « Rey Plazueles » ومعناه ملك الساحات . وقد هدم لأجل توسيع هذه الساحة عدة أديار وكنيسة وخمسةائة بيت . وفيها أربعون تمثالاً للملك القوط والأسبان . وفي مجريط دار للسلاح مشهورة ، وكان أصلها في بلد الوليد ، فنقلها فيليب الثاني إلى مجريط ، وفيها أسلحة من جميع الأنواع ، منها ما جاء هدية من اليابان إلى فيليب الثاني ، ومنها أسلحة مكسيكية . وفيها رايات باقية من زمن شاركان وفيليب الثاني ، وكذلك دروع ومفاخر كانت لشاركان وفيها أيضاً عمامة وأسلحة منسوبة لخير الدين بربروس . قيل إنهم أخذوها في واقعة تونس سنة ١٥٣٥ ، وفيها أسلحة علي باشا أمير البحر التركي ، مع ثيابه وراية تركية ، مما أخذه الأسبان في واقعة لينط الشهيرة سنة ١٥٧١ ، وفيها رايات لمشاهير قواد أسبانية . وخيمة من مصنوعات تركية ، كانت لفرنسا الأول ملك فرنسا وقد أخذها

الاسبانيول في وقعة « باقيا » التي أُسِر فيها ، وفيها سيوف باركها البوابات لأن أصحابها جاهدوا في المسلمين ، مثل الملك هنري الرابع صاحب قشتالة ، والأمبراطور شارل كان وفيليب الثاني ، وفيليب الثالث ، وفيليب الرابع ، وفيها أسلحة تركية من صنعة القرن السادس عشر والسابع عشر ، وبقايا غنائم أخذوها يوم فتحوا وهران سنة ١٧٣٢ ، وفيها أسلحة شارل كان يوم نازل تونس ، ويوم انكسر عن مدينة الجزائر . وفيها أسلحة كانت للملك فرديناند الكاثوليكي ، ولقد وجد سلاح الملك من ملوك أسبانية إلا ومنه بقية في هذا المخزن

وفي مجريط دار يقال لها أكاديمية التاريخ ، بنيت سنة ١٧٣٨ ، وفيها متحف يحتوي على أسلحة ايبيرية قديمة ، وعلى مجموعة مسكوكات ، ومن جملة ما فيها راية عربية كانت من قبل في كنيسة سان اشتيان . وأما من جهة الكتب ففيها ٤٤ ألف مجلد ، من أصلها ألفان من المجلدات المخطوطة ، وأكثرها عائد لتاريخ أسبانية وأما الكنائس فحدث عنها ولا حرج ، ففي اسبانية تكون القصة لا يتجاوز سكانها عشرة آلاف نسمة ، ولا تعلم فيها كنيسة متقنة تستحق أن يقصد السياح اليها ، فكيف تكون باليت شمري احاضرة الملكة التي جلس فيها ملوك اسبانية من ثلاثمائة سنة ؟ وأشهرها الكنيسة الكاندرائية التي يقال لها كنيسة سيدة المدينة

Nuestra Senoira de la Almudena

هذا وقد ترددت في أثناء مقامي بمجريط على مكتبة أكاديمية التاريخ ، وعثرت فيها على كتب كثيرة . وقطفت من أزهارها . ونسخت بقدر ما أمكنني الوقت ، واني لنا كر الآن بمض الكتب التي استجلبت نظري ، من أسفار تلك المكتبة وهي :

« تاريخ علماء » الاندلس ، لأبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن القرضي ، وكتاب « الحلال الموشية في الأخبار المراكشية » . و « الروضة الفناء في أصول الفناء » ، و « تفريج الكرب عن كرب أهل الأرب . في معرفة لامية العرب » لمحمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن زاكور ، و « نظم البر والعقبان ، في شرف (٢٣ - ج أول)

بيت بنى زيان ، و ذكر ملوكهم الأعيان ، ومن ملك من أسلافهم في ماضى من الزمان ، ، و « عمدة الطبيب في معرفة النبات » ، لابن بطلان ، و « نزهة المشتاق ، في اختراق الآفاق » لشريف الادريسي ، الذى نقلنا عنه كل ما قاله عن الاندلس في كتابنا هذا وكتاب « فتوح أفريقية » ، وكتاب « القواعد المسطرة ، في علم البيطرة » لعلى بن عبد الرحمن بن هذيل بن محمد الفرارى . وكتاب « فضالة الاخوان في طبيبات الألوان » ، لأبى الحسن على بن محمد بن القاسم بن محمد بن أبى بكر بن الوزير التجيبى الاندلسى . و « تقييد الرسائل » من انشاء الفقيه القاضى الكاتب ابن المطرف ابن عميرة . و « عقد الجان ، في تاريخ أهل الزمان » لبدر الدين أبى محمد محمود بن احمد بن موسى العينى . و « الروض المتون ، في أخبار مكناسة الزيتون » ، ل محمد ابن احمد بن محمد بن محمد بن غازى العمانى المكناسى . و « نتيجة الاجتهاد ، في المهادنة والجهاد » ، لاحمد بن المهدي النزال الفاسى . وكتاب « الاكتفا في أخبار الخلفاء » ، لأبى مروان عبد الملك بن الكردبوس . وكتاب « الدررة المضية ، في اللغة التركية » ، لزين الدين عبد الرحمن بن ابى بكر العينى . و « القوانين السكايية ، لضبط اللغة التركية » ، لشمس الدين محمد بن نور الدين على بن زين الدين . وكتاب « استخراج ملاح المعادن » . وكتاب « تأييد الملة » . و « الذخيرة » لابن بسام ، ورسالة بفضل الاندلس لأبى الوليد اسماعيل بن محمد الشقندى . و « حكاية الجارية تودور » ، وما كان من حديثها . وكتاب الجغرافية في مساحة الأرض ومحائب الأسقاع والبلدان . وقصة الست زمرد السطورية . و « التكلة » لابن الأبار . ودفتر ل رسم الكتب الموضوعة في خزائن يبنى المحراب من الجامع الأعظم (يريد جامع قرطبة) . ودفتر ل رسم الكتب الموضوعة في خزائن بسرى المحراب من الجامع الأعظم . وكتاب « فوائد الموائد » تأليف يحيى بن عدى ، وقيل تأليف جمال الدين ابى الحسن المعروف بالجزار . وكل هذه الكتب نظرت فيها بقدر ما وسع الوقت وكتاب فوائد الموائد كثير النكات ، يقرأه الانسان للتسلية . أوله : « الحمد لله الذى جعل الطعام رزقاً للعباد ، وقواماً للأجساد ، وسبباً لذم البخله . ومدح الأجواد ، أحده على ما منح من طبيبات رزقه ، ومعرفة

الكرام من خلقه ، رازق الاطعمة الشبيهة ، ومسخر النفوس السخية ، الخ . وأجل كتاب رأيته في هذه المكتبة هو « الفلاحة في الارضين » ، لابي زكريا يحيى بن محمد ابن احمد بن العوام الاشبيلي . وهو جزءان ، وعدة صفحاته ٨٤١ . ويبدو أن يكون في هذا الفن كتاب أجل قدراً منه . وقد قرأت في مجلة الجمع العلمي العربي التي تصدر في دمشق أنه مترجم إلى الافرنسية وقد نسخت من هذا الكتاب عدة صفحات ورأيته ينقل كثيراً عن الفقيه الامام أبي عمر احمد بن محمد بن حجاج في كتابه « المنع » وهو المؤلف سنة ست وستين واربعمائة ، نقل فيه صاحبه عن الرازي ، واسحق ابن سايان ، وثابت بن قرة وغيرهم . وكذلك نقل ابو زكريا يحيى بن محمد بن العوام الاشبيلي صاحب كتاب الفلاحة هذا عن كتاب الشيخ أبي عبد الله محمد بن ابراهيم ابن الفضال الاندلسي ، الذي بنى كتابه على تجاربه الخاصة ، ونقل عن كتاب الحكيم الشيخ ابي الخير الاشبيلي ، وهذا مبنى على تجارب المؤلف وعلى آراء جماعة من الحكماء والفلاحين . ونقل عن كتاب الحاج الفرناطى . وكتاب ابن أبي الجواد ، وكتاب غريب بن سعد ، ونقل عن حكاه اليونان ، وأيضاً عن كتاب الفلاحة النبطية المشهور المبنى على أقوال جماعة من الحكماء منهم آدم ، وصفرية ، ونيوشاد ، وأخنوخا ، وماسى ، ودونا ، وكانترى ، وغيرهم . وأما تاريخ ابن الفرضى ، برسالة الشفندى في فضل الاندلس ، فقد نقل عنهما صاحب النفع ما شاء .

الاسكوريال L'escorial

ومن ضواحي مجرى بط قرية الاسكوريال Escorial أو Escorial ومعناها معدن الحديد ، والقرية قسمان : القرية القديمة تسمى « أباجو » ، والقرية الجديدة وتسمى « الزبية » وعدد سكان هذه ثلاثة آلاف نسمة . وهي مصيف لاهل مجرى بط ، وفيها الدير الشهير الذي يسميه الاسبانيون Rial Monasterio de San Lorenzo del Escorial وهو الذي بناه فيليب الثاني ، وذلك انه في حصار مدينة سان كستين سنة ١٥٥٧ أصابت مدافعه . كنيسة باسم القديس « لورنزو » ، وهو جندي روماني

من أصل اسبانيولى ، توفى شهيداً فاراد فيليب أن يموض القديس من هدم تلك الكنيسة المبنية على اسمه ببناء دير عظيم ، جعل فيه أيضاً مدفن والده شارلكان ، الذى كان نحلى عن الملك من تلقاء نفسه ، واختار العزلة والنسك ، وصح فيه قول المنبى:

ويمشى به المُكَّازُ في الديرِ راهباً وما كان يرُضَى مَشَى أَشَقَرَ أَجْرَدَا

وكان فيليب الثانى يريد ان يقتنى أثر أبيه فى التنسك والاعتزال ، فبعد ان بحث نحواً من سنتين عن مكان لهذا الغرض اصابه فى جوار مجرى بقرية الاسكور يال ، فاستدعى اليه المهندس الطليطلى الشهير « جوان بوتستا » ، وبدأ بالعمل سنة ١٥٥٩ ، ولكن المهندس مات بعد أن بدأوا بالبناء ، فخافه عليه « جوان دوهريره » الذى هو من تلاميذه ، وكان الأول تعلم البناء فى رومة ، وأما الثانى فكان تحصيله فى بروكل . وكان فيليب الثانى يشترك بنفسه فى الشغل ، و يأخذ ويعطى مع الصناع ، ولا يتركم يعملون شيئاً بدون رأيه وقد بذل همه فوق تصور العقل لاجل اكمال هذه البنية التى قل ان يوجد مثلها فى الدنيا . وقد انتهوا من العمل ووضع الصليب على القبة سنة ١٥٨١ ، وآخر حجر وضع فى هذا الدير كان وضعه فى ١٣ سبتمبر سنة ١٥٨٤ ، وأما المقبرة اللوكية فامت الى فى زمن فيليب الرابع ، حفيد فيليب الثانى . وقد تخنوا نفقات هذه البناية الكبرى بستة عشر مليوناً وخمسمائة ألف بسيطة . وطرز هندسة هذا الدير هو طرز عصر التجدد الثانى فى ايطالية ، وهو الذى يعتمد فى جلاله على مجرد تناسب الاقسام ، وليس فى الاسكور يال شىء من الزينة ولا الزخرف ، وجميع تلك الجدران لا يتخللها غير نوافذ صغيرة . واذا نظرت الى هذا البناء العظيم حسبت انه قلعة أو سجن . ولما أراد فيليب الثانى ان يزين داخل الدير بالتصاوير التى لا بد منها نظراً للمذهب الكاثوليكي ، استجد بعض مصورى ايطالية المشاهير مثل « تيبالدى » و « كامبازو » و « زوكارو » وأما من اسبانية فقد استدعى « جوان فرناندىس » و « نافاريت الكرونى » .

وقد انتقد الكثيرون من أساطين الفن بناء الاسكور يال ، وقالوا إنه ليس له

من مزينة غير السعة والكثرة ، وانه ليس فيه ذوق ولا قوة توليد ، ولا فضل اختراع ، وكل ما هناك فهو خطوط هندسية مستقيمة ، تسود عليها بساطة زائدة ، يمجها الطبع . وقد علل بعضهم هذه البساطة الزائدة بكون فيليب الثاني كان هو الأمر الناهي في اختيار الأشكال التي لم يكن يستحسن منها إلا البسيط الساذج . وكان كلما جاءه المهندسون بشئ من الزخرف رفضه فجاءت بنايته هذه أشبه في بيوتها وجهامة منظرها بالبرية التي تحيط بها . أما طول البناية فهو ٢٠٦ أمتار والعرض هو ١٦١ مترا ، ولها أربعة أبراج . وفي وسطها كنيسة ذات قبة عالية وبرجين عظيمين ، في كل منهما جرس كُبار وإلى الشرق والشمال من هذه الكنيسة للقر اللوكي ، وإلى الغرب ساحة خارجية ، وإلى الجنوب الدير الحقيقي وحواليه وأما كن القسيسين .

وللاسكوريال رتاج عظيم ، عليه تمثال القديس لورانزو ، يطوار أربعة أمتار ، ورأسه ويداه من الرمر ، وفي يده النبي مشواة من النحاس المذهب ، إشارة إلى كيفية استشهاد القديس ، الذي يقال إنه أميت على آلة مثلها . وفي الكنيسة ست اسطوانات ، عليها تماثيل ملوك المهد القديم ، وجميع الرؤوس والأيدى من الرخام الأبيض ، والتيجان والصوالمجة من النحاس المذهب . وقبة الصليب ترتفع ٩٥ مترا ، والكنيسة في غاية الاتساع ، وفيها ٤٨ مذبحاً وطى حيطانها تصاوير الوقائع الدينية الكبرى ، مثل البشارة ، والحمل ، وولادة عيسى ، وعبادة الملائكة له ، وملوك الجوس ، وبنى إسرائيل في البادية ، واليوم الآخر ، وهزيمة بنى إسرائيل للعالمقة ، وغير ذلك . وأما مقبرة الملوك فهي مجاورة للمذبح الأعظم ، وذلك حتى تقام القداسات اليومية على عظام الملوك المدفونين . وفي هذه المقبرة زخرف كثير ، مخالف لقاعدة البساطة التي كان فيليب الثاني قد جعلها إماماً له في بناء هذا الدير . والسبب في ذلك هو أن هذه المقبرة قد أكلها خلفاؤه من بعده ، والمدافن واقعة ضمن محاريب في المحيطان ، وكل مدفن فيه ناووس من الرخام الأسود ، عليه كتابة باسم الدفين . وفي هذه المقبرة ستة وعشرون ناووساً ، لم يبق منها غير قليل خالياً ، وليس جميع الملوك

مدفونين هنا ، بل فيليب الخامس ، وفرديناند السادس ، ونساؤهما ، ليسوا فيها .
وهناك مقبرة أخرى فيها أجساد الأمراء والأميرات ، ممن لم يصل إلى العرش .
وفي هذا الدير خزانة كتب عظيمة ، واقعة في بهو طوله ٥٢ متراً ، فوق الزنابق
الذي منه الدخول إلى المقر الملوكي . وفي هذه الخزانة من نوادر الكتب والآثار
ما يستحق كل اعتبار . من ذلك كتب الصلاة التي كان يصلي بها شارلسكان وفيليب
الثاني ، ومخطوط اسبانيولى يتضمن قصيدة فيرجيل الشاعر الرومانى التي تسمى
« اينايده » Eneide ، والأنجيل الأربعة ، في مجموعة كتبت لـكونراد الثاني ، قيصر
ألمانية ، وأبجرت في زمن هنرى الثالث ، وتاريخها سنة ١٠٥٠ ، ومخطوط فيه رؤيا
يوحنا ، تاريخه القرن الخامس عشر . وفيها مصحف شريف بخط مغربى مذهب كبير
الحجم ، اتصل بالاسبانيول سنة ١٥٩٤ ، وقد سألت عنه بعد زيارتى للاسكوريال ، السيد
الشريف الأجل ، مؤرخ المغرب في هذا العصر ، مولاي عبد الرحمن بن زيدان ،
حفظه الله ، لأنى وجدت مكتوباً على الصوان البلورى ، الذى فيه هذا المصحف
أنه مأخوذ من السلطان زيدان ، صاحب المغرب . فأجانبى مولاي عبد الرحمن
بأن السلطان الذى أخذ منه هذا المصحف ليس من العائلة الشريفة السجلماسية بل
من الملوك السعديين ، وذلك أن بعض قرصان الاسبانيول غنموا مركباً من البحر
لهذا السلطان ، وكان فيه أئمة نفيسة ، وكتب من جملتها هذا المصحف . وقد قرأت
في تاريخ الاستغناء للناصرى السلاوى ، في الجزء الثالث ، في صفحة ١٢٨ ما يلى :
وقال منويل : « إن قراصين الاسبانيول غنمت في بعض الأيام مركباً للسلطان زيدان
فيه أئمة نفيسة ، من جملتها ثلاثة آلاف سفر من كتب الدين والأدب والفلسفة
وغير ذلك »

ومن جملة آثار خزانة الاسكوريال تأليف الملك الاذفونش الملقب بالحكيم ،
من القرن الثالث عشر ، وكرة أرضية ، كان فيليب الثانى يستعملها في مطالعته
الفلكية . وفي هذه الخزانة صورة لفيليب الثانى ، يوم كان في الواحدة والسبعين من

العمر ، وصورة لشارل-كان يوم كان في التاسعة والأربعين ، وصورة لفيليب الثالث ، وصورة أيضا لكاراس الثاني ، وهو ابن أربع عشرة سنة . ثم إنه يوجد في الخزانة قسم للكتب الخطية ، لا يمكن الاطلاع عليه إلا بإذن خاص من إدارة الاسكوريال . وأما القصر الملوكى الذى فى الاسكوريال فإنه إن كان فيه شىء من الزخرف ، فهذا قد حصل بعد موت فيليب الثانى . فأما هو فلم يكن بنى لنفسه إلا غرفة صغيرة يشاهد منها المذبح الأكبر فى الكنيسة ، وغرفتين بجانبها ، ولا تزال فيها المقروشات التى كانت فى أيام فيليب الثانى ، ولا تزال فى غرفته الخاصة المائدة التى كان يكتب عليها مع أدواتها ، وهناك الكرسي التى كان يمد عليه رجله . وفى هذه الغرفة كان يستقبل سفراء الدول . وفيها مات ، وذلك فى اليوم السابع عشر من سبتمبر سنة ١٥٩٨ ، على أثر مرض برح به ، وكان وهو يوجد بروحه ينظر إلى مذبح الكنيسة الكبير ، كما أنه كان فى يده نفس المصلوب الذى كان فى يد والده شارل-كان يوم فاضت روحه .

والاسكوريال حديقة تفتح أبوابها الساعة الثانية بعد الظهر . ولها منظر من أبداع المناظر ، لا تبلغ المينان مدة على سهل قشتالة الجديدة ، وبحر يط ، ووادى الرمل . ولما زرت اسبانية سنة ١٩٣٠ أى من ست سنوات ، ذهبت إلى الاسكوريال أنا واثنتان من شبان المغرب النجباء ، وسرواته الأدياء ، وهما السيدان العالمان الفاضلان أحمد بلا فريج ، ومحمد الفاسى الفهرى ، وكان معنا السنيور دوزميت يواكين ، من شبان نبلاء الاسبانيول ، فطوفنا فى الاسكوريال مدة ساعات ، وجاسنا فى خزانة الكتب ، حيث رأيت من الكتب العربية ما لا يوجد فى كثير من المكاتب . وهناك تعارفنا مع الأستاذ المستشرق العلامة القسيس آسين بلاسيوس المشهور ، وتحدثنا معه فى مختلف المواضيع ، وسألناه عن سبب ذهابه إلى أن رواية دانتي ، الشاعر الايطالى الأكبر ، المسماة بالهزلة الالهية ، هى فكرة مسرودة من رسالة الفران ، لأبى العلاء المرعى ، فأدلى إلينا بآرائه فى الموضوع ، وبين لنا أن التشابه الواقع

في عدة من النقط لا يمكن أن يكون من قبيل وقع الحافر على الحافر ، وقال أيضاً إن رسالة الففران كانت مترجمة إلى اللاتينية ، ككثير من الكتب العربية ، فيترجح أن يكون دانتي قد اطاع عليها . ثم سألتاه عن رأيه في علماء غرب الأندلس ، فأيناه في حقهم رأياً عظيماً ، وذكر منهم عدداً من جملتهم أبو محمد بن حزم ، برغم كون ابن حزم طمن كثيراً في النصرانية ، وإن آسبن بلاسيوس ليس نصرانياً فحسب ، بل هو قسيس مستمسك بدينه . وأما لسان الدين بن الخطيب فقال لنا انه لا يمجبه . وذكر لنا آسبن بلاسيوس أنه تليذ « قُدْرَه » المستشرق الاسبانيولى الذى أصله من العرب ، والذى طبع في مجريط كتب ابن بشكوال ، وابن الأبار وغيرهما ، وله تحقيقات كثيرة ، وإليه يرجع الفضل في تجديد العناية بالعربية في اسبانية

شقوية ^(١) Ségovie

ومن مدن قشتالة المدودة « مدينة » شقوية « Ségovia » وهى مدينة عالية سكانها اليوم ١٥ - ١٦ ألف نسمة ، وهى مركز مقاطعة منسوبة اليها ، ومركز اسقف ، وإنما أهميتها هي بكونها من أقدم المدن الايبيرية ، وأنها تشتتل على آثار قديمة ذات عظمة ، منها القنائة الرومانية المعلقة ، وفيها كنائس وقلاع باقية من القرون الوسطى ، وموقعها أشبه بموقع طليطلة ، وذلك أنها مبنية على قمة صخرية ، علوها مائة متر ، ولها شوارع ضيقة ، معوجة ، معرّجة ، غريبة الشكل ، والقصر Alcazar في

(١) قد كان لهذه البلدة شأن عظيم في قشتاله القديمة ، ولم تبق في أيدي المسلمين أكثر من نصف قرن ، إذ ابتدر استرجاعها الاذفونش الاول ، أو ابنه فرويله ، ثم عاد فزحف اليها المنصور ابن أبي عامر وفتحها ، في جملة ما فتح من شمالي أسبانية ، ولكن بعد موته ، وبعد اشتعال الفتنة الكبرى في قرطبة ، انتهر الاسبان الفرصة فاسترجعوها هي وسموره وطلنكة وآبله ، وما يتبع هذه المدن من التواحي . وكان الفريقان اللذان يقتلان في قرطبة ، كلما استعان احدهما على الآخر بالاسبانول ، اشترط هؤلاء عليه لمعاوته على الفريق الآخر ، تسليم كذا وكذا من الحصون ، فيأدر الملون بالتعلى للاسبان عنها ، كما سيأتى مفصلاً



شقوقية « منظر عمومي »

أعلى القمة ، و بالقرب منه الكنيسة . وللبدة نهر يقال له «اريسمة» يجري في جانبيها ، ولها أسوار قديمة من زمان الايبيريين ، ثم جددتها الرومانيون . ولها أرباض مثل « سان دورانتزو » و « سان مرقس » و « سان ميلان » مبنية في سفوح الجبل الذي هي عليه .

أما القناة المعلقة ، التي هي مع جدران طرّكونة ، أعظم آثار الرومان في اسبانية فالمظنون أنه كان بناؤها في أيام أغسطس قيصر ، ثم تجددت في أيام فلافيانوس ، أو تراجانوس ، كما يظهر من السكتات الباقية ، والماء مجلوب من شارات « فنفريا » Fuenfria ، وهو يجري في البداية مكشوقاً على مسافة ١٦ كيلو متراً ، إلى أن يصل إلى شرق شقوقية ، حيث بُدِئَتْ له خزانات ، ومن هنا يكون مجراه على جسر طوله ٨١٨ متراً . منه على مسافة ٢٧٦ متراً قدم مبنى طبقاً عن طبق ، ولهذا القسم ١١٩ قوساً ، وهو الواصل بين جانبي الوادي العميق ، وارتفاع أركان الجسر هو من سبعة أمتار إلى ٢٨ متراً ونصف ، وجميع البناء هو من الحجر المحبّب . ولما حاصر العرب شقوقية سنة ١٠٧١ انهدم في أثناء الحصار خمس وثلاثون قوساً ، وبقيت مهدومة إلى زمن

الملكة ايزابلا ، فأمرت بتجديدها . وهذه القناة المعلقة تمر فوق ساحة يقال لها إلى اليوم ساحة «التويقة» La Plaza Del Azoquejo هي في مدخل المدينة العليا وهذه الساحة هي أمم مركز للبيع والشراء ، واسمها عربي كما لا يخفى . وفي شقوية ساحات أخرى ، وفيها كنائس متعددة ، منها كنيسة سان ميكال ، بنيت سنة ١٥٥٨ ، والكنيسة الكاتدرائية ، بدأوا بها سنة ١٥٢٢ ، وانتهوا منها سنة ١٥٧٧ ، بناها للمعلم «جوان خيل اونتانون» باني كنيسة طلمنكة ، وابنه «لنريق بن خيل» وطول هذه الكنيسة ١٠٥ أمتار ، وعرضها ٤٨ متراً . أما القصر في شقوية فهو من بناء الازدقوش السادس ، وكان قد تهدم ثم تمجدد

وبالقرب من شقوية بلدة يقال لها «سان ايلدفونسو» San Ildefonso سكانها أربعة آلاف نسمة ، في موقع بديع ، يقصدها الناس للاصطياف ، يقال إن بانيها هنري الرابع ، جمل فيها هناك مكاناً ينزل فيه عند ما كان يذهب إلى الصيد ، وذلك سنة ١٤٥٠ ، وبالقرب من هذه البلدة قرية يقال لها «لاغرنبجة» La Granja وكانت مكاناً لفينيب الخامس أول ملوك البوربون في اسبانية ، وقد بنى فيها قصرًا وحدائق على نسق وطنه فرنسا . وكان يجلس فيها خلفاؤه . مثل فرديناند السابع . وبالقرب من هناك بلدة «ارانجويز» Aranjuez وهي بلدة سكانها ستة آلاف نسمة ، يمر عليها جدول من نهر تاجه ، فيسقى البساتن التي حوالها . وهذه البلدة قديمة من زمن الرومانيين ، وكانت تصطاف فيها الملكة ايزابلا الكاثوليكية . وقد بنى فيها الأمبراطور شارل كان مكاناً ينزله عند الصيد ، فصارت هذه البلدة مركزاً للاصطياف ملوك اسبانية إلى زمن كارلس الرابع ، الذي تخلى هناك عن الملك لابنه سنة ١٨٠٨ ومن ذلك الوقت أهملت الأبنية الملوكية هناك ، ولم يبق لانهة غير الجنان البديعة التي تحديق بها ، ومن الغريب أنهم كانوا يقتظون فيها ، مع أن الحرارة ربما تصعد فيها إلى درجة ٤٧ من ميزان سنتيفراد . والحقيقة أن أحسن فصل في أرانجويز هو فصل الربيع . وهي بالنسبة إلى ملوك أسبانية أشبه بفرساي بالنسبة إلى ملوك فرنسا ،

وبوتسدام بالنسبة إلى ملوك بروسية . والقصر الملوكي في أرنجوير هو من القصور الملوكية المدودة ، فيه كثير من التحف والتماثيل وبديع الصنعة^(١)

طليطلة Tolédo

هذه البلدة هي من أعظم بلاد اسبانية قديماً وحديثاً ، مركزها في وسط اسبانية ، وإن كانت أميل إلى الجنوب منها إلى الشمال ، وأصل بنائها متوغل في القدم ، يقال إنها كانت حاضرة السكاريتانيين Carpetani ، وقد ورد ذكرها في كتاب المؤرخ الروماني « تيتاف » ، وهو يقول لها « طليطم » Toletum ، ويذكر أنها بلدة صغيرة ، ولكنها منيعة بموقعها الطبيعي . استولى عليها الرومانيون سنة ١٩٢ قبل المسيح ، وفي زمن القوط Visigoths جعلها الملك « أثنابجد » كرسياً لملكه وذلك سنة ٥٦٧ للمسيح ، وصارت هي حاضرة المملكة .

ولما وقع الانشقاق الديني في النصرانية بين الكاثوليكين الذين يقولون بألوهية عيسى ، والاريسيين الذين لم يكونوا يقولون بألوهية عيسى ، جرت في طليطلة مجادلات دينية شديدة ، وانفقدت مجامع متعددة لفصل الخلاف ، وكان لكل من الحزبين قوة هي كغوى للأخرى ، إلا أن الملك القوطي ريكايد جحد المذهب الاريسى سنة ٥٥٧ للمسيح ، فسادت بعد ذلك الكتلكة في اسبانية كلها . ولم يلبث العرب بعدها أن فتحوا اسبانية ، واستولوا على حاضرتها طليطلة ، وضموا فيها مقام كثيرة ، مما سيرد ذكره في القسم التاريخي من هذا الكتاب . ولكن العرب

(١) قد ذكر الوزير النسائي في رحلته إلى أسبانية في زمان السلطان مولاي اسماعيل أن ملك أسبانية دعاه للزحف في أرنجوير هذه حيث رحب به كثيراً وأكرم نزله قال: فدخانا بستاناً له هناك قد حفر به واديان كبيران مجموعهما يسمى وادي طاجه وهو المار بمدينة طليطلة من هذا الموضع بعد مروره بمسيرة يوم وهذا البستان هو غاية في جدارله ونظم أشجاره وقد اشتمل على أزهار وأنوار ودواليب وصهاريج وبرك مياه ومقاعد في غاية الاتقان .

لم يتخذوها حاضرة للمكهم كالقووط لأنهم وإن كانوا وجدوها متوسطة بالنسبة إلى اسبانية ، فلم يجدوها متوسطة بالنسبة إلى القوة العربية ، وقد كانوا لا يقدرون أن يعددوا كثيراً عن إفريقية ، فذلك جعلوا مركز الإمارة في اشبيلية ، ثم في قرطبة ، وصارت قرطبة هي العاصمة مدة قرون متطاولة .

على أن طليطلة كان لها شأن عظيم في زمن العرب ، وكانت هي المعقل الأعظم لهم في وجه الاسبانيول ، وكانت تسمى الثغر الأدنى ، وكان فيها أمير من قبل الخليفة وطالما انتقضت طليطلة على قرطبة ، وطالما ساق عليها بنو أمية من قرطبة الجحافل الجائرة . وكانت تمتنع عليهم ، وربما تغلب عليها الخلفاء بالحيلة ، كما سيأتي خبره . وأخيراً عند ماجرت الثورة في قرطبة ، وانتشر سلك الخلافة ، استأثر بأمر طليطلة الأمراء بنو ذى النون ، واستقلوا بها سنة ١٠٣٥ . وفي جميع أوارها كانت مدينة علم وصناعة ، وفيها أحسن معامل السلاح ومناسج الحرير والصوف . وفيها صنعة الحفر والتنزبل على المعادن ، وهى الصنعة الباقية إلى الآن من أيام العرب . ونفائس هذه الصنعة تباع في كل أوربة . ولها في طليطلة تسعة معامل في يومنا هذا ، والترفون يتنافسون باقتناء ما يصنع بها من ساعات ، وأسفاط ، وعلب ، ومحاجن ، وأفلام . وسكاكين ، وغير ذلك ، من عمل اليد ، وقد ورث الطليطليون كل هذا من العرب وقد بقيت طليطلة في أيدي العرب من سنة ٧١٢ مسيحية إلى سنة ١٠٨٥ ، أى زهاء أربعة قرون ، وكانت في أيامهم كلها زاهرة باهرة . وغلبت الروبة على نصارى طليطلة ، فلبثوا نصارى ، ولكن اتخذوا اللغة العربية ، والثقافة العربية لأنفسهم وكانوا يقيمون صلواتهم ، وما يسميه النصارى بالطقوس الكنسية ، وذلك باللغتين العربية والقوطية ، وصار الاسبانيول يطلقون عليهم اسم « موزاراب Mozarabes » معرفة عن « نصف عرب » ومن الغريب أن رغبة أهل طليطلة في العربية . وصلت إلى أنهم بعد سقوط طليطلة في أيدي الاسبانيول الذين أرجعوا حاضرة للمكهم ، لم يزالوا مستمسكين بعروتها ، ولبث أخذهم ، وعطاؤهم ، وبيعتهم ، وشرائهم ، وجميع

صكوك معاملاتهم، بالعربية^(١) إلى سنة ١٥٨٠، أي أن آثار العربية لم تدرس من

(١) ومن شدة رغبة مستعري طليطة في اللغة العربية كانوا ينقشون على قبورهم فضلا عن دورهم الكلمات العربية التي يعبرون بها عن مرادهم فقد وجد من هذه القبور في طليطة من جملتها قبر تاريخه سنة ١١٥٦ مسيحية وعليه بلاطة مكتوب عليها اسم الدفين بالعربي وباللاتينية متقارنين ذكر ذلك لاوى بروفسال ونقل نص الكتابة وهو هذا : بسم الله الرحمن الرحيم كان من مضى لله برحمته مقابيل بن سمنة من دار الدنيا إلى دار الآخرة يوم الأحد ماضى من نونبر أربعة أيام سنة أربعة وتسعين ومائة والف لتاريخ الصفر تضر وجهه و . . . وقد نقل الكتابة اللاتينية التي بجانب الكتابة العربية وقال ما يفيد أن صاحب هذا القبر كان من الطائفة المستعربة في طليطة وهي فئة من النصارى الاسبانيين اتخذت اللغة العربية لساناً لها حتى بعد رجوع طليطة إلى الأسبان ثم ذكر قبراً آخر تاريخه ١١٦٠ مسيحية وعليه كتابة عربية بجانبها كتابة لاتينية أيضاً ونصها : لتاريخ الصفر هذا القبر لشمسى ابنة ابن الشيخ رحمها الله وجعل الجنة مأواها يوم أربع وعشرين لشهرا اغشت ثمانية وتسعين ومائة الف

ولما كان لاوى بروفسال يترجم كل هذه الكتابات للفرنسية فقد ترجم لفظه «شمسى» بقوله بالفرنسية Mon Soleil وقال انه اسم متداول كثيراً بين مستعربة طليطة . قلنا : نعم قد مر علينا هذا الاسم في الصكوك التي نقلناها كأموذجات لمعاملات نصارى طليطة باللغة العربية ولكننا نميل إلى الظن بأن لفظه شمسى ليست من باب الاضافة إلى ضمير المتكلم بل هي شمسة بالتمام المربوطة ملفوظاً بها بالامالة التي كانت غالباً على لفظ أهل الأندلس . فبدلاً من أن يقولوا «شمسة» بفتح السين كانوا يقولون «شمسة» بكسر السين كما يقول أهل سورية اليوم لأن الامالة هي لهجة أهل سورية أيضاً وأصل وجود الامالة في لغة الأندلس آت من الشام . فأما كتابة شمسى هنا بالياء فلا عبرة به بل هو غلط إملاء كما هو في كتابات أخرى لهؤلاء المستعربين ورد فيها إملاء لفظه «مضا» بالالف و «أنا» مما نقله لاوى بروفسال نفسه . ثم إن لفظه شمسة هي ذات أصل في اللغة وهي مستعملة في سورية كاسم مرة من طلوع الشمس أو انتشار نورها ولها في اللغة معنى آخر وهي مشطة معلومة للنساء . وأنت إذا ذهبت إلى سورية الآن تجد أسماء لا تحصى من قبيل «نجمة» والاهالى لا يلفظونها بفتح الميم بل بكسرهما بمقتضى الامالة فظنهم يقولون «نجمى» فلو ترجمت هذه اللفظة فلا يبنى أن تترجم Mon étoile لأنها ليست لفظه نجم مضافة إلى ياء المتكلم بل هي مؤنث ونجم،

طليطلة إلا قبل عهدنا هذا بثلاثمائة سنة لا غير . وكان ذلك بتكرار الأوامر الصادرة من الحكومة بمقابلة كل من يتكلم بالعربية ، أو يكتب بها ، ولولا ذلك لربما كانت بقيت العربية في طليطلة إلى يوم الناس هذا .

وقد جمع « أنجل غوانزاليز بالانسيه » أحد أسانيد الأدب في مجريط Angel Gonzalez Palencia تحت عنوان « نصف العرب ، أو موزاراب طليطلة ، في القرنين الثاني عشر والثالث عشر » عدداً كبيراً من الصكوك والوثائق ، التي كانت تكتب في طليطلة لذلك العهد ، فيبلغ ذلك ثلاثة مجلدات ، فيها ما يناهز ألف صفحة بالقطع الكبير مع ترجمتها بالأسبانيولى . وإليك بعض أمثلة من هذه الوثائق .

« بجميع منافعه كله إلى آخرها ، وعامة مراقفه على ضروب أنواعها ، في قاعته ، وفيها عليها ، وبكل حق وملك ، هو من هذا المبيع الموصوف وبه وله ومنسوب إليه ، في داخله وخارجه ، وبالداخل إليه والخروج عنه ، لم يستبق البايغ المذكور لنفسه ، ولا لأحد بسببه ، في شيء من جميع المبيع الموصوف كله ، حقاً ولا ملكاً ، قليلاً ولا كثيراً ، ولا منتزحاً بوجه من الوجوه كلها ، ولا بسبب من الأسباب ، إلا وخرج عنه للبتاع المذكور ، بالمبيع الصحيح التام البتّ البتّل^(١) الناجز الصريح الذى لم يتصل به شرط مفسد ولا ثنيا ولا خيار » انتهى .

مثال آخر :

« دفع الأرسيدياقن^(٢) المذكور جميع الذهب الموصوف كله للبايع المذكور ، وقبضه منه ، وصار عنده وفي ملكه وذمته ، وأنزله في جميع المبيع الموصوف كله منزلة ذى المال في ماله ، وذى الملك في ملكه ، بمد أن عرفا قدر هذا المبيع ومبلغه بمنتهى

(١) البتّل هو القطع مثل البت

(٢) Archidiaque أو أرسيدياقن . بالفرنسية وهو ذو رتبة كسبية له الحق في مراقبة القسيسين الذى يخدمون الرعية وتفقد أعمالهم والرتبة هي نفسها يقال لها « أرسيدياقن » Archidiaconal وأما فى الإسبانية فصاحب هذه الرتبة يقال له « أرسيديانو » Arcidiano وقد قال له العرب « أسيدياقن »

خطره ، ولم يجهد شيئاً منه ، وعلى سنة النصارى في بيوعهم وأشريتهم ، ومراجع إدراكهم « اهـ .

مثال ثالث :

« شهد على أشهادهما بالذكر فيه عنهما ، من أشهاده به على أنفسهما ، حسب نصه وسمعه منهما ، وعرفها بحال الصحة والجواز والطاعة » اهـ
وإليك هذا الصك :

« اشترى ربي بواسحق بن نحميش اليهودي من جميلة بنت فرج زوجة البايوشى البنأ جميع^(١) خصتها وهو النصف من الكرم المعروف بالقوجال بحومة قرية جَانَسَكِش^(٢) من قرى مدينة طليطلة وعلى الاشاعة فيه مع من يشركها بسائره وحدته في القبلة الطريق وفي الجوف جبل لابن برطال ، وفي الشرق كرم ابن فرنجيل^(٣) وفي الغرب الطريق وفيه بابه بثمن عدته ثلاثمائة منقال من الصروف الجارية بطليطلة حين هذا التاريخ بما فيه عشر درهما^(٤) بمقال على سنة المسلمين في بيوعهم ومرجع الدرك . في رمضان المعظم عام خمسة وتسعين وأربعمائة^(٥)

ومن اشهدته على بن البايوشى باجازته له وإمضائه له وإقراره الأحق له في شيء من المبيع المذكور وبوجه من الوجوه ولاسبب من الأسباب ، وإنه كان لوالدته جميلة إلى أن باعته حيث وصف .

إبراهيم على بن سعيد بن الفتح اللدى . وإبراهيم بن وهب (هنا كلمة غير مقروءة) . و (هنا كلمة أخرى لانقرأ) بن يوسف بن الربابي . ومحمد بن احمد بن سعيد وعبد الرحمن بن أحمد بن عفيف الفهرى وأحمد بن محمد (كلمة محووة) . ومحمد ابن

(١) الحصر هو بيت من الشجر أو الورق وهو كثير الاستعمال في لغة سورية ولا نرى المبيع هنا بيتاً من الشجر أو الورق وإنما هو نصف كرم والفرق ظاهر ولعلمهم توسعوا في هذه اللفظة أو هي ، خاصها ، وقد كتبت بحذف الألف ككثير من الالفاظ

(٢) Chalencus (٣) Aben Franchil (٤) كذا

(٥) هذا الصك تاريخه بعد خروج طليطلة من يد الاسلام بسبع عشرة سنة

عبد الله بن مظاهر الأنصاري . واحمد بن يوسف الأنصاري . وإبراهيم بن عبدالرحمن ابن أبي وسلة بن يونس الأنصاري . ويحيى بن عبد الله النافقي «
و إليك هذا الصك :

« اشترى عبيد بن أسد من خلف بن عبيد الله جميع الكرم الذي له في أول منزل رزين . حده في القبلة نهر تاجه ، وفي الجوف كرم يشتهر الحريري ^(١) ، وفي الشرق كرم لأبي خالد ، وفي الغرب غروسات السلطان ^(٢) أيده الله ، بشن عدته ستون ديناراً ، من البريزات ^(٣) الجارية بطليطة حين هذا التاريخ ، وفي شهر نوفمبر الكاين في سنة ثلاثين ومائة وألف من تاريخ الصفر ^(٤) .

ومما يجب إلحاقه إلى المدخل للكرم الموصوف فوق هذا على باب الكروم ^(٥) الذي لرديقة قيس السلطان الذي هو من ليون والباب المذكور مشترك بينهما إذ كان الكرم في القرع واحد وعلى ذلك كله يقع الاشهاد .

عبدالرحمن بن زكريا : يوان بن خلف شاهد . سليم بن زكريا وكتب عنه . سليمان ابن عمر شاهد وكتب عنه . وعلى بن الحرير . عبد العزيز بن خير . وعبد الله ابتيال . وسليمان بن المدجالة . إيلان بن سعيد . وعبد الملك بن عبد الملك وكتب عنه وعابه شهد عندي . ويخط عجمي جلياناش بطريس تشتا . ويخط عجمي سيدا له ابن مشارك

Justo el Hariri (١)

(٢) السلطان هنا هو الازدفتش لأن تاريخ الصك واقع في أيام دولة الاسبان بطليطة فقد كان رجوع طليطة إلى الاسبانول يوم الثلاثاء مستهل صفر سنة ٤٧٨ وقيل في المحرم .

(٣) كذا . فهل هي محرفة عن « ابريزات » ؟ بمعنى ذهبات . أولها تأويل آخر ؟
(٤) تاريخ الصفر هو تاريخ كان مصطلحاً عليه في اسبانية من قبل دخول الاسلام بل من قبل المسيح وكان يبدأ في أول يناير سنة ٣٨ قبل المسيح لمهد أغسطس قيصر وبقي هذا التاريخ معروفاً في اسبانية إلى القرن الخامس عشر للمسيح .

(٥) استعمل هنا الجمع استعمال المفرد بدليل قوله « الموصوف » وقوله عنه « الذي »

شاهد . وعلى كل اسم من المعجمي معلم شهد عندي . وبالرغم أبو خالد بن أسطراه .
مثال آخر :

« اشترى خير بن ركوى من يحيى بن عبد السلام جميع الدار التي له بمجومة
رحبة القشالي^(١) حد الدار في الشرق دار خلف بن جواد^(٢) ، وفي الغرب دار
جبارت الفرنجي^(٣) ، وفي القبلة دار أبي الحسن بن زكري وفي الجوف دار مفرج
ابن عثمان بثمان عدته أربعون ديناراً من الدينارات الجارية بطليطلة حين هذا التاريخ
من شهر إبريل في سنة واحد وثلاثين ومائة وألف من تاريخ الصفر .

وشهود الأصل فيه : فرج بن عبد الله . ومسمود زرقون شهد وكتب .
عبد الرحمن بن يحيى شاهد على ذلك . وعيسى بن الحسن شاهد وكتب عنه بأمره .
وعيشون بن يحيى شاهد . هذيل بن حكم شاهد وكتب . زكري بن عثمان شاهد
وكتب عنه . وبالأمجي يُشتش فليس^(٤) بطاره^(٥) يُشتش .

صحّت هذه النسخة (الخ) في العشر الأوسط من شهر شبتمبر سنة ثلاثين
ومائتين وألف للصفر . يوان بن يليان الصقلي شهد . ويوانش بن مقابل بن عبدالعزيز
المشاري . وباطره بن عمر بن غالب بن القلاس .
مثال آخر :

« ابتاع يحيى بن خلف ويحيى بن قريش من بيطر وأنفونش^(٦) وزوجه يشته^(٧)

Jálaf ben Chuad (٢) Plaza del Caxali (١)

Chelabert el franco (٣) من هنا يعرف أن طليطلة بقيت حتى بعد رجوعها

إلى الأسبانيول بلدة عربية يشار فيها إلى الأفرنجي بصفته هذه لأنه غريب فيها

Justes félix (٤) Petro (٥) ومن هنا يعلم أنه كان في طليطلة نزر

لا يعرفون الكتابة العربية فكانوا يرقمون بالاسبانيولية

(٦) يعرف من هنا أن اسم « الفونس » كما كان يقال له عند العرب « اذفتش »

كان يقال له أيضاً « الفونش » وأنفونش ، واللام والتون كثيراً ما تقوم [حداها]

مقام الأخرى . وقيد رجعتنا إلى ترجمة هذا الصك بالاسبانيولي فوجدناه يكتب هذا

الاسم هكذا Pedro Alfonso (٧) يشته هي في الترجمة الاسبانيولية Justa

جميع المنية^(١) التي لها بمنزل مُشكة^(٢) المروفة من قبل لابن سلمة ، والتصيرة إليهما بالاتباع ، التي حدثها في القرب مضربة القرمادين ، وفي القبلة المضربة المذكورة أيضاً وفي الشرق محجة سمرة إلى الكرمات ، وفي الجوف المحجة السالكة من طليطلة إلى القرضيطة^(٣) ، وفيها بابها ، تخرج بين ذلك حصة لاشنافن من بيت قوبه ، وحدها من المحجة الداخلة إلى الثانية ، بثمن مبلغه من الدنانير اثنان وثمانين^(٤) ديناراً ، من الدينارات الجارية بمدينة طليطلة ، حرسها الله حين التاريخ كل دينار منه عشره وإلى ذلك الكريم^(٥) المروف بالقوجول بمنزل مُشكة المتباع منها المذكورين يطره أفندش وزوجه بشته ، والتصير إلى يحيى ، ويحيى بالاتباع من البايمن لعنية يطره وزوجه زيادة وعواناً إلى الدنانير المذكورة في عقب ابريل التي من سنة ألف ومائة وثلاثة وثلاثين للصف

عبد الملك بن عامر . ولب وعبد الله بن جلبرت . وخير بن يحيى . ومروان ابن غالب . يحيى بن معبد وكتب عنه وأمره . السرقسطى كتب عنه بأمره . وعمر ابن عامر بن الليث . وعبد الرحمن بن غلبير بن عريب . وعبد العزيز بن سعيد وكتب عنه بأمره . وعبد الله القوطى وكتب عنه بأمره «
مثال أيضاً :

« اشترى ديمنفوس الارجيقس وديمنفوس القس كنيسة شنت لوقادية^(٦) خارج مدينة طليطلة حاماها الله من ميقال وزوجه بيليه من الحصه التي له بدار الخازن ، وبجوز المشاطر ، وهو نصف خمسين ونصف القرية ، بمبلغه من الثمن خمسة وأربعين ديناراً من السكة الجارية حين عقده ، اشترى ديمنفوس والارجيقس

(١) تقدم في هذا الكتاب كلام طويل عن معنى « المنية » وهو البستان
(٢) في الترجمة الاسبانيولية Manzel Mosca (٣) في الترجمة الاسبانيولية Alcardete (٤) كذا ويظهر أن كاتب هذا الصك لم يكن يعرف كثيراً
(٥) تصغير كرم (٦) في الترجمة الاسبانيولية Leocadia

وديمقوس المذكوران جميع هذا النصف سهله ووعره عامره وغامره أنادره^(١) وقرالاته^(٢) وسدوده^(٣) وقناره^(٤) وأرحاه وبرجه ، والمدخل إلى جميع الدار والمخرج منه وذلك كله في النصف من شهر مارس من سنة ألف ومائة وخمسة وأربعين

شهد عندي بن يوانش شاهد . شهد عندي بن عبد

شهد عندي ، وعبد الرحمن بن

مثال آخر :
« اشترى مرتين الأرجيد ياقن من يوسف بن يعميش اليهودي جميع الثلاثة جبال الكروم المتصلة التي له بمطيلة ، حدها في الشرق كرم بيطر والجزار ، وفي الغرب كرم شلوط ، وفي القبلة كرم الطريق بثمان عدته اثنتان وثلاثون دنائير الجارية بطليطة حين التاريخ في شهر مارس الكاين في عام ثمانية وأربعين بعد ألف لتاريخ الصفر .

ويوصف بن شاهد . وسيف بن العزاد شاهد . إبراهيم بن إسحق ومرتين الحياط . عمر بن عبد الله ، وعبد الملك بن مرتين بن خير ، وسعدان بن عبد الله ، ويعقوب البرسلوني شاهد «

مثال آخر :

« اشترى ميقابل بن بقى من البيرة زوج فرننده منيوس ، وبينهما منيوس وغانصالبه ، وأختها وابنتها شولى جميع نصف الجنان المعروف لهم بحومة الليتيق

(١) جمع اندر وهو الذى تدرس عليه الحبوب كالبيدر
(٢) هو جمع قرال وهو حظيرة الحيرانات تكون وراء المنزل وهذا لفظ اسبانولى استعمله عرب الأندلس (٣) وفي الترجمة الاسبانولية Azud فيظهر أن الاسبانول أخذوا لفظه السد ، إلى انتمهم (٤) في الترجمة الاسبانولية Canales أى قناة فيظهر أن الأسبان أخذوا هذه اللفظة إلى لغتهم وضموا إليها اللام ثم رجعت العامة في طليطلة لجمعت اللام راء وجمعت الكلمة جمع تكسير على « قنار ، بدلا من أن تقول « قنالات ، أو تردها إلى العربي الفصحى فتقول « أقبية ،

من نظر مدينة طليطلة ، حماها الله ، على الاشاعة ، حده في الشرق نهر تاجه ، وفي الغرب حده أرض بيضة للشيخ ابن مشيق ، وفي القبلة نهر تاجه أيضاً ، وفي الجوف^(١) المحجة السالكة ، بثمان عدته مائتين ديناراً اثنتين من الفروود الجارية حين التاريخ ، والمتقال الشرقية المأمونية ، دينارين وسدس في عقب فبر سنة تسع وأربعين ومائة وألف لتاريخ الصفر

سهل بن خلف بن طلي ، حسان بن جهيد وسلمة بن سعد وكتب عنه بأمره ،
عبد الله بن حسان »

مثال آخر :

« اشترى ديمتق بن يحيى من سفيان بن أبي البقي ومفرج بن خير ، جميع حصنهما من المنية التي بمنزل مشكة ، من نظر مدينة طليطلة حماها الله ، وذلك الثالث من جميع هذه المنية التي تعرف في عهد الاسلام مع ثلث البيروث وثلث ثمار القباوب ؟ على البحيرة ، وثلث الصهريج مع والمدخل والمخرج إلى البير والصهريج ، وخذ هذا الثلث المذكور في الشرق كرم لأبي اسحاق القمراي مع القس ابن فرحون ، وفي الغرب حصنة لورثة يحيى بن سرير رحمه الله ، وفي القبلة فدان

(١) تقدم لنا بحث غير قصير عن قضية استعمال الاندلسيين والمغاربة لفظة الجوف بمعنى الشمال واختلاف آراء أدباء العصر وأهل اللغة في منشأ هذا الاصطلاح ولما كان بعضهم ذهب إلى كون الجوف إنما استعمل بمعنى الشمال لأن مدينة الجوف ونواحيها واقعة في شمال الحجاز وذلك قياساً على أن أهل الشام يستعملون القبلة بمعنى الجنوب فقد سألت حضرة الوجيه المفضل الشيخ محمد نصيف المشهور من أعيان جده هل لهذا الاصطلاح من أثر في الحجاز ؟ فأجابني أنه سأل العلماء والقضاة وكتاب المحاكم والمحامين وغيرهم فأجابوه بأنهم لم يسمعوا بشيء كهذا ولا رأوا في الصكوك والوثائق القديمة تسمية الحد الشمالي بالجوف بل الحدود في الحجاز هي هكذا : شرقاً وغرباً وشمالاً ويميناً أي جنوباً وقد يقولون جنوباً . ثبت من هنا أن لاستعمال الجوف بمعنى الشمال وجهاً آخر خاصاً بالاندلس نفسها وقد يكون جاء إلى المغرب من الاندلس

حُبس على شذت فليج^(١) وفي الجوف الطريق الداخل إلى القرضيط ، بمدد مبلغه من الذهب المرابطية^(٢) سبعة عشر مثقالا ، في أول شهر شبتمبر عام خمسين ومائة وألف تاريخ الصفر

إن ثلث المنية المذكورة فوق هذا أن ثلثي أرضها أرض بيضا خاوية عن جميع الثمرات والسكرم والغراسات ، وجميع التثا المذكور بغير تعليق^(٣) ولا اعتبار

عمر بن سعيد شهد وخلف بن عمر كذلك ، وسلامة بن مقيال شهد ، وعبد الله ابن عثمان نقطة ، وعتبة بن وليد ورمّان بن عامر ، وخير بن مورن . وعبد العزيز بن أبي الحسن بن أبي رجال ، ويعيش بن فيليش ، وعبد الملك بن بهلول ، وبهلول بن وكتب عنهم بأمرهم ، وعبد الله بن فرسان وكتب عنه ، وعبد الرحمن ابن عبد الرحمن شاهد ، وعثمان بن عثمان شاهد وكتب عنه

شهدوا الشهود على بعد اقرار الفريقين في التاريخ المؤرخ إن شاء الله مثال آخر :

« اشترى يوانس بن ملوك بن استافن بن عبد الرحمن جميع القرس مع الأرض البيضاء المتصلة به اليهودين له بمجومة بنال من عمل طليطلة حرسها الله ، حدها في الشرق الطريق الناهض إلى حصن مورة حرسها الله ، وفي الغرب غرس يطره سترانه الحداد ، وفي الجوف غرس مرتين بلايس بشمن عدته أربعة مثاقيل ذهباً مرابطياً في شهر يولية من سنة إحدى وسبعين ومائة وألف لتاريخ الصفر

يحيى بن علي بن يحيى شاهد ، يطره بن سهل ، ومقيال بن يوانس شاهد ، ومسهود بن يحيى بن عفان شاهد ، فليس ابن مروان شاهد وكتب عنه لورانس بن يوانس شاهد »

(١) Félix

(٢) كانت المسكوكات المرابطية في ذلك العهد متداولة لأن المرابطين كانوا في الاندلس

(٣) لا نعلم هل هي هكذا من الأصل أم هي محرفة عن تعزيق ، وهو مصدر

عزق فعل المبالغة من عزق الأرض شقها وكرها

مثال آخر :

« اشترى بلدوين قيليار وزوجه موبينه من ييطره الحيايط ، من أهل مدينة شقوية جميع حصته الواجبة له بالقسمة مع شركة ييطره تمليقس^(١) وذلك النصف الذى بجهة الشرق من الميشون^(٢) والقرال^(٣) المتصل به بحومة ر بى الأفرنج ، قرب القاعدة شفته مرية أم النور بمدينة طليطلة حرسها الله ، حد هذا النصف للمبيع من الميشون والقرال ، فى الشرق حوانت السلطان أيدى الله ، وحوانت الأحباس ، وفى الغرب النصف الثانى الذى لبيطره تمليقس قسيمة المبيع المذكور ، وفى القبلة المحجة السالكة ، وإليها يشرع باب الميشون المبيع المذكور ، وفى الجوف حوانت السلطان أيدى الله التى للفخارين بشمن عدته خمسون مثقالا ذهباً مرابطياً^(٤) مالكية طيبة وازنة ، فى شهر يوليو من عام اثنين وسبعين ومائة وألف للتاريخ الصفر .

هو بر الأفرنجى وكتب عنه ، وهربرت بلنك وكتب عنه ، وبامين الأفرنجى وكتب عنه وغطارد^(٥) طليطلة وكتب عنه ، وبيطره بن يوسف بن مروان ، ومرتين ابن استافن وعثمان بن سليمان بن ملك وكتب عنه ، وبوليان بن يحيى وكتب عنه ، وغونصلب فروس ، وكتب عنه أبو على بن روين وكتب عنه . وبيطره قولونبير يانة ، وكتب عنه ويالك مونس من سنت رمان وكتب عنه ، ودون مينوه

(١) Talliques بالترجمة الاسبانيولية

(٢) بالاسبانيولى Meson وهو بمعنى Maison بالافرنسى أى بيت ولكن يغلب

عليه بالاسبانيولى معنى الخان أو الفندق

(٣) ذكرنا أن القرال حظيرة الحيوانات أو الدجاج عندهم

(٤) كان هذا العهد عهد دولة المرابطين بالاندلس وربما كان متأخراً عن دورهم ولكن مسكوكاتهم بقيت متداولة . والأصح أن دولتهم انقضت سنة ١١٤٧ للسبيح

(٥) علامة الشرف عند الأفرنج هى De كما لا يخفى وقد جاءت فى هذه الصكوك أحياناً بوضع حرف الدال مع كسرة فى آخرها هكذا د وجاءت أحياناً بوضع حرف الدال ومعها الياء

أدفونش قايد « مورة »^(١) شاهد وكتب عنه بامرته

مثال آخر :

« اشترى الوزير دون ميقاتيل ميظس ، أعزه الله ، من بهلول وأخيه يعطره ابي مرتين بن بهلول رحمه الله جميع الدار الكبيرة ، والقرال المتصل بها ، من جهة الغرب ، والقبلا ريسا المتصلة أيضاً بهما من جهة القبلة ، حدود جميع ذلك كله في الشرق الطريق السالك واليه يشرع الباب ، وفي الغرب دار ابن طورنيو المسلم^(٢) أمين الفخارين ، وفي القبلة دار يعطره البنّا ابن بهلول ، وفي الجوف دار تقيت بين البائمين ودار سلمة بن حسان ، بشمن عدته ثمانون مثقالاً ذهباً مرابطياً ، في العشر الأول شهر اوغوشت من سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف لتاريخ الصفر .

وعبد الله بن داود شاهد . وباقي بن عمر بن باقي . وديمقوه بن يحيى بن مرتين و بهلول بن عمر شاهد على النص . عبد الله بن البمص . ويوان بن عامر . وعامر ابن تمام . وعبد الرحمن بن ابراهيم شاهد . ويحيى بن مفرج وكتب . وعلى بن عياش وكتب عنه . وحكم بن شلمون وكتب عنه . ويوليان بن سلمة شاهد . وجنيد ابن عبد الملك بن ليون وكتب عنه . ويعطره بن عبد العزيز بن عطاف بن لنبطار .
مثال آخر :

« يشهد من تسمى أسفل هذا الكتاب من الشهداء أنهم حضروا وسموا من يوان السكراسنى وزوجه اوبانية ، يقولانها باعا من رودريقه اوردوناز الحصار جميع السكرم الذى لها بالوعد بحومة كنيّة شنت فليس ، قبلى طليظة ، حرسها الله ، وحده في الشرق كرم لبنت الشمتانى ، وفي الغرب كرم لولدين^(٣) سربى ، وفي القبلة

(١) لا يخفى أن مورة اسم حصن من حصون طليظة

(٢) لما قل عدد المسلمين في طليظة بالهجرة والتصر صاروا إذا ذكروا مسلماً في

أحد الصكوك يذكرونه بقولهم فلان المسلم

(٣) اسم علم

الجبل ، وفي الجوف كرم القسكى بثمان عدته ثلاثة مثاقيل ذهباً مرابطياً ، ودفع
 البايغ الثمن الى البايين ، وأقرهما قد اتصفا منه وأنزلا في المبيع وحقوقه الخ .
 وكتب الاستدعا في شهر مايو من عام خمسة وسبعين ومائة وألف لتاريخ الصفر .
 يعيش بن قريش شهد عندي ، ومرتين بن رمانش شاهد وكتب عنه شهد
 عندي . شهدوا عندي الشهود بأعيانهم ، وفي التاريخ وأنا عبد الرحمن بن يحيى
 بن حارث وبالله التوفيق .

مثال آخر :

« اشترى مرتين سلمة بن ابى حجة من مرتين باطرس قرعتين اثنتين من جملة
 اثنتين وثمانين قرعة بقرية الكلابيين والجار من عمل مدينة طليطلة من أراض بور
 ومعمور وأنادر ، ومروج وأشواط^(١) وبردات وبكل حق ، بثمان عدده أربعة مثاقيل
 مرابطية ، ورباعى مثقال ضرب المرية ، في شهر نونبر الذى من عام سبعة وثمانين
 ومائة وألف للصفر

شهود الأصل فيه مجات بن عثمان بن خلف . وعمر بن عبد الله شاهد .
 ويحيى بن سعيد شاهد كذلك . وبالهجى سبريان بطرس تشتش . ديمغة
 شربطول تشتش

هذه النسخة الخ . في العشر الاخير من نونبر سنة ثمان وعشرين ومائتين
 وألف للصفر :

اشتبا بن لازره . وشلبطور^(٢) بن سهل بن عبد الرحمن . ويحيى بن وايد
 ابن قاسم . وباطره بن عمر بن غالب بن القلاس . «

ولا يمكننا أن نستقصى جميع الصكوك والمجبع التى فى هذه المجموعة التى تقع
 فى ألف صفحة كبيرة ، وإنما اقتبسنا منها بعض أمثلة لاجل تمثيل حالة طليطلة

(١) جمع شوط والشوط بالعربية يأتي بمعنى الأرض بين شرفين يجرى بها الماء

Salvador (٢)

الاجتماعية ، التي قيل فيها بحق إنها الحد الواصل بين الاسلام النصرانية ، والتخيم الذي يجمع بين الشرق والغرب ، ترى ذلك من اختلاط الأسماء فيما الأب هو عمر إذ الابن هو بطره ، وبينما الأب هو عبد العزيز إذ الابن هو ميقال . وربما تجد يبطره بن يحيى بن أصبغ ، واشتافن بن حسان ، ومرتين بن عثمان ، وشلبطور بن عبد الرحمن وهلم جرا . والسبب في ذلك هو أنه لما فتح العرب الأندلس ، وأسلم من أهلها أناس كثيرون استعربوا اسما وفلا . ومنهم من لم يدخل في الاسلام ، ولكنه استعرب وهو باق على نصرانيته . وأكثر ما تجبى هذا الوضع في مدينة طليطلة التي كان النصارى فيها يشبهون نصارى المشرق باستعمال كثير من العربية في صلواتهم وطقوسهم الدينية .

وقد بدلوا بأسمائهم الأيبانولية القديمة أسماء عربية كأسماء المسلمين إلى أن كان القسوس ورجال الكنيسة منهم يتسمون بأسماء اسلامية . وحسبك أن أحد مطارين طليطلة كان اسمه عبيد الله بن قاسم وكان له مقام عند الخليفة الناصر رحمه الله ، كما أنه بعد أن استرجع النصارى طليطلة تنصرت من مسلميها عدد كبير ، قل صاحب النصح عن ابن بسام في الباب الثامن من الجزء الثاني : أنه لما دخل الأذفونش طليطلة سار مع المسلمين سيرة حسنة في أول الأمر حتى استسلم إليه . وعبارة ابن بسام هي هذه : « وبسط الكافر العدل على أهل المدينة وحبب الفتنصر إلى عامة طفاها ، فوجد المسلمون من ذلك ما لا يطاق حمله ، وشرع في تشيير الجامع كنيسة في ربيع الاول سنة ست وتسعين واربعائة » اه .

قلنا إنه تمهل قليلا حتى أجرى بالفعل ما كان يضره من أول ساعة دخوله إلى طليطلة ، فأما بحسب الروايات التي بين أيدينا ، والتي معناها أن طليطلة خرجت من يد الاسلام سنة ١٠٨٥ مسيحية فان الجامع الأعظم تحول إلى كنيسة ^(١) ثاني سنة

(١) قد جاء ذكر طليطلة في رحلة الكاتب الأرفع أن عبداقه بن عبد الوهاب الوزير الفسافي الأندلسي الفاسي ، كاتب السلطان مولاي اسماعيل ، الذي أرسله

وقدرأينا في دليل بديكر أن الاذفونش السادس فتح طليطلة سنة ١٠٨٥ ، وكان

السلطان سفيرا في بعض المهمات إلى صاحب اسبانية ، وكان قد جول في تلك المملكة واطلع على أحوالها فكتب رحلة شهيرة بديعة انصلت بترجمتها إلى اللغة الافرنسية قبل أن أطلع على أصلها العربي الذي أهدانيه العلامة الكبير المؤرخ الشهير .ولاي عبد الرحمن بن زيدان ، نقيب العائلة السلطانية العلوية بالمغرب ، أدام الله عزهم ، وقد نقلت كثيرا من هذه الرحلة إلى الفصل المتعلق بمسلي الاندلس في كتابي حاضر العالم الاسلامي . وكانت وفاة الوزير الفسافي في فاس عام تسعة عشر ومائة والف . قوله عن طليطلة : فدأمر الطاغية من أمحب معنا من خدامه بمروونا على مدينة طليطلة لنشاهد مسجدها الجامع الذي هو من عجائب الدنيا في بنائه وذكره وبعد صيته فبتنا يوم خروجنا من مدريد بقربة يقال لها وشقة ، وكانت من حواضر العدو التي لها ذكر ، دار علم ونباهة ، وهي اليوم قرية متبدية ، وبها من أثر البناء القديم الاسلامي بعض أثر مثل الباب الذي يدخل به إليها حين كانت مدينة . أما اليوم فالتبدي أقرب إليها من الحضر . وبينها وبين مدينة طليطلة أحد وعشرون ميلا . وطليطلة مدينة كبيرة قاعدة من قواعد مدن العدو ، ودار ملك قديم ، وهي على ريرة من الأرض ، في حافة مطلة على الوادي المسمى طاجو ، وهو الوادي المار بأرنجويس - كتب الوزير الفسافي طاجو وأرنجويس بالحاء لا بالجيم وذلك بحسب تلفظ الاسبانول بهما - وقد أحاط هذا الوادي بالحاقة التي عليها المدينة من ثلاثة أرباعها والربع الموالي للبر هو الآتي من طريق مدريد . وأسوار هذه المدينة وحيطانها وازقتها باقية على حالها من عهد عمارتها من المسلمين ، وأثرها أثر الحضارة ، إلا أن أزقتها ضيقة جدا ، ودورها باقية على حالها من البناء الاسلامي وتفصيله ، والنقش في السقوف والحيطان بالكتابة العربية ، ومسجدها الجامع هو من عجائب الدنيا ، إذ هو مسجد كبير مبني كله من الحجارة الصلبة القرية ، القرية الشبه من الرخام ، وسقوفه مقبوة من الحجارة وهي في غاية ارتفاع السمك وعلوه ، وسراريه في غاية الضخامة ، والصناعة العجيبة والنفوس ، وقد أحدث النصارى في هذا المسجد من جوانبه زيادة في الوسط بشباك من نحاس أصفر ، وفيها من تصاويرهم وصلبانهم وآلة الموسيق المسماة عندهم أوركان التي يضررون بها وقت صلواتهم ، مع الكتب التي يقرأونها في الصلوات ، شيء كثير . وقد جملوا أمام هذا الشباك صورة المصلوب ، وهو من ذهب ، يقابلونها في صلواتهم ، وأمام المصلوب

المسلمون اشترطوا لتسليمها أن يبقى المسجد الأعظم لهم ، ورضى الاذفونش بهذا

مصاييح كثيرة من ذهب وفضة ، نوقد ليلا ونهاراً ، مع شموع كثيرة كبيرة . وأبواب هذا المسجد في غاية الاتقان والصناعة . وقد زادوا فوقها من الصور ما هو من عوائدم التي لا يمكنهم تركها ، ومن الزيادات المحدثه في جوانب هذا المسجد بيوت كثيرة كبيرة مشتملة على خزائن من الأموال ، فيها من الذخائر والأحجار الملونة ، مثل الياقوت الأحمر والأبيض ، والأصفر ، والزمرد ، والتيجان المرصعة بالدر الفاخر ، والأحجار النفيسة التي لها بال ، ولا تقوم ببال ، ومع هذه الذخائر تاج كبير من ذهب ، ومعه سواران من ذهب ، زعموا أن ذلك من عهد المسلمين رحمهم الله . وعن يمين هذه الخزائن خزانة فيها كتاب كبير مكتوب بماء الذهب ، زعموا بأنه كتاب التوراة ، وهو عندهم في غاية التحفظ والصون والاعتناء به ، لا يخرج عن موضعه الذي به ، وذكروا أن والد هذا الطاغية أحب إخراجه من هناك ، وأن يكون عنده بعد أن أعطاهم فيه مدينة كبيرة بخراجها وجميع منافعها ، فلم يعطوا به كلاماً ، لفضنهم به . وعن يمين هذه الخزانة أيضاً خزانة أخرى ، فيها صندوق كبير مرصع ، مشحون بالموائد الفاخرة المرصعة بالذهب ، مثل الهدايا والتقلائد والسلاسل والخواتم الثمينة وعن يمينه صومعة من فضة ، تزيد على قامة الانسان ، وداخلها وخارجها من الذهب المرصع بالأحجار النفيسة ، وقد عمل هذا المنار على شكل منار مسجد طليطلة ، وعلى هيئته ومثاله ، وهو عندهم زينة ، يخرجونه في أعيادهم مع الصلبان التي يطوفون بها في الأزقة ، وهذا المنار الذي بهذا المسجد ، أعاده الله للإسلام ، وعمل هذا على شكله ، هو من أعاجيب البناء صناعة وعلواً في الجو ، فقد اشتمل على ثلاثمائة درجة . منها مئتان إلى موضع التأذين وفي موضع التأذين جمل أعداء الله تعالى تسعة نواقيس كبار جدا ، دائرة ، كل ناقوس منها ستة وثلاثون شبرا ، مع غلظ ثلاثة أرباع الذراع . وبناء هذا المنار كله من الحجارة الصلبة التي تشبه الرخام ، من جنس الحجر الذي بنى المسجد منه ، نسأل الله أن يعيده لتوحيدهِ وذكرهِ ، وحوالي هذه الخزائن من الخزائن المشحونة بالقناديل الذهبية والفضية والصلبان المرصعة ، والثياب التي يلبسها القرايلية ، وأكابر القسوس والشمامس والرهبان ، التي طرزت بالجواهر النفيس شيء كثير . وهؤلاء الرهبان الذين في هذه الكنيسة هم جميعاً إلى نظر الكردينال ، الذي هو اليوم أكبر كردينال عند سائر المسيحية ، وهو الذي تحت البابا كما تقدم التنيه عليه ، وإلى البابا

الشرط ، ولكن في السنة التالية نقض الاذفونش عهده ، بناء على الحاح الملائكة كوزناتازة و برنار رئيس الأساقفة اه .

وكيف كان الأمر فقد تنصر كثير من مسلمي طليطلة ، وبقى كثير من المسلمين على دينهم ، لاسبيا طبقة الخواص ، والكنهم لم يهجروا البلدة دفعة واحدة . وما خلت طليطلة من المسلمين تماماً إلا بعد قرون متطاولة . ومن الغريب أن طليطلة رجعت إلى النصرارى في الثلث الثالث من القرن الحادى عشر للمسيح ، وأنه في أوائل القرن السابع عشر كان لا يزال فيها مسلمون في زى نصرارى . وقد نقلنا في بحث مسلمي الاندلس في حاضر العالم الاسلامى في الجزء الثانى عن كتاب الأنوار النبوية في أبناء خير البرية ، للعالم النسابة سيدى محمد بن عبد الرفيع الاندلسى المتوفى في رجب عام اثنين وخمسين وألف ، وصفه يوم كانوا بالاندلس لحالة المسلمين الذين كانوا مضطرين تحت خطر الحرق بالنار ، أن يظهروا النصرانية وهم يبطنون الاسلام ، وكيف كان والد المؤلف المذكور يعلم ولده الاسلام سراً ، ويوصيه بأن يكتم ذلك

دورها الله . وحيث كانت طليطلة هي من قواعد مدن اسبانية ، كان الكردينال الذى يتولى أمر كنيستها أكبر من يتلقب بالكردينال عند عبدة الصليب . وهذا الكردينال الموجود اليوم هو رأس ديوان اسبانية ، واليه ينتهى جميع أمرهم في دينهم ودينام ، وعن رأيه يصدر كتاب الديوان جميعا ، وفي طليطلة أثر القصة التى كان يسكنها الملوك قبل هذا . وقاعدة طليطلة كانت دار ملك العجم الأولى ، هي واشيلية ، وإليها كان قصد طارق ، رحمه الله ، بوجهته حين دخل العدو ، بعد مروره بقرطبة ، ولم يعرج على غيرها ، حتى انتهى إليها ، ووجد بها من الآثار التى تدل على مكاتها مالا حصر له . ومن جملة ذلك المائدة المشهورة ، إلا أن بعض أهل التاريخ يزعم أن المائدة لم تكن بطليطلة ، بل كانت بموضع آخر قريب من طليطلة ، يسمى وادى الحجارة وان طارقا لما فتح طليطلة خرج إلى الموضع المعروف وادى الحجارة قرب الفج الذى كان ينسب إليه خلف الجبل حتى بلغ مدينة المائدة ، وسميت بذلك لوجودها بها ، وهى المنسوبة إلى سليمان بن داود عليهما السلام ، وقيل إنها كانت من زبرجدة خضراء ، وانها كان لها ثلاثمائة وخمس وستون رجلا والله اعلم ، انتهى

حتى عن والدته وعمه وأخيه ، وجميع أقرابه ، وأن لا يجبر أحداً من الخلق بما يعلمه إياه في الخفاء . ثم كان يرسل والدته إليه فتسأله : ما الذى يملكك والدك فيقول لها : لاشئ . فتقول له : أخبرنى بذلك ولا تخف لاني عندى الخبر بما يملكك . فيقول لها : أبداً ما هو يعلمنى شيئاً . قال : وكذلك كان يفعل عمى ، وأنا أنكر أشد الانكار ثم أروح إلى مكتب النصارى . وآتى الدار فيعلمنى والذى ، إلى أن مضت مدة ، فأرسل إلى من اخوانه فى الله والأصدقاء . فلم أقر لأحد قط بشئ ، مع أنه رحمه الله تعالى قد أتى بنفسه للهلاك لامكان أن أخبر بذلك عنه فيحرق لاحتالة . لكن أبداً الله سبحانه وتعالى بتأييده الخ . إلى أن يقول : فلما تحقق والذى رحمه الله تعالى أنى أكم أمور دين الاسلام عن الأقراب ، فضلاً عن الأجانب ، أمرنى أن أتكلم بأشائه لوالدى وعمى وبمض أصحابه الأصدقاء فقط ، وكانوا يأتون إلى بيتنا فيتحدثون فى أمر الدين وأنا أسمع ، فلما رأى حزمى مع صفر سنى فرح غاية الفرح ، وعرفى بأصدقائه وأحبائه واخوانه فى دين الاسلام فاجتمعت بهم واحداً واحداً . « هـ »

وقد علفت على هذه الجملة بقولى : إن الاسلام بالاندلس حسبما يظهر من هذا الوصف كان أصبح شبيهاً بجمعية سرية تكتم أمرها أشد السكتمان ، ولا يقدر واحد من المسلمين أن يبوح باسلامه إلا لمن يكون قد ابتلى أمانته ، وامتنحن صدقه فكانوا يجتمعون سرراً إذا كان بعضهم واثقاً ببعض ، ويتكلمون فى أمر الدين فى أشد الخفية . ثم نقلت عنه ما يلى :

« وسافرت الأسفار لأجتمع بالمسلمين الأخيار من جيان ، مدينة ابن مالك إلى غرناطة ، وإلى قرطبة ، واشبيلية ، وطليلطة ، وغيرها من مدن الجزيرة الخضراء أعادها الله تعالى للإسلام فتلخص لى من معرفتهم لى من ميزت سبعة رجال ، كانوا كلهم يحدثنونى بأمر غرناطة ، وما كان بها فى الاسلام حينئذ ، وبما أقوله وقلته بعد ، فسندى عال لكونه ماتم إلا بواسطة واحدة بينى وبين الاسلام بها « هـ » . وعلقت على هذه الجملة الأخرى ما يلى : إنما من عرف كون ابن عبد الرقيق

توفى عام ألف واثنين وخمسين للهجرة ، لا يخفى عنه أنه كان شاباً في أول سنى الالف للهجرة ، أي منذ نيف وثلاثمائة سنة . ويظهر له أنه منذ نيف وثلاثمائة سنة ، كان في جيان وغرناطة واشبيلية وقرطبة أناس لا يزالون يدينون بالاسلام سرا ، وم في الظاهر نصارى . وأغرب من هذا وجود مثل هؤلاء في طليطلة المصافة لمجريط ، والتي كان مضى على استرجاع الاسبانبول لما يوم زارها ابن عبد الرقيق أكثر من خمسمائة سنة . أى أنه : بقى مسلمون في الباطن في طليطلة من بعد أن زال عنها حكم الاسلام بمخمسةائة عام

ثم ذكرت في محل آخر من هذا البحث : « وقيل لى إن أحد المغاربة وقع في هذه الأيام الأخيرة ببعض قرى طليطلة ، فوجدم يذبحون الأكباش يوم عيد النحر عندنا ، ويقولون إنها عادة توارثوها عن آبائهم اه .

ثم إنى أذكر في المبحث نفسه فصلا عثرت عليه في جريدة « العمالة » النمساوية الصادرة في فينة ، عددها المؤرخ في ٣ يناير سنة ١٩٣٢ ، جاء فيه بمناسبة الكلام عن ثورات أهل العمل ، كلام عن موريسك الأندلس ، وأعمال ديوان التفنيش الكاثوليكي مايلى :

« فأخذ هذا الديوان يتقّب ويتقرّ عن السكّية والجزئية من أعمال المسلمين ، ومنع جميع شعائرهم الدينية ، بل منع جميع عاداتهم ومذاهبهم في الحياة : ولو لم يكن لها تعلق بالدين ، وعاقب على ذلك . وكان يعاقب أشد العقاب من علم عنه أنه لا يأكل لحم الخنزير أو الميتة ، أو عرف عنه أنه لا يشرب الخمر ، أو قيل إنه أدرج ميتة في كفن نظيف . وكانت النظافة في ذاتها ذنباً يعاقب عليه ، وفي سنة ١٥٩٧ وجد في طليطلة المسمى « موريسكو بار ثولوم شانجه » فلاحظ عليه القوم أنه شديد التطهر ، فمذبوه عذاباً شديداً ، وما زالوا يذبونه حتى أقر بأنه يتطهر عن عقيدة ، فحكوا عليه بالـجن المؤبد ، و بضبط جميع أملاكه . ووجدوا قرآناً عند عجوزها « ايزابلا زاسن » فقالت أنها لا تقدر أن تقرأه فلم ينفعها هذا القول ، وعذبوها ،

ولكن لما كان عمرها تسعين سنة اكتفوا من اهانتها بحملها على حمار ، والطواف بها في الشوارع وعليها غطاء مكتوب عليه اسمها « وإيها » ثم زجوها في السجن بعد ذلك ، و بقيت فيه إلى أن علموها قواعد المسيحية « اه .
من هذا الفصل الوارد في جريدة « العملة » التساوية .

Arbeiterzeitung يتأيد ما رواه ابن عبد الرقيق الاندلسي ، من انه في أوائل القرن السابع عشر كان لا يزال في طليطلة بقايا مسلمين ، وأن العروبة لم يكن طمس هناك أثرها بالكليّة . وهذا بحث سنفرّد له إن شاء الله ، بعد أن أعددنا موادّه ، جزءاً خاصاً من كتابنا هذا .

ونعود إلى طليطلة واختلاط أسماؤها ، الاسبانيولى بالعربي ، والعربي بالاسبانيولى مما يدل على امتزاج المجتمعين في هذه البلدة ، بشكل غريب ، لم يسبق له مثيل ، وإليك أمثلة أخرى :

« باع القائد دون شبيب بن عبد الرحمن من دون دمنقة مرزّاله الدليل ، ومن زوجه بشتة بنت مرتين الخ . والشهود يحيى بن خليل ورفاعة بن يحيى القنري وابراهيم بن خليل وعبد الله بن عمر وحسين بن جعفر بن حسين وميقانيل بن شبيب ابن عبد الرحمن » .
ومثال آخر :

« اشترى القس دون دمنقة بن مقيال بن الريم من بوان باطرس جميع الغدان الواحد الأرض البيضاء الذي له بحومة أوليش الكبرى محل طليطلة حرسها الله . إلى أن يقول : وسعة هذا الغدان البيع المذكور كسعة كل قرعة هي بالحومة المذكورة بثمن عدته مثقال ونصف من الذهب البياسى الضرب ^(١) . أما الشهود فهم : ييطره ابن يليان بن ابى الحسن ، وشلمون بن طلي بن وعيد الخ .

وفي مكان آخر صك المشتري فيه الارجيرشت ^(٢) دون قلاوش القونوتى ^(٣)

(١) البياسى نسبة إلى يياسه من عمل قرطبة ويظهر أنه كان بها دار ضرب لعهد الاسلام
(٢) Archiprêst القس الأكبر (٣) Canonigos القانوني

بقاعدة شنتة مريه عمرها الله والباثمة مريه بنت تمام على حفيدها الصغير الذي من غير رشد المسمى شربند بن باطرة غرسية الذي في حضانتها . وفي هذا الصك ذكر الوزير القاضي دون يليان بن أبي الحسن بن الباصه أدام الله عزه .

وفي صك آخر يقول : اشترى دون لازر بن علي من دون يوان بن عثمان ومن زوجه دمنقة بنت حنصون جميع السكرم الذي لها بحايز شنت اشتاين خلف مهر تاجه وبقربة من قرال بنى ابى مالك من احواز مدينة طليطلة حرسها الله . والتاريخ هو فى العشر الأوسط من شهر ينير سنة إحدى ومائتين وألف للصفى والثمن ثلاثون متقالا من الذهب البياسى . والشهود يليان بن فرجون وبيطرو بن اندراش بن عزيزى وميقايل بن سلمة بن سدرايه ولب بن فرنندس . وفى آخر الصك يقول : وأنا يوان ابن عثمان بن عثمان بنت وقبضت « اه

وانظر إلى هذا الصك :

« اشترى الدياقن دون دمنقه فراه الذى من أئمة قاعدة شنتة مريه بطليطلة حرسها الله من الامام دون بيطرو جلبرت منها أيضاً جميع الفرس المعلوم له بمحومة برج الشياطين عدوة مهر تاجه فى حومة شنت فليس من أعمال مدينة طليطلة المذكورة انها يصل اليه وهو الفرس الذى كان اغترسه أبو الطيب المتترس وحدّه فى الشرق غرس لدون اشنا بن القميرانى وفى الغرب شنطير سالك من النهر المذكور الى الطرق التى بالحومة المذكورة وإلى سواها وفى القبله غرس الاندراش وفى الجوف غرس لبيطروه اشكرده بشن عدده ثلاثة عشر متقالا ونصف مثقال ذهباً بياسى الضرب طيباً وازناً فى شهر مارس من عام اثنين ومائتين وألف » .

وهذا المثال :

« اشترى ميقايل يوانش وأخيه دمنقر يوانش على السواء بينهما والاعتدال من دونه التى كانت زوجاً لاندراش دحجاج ومن بينهما يوانش ويُليان واشتاين ورومان ومريه وقائبة جميع الدار التى لهم بمحومة شنت رومان داخل مدينة طليطلة حرسها

الله التي حدها في الشرق دار لورثة دمنقه سبريان وفي الغرب الرقاق الغير نافذ
والباب فيه شارع وفي القبلة غرفة على اسطوان هذه الدار وهي لدون فيليز شنجس»
وهذا صك آخر :

« اشترى الارده^(١) الافرنجى وزوجه دونه مرشكيطة^(٢) ، من اولايه^(٣)
بنت ديقه ، وهي التي كان أباها بيطروه ديس^(٤) شيون السكفرية^(٥) متاع^(٦)
شنته مريه العظمى ، جميع الدار الملوحة لها ولأخيها بيطروه ديس المذكور بحومة
شنته مريه القاعدة داخل مدينة طليطلة حرسها الله التي حدها أجمع في الشرق الطريق
السالك ، والباب إليه شارع ، ودار كانت لنقلاش د طوريش ، وفي الغرب دار اتالين
ولدغلتار لقواس ، وفي القبلة دار الوزير القاضى دون رودريغه ديمنقس ، ودارلاشتافن
مشتابار ، وفي الجوف قرال لانتلين المذكور ، ولريموند بلدى^(٧) ولد جفري
مرايلى^(٨) ، ودار كانت لأرنلد فرانساشك الخ »
وتأمل في هذا الصك :

« اشترى دونه لوقاديه بنت ميقاتيل شايس ، وابنتها دونه مريه ، التي كانت
زوجاً لدون غرسية القميراني رحمه الله من دونه مريه التي كانت زوجاً لدون قليام
ومن بينهما دون فيليز ، ودون بيطروه ، ودون يوانش ، ودونه ديمنقه ، جميع الميشون
الذى هو حانوت الآن ، والشوطار الذى تحته ، والقرفة التي عليه ، المعلوم لهم بحومة

(١) في الترجمة الاسبانية Alardo el Franceses

(٢) في الترجمة الاسبانية Dona Morisquita

(٣) Eulalia في الترجمة

(٤) Diaz في الترجمة

(٥) Sayon de la cofradia في الترجمة

(٦) متاع هنا يراد به المنسوب إلى المكان وهو اصطلاح العامة

(٧) في الترجمة Raimundo boldi

(٨) في الترجمة Jofré Almoravide

كنيسة شنته مريه القاعدة في ريبض الافرنج^(١) ، داخل مدينة طليطلة ، حرسها الله وحد هذا المبيع في الشرق والغرب والقبلة والجوف طريق آخذ على ما يشين الطعام الى سوق الرقيق ، وطريق آخر على اليليندين ، إلى سوق الحصارين ، وميشون لقلبان دديقميلش وميشون لارنال مقلده ، وهو قريب البائمين ، وكان قسم المبيع ومثله بثمان مبلغه أربعون مثقالا ذهباً ، بئاسية الضرب ، طيبة وازنة ، شهر ديجمبر الذي من عام ثلاثة ومائتين للصفر .

وشهود الأصل فيه بيطرو بن يليان بن أبي الحسن ، وعمر بن أبي الفرج ، وفيليس بن غليام ، ويوانش بن غليام ، وييطروش بن غليام ، واندراش فرتوم ، وميقايل ارتند . وفي آخره مذکور هكذا : صحة النسخة (الخ) وذلك في العشر الأوسط من شهر فبراير سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف للصفر

شلبطور بن عبد الملك بن العريب ، ويحيى بن وايد بن قاسم

وغيره :

« واشترى القس ديمقة بن الريم من دونة بنت الوزير القاضي عبد الرحمن ابن يحيى بن حارث ، جميع الكرمين المعلومه لها بمحومة منزل مُشقة من مدينة طليطلة حرسها الله ، وحد أحدها في الشرق كرم لورثة لب اشنابنس ، وفي الغرب نهر تاجه وفي القبلة كرم لمرتين قلبه وفي الجوف جبل كرم لمرتين قلبه ، وقطعة كرم لصق نهر

(١) كان للافرنج أى للفرنسيس حارة خاصة بهم في طليطلة لسكانهم هناك بحسب رواية المسبولافالى Lavallée وسبب ذلك هو انه لما فتح الاسبانول طليطلة سنة ١٠٨٥ كانت امرأة الأذفونش السادس يقال لها كونستزه ، وكانت أفرنسية الأصل وكان مع جيش الأذفونش الذي فتح طليطلة عدد كبير من الفرنسيس وكان معهم رهبان كثيرون من الفرنسيس أيضاً اشتهر بينهم راهب اسمه برنار من دير ساهاغون Sagahun فلما تم استيلاء الاسبان على طليطلة سكن هؤلاء الفرنسيس فيها . وكانت الملكة التي هي أفرنسية الأصل تعدم وتمزهم حتى أنها جعلت الراهب برنار المذكور مطراناً لطيطة .

تاجه (إلى أن يقول) : حضر لهذا المبيع دون يوانش بن الباعة . وقال ان لا اعتراض عنده فيه وسلّمه

والشهود يعطرون مرتين بن بهلول ، و بهلول بن غالب ، ويوانش بن تمام وعمر بن أبي الفرج . وفي الآخر هكذا : كان ذلك بحضري وانا يوانش بن عطاف بن لبصار « وغيره :

« اشترى الارجبرشت ^(١) الاجل دمنه نقلاوش أدام الله عزه ، من ديمنقه بنت شلبطور ^(٢) أبهاها الله ، جميع النصف من المسجد الذي بمحومة شنته مرية ، بمحضرة طليطلة حرسها الله ، حد هذا النصف المذكور في الشرق النصف الثاني الذي هو لاختها شول ، وفي الغرب حجرة لمريم المسلة التي كانت زوجاً للأبدي الجزاز . وفي القبلة الدار التي كانت لابرسويه ، وفي الجوف الطريق وإليه يشرع الباب ، بثمن مبلغه ثمانية عشر مثقالا من الذهب الطيب الوزن ، في العشر الآخر من شهر مايو سنة خمسة ومائتين وألف

والشهود : عبد الرحمن بن عبد الملك ، وديمنقه يعطروس الباسي ، وعبد الله بن عمر بن يوانش بن سليمان ، وعامر بن يحيى بن بلاي « وغيره :

« اشهدت دونة شولي بنت عمر بن هشام ، و بنتها يوشتا وسى بنتي مقيال ابن سليمان حلى أنفسهن شهدا آخر هذا الكتاب أنهن بمن من الوزير الأجل دون اشتافن يليانس ، أكرمه الله الربيع الواحد على الاشاعة من جميع السد المعروف بسد الفته الذي في نهر تاجه تحت حصن قلانيه الخ . « وغيره :

« اشترى يوان مستعرب ^(٣) لدون مَلَنَدَة الدليل ، وبمال دون ملنده المذكور

(١) Archiprêtre (٢) Salvador

(٣) Mozarabe انه يظهر من هذه الكتابات التي إذا ذكرت الافرنجي تنص عليه بأنه افرنجي وإذا ذكرت الاسبانيول المتكلم بالعربية تنص عليه بأنه مستعرب

من دونه ستميروري ، التي كانت زوجاً لدون ديمنقه البرينتي ، رحمه الله جميع الحوانيت والفريفة المتصلة بها ، (إلى أن يقول) واعترف المتبايعان المذكوران أن البايمة المذكورة قبضت عن الستة عشر مثقالا المذكورة أعلاه من المتبايع المذكور القلاب

وإذا ذكرت المسلم أشارت أنه مسلم وإذا ذكرت اليهودى أشارت اليه بأنه اسرائيل انه كان في طليطلة أربع أو خمس فرق منها العرب المسلمون الذين بقوا حافظين للقيم ودينهم حتى بعد استيلاء الاسبانيول ومنها الاسبانيول المستعربون الذين كانوا يتكلمون ويكتبون ويقومون صلواتهم بالعربية حتى إنهم كانوا إذا كتبوا كتاباً يبدأونه بيسم الله الرحمن الرحيم وكانوا متعصبين جدا للعربية ولذلك بقيت اللغة العربية والثقافة العربية سائدين في طليطلة مدة ستمائة سنة بعد انقراض حكم الاسلام منها ومنهم الاسبانيول الذين يتكلمون ويكتبون بانتمهم الاسبانية وكان المستعربون يسمونهم بالفشتالين كما مر في أحد الصكوك التي نقلناها . وكان منهم أيضاً الافرنج الذين بدأت سكناهم في طليطلة من وقت استرداد الاسبانيول لها لأنهم كان منهم جنود كثيرون في جيش الأذفونش السادس . ومنهم اليهود الذين كانوا عنصراً كبيراً ولم يكن الاسبانيول المستعربون بالفتنة التي ترضى بالسيادة للاسبانيين الفشتالين أو للافرنج حتى انه وقع خلاف بين النصارى المستعربين والنصارى غير المستعربين من فشتالين وافرنج في مسألة الصلوات فان المستعربين كانوا يقيمون القداس الذي يسمى بالاسبانية بالميشة أو الميسة وذلك باللغة القوطية بحسب قاعدة قديس عندهم يسمى سان ايزيدور وكانوا يخلطون ذلك بالعربية وكان الاسبانيول يقولون لهذا الطقس نصف عربي ، أو د موزاراب ، فكان الافرنج والفشتاليون يريدون حل الجميع على استعمال الطقس الروماني ولكن المستعربين أبوا إياه شديداً وكان أشدهم خصاماً في هذا الأمر جوان رويس ماتانزاس Juanriuz de los Malanzas ولما تعذر حل هذه العقدة قبل إنهم لجأوا إلى البراز وأنهم يخرجون من كل فئة فارساً فيتجاوز الفارسان والذي بصرع الآخر تكون فته هي الغالبة في الموضوع . فلما تبارز الفارسان كانت الغلبة للفارس المستعرب ولكن فته الافرنج بقيت مصرة على عنادها . فلجأوا إلى امتحان آخر على عهدة الرواة ورموا كتاب الصلاة الروماني وكتاب الصلاة القوطي في النار وقالوا الكتاب الذي يخرج سالماً من النار يكون له الحكم . فخرج كتاب المستعربين سالماً وخرج الكتاب الروماني أقل سلامة منه فيقال أن الأذفونش السادس أبقى عند ذلك الطقسين معا .

المعروفة لَمَّأَنْدَة الدليل بقربة قنائش ، والنبر الذي كان له بها ، والحمار والمجلة ، هذه الأسباب المذكورة عن سبعة مَثاقيل ونصف النخ . »

وغیره :

« اشترى الوزير المشرف دون ديمنقهُ بن سايان بن غصن بن شربند ، أكرمه الله من سبريان بن إسفنت ، ومن زوجه لوقادية بنت يحيى البياسي ، جميع الدار المعلومة لها بحومة كنيسة شنت يوانش ، بثمان عدده ومبلغه سبعون مثقالا من الذهب الفنشي الطليطلي الضرب الطيب الوزن النخ . »

وغیره :

« اشترت الابطيسة^(١) الجليلة دونه مطرى أكرمها الله ، التي بديرشنت قلنت عمرها الله من القس دون ديمنقهُ النخ »

وغیره :

« اشترى أبو زكري يحيى بن طلي المالقي ، من دونه لوقادية بنت بيطروسلييس ومن ابنها رودريقه بن بشكوال جميع الكرم المعلومة لها بحومة كنيسة شنته قلمبه عمل مدينة طليطلة حرسها الله النخ . »

والشهود فرنانده يوانش وعبد الله بن عبد الميز بن خطاب ، وبسنت بن عبد الميز بن سمد ، وباطره بن عمر بن غالب بن القلاس »

وغیره :

« اشترى دون يوان البلجاني أكرمه الله من بيطرون يوليان بطيط جميع الجنينة^(٢) التي له بحومة باب الهاضة ، طلي نهر تاجه (إلى أن يقول) ودخل في هذا المبيع الموصوف جميع ما كان للبايع المذكور في السانية الكبيرة المشهورة النخ . »

(١) أى الراهبة الرئيسة

(٢) فى جميع البلاد العربية يستعملون الجنينة ، بمعنى البستان الصغير

وغیره :

« اشترى افرابر^(١) دون فرناندوه الذى من فرايرين قلعة رباح ، لارواهب الذين بدبر شنت قلعت بمدينة طليطلة ، أنماها الله من ميقيبيل إلى آخره »

وغیره :

« اشترى دون يلبان القس الميردوم ، متاع شنت ديمتقة ، إلى دير شنت قلعت الذى هو بمدينة طليطلة حماها الله ، ومن مال الدير المذكور الخ » .

وغیره :

« اشترى الفرابلي دون فرناندوه بوانش ، متاع قلعة رباح إلى الابطشة دونه مطرى متاع شنت قلعت الخ » .

ومن هذه الصكوك ما فيه :

« اشترى الوزير الأجل المشرف الأفاضل الأكل أبو عمر شوشان^(٢) ، أدام الله عزه ، من دون مرتين^(٣) دى القونط ، ومن زوجه دونه قلعة بنت فرند وابط^(٤) الشطر الواحد على الاشاعة ، من جميع الأندر الذى شطره الثانى للمجتمع المذكور ، وقد بين فيه قرال ، وهو بقرية أوليش الكبرى من عمل مدينة طليطلة حرسها الله ، ولشهرته استغنى عن تمديدته ، بثمان مبلنه ستة مثاقيل من الذهب الفونشى الضرب ، وذلك في شهر ديجمبر سنة ست وثلاثين ومائتين للصفر .

(١) الراهب .

(٢) مكتوب في الترجمة الاسبانية اسم هذا الرجل هكذا : Abuomar Susàn وقبل اسمه مكتوب Alguacil Almogarife ومن المعلوم أن الاسبانية حرفوا لفظة « الوزير ، حتى صارت « الغاسيل ، ويظهر أن لفظة « المشرف ، كانت دخلت أيضا في لغتهم حتى صارت تستعمل فيها .

(٣) Martin de Alconte

(٤) Fernando Abat

وتحت مکتوب : غالب بن غلون . ومرتين بن يحيى بن عبد العزيز . وديمقفة ابن بطروه القنترى . تكيف الأَشهاد فيه بين يدى وأنا شلون بن على بن وعيد « ثم هذا الصك الذى يتضمن بيع عقار موقوف ، وبيان السبب الذى اضطر إلى هذا البيع فهو يقول :

« باعت الابطيشة ^(١) الجليلة دونه شنجه التى على دير شنت باترو بالحزام ^(٢) أكرمها الله مع كونياتها ^(٣) السكان أسام فى هذا الكتاب ، من دوت مرتين ابن باطروه دِقشَارَة ^(٤) ، جميع الميشون الذى علم فى أصله للدير المذكور بربض الافرنج التى على مقربة العساين وبداخل مدينة طليطلة ، حرسها الله ، وهو الميشون الذى حده فى الشرق طريق سالك للاحصارين ، وفى الغرب ميشون لدون بطال السبطير ^(٥) ، ولدونة يوشته ^(٦) زوج غللم ^(٧) ديباسة ، ولباطروه غللم ، ولبنى دون جوان دلبدقدوه ^(٨) ، وفى القبلة المحجة السالك ، وبابها شارع اليها ، وفى الجوف ميشون لدون باطروه جَوَولين ^(٩) ، وحوانيت السلطان ، بشن ميلغه وعدده أربعون متقلا ذهباً من الذهب القونشى ، وصار عندهم وفى مالكم ليتفقوه على أنفسهم ، وعلى جميع من هو فى الدير المذكور ، مما يجب له انفق منه فى الدير ، لا غنى لهم عنه فى المأكل فى هذه الاعوام المحيلة ، إذ ليجتهم الحاجة والعاقة لثلاثموتون جوعاً ، إذ قد

(١) فى النص الاسبانى Abbatissa Sanecia

(٢) فى الترجمة Allicem

(٣) أى صواحباتها .

(٤) Pedro de Castro

(٥) Don Vidal El - Zapatero

(٦) Justa

(٧) Guèllemo de Baeza

(٨) فى الترجمة الاسبانية وضعوا مكان هذه الكلمة نقطا للدلالة على جهالتها .

(٩) Pedro Chasulin

أحفوا على ذلك في الدير المذكور، وخارج الدير ، قد شاوروا فيه الاعيان القنوقين^(١) باقاعدة^(٢) شنته مرية أم النور ، در لنا الله شفاعتها ، فكلمهم قد حطوه عليه ، وأجموا الرأي فيه ، إذ الضنطة والحاجة والفاقة ، قد صحت انها حاظت بهم ، ولذلك باعوا المبيع الموصوف ، وجاز لهم بيعه ، وصح للمبتاع اقباعه عن ذلك أبداً ، وللمبتاع المذكور براءة تامة ، فبرى . في المشر الأول من شهر فبراير سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف لتاريخ الصفر .

واعترف المبتاع المذكور دون مرتين أن هذا الشرى على حسبه ونسبته هو بينه وبين زوجته دونه يوشة ، على المناصفة ، وعلى الجميع بقع الاشهاد .
مقبال بن على بن عمر . ويواتش بن مقبال بن عبد العزيز الشنارى .

Ego Abbatissa Sancia. Monasterii Sancti Petri Consedo. Ego Fernandus Iohnnes Subdiaconus Sancti Nicolai Testis. Ego Dominica Priora Confirmo. Ego Lazarus Presbiter Sancti Sevastiani Ecclesie Testis. Ego Liocadia Confirmo. Ego Anastasia Confirmo. Ego Eugenia Confirmo etc.

فن هذا الصك وأمثاله يعرف انه في طليطلة لم يكن الجميع يكتبون بالعربية وكان لا يزال قسم كبير من الاسبانيول يضعون امضاءاتهم بالاسبانية واسكن العربية كانت هي السائدة .

ولناخذ من بعض الصكوك بعض الجمل التي تدل على حاله طليطلة الاجتماعية في ذلك العصر ، لسكون استقصاء هذه الوثائق بأجمها غير ضرورى ويكتفى من القلادة ما أحاط بالجلد .

فن ذلك صك شراء للدون البيروه البرس^(٣) وزوجته الدونة مرية الجنان^(٤)

(١) Alos Canonigos يريد بها القانونيين وهي رتبة دينية عندهم

(٢) في الترجمة الاسبانية هي الكنيسة الكبرى Catedrale

(٣) في الترجمة الاسبانية « البيروه » هو Alvaro « البرس » هو Alvarez

(٤) الجنان جمع جنة ولكنه يستعملها المفرد بدليل قوله « الذى علم لوالده »

الذى علم لوالده دون مقيال بن الوزير سيد ، بحومة السوميل ، من عمل مدينة طليطلة (الخ) وفى آخر هذا الصك يقول هكذا : ولعلم أن الجنان المذكور هو الآن مبور ، ومقطوعة ثماره ، كان قطعوها المسلمون دمرهم الله . وذكر ذلك ليعلم بعد أن أزمتم نفسها وما لها دونه ديمقته المذكورة دفع ابنها الفونش المذكور متى قام أو قام أحد عنه وأراد طلب المتابعين شىء منه يدفعه عنها بما لها .

وإليك هذا الصك يستدل منه القارىء على أحوال طليطلة فى ذلك العصر فهو يقول :

« اشترى القبطقول^(١) دون جردان من دونه دونه بنت عبد الله بن يحيى جميع الدار التى لها بحومة القاعدة شفته مريه ، داخل الدرب المشهور بدرب الارسبرست^(٢) دون نيقولاش ، وبداخل مدينة طليطلة حرسها الله ، ومنتهى حدودها فى الشرق اسطبل كان مسجداً فى القديم ، هو للارسبرست^(٣) دون بيطرو من طلييره^(٤) ودار لورثة شقره^(٥) ، وفى الغرب دار كانت لورثة الابطي^(٦) ، هى الآن للبتاع المذكور ، وفى القبلة دار لورثة البرنيطلى^(٧) ، وفى الجوف الدرب المذكور ، والباب

وقد مر أيضاً أنه استعمل الكروم ، استعمال الكرم بالمفرد وعلى كل حال ليست جميع هذه الصكوك كتابة المدققين بالعربية وان كان منها ما هو بغاية الضبط

(١) فى الترجمة الاسبانيولية Capiscol Don Jordan

(٢) فى الترجمة الاسبانيولية Arcipreste

(٣) هذه اللفظة أى « الارسبرست » بمعنى القيسر الاكبر تكتب أحيانا بالسين وأحيانا بالشين والغالب أن العرب كانوا يلفظون السين فى الاعلام الاسبانيولية شيئاً ولكن قد يراعون فيها الأصل أحيانا فيلفظونها شيئاً

(٤) Talavrra

(٥) Suegro

(٦) فى الترجمة الاسبانيولية Laili

(٧) فى الترجمة الاسبانيولية Berniti

إليه شارع ، و بعض دويرة المسلم على ولد القلبق ^(١) الخ ، والشهود : قرشتو بل بن يليان ، ولورنس بن ديمتق بن عمران . وبيطروه بن مرتين مستعرب .

وقد رأينا هذه اللفظة «مستعرب» مراراً في هذه الصكوك ، واستدلنا بها على أن نصارى طليطلة كانوا قسامين قسم يقال لهم المستعربون ، وهم الذين كانوا يتكلمون ويكتبون و يقيمون صلواتهم باللغة العربية ، وقسم آخر كانوا يتكلمون ويكتبون بالأسبانيولية و يقيمون صلواتهم باللانينية ، وهذا هو السبب في أنهم عند كتابة الصكوك يميزون الأسبانيولي الذي لفته العربية بقولهم «مستعرب» وكذلك يذكرون عند وضع الشهادات لفظة « بالعربي » ولفظة « بالمعجمي » لأن من اليهود من كان يكتب امضاءه بالعربي ومنهم من لم يعرف وضع امضاءه بالعربي فيشيرون إلى أنه وضع بالمعجمي واما تعرف منه اصطلاحاتهم مثل هذا الصك :

اشترى دون غونصالبه المكرج بالقاعدة شنته مر به كرياتور المطران الأجل دون غونصالبه قدس الله روحه . فلفظة « كرياتور » هي ترجمة Crindo بالاسبانيولية وهي لفظة مماها أشبه بمعنى شماس المعروف في الشرق ، وهو الذي يخدم المطران . وفي هذا الصك ذكر رجل يقال له الدون مرتين المدوى البناء . فأنت ترى في كل مكان اختلاط الاسماء العربية بالاسماء الاسبانية وانظر إلى صك آخر :

باع كوربانث ^(٢) القاعدة المغظمة شنته مر به أم النور . در كنا الله شفاعتها ، وأكرمهم . من دونة ديمتق بنت أي الربيع سليمان بن عثمان ، التي كانت زوجاً لدون لب بن يحيى ، جميع الدار الخ .

(١) في الترجمة الاسبانيولية Galápago ومن هنا يعلم أنه كان لابزال مسلون بطليطلة تحت النصارى من بعد ما استولى عليها الاسبانيول بقرن وقرنين وثلاثة وكانوا معروفين بأنهم مسلون لأن اكراه المسلمين على التنصر لم يقع إلا من القرن السادس عشر فصاعداً بعد سقوط غرناطة آخر سلطة اسلامية في ذلك القطر

(٢) في الترجمة الاسبانيولية Convento

وفي هذا الصك ذكر دار كانت للشقرشتان^(١) ولاخته دونه اغطه .

وإليك هذا الصك :

اشترى رومان بن^(٢) باطرو زورير حفيد السماد ، لنفسه ولزوجه دونه أورهبونه ،
ومن مالها جميعاً ، على اعترافه ، من دونه ديمتقهُ بن عبد الرحمن بن جابر (النخ)
بجومة بال ذي قبش^(٣) عمل طليطلة (النخ)

ويظهر أنه كان لليهود في طليطلة شأن عظيم ، لأن الأسماء الاسرائيلية تدور
كثيراً في هذه الصكوك ، وفيها أسماء رجال لهم مقام اجتماعي نبيه ، مثل ماورد في
بعض الصكوك قوله :

« اشترى الوزير أبو هارون موسى بن الشحات الاسرائيلي أعزه الله من دونه
غاليانه (النخ) .

وأما أهمية رجال الكنيسة فلا تخفى في كل حرف من حروف هذه الكتابات
ومنها يظهر أن أكثر الأملاك كانت لهم ، لأن أكثر البيع والشراء هو منهم وإليهم
وإذا ورد ذكر أحدهم فيغاية التعظيم والاجلال ، مثل قوله في كثير من الصكوك :
« اشترى المطران^(٤) الأجل المقدس الأفضل دمنهُ مرتين لبوس^(٥) الذي

(١) في الترجمة الاسبانية Sacristàn

(٢) في الترجمة الاسبانية Román Huigo de Pedro El Cebreiro Nieto de Assamad ولا نعلم هل هذا الاسم مأخوذ من السماد أو هو محرف عن
الصد فأنهم أحياناً يخطئون فيجعلون الصاد سينا كما مر بقولهم حومة « السوميل »
وحقها أن تكون بالصاد « الصوميل » والصميل اسم عربي شهير هذا مع كون السين
والصاد تقوم احدهما مقام الاخرى في الفاظ كثيرة

(٣) في الترجمة الاسبانية Valdecubas

(٤) في الاسبانية Arzobispo

(٥) Martin Lopez

لكرسى قاعدة طليطلة و برماط أشبانية الخ «^(١) ولم تكن أسماء رجال الكنيسة كلها لاتينية بل من القديسين من كانت أسماءهم عربية في بعض الصكوك :

« اشترى القس دون اب بن تمام بن بحيط الذي من أئمة كنيسة شنت زوال^(٢) من دونة توطه بنت دون لب دقتال^(٣) جميع الدورية التي صارت لها بالمطية من اللياقن دون مقال دالبه^(٤) رحمه الله بحومة كنيسة شنت يناس^(٥) وبداخل مدينة طليطلة الخ . وفي بعض الصكوك مذكور القس دون عبد العزيز من أئمة كنيسة شنتة لوفاديه الخ «

ومن الصكوك التي تستجاب النظر ما يلي :

« اشترى دون ديمتقة بشكوال ، تربية المطران الأجل ، القديس الأفضل ، الحبيب الأكل ، دون ردريقه شاناس^(٦) وصل الله بركته ومن مال المطران المذكور ، وله ويده فيه عارية الخ «

ومثله :

« اشترى القمونوق دون جوان دى ستفيله^(٧) ، أعزه الله ، لمولانا المطران القديس الأفضل ، البرماط الأعدل ، دون رودريقه شاناس ، أدام الله نصره ، ومن مال

(١) Primado de Espana وهو الاسقف الاعظم لأشبانية ومن هنا يعلم أن معاملات الاسقف الاعظم نفسه كانت بالعربية حتى بعد استرداد الاسبان لطليطلة
تزم من طوبل

San Zoel (٢)

Toda Hija De Don Lope De Cotarel (٣)

Mical De Alba (٤)

San Gines (٥)

Rodrigo Giménez (٦)

De Selfila (٧)

المطران ، ويده فيه عارية بقوله ، من دونة مريه بنت حسين بن قرون ، رحمه الله وأعزها ، جميع الملك المشهور لأبيها المذكور ، والحق لها بالارث عنه ، وهو بجمايز قرى ششلة^(١) مدينة طليطلة ، حرسها الله ، والمبيع الموصوف هو تحت كدية قرية المونسير^(٢) ، ويقسم التخيم مع القرية المونسير المذكورة ، ومع قرية بيده انتقوه (إلى أن يقول) دخل في هذا المبيع كل الذي صح وصار لوالد البايعة المذكورة بالعطية عن الامبراطور الشريف^(٣) مع ابنه السلطان المعظم دون شانه ، ورحمهما الله ، بالصك الكريم التي استظهرت البائسة المذكورة ودفنته للبتاع المذكور اه .
ومثله :

« اشترى دون ربرت^(٤) الافرنجى ، الذى هو الآن من ررض الافرنج ، لنفسه ولزوجه دونه رواش^(٥) سوية بينهما ، من دونه ديمتقه ، ومن اختها دونه مرتينه ، بنتى دون غيلين ، جميع الدار التي لها بحومة حمام يعيش ، من حومة البير المر ، داخل مدينة طليطلة الخ

والشهود : بيطروه بن اشتافن الربالى . وديمتقه اندراس ، ودون رجلد الافرنجى ودون غللم طبلد ، من ررض الافرنج ، ويطرو نقولا البنا ، وكتب عن كل واحد منهم اسمه عنه بأمرهم وحضرتهم وقيليز بن يحيى بن عبد الله
وهذا تأييد لكون الافرنج لم يزالوا بعد رجوع طليطلة إلى الأسبان كأنهم غرباء فيها . وفي صك من الصكوك يذكرون مشتريين ثم يقول : بعد أن فسر عليهما

(١) Sisa

(٢) Almonasir

(٣) Emperador وهو الاذفونش السادس الذى تولى من سنة ١٠٧٢ إلى سنة ١١٠٩ ولقب نفسه بامبراطور اسبانية

(٤) فى الترجمة الاسبانية Roberto El Francés

(٥) فى الترجمة الاسبانية Raues

معانيه بلفظ أعجمي فهماه واعترفا بفهمه ، في العشر الآخر من شهر أوغوست سنة ست وخمسين ومائتين وألف للصفر .

ومما يستجلب النظر صك فيه :

« باع دون جوان رويس ^(١) بن دون رودريغ رويس ، أخ الأسقف ^(٢) المعظم دون غرسيه رويس ، الذي على سقافة كرسى كورنكة ، أدام الله كرامته النخ ومما يستجلب النظر صك فيه :

اشترى اللطران الأجل دون رودريغ شيبانس بريماط أشبانية أطل الله مدة وأدام بقاءه ، من دون فرندوه لبوس بن دون لب فرندس رحمة الله وأكرمه النخ . ومثله :

« اشترى القبلته ^(٣) المسكرم من شنابير ^(٤) القاعدة المظلي ، شنته مريه ، دركنا الله شفاعتها النخ

ومما يستجلب النظر هذا الصك :

« اشترى أبو حسن على البشيري المسلم وزوجه عائشة بنت الدودري من الفيران وفقهم الله ، على المناصفة بينهما ، من دونه أو رابونه ، تربيه القائد الأجل دون اشتابن النخ والتاريخ العشر الآخر من ينير سنة أربع وثمانين ومائتين وألف للصفر . ومن هذا التاريخ أيضاً يعلم أنه كان يوجد جماعة من المسامين بطليطلة في ذلك العصر وهذا الصك :

« اشترى دون ييطرو رويس فارس ، من أتانس ^(٥) قائد الفرّديه ^(٦) ،

(١) في الترجمة الاسبانية Guan Ruiz

(٢) في الترجمة الاسبانية Obispo Deluena وهي أى كورنكة بلدة تقدم ذكرها في هذا الكتاب كان فيها العرب وكانوا يقولون لها فونكة وأحياناً كورنكة

(٣) في الترجمة الاسبانية Cabildo وهو ذى رتبة في الكنيسة

(٤) في الترجمة الاسبانية Senarev ومعناها السادات

(٥) في الترجمة الاسبانية Atenas

(٦) في الترجمة الاسبانية Guardia ومعناه الحرس

لمولانا الأبيته^(١) دون شانهج بين مولانا الأمير العظيم المرحوم فرزند عفا الله عنه الخ وكان النصارى والمسلمون يبيعون الأسرى بالوثائق ، كما يظهر لك من الصك الآتى : باع مرتين غرسيه دى أبره^(٢) ، من أبو عمر بن الشيخ أبو سليمان بن أبي عمر ابن نحميش الاسرائيلى ، أسير واحد اسمه محمد بن ابراهيم القصولنى من غرناطة ، يبعاً تاماً ناجزاً ، بثمان مبلغه وعدده مائة وخمسة وأربعون مثقالاً (إلى أن يقول) نقلا عن كتاب محمى بشأن الأسير ، إن هذا الأسير محمد أخرجه جوان ديمتقوس بالمناداة^(٣) قرطبة ، وتاريخه ألف وثمانمائة وعشرة من تاريخ الصفر اه
وفى صك آخر :

باع غنصالبه قاضى الحضرة أيده الله ، وقاضى بمدينة قرطبة ، وساكن بها ، من غنصالبه بن الفونش بن الفونش ييپروس بن سرتوش أكرمه الله أسير واحد ، على الأسير البنّا بن سعيد مملوك كان لغنصالبه رودريقه بمدينة قرطبة المذكورة يبعاً تاماً صحبها بثمان عدده أربع مائة مثقال كل مثقال خمسة عشر فرد من البيض الجارية ، الآن وهذا الأسير باعه البايغ للبتاع المذكور كما ذكر على يدى دلال الأسارى أبي عمر ابن اسرائيل الاسرائيلى الذى هو دلال الأسارى بطليطلة فى حادى وعشرين نونبر عام أربعة وعشرين وثمانمائة وألف للصفر

(١) فى الترجمة الاسبانيولى Eleito ومعناه المختار أو المنتخب

(٢) Martin de Garcia de Abra

(٣) المناداة هى فى الاصطلاح ان ينادى الدلال على البضاعة المعروضة للبيع حتى يقبل السامعون للنداء على شرائها وقد كان استعمال هذه اللفظة لهذا المعنى فى بغداد وجارى بهذا المقام فى المقامة المضيرية لبديع الزمان الهمذانى كما انها كانت مستعملة فى الأندلس وأخذها الاسبانيول فى جملة ما أخذوه من العربى الى لغتهم . واما الاسير المسلم محمد الذى بيع فى المناداة فى قرطبة فقد بيع فيها بعد استيلاء النصارى عليها

وعما يستوجب النظر الصك الآتى :

اشترت دونه مركاشه لابنها المدرج^(١) شانجه مرتينوس ، كاتب مولانا الملك
المعظم ، دون شانجه أطلال الله بقامم ، وخلد ملكهم ، بمال ابنها المذكور ، الذى صار
له بالمطية من مولانا الملك المذكور الخ .

وفى صك آخر يقول :

كاتب مولانا الملك المعظم الأطلى دون شانجه أطلال الله بقامم ، وخلد ملكهم
وأيدم ونصرم ، ومن ماله المختص به الذى صار له من مولانا الملك المذكور الخ .
وهذا الصك :

اشترى مرتين شانجس قبله^(٢) القاعدة شنته مريه لنفسه ولزوجه ماتقه بنت
مرتين غونس ، سوية بينها ، من قاسم البنأ بن محمد مملوك مولانا الملك المعظم دون
شانجه ، أطلال الله بقامم ، ومن زوجته فطوممة الماشطة ، جميع الدار التى لها بمحومة بيرالمز
الملاصقة بالفرن بها الخ .

وهذا الصك الذى فيه :

اشترى دون جوان بيطروس بن دون نيطروره بايان بن الوزير القاضى دون بليان
أكرمه الله لنفسه ومن ماله ، من مريه بنت جوان النجار ، جميع الدار مع خمسة
حوانت ، بمحومة كنيسة شنت يوشت ، وقريب السكدية . بمدينة طليطلة حرسها الله
ويلاصق ذلك كله من جوانه وجهاته قاعة قرال ، هى لجماعة مسلمين طليطلة ،
حيث تذبج الكباش ، ودار لجوان مرتين المدار ، ودار لقنوتقين شنته لوفادية لصق
قصر مولانا الملك الخ ، والتاريخ سابع نونمبر عام تسعة وعشرين وثلاثمائة وألف
للسنن ٥٥٥ .

فلنا ثبت من هنا أنه كان فى ذلك التاريخ جماعة من المسلمين فى طليطلة وهذا

(١) لقب من القاب الكنيسة

(٢) قبله بمعنى خادم الكنيسة والقاعدة العظمى هى الكنيسة الكاتدرائية Catedral

بعد سقوط طليطلة في أيدي الاسبان بمائتين وخمسين سنة . وكانوا إلى ذلك الوقت يمارسون شعائر دينهم ويذبحون الكباش في عيد الاضحى وهذا الصك :

قاطع القونق الأجل دون غشطين ، الذي من قونونقين القاعدة العظمي شنته مريه أم النور ، در كنا الله شفاعتها ، أسيرته ومملوكته المنتصرة سبليه السماء به بالمعمودية ، على حرية نفسها منه ، بأربعون مثقالا قونشياً صروقاً ، لتخدم سبليه المذكورة بداخل مدينة طليطلة ، حرسها الله وباحوازاها ، دون رقيب عليها ولاتفاف وتأخذ لنفسها جميع مايعود الله عليها من فايد وعايد ، قل به أم كثر ، وتؤدي له الغدية المذكورة ، كما يذكر بعد هذا ، في كل شهر ، شهر بعد آخر ، إلى أن تم الغدية المذكورة وإذ ذلك تكون سبليه المذكورة حرة كسائر حرائر النصرانيات أهل ملتها ، وما ينقص لها من شهر تكله في شهر ثان وثالث . وإن لم يتكمل لها في الشهر الثالث ، كما ذكر ، حاشى مرض بين يمنهما عن الغدية ، أو هربت وخالطت قوم سوا ، أو وجدت في سرقة أو خيانة ، فتخسر ما يكون منها مدفوعاً ، وتمود الأسر كما كانت الخ . وتاريخ هذا الكتاب ديجبر سنة تسع وسبعين ومائتين وألف اه ملخصاً

و يوجد صكوك أخرى في موضوع شراء المسلمين لحرينهم ^(١) من ذلك مايلي :

فاطمت الابطيشة الجليلة دونة أورايبونة التي على راهبات ديرشنت قلنت

(١) هذه الطريقة يقال لها في الاسلام المكاتبه وهي ان يكاتب الرجل عبده أو أمته على مال ينجمه عليه ويكتب عليه انه اذا ادى نجومه في كل نهم كذا وكذا فهو حر فاذا ادى جميع ما كاتبه عليه فقد عتق وولاؤه لمولاه الذي كاتبه وذلك ان مولاه سوغه كسبه الذي هو في الاصل لمولاه فالسيد مكاتب بكسر التاء والعبد مكاتب بفتحها اذا عقد عليه ما فارقه عليه من اداء المال . سميت مكاتبه لما يكتب للعبده على السيد من العتق إذا أدى ما فارق عليه ، ولما يكتب للسيد على العبد من النجوم التي يؤديها في محلها وأن له تعجيزه اذا عجز عن اداء نهم يحمل عليه .

والبريورة^(١) به ، دونه لوقاديه ودونه امونيه ، دام عزهن ، لأسيريهن وعلوكيهن عزوز ، ويعرف برود ريقه بن معمر العربي ، واحمد اللوق ، على حريتهما منهن بخدمتهما جميع الغرس المعلوم للدير المذكور بمحومة برالس ، في حيتز قرية أوليش ، على أن يخدموا الارض المذكورة مدة خمسة أعوام متوالية ، من تاريخ هذا الكتاب ، في كل عام منها بالكشف والحفر والتنى والتلثيث ، ويطبعا المواضع بقضبان الزرجون^(٢) ، وعليها القيام بالزبار^(٣) طول المدة . واذا قام المقاطعين المذكورين بالخدمة والعمارة حسبما وصف يصيران أحرار كسائر أحرار المسلمين أهل ملتتهما ، في مالهم وعليهم ، وإن تهربا أو أحدهما في طي المدة المذكورة ، أو عجزا عن اكمال القطيع الموصوف يخسرا ما يتقدم لهما ، ويردهما راهبات الدير للأسر كما كانا أولا . وتاريخ هذا الصك عشر نونبر عام خمسة وثمانين ومائتين وألف للاصفر اه .

ومثله صك آخر للابطيشة المذكورة بحق أسرى مسلمين هم : محمد المنارى ولد

(١) La Priora وهي وظيفة في الدير

(٢) الزرجون جمع زرجونة وهو فضيب الكرم ويقال له الشكير وجاء في المخصص لابن سيده عن ابن قتيبة ان الزرجون آت من الفارسية . وانه فيها زركون بالكاف ومعناه الصفرة كلون الذهب وهذه اللفظة معروفة في سورية ومنها جاءت الى الاندلس (٣) هو تقليم الكرم وهي لفظة معروفة في سورية بهذا المعنى يقال زبر فلان كرمه وقد وصلت الى الاندلس من أهل الشام والحال انه ليس في كتب اللغة هذه اللفظة بهذا المعنى بل في اللغة زبر البئر زبرا طواها بالحجارة وكذلك زبرت الكتاب قرأته وزبرته كتبه وقيل انه النقش في الحجارة . والزبور الكتاب المزبور . والمزبر هو القلم . ثم ان الزبر يأتي بمعنى الزجر ولم نجد في ما راجعنا من كتب اللغة فعل زبر بمعنى قطع وانما فسروا قوله تعالى (فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا) بان الزبر هي القطع جمع زبرة وهي مثل قوله تعالى (آتوني زبر الحديد) أي قطع الحديد وفي بلادنا لبنان يقولون للشجل زوبر وليست في كتب اللغة بهذا المعنى وانما هي في اللغة : الداهية فدل هذا المعنى لهذه المادة دخل الى العربية الشامية من إحدى اللغات السامية التي كانت في الشام قبل الفتح

القنّان ، واحمد الذي كان لدون ميقاتيل دى رالنش ، وعمر بزاره ، يعرف بابن احمد ابن جامع الصنهاجى ، وعلى الرمنقارة النهارى على حرية أنفسهم ، وذلك بالخدمة مدة ثمانية أعوام متوالية فى جميع الكرم المعلوم بمحومة قرية أوليش ، (إلى أن يقول) وان هربوا أجمع أو أحدهم ، أو خالطوا قوم سوا ، أو وجدوا فى سرقة ، يمحسروا ما يكون لهم ويرجمون للأسر الخ ، وتاريخه ست وثمانون ومائتان وألف .

ومثل ذلك هذا الصك :

فاطمت الجليلة دونة قانية ابنة الوزير الأجل دون غطار فرنديس أدام الله عزتها مع يعيش الخياط بن احمد الفرناطى ، على حرية أسيرتها أم الهدى الجللياقية ، بمائتين مثقال فنشية وثمانية مثاقيل ونصف ، صرف خمسة عشر ديناراً كل مثقال ، ليبتى يعيش المذكور بأم الهدى المذكورة ، ويتخذها زوجته ، ويخدمان بطليطلة فى الذى يليق بهما دون رقيب عليهما ولا تقاف ، ويأخذان لأنفسهما فائدهما وعائدهما قل أم كثر ، ويؤديان الفدية المذكورة ، وذلك مثقالين اثنين كل شهر ، (إلى أن يقول) وإن لم يتكلم لما ذلك بتمام الشهر الثالث ، حاشا مرض يتن يمنعهما عن الخدمة ، أو هربا جميعاً أو خالطوا قوماً سوا ، أو باتا بخارج طليطلة بغير أمرها ، أو شرب يعيش المذكور خمرًا^(١) ، يمحسران ما يتقدم لها مدفوعا ، وترجع أم الهدى للأسر كما كانت أولا ، ويؤدى يعيش الفدية على التنجيم ، وإن عجز عن التأدية فقد فوّض للجليلة دونه قلنبة التقبض على جسمه ، ولا تسرحه إلا اذا أنصفاها ، وعليه أن يهدى لها فى كل عيد من ثلاثة أعيادها هدية ، دون عذر ولا تأخير ، وأن يخيظ لها^(٢) بدون أجره لنفسها خاصة دون غيرها . وتاريخ هذا الصك ديجبر عام ثلاثة وتسعين ومائتين وألف .

(١) من النسك الذيفة ان هذه الدونة النصرانية تشترط على رقيقها يعيش المسلم

ان لا يشرب خمرًا وان شرب يرد الى الاسر

(٢) لأنه خياط كما تقدم

ثم ضمن يعيش المذكور على بن علي الفبري بخمسة مئاقيل ، و ابراهيم بن يحيى
 خمسة مئاقيل ، وزينب ابنة الحاج خمسة مئاقيل ، وقاسم بن احمد الحضرمي
 الاشبيلي خمسة مئاقيل ، ولب بن نصر القزاز خمسة مئاقيل ، وابنة سليمان التي كانت
 لابن يعيش خمسة مئاقيل ، وميمونة ابنة يحيى اللطلي خمسة مئاقيل ، وابنة عبد الحق
 الانصارى من مجريط^(١) خمسة مئاقيل ، وفاطمة ابنة احمد الانصارى من وبدة^(٢)
 خمسة مئاقيل وابن مرقح من مرشانة^(٣) مقاطع^(٤) ابي يوسف يعقوب البرجلوني
 اربعة مئاقيل ومحمد ابن احمد بن غرغل الخياط مقاطع اسحق الشتريني خمسة مئاقيل
 ومحمد عبد الرحمن الصفار مقاطع ربي بن قفاجة ثلاثة مئاقيل ، ويوسف ابن حسن
 الغماري القزاز مقاطع روبس بن دون روى ثلاثة مئاقيل ، وعلى بن يوسف البهلي
 ثلاثة مئاقيل ، وفاطمة ابنة محمد مقاطعة امثليجة الحكيم اربعة مئاقيل ، و ابراهيم
 ابن مالك القران مقاطع ربي قسيم السوفر خمسة مئاقيل ، و ابراهيم بن عمر الاشبيلي
 مقاطع ابي اسحق بن الصباغ مثقالين ، وحسين الصباغ بن علي الاشبيلي مقاطع
 ابي الربيع بن صدوق مثقالين . فضمن المذكورون ما ذكر عنهم في يعيش المذكور
 لسيدته المذكورة ، وذلك على شرط انه إن يهرب يعيش في طلي القطيع فوجه^(٥) ولم
 يمحضروه لها فعليه غرم ما ضمنوه فيه لها .

وهناك صك مقاطعة لراهبة بدر شنت قلنت لملوكها فطيمة بنت عمر على

النحو المتقدم .

ومما يستجلب النظر ، ويطلع به القارىء على اصطلاحات النصارى في ما يكتبونه

بالعربية في ذلك الوقت هذا الصك :

كتاب معاوضة صحيحة تكيفت باسم الله تعالى وحسن عونيه بين الكندتور^(٦)

(١) Madrid (٢) Ubda ويقال لها ابدة أيضاً

(٣) Marcina (٤) مقاطع اى مكاتب بالفتح

(٥) اى اعلاه (٦) Comanador

دون جيل الذي هو الآن كندتور دار شنت ياقب^(١) للاصيطال^(٢) ، وعلى حبوبات الرتبة الافرازية^(٣) بها وبين الابطيشة الجليلة دون سيسيلة التي على دير شنت قلنت أتمام الله الخ .

ولما كان اليهود في كل مكان وكل زمان يتعاملون بالدين ، ففي هذه المجموعة صور مئات من السندات المالية أكثرها لهم نذكر منها بعض أمثلة : للأمين أبي الحسن زيزه بن ربي بن أبي يوسف أعزه الله ، قَبِل دون بطرو البرقنطى ، وقَبِل زوجه لته وفي مالها وذمتها ، وعلى جميع أملاكهما وأحوالهما كلها حيث كانت وعلت لهما دَيْنًا لازما وحقا واجبًا ، سبعة مناقيل ونصف ذهبًا فنشياً الخ

ومثال آخر : لأنى سرور فرج بن أبي عمران مرال الاسرائيلى ، قَبِل دون غرسية غلبالم شبرين التُننقى^(٤) دون غرسية الذى كان من قاعدة شنته مريه وهو بل مريه لنبرت^(٥) من ر بوض الافرنج دينا لازما اثني عشر مثقالا وثمان فونشية لانصافه من ذلك شهرين اثنين تاريخ هذا السكتاب ، وداخل ضامن غارم عنه في ذلك اللون دينة انطلين البطير بن دون انطلين ، من ر بوض الأفرنج ، وإن كانت قلبية في ذلك فيكون عليهما على مالها ، في تاسع يوم من شهر مارس سنة تسع وخمسين ومائتين للصفرا ه . ونمته الشهود

ومثال آخر : لأبى عمر بن الشيخ أبى سليمان بن أبى عمر بن نحميش الاسرائيلى قَبِل الوزير دون ييطروه بوانش ، وقبل زوجه الجليلة دونه طريشة^(٦) بنت الوزير القاضى دون جوان بونش أعزها الله ، واجب خمسون مثقالا فونشياً لينصفاه دينه

Hospital (٢) Santiago (١)

(٣) الرهبان وفي المغرب يقولون لهم افرايزلية وهى محرقة عن افرايزية واصل معناها الاخوان

Canonigos (٤) فى الترجمة الاسبانوية

Theresa (٦) Lonbert (٥)

يوم فصيح شنت ميقاتيل الآتي لتاريخه ، وإن عجزوا عن انصافه إذ ذلك يفرّما له قوط رباعى كل يوم يجوز بمد الأمد المذكور ، وإن طلبا منه يميز يفرّما له قوط خمسة مثاقيل ، وبظهور هذا الكتاب و بعد فصره عليهما فى رابع وعشرين ابريل عام ستة وثمانين ومائتين وألف للصفراءه . ثم الشهود

وفى هذه المجموعة صكوك من أنواع متعددة ، منها وصايا ، ومنها رهون ومنها مصالحات ، ومنها صكوك شركات ، ومنها مزارعات ، وما أشبه ذلك . لنذكر منها صك مزارعة على سبيل المثال ، وهو هذا :

أنزل القس ماير ديمتقُ المستعربى من كنيسة شنت مارتين ليوان فرنندس فى الأرض المعلومة له بحومة جبل حمارة ، عمل طليطلة حرسها الله ، حدها فى الشرق غرس بيطرو مرتينس ، وفى الغرب أرض بيضا ، وفى القبلة رأس جبل حمارة المذكور ، وفى الجوف غرس غنصالبه الجزّار ، فى أرض القس المذكور بالمناصفة ، وذلك بشرط يأتي ذكره بعد هذا ، ليفترسها يوان المذكور بقضيب الزرجون ، ويعتمر بالزبر والحفر والثنا فى كل عام ، مدة خمسة أعوام ، أولها تاريخ هذا الكتاب الأعوام المذكور ينقسم الفرس على ثلاثة أثلاث ، يأخذ صاحب الأرض الثلث الواحد يأخذه الخيار فى أحد الجانبين ، والمقرنن الثلثين متصلين عن اغتراسه واعتماره . فى أول شهر مارس من سبعة وتسعين ومائة وألف من تاريخ الصفراءه .

وهذا الاصطلاح بقولهم « أنزل » فلان لفلان فى الأرض الفلانية على شرط كذا وكذا مستفيض فى هذه الصكوك

ومن غريب هذه الصكوك صك ما يتضمن استرهان الأسارى والتعامل بهم كأنهم من جملة الأموال : أشهد دون مرتين فرنندس القرمادى بن دون فرنندو القرمادى وقهما الله على نفسه شاهداً آخر هذا الكتاب أنه قبض الآن من أبى الحسن بن يامن بن أبى اسحاق البرجلونى الاسرائيلى أعزه الله الثلاثة اسارى الذين استرهنهم لدونه أورابونه زوج فيدلقه عن دينه المترتب له قبلها ، وهم الأسارى

سليمان الذي كان لدون ميقاتيل خريديش ، وعبد الله اللوشي السكوسيج^(١) ، ويوسف الغازي الصغير ، الذين قيمتهم خمسون مثقالاً فونشياً ، صرفاً طيباً ، وصارت عنده الأسارى المذكورين . وفي ملهكه ، وعلى شرط وربط أن يصرفهم لأبي الحسن بن يامن المذكور ، متى ما يطالبه بهم . وبدوم أخذهم منه على كل حال من الأحوال ، وإن عجز عن احضارهم له عندما يطالبه بهم فليغرم له قيمتهم الخمسين مثقالاً . سادس عشر أو كطوبر عام ثمانية وسبعين ومائتين وألف للصر . ثم الشهود اه .

ومن الصكوك المتعلقة بأسارى المسلمين مايتى :

ضمن للأبداسة^(٢) الجليلة دونه لوقاديه فرنندس التي على راهبات دير شنت قلنت ، ادام الله كرامتها وجه أميرها احمد بن يوسف الرحوى الأهمر من يوسف والد المضمون أحمد المذكور ومريم ابنة محمد زوجة يوسف والدة أحمد المضمون ويوسف بن محمد المعروف الشقيق ، ضمان وجه واحضار ، على شرط أن يمضى أحمد المضمون المذكور مسرّحاً من التقاف من الآن لتام أربعة أعوام . فان هرب في طىّ الأعوام المذكورة ولم يحضروه لسيدته المذكورة على الحلول من هروبه ، فعلى الضمان المذكورين غرم مئة مثقال فنشية ، صرف كل مثقال منها خمسة عشر ديناراً ، وعلى المضمون المذكور أن يعطى لسيدته الابطيشة المذكورة في كل شهر طول

(١) الكوسج بفتح السين الذى لحيته على ذقنه لا على عارضيه وهى لفظة فارسية وهو فى العرق الأنط ولد كنبوها هنا بيا . وهو خطأ ولكن الأندلسيين كانوا يتكلمون بالأمانة ويقولون للحكم مثلاً الحكم ، بالكسر وللأمام الأوزاعى الامام الأوزبى ، ويقولون ، سنه ، بكسر السين والنون بدلا من سنة ، بفتحها ولهظهم هذا أشبه بلفظنا نحن فى بر الشام وبقولون ، زمان ، بكسر أوله ويقولون ، فرقد ، بكسر القاف ويقولون ، كتيب ، أى ، كتاب ، ويقولون ، برى ، بكسر الباء بدلا من ، برى ، بالفتح ويقولون ، خمسية ، كما نقول نحن فى سورية لا خمسية وهلم جرا

(٢) بالترجمة الاسبانية Abadassa ولعلها الابطيشة التى مر ذكرها أو تقرب

منها ومعناها ظاهر وهو الراهبة الكبرى

الأربعة الأعوام المذكورة متقلا واحداً ، شهراً بعد آخر إلى تمام الأربعة أعوام ، دون مطل ولا تسوية بوجه ، وفي الشهر الذي يمجز المضمون المذكور عن آداء المشاهدة المذكورة فعلى الضمان المذكورين إحضاره لسيدته المذكورة أو يقرموا لها المشاهدة المذكورة ، وإن عجزوا عن غرم المائة مثقال المذكورة أو عن المشاهدة المذكورة ، فقد فوضوا له وللمستظهر بهذا الرسم التقبض عليهم وثقفيهم في ثقافها ، ولا ترحمهم منه إلا إذا أنصفوها من الضمان المذكورين من الجائز عليهم من المشاهدة المذكورة ، دون أمر حاكم بوجه من الوجوه . في العشر الاوسط من شهر ديجبر سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف للصفري . والشهود : محمد بن عبد الرحمن ابن محمد ، وطلى بن يحيى بن محمد الانصاري

ومثله صك تضمن به عائشة ابنة احمد السكوني ، زوج داود الأسمر بن سايجان ، أسير دون غنصالبه الفونش بن دون الفونش بيطروس سر باتش^(١) وذلك زوجها المذكور داود ، ضمان وجه واحضار ، على شرط أن يمشی الاسير داود ويتصرف في أشغال سيده ، حينما يأمره بالحاضرة والبادية ، فان هرب ولم تحضره زوجته فقد فوضت له التقبض عليها ، وثقيفها في ثقافه بدون أمر حاكم . وتاريخ هذا الصك الخامس والعشرون من شهر يونيو من عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف للصفري ، وشهوده احمد بن محمد بن احمد الأنصاري ومحمد بن عبد الرحمن بن محمد

ومثله ضمان نزهة بنت سعيد الاور بولى^(٢) ، ووالدتها عايشة بنت سعيد الحداد من لورقة^(٣) . وجه زوجها احمد الحداد بن علي ، نحو سيده دون غنصالبه الذي مر ذكره ، ضمان وجه وإحضار . وإن هرب المضمون فتنفّر من نزهة وعائشة خمسمائة مثقال من البيض . وتاريخ هذا الصك حادي عشر يونيو عام خمسة وثلاثين وثلاثمائة

Servatus (١)

(٢) نسبة الى اوريوالة Orihoala

Lorca (٣)

وألف ، وشهوده : علي بن أحمد بن حسن بن عبد الله الأنصاري وعلي بن قاسم بن علي بن الصيقل الانصاري^(١)
ومثله :

اعترفت شمسى^(٢) بنت لب الفخار المعروف الفزبل^(٣) وبنت عائشة المعروفة الروية اعترافا صادقا أنها تضمنت وجه زوجها شعيب الرحوى بن محمد المعروف بالمطيرش وحفيد غالب السمار نحو المطران الأعز الأكرم دون غتار غومس^(٤) ضمان وجه واحضار طلي النط الذى تقدم ، وتاريخ هذا الصك الخامس والعشرون من شهر ابريل عام ثلاثة وخمسين وثلاثمائة وألف ، وشهوده : أحمد بن علي بن محمد ، ويوسف ابن قاسم بن يوسف الانصاري وابراهيم بن أحمد بن ابراهيم .
وهنا صك وقف يجدر بالنظر :

وقف الدياتن مرتين من كنيصة شنت مرية أم النور بطليطة حرسها الله ، في مجلس القضاء أعماه الله بالسوام ، بين يدي الوزير القائد عمران ، وقفه الله ، عن تقدم الوزير الجليل القاضى الأطلي ، أبي الحسن حاتم ابن حاتم ، أدام الله توفيقه وتسديده وذكر ان الشنيور يوان رودميروس في أيام حكمه الحضرة المذكورة ، أمر لسانجة قزلون بدار بحومة القاعدة المذكورة ، وحازها وسكن فيها ، إلى مدة وفاته ، في خدمة السلطان واستظهر بمقد بذلك ، فأعذر إلى الدياتن المذكور ليستظهر بكتاب من

- (١) يكثر ذكره الانصاري ، في عرب طليطة وهو يؤيد ماروى من كون اكثر قبائل الاوس والحزرج لأول فتح الاندلس نزلت في طليطة ونواحيها
(٢) يلزم أن تكون «شمسه» ولكن الاندلسيين يتكلمون بالامالة كما قلنا فالكتاب كتب الاسم بحسب ما كان بلفظ عندهم وقال «شمسى» ، والآن في سورية يلفظون «شمسه» ، كأنها «شمسى» ، الا في أماكن معلومة لا يتكلم أهلها بالامالة
(٣) حقها ان تكون «الغزال» ، ولكن الامالة الاندلسية جمعتها «الفزبل» ، وفي

الترجمة الأسبانية Algazil

Gilierre Gomez (٤)

الشيور المذكور ، إذ لا مفتح في العقد ، فرغب الى الوزيرين الجليلين القاضي الأعلى أبي الحسن حاتم ، وصاحب المدينة زيد بن حارث^(١) . أعزهما الله ، ليتفضلا عليه بخطاب منهما ومن القونثلى^(٢) أبقام الله ، إلى الشيور المذكور . فأدنى له بذلك ، ثم بعد ذلك أحضر الدياقن عند من وقفه الله مرتين^(٣) الناظر ، وبيطره ناغروه^(٤) وبرمندة بلايس وبيطره بلايس^(٥) ، وخلف بن رزق ، وعبد الله بن ماضي وشهدوا عنده في مجلس نظره ، وبمخضر من الحاكم مرتين غرميس ، أنهم أشهدم الشيور يوان رودميروس وبأيديهم خطاب لطيبى^(٦) الى الوزير الجليل القاضي الأعلى أبي الحسن حاتم ، والوزير الجليل صاحب المدينة أبي زيد بن حارث ، أعزهما الله في الدارين ، اللتين قلت لى أنا أعطيت الواحدة لشانجة ، والأخرى لميقايل ، فثبت عندهما ، وقفهما الله ، ذلك وأمضياه ، وأنزلا الدياقن المذكور في الدار . وتاريخ هذا الصك شهر مايو سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف لتاريخ الصفر . ومنه يعلم أنه في ذلك التاريخ أى بعد أخذ الاسبانول لطيطلة بنحو من مائة وسبعين سنة كان يوجد فيها قضاة من العرب أو المستربين ، وكان صاحب المدينة أيضاً منهم .

ومن الصكوك التى استرعت نظرنا حكم يتعلق بصداقات الامبراطور الاذفونش

السادس جاء فيه :

فلما وقف الوزير القاضي المذكور مع من ينزل اسمه أسفل هذا ، من أهل الشورى مع اسمه أدام الله عز جميعهم ، على جميع ما تقدم ذكرهم ، من احتجاجها ، وعلم ما استظهر به كل واحد منهما ، من فوائد وأصول ما بيده ظهر لهم دام عزم أن الامبراطور قدس الله روحه تصدق بما كان له في القرية المذكورة على الدير المذكور

(١) كان العرب يسمون والى البلدة من قبل السلطان بصاحب المدينة

(٢) فى النص الاسبانى Concilio

(٣) Martlin (٤) Negro (٥) Pelayz

(٦) أى لاتينى العبارة

(إلى أن يقول) ولما يعلم علماء جميعاً أن أغلب قرى مدينة طليطلة حرسها الله لم تصر لأربابها المالكين الآن لما إلا بمطية . . . أو بسطية من تقدمه من سلفه الشريف الكريم رضى الله عنهم جميعهم دام عزهم ، أن يحدوا القرية المذكورة محل غيرها من القرى المطاة من عندهم ، رضى الله عنهم فأوجبوا حكماً منهم من السنة للدبر المذكور لتكون له مالا وملكا على مقتضى السك المزيز المؤرخ المذكور ، وكل استثناء استظهر به المتكلم عن ورثة عبد الملك بن هارون رحمه الله وأكرمهم اسقطوها لوجوه كثيرة اه . وفي الآخر يقول : وفي الأصل الذي انتسخت هذه النسخة منه أسماء الحكام أهل الشورى الذين حضروا الحكم المذكور وأمضوه أعز الله جميعهم . بخط مجمى : اغوغنصالبة^(١) أرسيسبولولاطانة برماط اسبانية^(٢) وبخط عجمى : اغوديمنش ارجيديا قذش مجريط . وبخط عجمى : اغوجرنانش برشتر طولطانش كوفورم^(٣) . وبخط أعجمى : اغوبطروش ديس القائد كوفورم . وبخط عربى : سلون بن على ابن وعيد . وخير بن سلون بن على بن وعيد . وخالد بن سايمان بن غض بن شربند وبخط عربى : انا فاحنش الأسقف لسكورة لبله^(٤) خيرها الله ، ويوشاب الارجش ابن منصور حضر ذلك . ويوشبش القس بن عبد الملك . وباطره بن عمر بن غالب ابن القلاس . اشتابن بن يليانس .

انتهت النسخة وذلك في شهر ابريل عام اربعة وعشرين ومائتين وألف للصفري .
 عمر بن عبد الرحمن ، ويوسف بن عبد العزيز ، وموتين بن حسن
 ابن عبد العزيز الخ .

ويوجد جم من الاحكام على هذا النسق ويظهر ان ملكتهم فى المرية

(١) Ego أى أنا

(٢) اسقف اسبانية الأعظم

(٣) Conforme أى مطابق

(٤) Niebla

أخذت تضعف بمرور الأيام فتجد صكوكا وأحكاماً كثيرة ملائمة من الخطأ
واللحن مثلاً :

كانت قرية دار الخازن من قرى الحاضرة طليطلة حرسها الله من إمام المسلمين
معتلة الناعورة ومشرعها واقفة ، فوقع اتفاق أهل القرية المذكورة من المدرجين^(١)
ليمرروها ، وإقامة ما وهى منها ، وتجديد ما عهد لها ، وكان بها حبسان أرض بيضا
للكنيسى شنت لوقادية الخارجة عن الحاضرة المذكورة ، وشنت مرتين بها عرض
المدرجون واللايقون على الخدام بالكنيستين المذكورتين ، عرضهم فى إقامة الناعورة
وتجديد ما وهى منها ، فادعوا عندهم بقلة ذات اليد من أنفسهم ، ومن رسوم
الكنيستين ، فرأى المتقدمون بالذكر اعراض ذلك ثانية على المطران الفاضل ديمه
برندئه ، كنبيل البيعة المقدسة أدام الله توفيقه وتسديده لما إليه تفويض الحبسان ،
والنظر من الديارات ، وانه رأس الامامة بالقاعدة شنت مرية ، أم النور بالحاضرة
طليطلة أدام الله حماها فظهر إليه ومن حضر قعدودته^(٢) من أئمة النظر فى ذلك ،
وأمر السالى أمره أن يعطى هذين الحبسين لمن يتمرهما باسم المسافة إلى مدة الخ
وهذا كتاب صلح :

هذا كتاب وقع الاصطلاح عليه ، وجرى الاقتصار اليه ، ما بين هند بنت
جبران وبنى أخبها الوزير ماير تمام رحمه الله غرسية وأولياليه ومريه ، على ما يأتى
ذكره بعد هذا ، وذلك أن يعطى غرسية لهند عمته المذكورة جميع حصته فى جنان
أبيه المختلف له ولأخته المذكورين المعروف بهد المسلمين بجمعة الحنشى ، برىض
طليطلة وبجمعة مرج القاضى الخ .

(١) تتكرر كثيراً فى هذه الصكوك لفظة المدرج ، و المدرجين ، وفى الترجمة

الاسبانية التى بازاء الأصل العربى تفسر بلفظة Racionero

(٢) هكذا وجدنا هذه اللفظة والاشبه أن تكون محرفة وأن تكون قعدوته ،

فالقعدوة هى المجلس وأما القعدودة فلم نجدها

ومن الوثائق التي اطلعنا عليها عقود أنكحة كالذي يلي :

كتاب إيجاب واختطاب ، وعقد نكاح وارتباط ، أمر بقده والاشهاد على نفسه بجميع ما فيه دون ديمته بيطريس حين مراقة^(١) الخامين ، وبدل العربانيين^(٢) بعد تقديسها بينه وبين دونه لوقادية التي كانت زوجاً لدون رودريغ د مرسيه عن بنتها دونه يوشته البكر التي في حجرها ، وتحت ولاية نطقها ، لتكون دونه يوشته المذكورة لهذا دون ديمته بطريس المذكور زوجاً سنياً ، وصاحبة مرضية ، كالذي توجهه الشريعة المتوليقية ، ونحط عليه الديانة الحوارية ، وعلى أن هذا دون ديمته بيطرس المذكور أوجب لخطيبته المذكور عن الأزواج بها يمين الله مهرأ لها عشر جميع ماله أناناً وعقاراً ، حيث كان ، وابن علم ، وعلى أن ينقدها أيضاً عند الابتناء بها هدية موهوبه لها . وذلك خلدي^(٣) ، وفنك^(٤) ، ورداء ، وقناع ، وخف ، وجورب ، تفعل في جميعه بحول الله عند ذلك ما واقفها كفصل ذى المال في ماله ، وجميع ما يكتسبه الخطيبان المذكوران من وقت ازدواجهما فانه يكون بينهما سوية بالمناصفة والاعتدال إن شاء الله ، والتزم الخطيب المذكور احضار الهدية المتقدمة الذكر ، والانفاذ بها لخطيبته المذكورة ، عند الابتناء بها يمين الله وتوفيقه . والتزم المهاران المذكوران أيضاً إكمال ذلك كله بحول الله بمد أن قبض كل واحد من

(١) المراهقة المقاربة

(٢) العربان والعربون بضم أولهما والعربون بفتح الأول والثاني هو ما عقد به المبايعة من الثمن أو هو ان يعطى المشتري شيئاً من الثمن أو المستأجر شيئاً من الاجار ثم يقول ان تم العقد احتسبنا وان لم يتم فما أخذته هولاك . ونحن في الشام نقول العربون والعامية تقلبه فتقول الرعبون . ويظهر ان الأندلسيين استعملوا العربان وهو صحيح فصيح ومن العادة في الزواج عند النصارى ان يتعاطى العروسان الخواتم والعربون أو العربان وهذا قبل البناء

(٣) في النص الاسبانيولى Unos Pendientes

(٤) في النص الاسبانيولى Una Alfaneja colcha

الخطيبين خاتم ثابتة عرباناً لما وقع الاتفاق عليه ، والارتباط إليه ، بتأييد الله ، مما ذكر فوق هذا ، بعد المعرفة منهما بقدر ما ارتبط اليه المتأخرين المذكورين ، على سنة النصارى في ازدواجهم الجيأز عندهم ، بعد أن أعلنت الدونه بوشة المذكورة بذلك كله ، ورضيت به ، وأشهدته أيضاً به على نفسها ، وذلك في اليوم الرابع والعشرين من شهر مارس سنة ثلاثة وعشرين ومائتين وألف للصفر ، ووقع الاشهاد اليوم الخامس والعشرين من الشهر المذكور .

ومن الوثائق التي يستدل منها على رسوخ الثقافة العربية في طليطلة صك وصية للقس ماير^(١) عبد العزيز بن سهيل يقول فيه :

لما مرض القس ماير عبد العزيز بن سهيل رحمه الله المرض الذي توفي منه أمر بكتب وصيته وإفاد متضمنها على أيدي النابه^(٢) القس وماير قرشقبول من شنت مرتين ، ويحيى بن عبد الكريم ونسخة الوصية كذا :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى به القس ماير عبد العزيز بن سهيل ، وهو بحال الصحة والجواز والطواعية ، مؤمن بالأب والابن والروح القدس إله واحد ، وبالسنبل^(٣) الذي هو وثيقة الايمان وبالأناجيل الأربعة ، وبما أمر به الحواريون ، والآباء المقدسون ، فأوصى إن حدث به حدث الموت أن يعطى للقادية الساكنة معه ، والخادمة له ، جبل الفرس الذي عند الطريق ، بدار الخازن ، وثلاث الزرع ، وسبعة مثاقيل مرابطية عن دويرة كذا (إلى أن يقول) : وما يبقى يعطى عن روحه لتيسين أو ثلاثة من أصحابه عن أربعين مئة ، وما بقي يعطى للمساكين ، وعن لبنان للكتائس ، وكرم الفندرى يكون باقياً في أيدي الأوصياء وما قام فيه يخرج منه بما يُخدم . وما فاض يكون منه خمسين ربماً والغير يكون منه الثلث في زيت ولبان وحطب ، والثلث

الثاني للأمرى ، والثالث للمساكين . وجعل هذه الوصية والعمل بها إلى يحيى قرمانه ، والقس دون قرشتوبل ، والقس النايه . ليكلوا ذلك حسب ماوصفه . ومن مات منهم يترك من يقوم مقامه عن خدمة الكرم . وكتب في يوم الثلاثاء الثامن من شهر ديجمبر من عام ثلاثة وستين ومئة وألف . فأنفذ الأوصياء جميع ما أمر به في هذه الوصية ، وما أمر به في الكرم المعلوم له بدار الخازن . وقد يفسر فيها . فلما بقي الكرم بأيدي الأوصياء مدة ثلاثة أعوام ، واعتمروه عمارة جيدة ، لم يكن فيه فائد للشرائع والأمرى والمساكين ، حسب ما كان ظنه الموصى رحمه الله واعتقده فيه ، فلما صح عند الوزير القاضى أبى الاصبح بن لنبطار^(١) وقفه الله ، قلة فائدته ، وأنه على غير ماظنه الموصى فاعتقده فيه ، أخذ في ذلك مع من وجب الأخذ معه فيه ، من كبار مدينة طليطلة من المدرجين والمستمرين والقشتيليين ، فرأى الوزير القاضى المذكور معهم أحباس الكرم المذكور على قاعدة شنته مرية ، بمحضرة طليطلة ، أدخلنا الله في شفاعتها ، لما ظهر إليهم من قلة الفائدة العائد إليها ، وكثرة مؤنها بعد رغبة جميعهم إلى الأوصياء ، والتعامل عليهم في ذلك ، فاسعفوا الرغبة ، وصح احباس الكرم المذكور ، على القاعدة المذكورة عن شرط على أهل القاعدة ، أن يكون اسم القس ماير عبد العزيز بن منصور رحمه الله في جملة أسماء التوفيقين المتوفين بالقاعدة المذكورة حسب رتبهم وسيرهم الخ ، وتاريخ هذه الوصية مع حكم القاضى شهر يوليو من سنة سبع وستين ومئة وألف . وبعد ذلك الشهود منهم من هو وضع شهادته بالعربى ومنهم من هو واضح شهادته بالأسبانى

وهذه وصية ثانية :

هذا ما أوصى به وعهد بتنفيذه ، حسب ما يأتى الذكر فيه الوزير القاضى دومنق انطولين ، أعزه الله وهو عليل في جسمه وثابت في عقله وذهنه مؤمن بالأب

والابن والروح القدس الله واحد ، ومعتقد بما بشر به الحواريون ، ووصفه الأنبياء المختارون ، خشية الموت ، وحلول القوت ، الذي لا بد منه ، ولا يحيص لأحد خلق الله عنه ، فأول ما أمر به شفاه الله أن يمثل بمد عينه إن توفاه الله تعالى ، أن يزين على أقباره حين دفنه ، ومدة الثلاثة أيام بجميع أئمة البلد من أهل الكنائس بمد اندابهم بمن حف بهم من أساقفة ومدرجين ، على حسب رتبهم ، وإن كان المطران حاضراً فيندب ، وله الأجر والثواب إن يحضر ويزين مع من حضر مدة الثلاثة أيام المذكورة ، وبعد الثلاثة أيام فليستمر مدرجين كنيسة شنته لوقاضية ، التي داخل المدينة باليزين إلى تمام تسعة أيام . وأمر أن يعطى للمطران الأجل أكرمه الله خمسة مثاقيل ، وللأسقف دومنه يوانس المرشاني مثقال والاسقف دومنه فلقيس مثقال فينا الخ ، وبعد أن عدد جميع ما أراد الايضاء به بالتدقيق من عقار ولباس وطعام ومال صامت وناطق ، ذكر بأن يخرج جميع ما ذكر من ثمن غنمه وبقره ودوابه ، ورمال كه وخنازيره ، ووهن مانتاني ومن الكاس الصمير الفضة ، وأمر أن يعطى ليوان مستعرب الكاب ، وما يبقى بعد هذا كله يكون لأخته دونه مريه وبنيتها

وفي وصية أخرى للمسيمة دونه لوقادية بنت يوانس ، بعد ذكر الديباجة المصطلح عليها في أول الوصايا ، وذكر جميع ما أرادت توزيعه على الكنائس والقسوس والصواحيات تقول : وأمرت أن تكون الأسيرة عائشة التي لها فيه النصف تُرد نصرانية إن هي شامت وتنصف دون غرشيه عن نصيفته من ثمنها بما اشترت ، والنصيفية خمسة مثاقيل من مالها ، وتكون حرة من أحرار النصراري فيما لهم وعليهم ، تصير حيث تشاء ونهوى ، بعد أن تخدم للون غرسية عام واحد لاغير .

وقرأت في وصية أخرى من دونه قرشتينة بنت اندراس بعد الايضاء للكنائس ولقسيسين وللأصحاب ولذوى القرابة ما على :

وعهدت الموصية المذكورة في أسيرتها مريم زوج عبد الله القرزاز ، أن تكون حرة من أحرار المسلمين في مالهم وعليهم ، عن عشرة مثاقيل ذهباً قشياً ، كانت

الموصية المذكورة قد قبضتها باعترافها من عبد الله الفرار زوجها المذكور . ولذلك
انقطع عن مريم المذكورة جبل الرق ، فتملك مريم المذكورة نفسها ، نهض حيث
تشاء الخ .

وقد أكثر هذه الوصايا بذكر شيء من المال لفنكك أسرى النصارى ، وقد
كانت الحالة عندهم كما عند المسلمين ، فأصحاب الخير والاحسان ، ولا سيما النساء من
المسلمين ، كانوا يوصون بجانب من أموالهم لفنكك أسرى المسلمين في بلاد النصارى
وكذلك أهل الخير من النصارى ، ولا سيما النساء ، كانوا يوصون بشطر من أموالهم
لفنكك أسرى النصارى في بلاد المسلمين . قرأت في وصية للسمى دون رودريغة
شابطورس بن دون شلبطور بن الوزير دون يوان ميغاليس مايلي :

أمر أن يزبن عايه في كفته ، وأيام زيارة قبره ، ودفنه ، في جميع ما احتاج إليه
بما يقوم في ذلك ويليق بمثله . ويكبن دفنه في قبر والده دون شلبطور المذكور ،
بالقاعدة شنته مريه ، وأمر للقانونيين بها عن دفنه بها ، وعن أن يذكره في
صلواتهم ، عشرين مثقالا ، وأمر عن ميشات^(١) عن روجه مفرقة على أئمة كنانيس
الحضرة مئة مثقال ، وأمر عن فك أسارى النصارى المال في أمر المسلمين خمسمائة
مثقال ، وأمر عن قبلاية^(٢) بالقاعدة شنته مريه ثلاثمائة مثقال ، على شرط أن يقدر
ميشة كل يوم عن روجه ، لمدي الدهر ، في هيكل من هياكل القاعدة المذكورة ،
ويضع انشار يوه^(٣) كل عام عن روجه قانونيين القاعدة المذكورة ، كما العوائد
وبذلك يصح لهم القبلاية ، بنى الثلاثمائة مثقال المذكورة ، وأمر لمعلمه ومعرفة
القس دون شانجه ، من كنيسة شنت يوانس ، عشرة مثقالات ، على أن يقدر

(١) جمع ميشة وهي ما يقول له نصارى الشرق القديس

(٢) خدمة كنسية

(٣) هو ما نسميه بالهول وبالفرنسية Anniversaire

مدى عام ميشات عن روحه . وفي آخر الوصية بعد ذكر الخيرات كلها يقول :

وقيد فيه عن أمره على يدي والدته ، دونه سقى المذكورة ، ثقة منه بديانتها وحسن أمانتها ، أنها تفعل في ذلك كله فعل من يعلم أن الله لا يخفى عليه خافية في سبواته وأرضه ، والتاريخ شهر يونيو سنة تسع وأربعين ومائتين للصف

وفي وصية للدون ملندة فرندس ابن الوزير القاضي يقول : فأول ما أمر به أن يعطى لمعلمه القس جوان مثقالا واحداً ، ويحل عن روحه الفين ميشه ويخرج أيضاً من بلاد الاسلام أسير بالغ مبالغ بمشرين مثقالا .

وفي وصية للدون غصالبه خل تاريخها شهر اكتوبر سنة اثنين وسبعين ومائتين وألف . أمر متى توفاه الله ان يعلم ماله كله ، أصله ومتحركه ، أثماناً وعقاراً ، دقه وجلده ، جامده ومتخلخله ، ويخرج منه عن خمسمائة مثقال فونشية ، وتبذل عن روحه ، الى أن يقول : ويعطى في استنكالك أسارى من بلاد الاسلام ستين مثقالا الخ

وفي وصية للدون بطره شامجه من جماعة شنت رمان ، وصهر دون جوان اشتا ابن دى البقال ، يقول من جملة وصايا عدة : وأمر لزينة افرارين قلعة رباح مائة مثقال فونشية على شرط أن يدفوه الافرارين منها هنا بطليطلة بشنته فليج ، ويزينوا عليه كما لو كان افرارى منهم ، وأمر بان يفك زوج نصارى اسيرين في بلاد الاسلام بما يقوم في ذلك

ومن أطول الوصايا التي اطلعنا عليها في هذه المجموعة وصية للسمى الدون الفونش^(١)

مناوش بن دون مناوش بن دون ميغال بن فرون ، أمر بانه متى توفى يعلم ماله كله ، قليله وكثيره ، ويبذل عن روحه في سبيل الله ، وأن يزين منه عليه في دفنه وكفنه بما يليق للثمة ، ويكون كفنه من الصوف أرخص ما يوجد للشراء ، ويوقد عليه زوج قناديل ، يكون زيتها ربع واحد فقط ، وزوج قناديل أخرى صفار . توقد حيث

يكون جثمانه ، ودفنه يكون بكنيسة شنتة لوفادية ، بقبر جده ، ويزين عليه تمام الحنين يوماً ، وتمام العام ، وتكون القناديل لذلك مثل القناديل المذكورة ، ويقدم عليه مشيتين في كل يوم من يوم دفنه إلى السابع يوم ، ويفرق على المساكين في كل يوم طول السبمة أيام مثقال وأمر أن يتناعوا أو صياؤه المذكورين بعد هذا ملكاً بمائتين أو ديار مائة وثمانون مثقالاً ، وتحبسها زوجه دونه ميورى طول حياتها ويسل من فائدها قبلانية عن روح الموصى المذكور تقديس ميشة واحدة في كل يوم للأبد ، وتعمل منه نفرشاربه ^(١) واحد عن روح الموصى في كل عام ، ثم أخذ في توزيع تركته على وارثيه ، وعلى من أراد أن يتصدق عليهم ، وعلى الكنائس والراهبين ، وحبس أملاكاً لوارثيه أن يستغلها ، بدون أن يكون لهم حق بالبيع ، وجعل شرطاً كبيراً من ثروته لزوجه دونه ميورى ، وأيضاً الاماء الست اللاتي كن له ثم قال : والمسلمتين الباقيات من مسلماته تبق لانصاف الوصية ، ولا يعترض أحد خلق الله لدونه ميورى ، والستة إماء المذكورات بوجه قال في هذه الوصية : وميز الموصى المذكور أن تبون المسلم والجمفر بن الجمفرين ، وإبراهيم الاحول والاسمر والاعرج المسمى دومنقه روبيوه وبكر ، اسم لزوجه دونه ميورى صارو لها باتراث عن أبيها ولها أيضاً في خاصتها احمدوج السقا ، ابتاعته من مالها المختص بها وقاسم وعلى هما للموصى ولزوجه دونه ميورى ، الحظ الذي فيهما للموصى يباع ويبدل منه في انصاف هذه الوصية ، وقطيع مريم وفضلوش الباقي منه هو لدونه ميورى ، ويكون لها في خاصتها اه . قلنا ذلك لأجل اطلاع القارى . على كيفية معاملة الاسبانول لأسرى المسلمين ، وتاريخ هذه الوصية سادس مايو عام ستة وثلاثمائة للصفر .

ثم اطلعنا على وصية لدونه متاية ^(٢) زوج الدون غنصالبه البطليرسا كنه بربض الافرنج من طليطلة نصها : بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد وحده . هذا ما أوصت

(١) Anniversaire بالافرنسية

(٢) Matia

به دونه متايه الخ وتاريخ هذه الوصية سادس ديجمبر عام عشرين وثلاثمائة وألف
لصفر . وفي تاريخ ١١٩١ صك يقول فيه :

اشترى يحيى بن محمد الانصارى ، من دون غليان القس ، لزوجه هند بنت
عبد الرحمن ابن محمد ، جميع الحجره التى بقرب كنيسة امنيوم شنتوروم ، بمدينة
طليطلة ، حرصها الله ، حد هذه الحجره فى الشرق قرال لورثة ديمتق اياس ، وى القرب
طريق فيه خرج الحجره المذكورة ، واليه يشرع بابها ، وفى الجوف دار ولد الشقيه
المسلم ، وفى القبلة قرال لورثة ديمتق اياس ، بشن مبلغه عشرة مثاقيل من الذهب
الطيب البياىى الخ .

وفى آخر المجموعة صكوك ووثائق خاصة باليهود ، نجد منها سطرأ بالعبرية ،
وسطرأ آخر بالعبرية ، ولا جرم أن يهود طليطلة كان لهم شأن عظيم يستدل عليه من
كثرة الوثائق المتعلقة بهم ، ومنها سندات لا تحصى لهم على نبلاء النصارى بأموال
وافرة . فقد كانوا هم المرابين فى تلك الحاضرة ونواحيها ، وكان عددهم كبيراً ، ومن
شاهد كنيس اليهود ^(١) الذى شاهده أنا بنفسي فى مدينة طليطلة ، وهو الذى يمد
من أنف نفائس الصنعة العبرية ، ولا يذهب سائح إلى طليطلة إلا ويشاهده ، علم

(١) الكنيس المذكور بنى فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر وقيل ان الوزير
صموئيل لاوى هو الذى قام بنفقة بنائه ، وكان فى طليطلة عدة كنس لليهود لكثرة
عدهم فيها وأحدهما حوله الاسبان الى كنيسة باسمه سان رومان ، اما ظن . توما
تامابو بركاش Toma Tamayo De Vargas ان كنيسة سانتا مارية البيضاء ،
أصلها كنيس لليهود وانه معبد قديم لهم وسابق لمعهد النصرانية وانه كان فى طليطلة
جالية يهودية لمعهد المسيح افرد احبارها بعدم استحداث الحكم عليه الى غير ذلك فيترجح
كونه تحرفاً وأحاديث ملفقة وربما كان بعض اليهود اخترعوا تلك الرواية من بعد ،
راميزها الى الزلفى لدى الاسبانول بعد ان ملكوا البلد . وعلى كل حال فليس فى كنيسة
سانتا مارية ، المذكورة ادنى شبه مع هندسة معابد اليهود بل كلها طرز عربى بحث
ان كان فى أقواسها أو فى نقش جيطانها أو فى زليجها أو فى تقسيمها وقد بنيت فى القرن
الثالث عشر مكان جامع كان تدعى الى الخراب

مكانة اليهود المادية والمنوية في تلك الحاضرة^(١)، وكانت لهم أيضاً بجانبها مكانة علمية أذنية، إذ نبغ منهم العلماء والادباء، وكانوا هم أكثر القائمين بترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية والاسبانية، بحيث انه بواسطتهم انتشرت علوم العرب في أوربة في القرون الوسطى. ولذلك قيل ان أوربة لم تعرف علوم يونان رأساً، وانما عرفتها بواسطة العرب.

فلم يخطئ الذين قالوا ان طليطلة كانت واسطة التعارف بين الشرق والغرب، وان المالمين الاسلامي والسيحي قد تلاقيا فيها. وقال المسيو جوسه P. Jounsei صاحب جغرافية أسبانية والبرتغال الصورة:

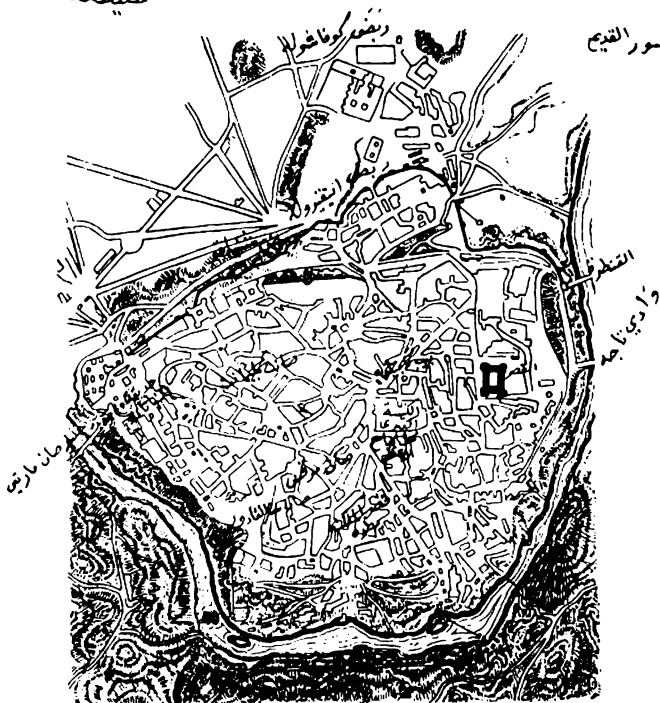
ان الرسوبات البشرية التي ثبتت في طليطلة، قد جعلت من هذه المدينة متحفاً حقيقياً، لا متحفاً كالمتاحف المعتادة، التي يجمع أصحابها فيها الآثار النادرة، جماعاً مصطنعاً حتى يأتي الناس ويطلعوا عليها، ولكنه متحف حقيقي أوجدته أعصر تباع عشرين قرناً، وكل منها ترك أثراً في طليطلة ومن زار أسبانية ولم يزر طليطلة فيعود كأنه لم يعرف أسبانية. فهي مدينة أصيلة ثابتة بارزة، ليس فيها شيء من المعتاد المألوف الذي ملته الأنفس، بل كل ما فيها أصل جليل يهيم الآثاري والمتفنن. وهي وحدها تستحق سياحة السائح الى أسبانية. ومدخلها قنطرة ذات قوس واحد على نهر تاجه. وعلى هذه القنطرة برج مكتوب عليه أن النهر طيني، فهدم الجسر، فرممه الاذفونش، الملقب بالحكيم سنة ١٢٥٢. ثم اكل نجيده بريماط أسبانية المطران تينوريو Tenorio سنة ١٣٨٠

وكان هذا الجسر من زمان العرب، بل يظن انه كان من قبلهم. وقد نقل « سلازار دو مندوسه » Salazar de Mendoza الكتابة العربية التي كانت

(١) وكان منهم عند ملوك الأسبانول وزراء وكتاب، وكان صموئيل لاوى ناظر الحزانة عند الطاغية بطرس الملقب بالصارم، ونفذت كلته عنده كثيراً وان كان قتله في الآخر

طليطلة

السور القديم



مزبورة على الحجر في هذا الجسر: الله اكبر والصلاة والسلام على جميع من آمن بالله ورسوله محمد^(١) ونقل الكونت دومورا de Mora كتابة أخرى مدفونة في باطن الجسر هي هذه: « بنى هذا الجسر بامر ملك طليطلة العظيم محمد سويد الجاشي بطليطلة حرسها الله وانتهى سنة ٢٠٤ للهجرة »^(٢)

وجاء في نفع الطيب: وطلبيطة قاعدة ملك القوطيين، وهي مطلة على شهر تاجه، وعليه كانت القنطرة التي يعجز الواصفون عن وصفها، وكانت على قوس واحدة، تكنفه فرجتان من كل جانب، وطول القنطرة ثلاثمائة باع، وعرضها ثمانون باعاً. وخربت أيام الامير محمد، لما عصى عليه أهلها، ففrazم، واحتال في هدمها. قلنا: أما هذه القنطرة التي يعجز الواصفون عن وصفها فلا يمكن أن تكون القنطرة الحالية، لأن هذه ليست بهذه المظلمة التي ذكروها، وان كانت جليلة في ذاتها. وهذه ذات قوس كبيرة واحدة، مع أخرى صغيرة. وقد كانت القنطرة المرية في مكانها، واسكن الوادي عند ما طغى ذهب بها، فرمها الاذفنش الملقب بالحكيم^(٣) ثم ان تنوربو الأسقف الأعظم برماط أسبانية، اكمل تجديد البناء كما مر

وعلى هذه القنطرة برج مبنى من سنة ١٤٨٤، ونمثال للقديس « سان ايلدفونس » وكتابة من زمن فيليب الثاني. وعلى الضفة اليسرى من نهر تاجه بقايا حصن سان «سرفنده» أو شربند، كما يقول العرب والفئة المستعربة من الاسبانيول. وهو حصن كان بناه على ذلك الجبل الاذفونش السادس، فاتح طليطلة، الذي في

(١) قلنا هنا عن جغرافية أسبانية والبرتغال المصورة تأليف جوسه Jousset ولم نطلع على الاصل العربي لهذه العبارة

(٢) لم نعتز على أصل هذه الكتابة بالعربي وإنما نقول انها غير ممكنة بهذا الشكل. ونحن نرويها عن جغرافية أسبانية والبرتغال لجوسه Jousset

(٣) Alphonse le Sage

(٤) Ildefonse

أيامه بدأ انهيار دولة الاسلام في الاندلس . ومن جسر طليطلة الى محطة السكة الحديدية مسافة يشرف منها السانح على منظر بديع ، والى الشمال الشرقى من المحطة يوجد بقايا حصن عربي قديم يقال له اليوم قصر « غاليانه » ^(١)

فأما أسوار طليطلة فهي موصوفة بالمنفة ومن رأى طليطلة يقول إنها لا تحتاج إلى أسوار ، لمنعة موقعها الطبيعي ، ولكثرة ما فيها من غور ونجد ، فهي في هذا المعنى أشبه بمدينة لوزان في سويسرة ، لا يكاد يجد فيها الإنسان مساحة مسطحة . تزيد على ٢٠٠ متر بل ترى للناشي فيها يصمد وينزل أبدأ ، وربما كانت طليطلة تفوق لوزان في قلة الاستواء ، فإن أكثر شوارعها لا تسير فيها العربات ، ولهذا تنقل المركبات في طليطلة ، والناس تنقل أشياءها على الدواب ، فكيفما توجهت في طليطلة تجد جر الأتقال ضربا من الحماة .

و برغم هذا فإن الملوك القابرين قد أحكوا أسوارها ، وجملوها طبقاً عن طبق ، فجمعت بين المنتمين الطبيعية والصناعية .

ومما لا نزاع فيه أنه مع كل ما بنى فيها الاسبانيول على أيدي مهندسين من الفرنسيين والألمان والطلبان ، وما بنوا فيها من الكنائس والأديار والمستشفيات والمدارس وما عنوا بتغيير شكلها العربي ، لا تزال المسحة العربية غالبية على هذه البلدة ، في ضيق الشوارع ، وقلة نوافذ البيوت ، وسمعة الدور الماخلية ، وحصانة الأبواب ، وغير ذلك من أساليب العرب في البناء ، ولا تجد الرهبان والراهبات مقيمين في أديارهم على الطراز العربي إلا في طليطلة . وقد نقل دابيل بديكر كلمة في حق طليطلة عن الكاتب الافرنسي المشهور « نيوفيل غوتيه » ^(٢) هي هذه ، وقد أبدع وصفها : « طليطلة فيها من الدير ، ومن السجن ، ومن القلعة ، ومن الحرم الاسلامي ، وذلك لأن العرب مروا بها » . نعم فيها من الدير لكثرة ماشاد الاسبانيول

Palacio de Galiana (١)

Theophile Gautier (٢)

فيها من الماهد الدينية تغطية لآثار العرب . وفيها من السجن لما يشاهد من الوثائق
والتنانة في مبانيها . وفيها من القاعة لكثرة أسوارها ولنمعة مكانها الطبيعي وفيها من
الحرم لأن بيوتها الأصلية هي بيوت عربية كسائر بيوت العرب في الدنيا
وأعظم بنية في طليطلة هي الكنيسة الكبرى التي يقول لها المستعربون «القاعدة»
وهي على اسم مريم العذراء . عليها السلام ، وفيها مذابح رومانية ، ومذابح نصف
عربية وهي في الحقيقة بيعة عظيمة بمنتهى الفخامة ، تمد من الدرجة الأولى في
كنائس العالم وموقعها بمخاء الأكمة التي عليها القصر Alcazar

ويقول المؤرخون عن تاريخ هذه الكنيسة انه في زمن ريكاريد القوطي
تشيبت سنة ٥٨٧ كنيسة باسم العذراء ، لا تزال هناك كتابة تدل عليها وكان
بجانبها دار أسقفية أقام بها القديسون أوجين ، وإبلاد ، وإيلديفونس ، وبلبان . وفي
سنة ٧١٢ ب . م . عند ما فتح العرب طليطلة حولوا هذه الكنيسة إلى مسجد ،
وكانت لهم المسجد الجامع ^(١) ، وتبقى الأمر كذلك إلى سنة ١٠٨٥ التي فيها استولى

(١) كان في هذا المسجد الجامع حوض أمر ببنائه الظافر بن ذى النون سنة ٤٢٣
وقد وجدت كتابة على بلاطة رخام بالخط الكوفي البارز هذا نصها بعد البسمة : أمر
الظافر ذو الرئاستين أبو محمد اسماعيل بن عبد الرحمن بن ذى النون اطال الله أيامه
ببنان هذا الجب بجامع طليطلة حرسها الله فتم بعون الله في جمادى الأولى سنة ثلاث
وعشرين وأربعمائة . وقد ظهر من هذه الكتابة التي نقلها لاوى بروفسال ان الظافر
المذكور تولى طليطلة بطلب من أهلها قبل التاريخ الذي ذكره المؤرخون فقد قالوا انه
جاء خلفاً ليعيش بن محمد بن يعيش سنة ٤٢٧ والحال ان هذه الكتابة مؤرخة سنة ٤٢٣
فهي تصرح بكون الظافر بن ذى النون هو الذى أمر ببناء هذا الحوض اذ اصطلح
الاندلسيون على تسمية الحوض بالجلب . وأما لقب ذى الرئاستين فقد لقب الظافر نفسه
به حتى يعلو عن لقب ذى الوزارتين الذى كان لقبه به الخليفة الأموى . وقد وجدت
كتابة ثانية في طليطلة نصها : مما أمر بعمله الظافر ذو الرئاستين اسماعيل بن ذى النون
في سنة تسع وعشرين وأربعمائة

الأذفونش السادس على طليطلة صلحاً بعد حصار طويل^(١)

(١) نحب أن نذكر هنا ما قاله دوزي R. Dozy المستشرق الهولاندى الشهير فى كتابه : تاريخ مسلمى أسبانية Histoire Des Musulmans En espagne وهو ملخصاً : ان القادر بن ذى النون كان فرض على أهل طليطلة مبالغ وافرة من المال فأدورها اليه وقدمها للأذفونش . فقال له الامبراطور : (لان الأذفونش السادس كان سمي نفسه بذلك) هذا لا يكتفى . فقدم له القادر ذخائر أليه وجده . فقال له : وهذا أيضاً لا يكتفى . فقال له القادر : انى حاضر لاعطائك فوق هذا لكن على أن تعطى ميلة . فقال له الأذفونش : انى مهلك على شرط أن تسلمنى أيضاً حصونا تكون رهناً عندى . فرضى القادر بهذا الشرط اذ لم يكن له قدرة على الامتناع فكان مضطراً أن يرضى بكل شئ . وكان يرى سيف الأذفونش معلقاً فوق رأسه لا يستطيع أن يخالفه فكان يدفع المال بعد المال ويحلى الحصون بعد الحصون ولأجل ارضاء الامبراطور يفرض المغارم الثقيلة على رعيته التى بدأت تهاجر الى مملكة سرقسطة . وكان الأذفونش كلياً ازداد القادر طاعة له يزداد عنترأ فأتتهى الأمر بان فرغت يد القادر لجلاء الأذفونش واكتسح ارباض طليطلة لمحاول القادر أن يدافع عن عرشه لكنه رأى نفسه عاجزاً فرضى على الأذفونش تسليمه طليطلة تحت شروط وهى ان الأذفونش يتعهد بتأمين أهالى طليطلة على أموالهم ودمائهم ومن شاء منهم الهجرة هاجر ومن شاء الاقامة أقام وانه لا يفرض عليهم الا غرامة واحدة مقررة من قبل وان المسجد الاعظم يبق للسلمين وان الأذفونش يساعد القادر على ملك بلنسية

فرضى الامبراطور هذه الشروط وفى ٢٥ مايو سنة ١٠٨٥ دخل الأذفونش طليطلة وقد بلغ من العظمة ما ليس له حد وما لا يساويه إلا ما بلغه أمراء المسلمين وقتئذ من الدناءة فاقبلوا عليه من كل فوج يقدمون له الهدايا ويعرضون طاعتهم ويعلمونه أنهم ليسوا أكثر من جباة عنده قسمى الأذفونش بملك الملتين وكان يكتب ذلك فى مناشيره ولم يكن يخفى احتقاره لأمراء الاسلام . ولما جاء حسام الدولة بن رزبن بنى الأذفونش بفتح طليطلة مقدماً له نفائس الهدايا كان عند الأذفونش قرد يلعب أمامه فأنعم عليه به ورجع حسام الدولة مفتخراً بأن الامبراطور أنعم عليه بقرود ذلك من أعظم النعم . وكان فى بلنسية ولدا عبد العزيز بنغازان ملكها وكان فيها حزب ثالث يريد تملك صاحب سرقسطة وحزب رابع يميل إلى القادر بن ذى النون وقد

وكان المسلمون قد اشترطوا لأجل تسليم البلدة بقاء المسجد الجامع لهم ورضى

كان هذا يظهره جيش قشتالة تحت قيادة (الفارفانيس) Alvar Fanez وكان اللذين مضطرين أن يقدموا ميرة هذا الجيش وكانت تكلفهم ستائة ذهب في النهار فقالوا للقادر إنهم في غير حاجة إلى هذا الجيش حتى يطبوه فلم يسمع القادر كلامهم لأنه كان يعلم أنهم لا يجونه فاستبقى القشتالين في بلنسية استظهارا بهم وفرض على أهلها وأهالي ملحقاتها غرامات منقضة للظهور وبلص الأعيان من أموالهم ومع هذا فلم يقدر أن يقوم بكل ما يطلبه القشتاليون فعرض عليهم أن يقطعهم أراضى في مملكة بلنسية فرضوا بذلك وتملكوا القرى ولكنهم لم يقوموا على حربها بأنفسهم بل جعلوا فيها زراعاً يحرقونها لهم واستمروا يشنون الغارات على الأطراف وانضم إلى الجيش القشتالى جماعة من غوغاه العرب ومن العبيد ومن الأشقياء أصحاب السوابق في الاعتداء وقطع السابلة وارند هؤلاء عن الاسلام وأخذوا يفعلون الأفاعيل التي لم يسمع بمثالها فكانوا يسفكون الدماء ويهتكون أعراض النساء وربما باعوا الأسير المسلم بزق خمر أو برغيف من خبز أو بقطعة من حوت وكانوا يمثلون بمن يتمتع عن إعطائهم ما يريدون فيطهون لسانه أو يبقاؤون أعينه أو يلقون به للكلاب المقترسة لتأكله . فكانت بلنسية وقتئذ في الحقيقة ملكا للأفونش ولو كان القادر بن ذى النون ملكا عليها في الظاهر ، وكانت سرقطة أيضاً تحت حصار الأمبراطور وقد أتم أن يفتحها ، وكان هناك القائد القشتالى غرسية شيميناس بجماعة من فرسانه يشن الغارات على المرية وكان صاحب غرناطة في المقيم المقدم أيضاً مع القشتالين . وفي ربيع سنة ١٠٨٥ نازل القشتاليون أهل غرناطة في عقر دارهم ووقع الرعب في قلوب المسلمين حتى صار الخسة منهم لا يقومون لواحد من التصارى ووجد في إحدى المرات أربعمائة جندي من المرية وكانوا من نخبة الجند فهربوا من وجه ثمانين قشتاليا فدم الأيس جميع المسلمين ورأوا أنه لم يبق أمامهم إلا إحدى خططين ، إما الرحيل عن أوطانهم ، وإما الدخول في طاعة التصارى ، وبقيت خطة ثالثة وهى استعراخ المرابطين من إفريقية . ثم ذكر دوزى كيف دعا المعتمد بن عباد يوسف بن تاشفين لاغقاد الأندلس وما ذكر له ولده الرشيدما في ذلك من الخطر عليهم أجابه أنه لم يبق أمامنا إلا إحدى هاتين الخطتين إما أن نخضع لحكم التصارى وإما أن نرضى بولاية المرابطين وإني أفضل أن أرى الجبال في إفريقية على أن أرى الخنازير في قشتالة وسيأتى ذكر ذلك تفصيلا في باب التاريخ .

الأذفونش بذلك . قال ابن بسام . لما توالى على أهل طليطلة العنن المظلمة والحوادث المصطلمة وترادف عليهم البلاء والجلاء ، واستباح الفرنج لمهم الله تعالى ، أموالهم وأرواحهم ، كان من أعجب النوادر الدالة على الخذلان ان الخنطة كانت تقيم عندهم مخزونة خمسين سنة لا تتغير ، ولا يؤثر فيها طول المدة بما يمنع من أكلها فلما كانت السنة التي استولى عليها العدو فيها ، لم ترفع الغلة من الأندرحى حتى أسرع فيها الفساد . فلم الناس أن ذلك بعشيئة الله تعالى ، لا امرأاده ، من شمول البلوى ، وعموم الضراء ، فاستولى العدو على طليطلة ، وأنزل من بها على حكمه . وخرج ابن ذى النون منها على أقبح صورة وأفظح سيرة ، ورآه الناس ويده أسطرلاب ، يأخذ به وقتاً يرحل فيه . فتمعجب منه المسلمون ، وضحك عليه الكافرون .

وبسط الكافر المدل على أهل المدينة ، وحجب التنصر إلى عامة طغافها ، فوجد المسلمون بذلك ما لا يطاق حمله ، وشرع في تغيير الجامع كنيسته في ربيع الأول سنة ست وسبعين واربعمائة .

ومما جرى في ذلك اليوم أن الشيخ الأستاذ المفاوى رحمه الله تعالى صار إلى الجامع وصلى فيه ، وأمر مريداً له بالقراءة ، ووافاه الفرنج ، لعنهم الله تعالى ، وتكاثروا لتغيير القبلة ، فاجسر أحد منهم على إزعاج الشيخ ولا معارضته ، وعصمه الله تعالى منهم ، إلى أن أكمل القراءة ، وسجد سجدة ، ورفع رأسه وبكى على الجامع بكاء شديداً ، وخرج ولم يمرض له أحد بمكروهه .

قلنا إن الأسبان كانوا يعلمون أن تلك الساعة هي الساعة الأخيرة للجامع فصبوا على هذا الشيخ الجليل حتى أتمها بآخر عبادة اسلامية فيها

وفي ١١ أغسطس ١٢٢٧ جعل ملك أسبانية ، الذي يقولون له القديس فرديناند هذه البنية دكا ، حتى يبني مكانها بيعة على الطراز القوطى ، الذى منه كتانس شمال فرنسا ، وجنوب ألمانيا ، وانتدب المهندس الافرنسى بطرس بترى ، الذى تقى متولياً إدارة تشييدها مدة تزيد على خمسين سنة ، وبعد وفاته عمل فيها مهندسون

آخرون ، أشهرهم رودريغُو الفونسُو ، وجوان غواس ، والبير غومس ، ومرتين شانجيس وغيرهم ، فالعمل فيها لم ينقطع مدة طويلة ، وهى قائمة على خمسة صفوف من الاساطين وطولها ١٢٠ متراً وأر بومون سنتيمتراً ، وعرضها ٥٩ متراً و١٣ سنتيمتراً و بناؤها من الحجر المحبب ، إلا أن قوسها الخارجية والداخلية هى فى الحجر الكلسى ، ولا يضرعها فى أسبانية إلا كنيسة اشبيلية من بعض الوجوه وكنيسة طليطلة أطول من كنيسة اشبيلية بعشرة أمتار إلا أن كنيسة اشبيلية أعلى بعشرة أمتار . ومزايا كنيسة طليطلة على كنيسة اشبيلية هى فى تناسب الأقسام وبداعة الزخرف ونحريم المذبح الأظم ، حتى كأنه قطعة من العاج المحرّم المرصع .

ولا عجب ، فقد بقى العمل فى القاعدة العظمى ، بحسب قولهم ، مدة ثلاثة قرون ولها ثمانية أبواب ، أكثرها من الأعاجيب . وهى أبواب الغرب التى لا يفتحونها ، مقتصرين على الباب الجنوبى المسمى بباب الاسود ، والباب الجوفى المسمى بباب الساعة ، الذى يشرع من جهة المدينة العليا . وفيها عدة مذابيح ، منها مذبح نصف عربى . ولكن جميع بدائع الصنعة والنقش والتصوير مستوفاة فى المذبح الأعظم . وعقود الافواس كلها من المرمر ، تحيط بأعناقها قلائد مذهبة من الصنعة العربية

Arabesque

وفى هذه الكنيسة من صنوف الحرط والنجر وفنون التزييل والحفر ما يمجز القلم عن وصفه ، فليس له إلا النظر بالعين ا وماذا تقول فى بناء لبثوا يعملون فيه ثلاثمائة سنة ، وبدلوا عليه القناطير المقطرة من الذهب والفضة ، واستجادوا له أشهر الصناع فى أعصرهم ، وأمهر النحاتين والمصورين فى أوقاتهم ؟ ! وفى خزائن هذه البيعة كنوز هى فوق التخمين من كل نوع ، قد تراكت من قرون . ولكن الذى يريد الفرجة لا يقدر أن يتبين محاسنها ، من ضعف النور الذى يدخل إلى الكنيسة ، لأهم ، كما لا يخفى ، يستحب عندهم فى الكنائس أن يكون نهارها ليلا ، لما فى ذلك من الهيبة بزعمهم ، وهذا ما رأينا الكثيرين من الافرنج ينتقدونه ، ويقابلون بينه وبين مساجد الاسلام التى تفيض نوراً .

وأما المذبح نصف العربي فقد جملوه بقرب الباب ، وقد كان بناؤه على يد المهندس هنرى دوايفاس ، بأمر السكردينال شيمانيس الشير Jimenes وذلك سنة ١٥٠٤ ، وهم يقدمون على هذا المذبح بحسب الطقس القوطى الذى وضعه سان ايزيدور . وكانت فى طليطلة قد بقيت ست كنائس محافظلة على الطقس القوطى إلى سنة ١٨٥١ ، فمن ذلك الوقت توحد الطقس ، وصار رومانياً محضاً .

ومن كنائس طليطلة المدودة كنيسة سان جوان ^(١) الملوك ، وهى كنيسة بناها فرديناند وإيزبلا على الأسلوب القوطى ، والأسلوب المعروف بالريناسنس ^(٢) مجموعين فيها وقد بذل فرديناند وإيزبلا فى بنائها قناطير مقنطرة من الذهب فجاءت من أبداع الكنائس زخرفاً وكانا أعداها لدفنهما فيها ، إلا أنهما عدلا عن ذلك الرأى بعد استيلائهما على غرناطة سنة ١٤٩٢ ومحوهما كل أثر لملك الاسلام فى الأندلس ففروا عند ذلك أن يكون دفنهما فى كنيسة غرناطة ، وتوقف العمل فى كنيسة سان جوان هذه ، ولم تم إلا فى القرن السابع عشر . فلذلك اختلف طرز بنائها فى ذاته بحيث جمعت بين أسلوبين متبايرين . وعلى جدران هذه الكنيسة الخارجية سلاسل حديد يقولون انها كانت قيوداً للأسارى المسيحيين الذين أتقدم فرديناند وايزابلا يوم دخلا غرناطة ، وفى هذه الكنيسة صور للقديس سان جوان . وصورة شعار الملكين فرديناند وايزابلا وأسلحتهما ، والمذبح الاعظم من هذه الكنيسة منقول من كنيسة سانت افرج ^(٣) القديمة ، قال فى دليل بديكر : إن زينة حمراء غرناطة ونقوشها قد تمثلت هنا بصور مسيحية . وقد كانت هذه الكنيسة فى يد الفرنسيسكانيين ، ثم تحولت من زهاء مائة سنة كنيسة لأهالى المحلة المجاورة . وكان بجانبها دير تحول متحفاً ومدرسة صناعية .

San Guan de las Reyes (١)

Renaissance (٢)

Santa Cruz (٣)

وموقع هذه البيعة هو على أكمة مشرفة ، تسرح منها الأنظار على وادي تاجه ، وعلى البقعة^(١) ، وعلى شارات سان برناردو وغريدوس . وإلى الشمال الغربي من دير سان جوان الملوك يقع الباب المسمى عند العرب بباب المسكاره^(٢) ، وعلى مقربة من هناك في بقعة يقال لها بآجه كنيسة سانتا لوفادية . وهي قديمة ، بنيت في القرن الرابع ، في المسكان الذي يقال ان القديسة لوفادية نالت فيه اكليل الشهادة ، وكان

La Vega (١)

(٢) Al - Makara وحق هذه اللفظة أن تكون المكارة ، بألفين اثنين وهي مصدر كاراه الدابة ، والفاعل مكار ، ويقال مكارى الدواب وكرى الدواب أيضاً . هذا ويقال إن هذا الباب كان موجوداً في زمن القوط ثم جاء العرب فنوه على ذوقهم ثم لما استرجع الاسبان طليطلة هدموه وبنوه من جديد على طرز أبنيتهم ولكنه بقي منه قوس عربي واحد يعتمد على أعمدة مكتوب على أحدها : الله اكبر . اشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . وقد نقله جوسه ، في جغرافية أسبانية والبرتغال عن سلازار مندوزه ، كتابة يقولون إنها كانت باقية في الحجر إلى زمن فيليب الثاني ومعناها على عهدتهم هو هذا : لا اله إلا الله محمد رسول الله جميع المؤمنين الذين يعتقدون بنينا محمد ويقبلون أيدي المراتب مولاي عبد القادر يفرقه لهم ذنوبهم ولا يكونون في يوم من الأيام صماً ولا عمياً ولا مقطوعى الأعضاء . ويتلقون منه البركة في ساعة الموت ولا يمتلون قبل موتهم إلا ثلاثة أيام ويذهبون إلى الجنة ويعيونهم مفتوحة وذنوبهم مغفورة انتهى قلت : هذه القصة مستغربة جداً فانه لا يذكر أى عبد القادر هو المقصود هنا ؟ فان كان عبد القادر الجيلاني الولي الشهير الذي تقال فيه مثل هذه الأقاويل فالشيخ عبد القادر الجيلاني مات سنة ٥٦١ هـ أى بعد فتح الاسبان لطليطلة بثلاث وعشرين سنة ويستبعد جداً أن يكتب المسلمون في طليطلة على باب من أبواب المدينة كتابة منقوشة على الأحجار ان لم تكن البلدة في أيديهم ولم تكن الولاية عليها للإسلام . وأما إن كان المراد بالمراتب عبد القادر شخصاً آخر من الأولياء الذين عاشوا قبل خروج طليطلة من يد الاسلام فمن العجب أن يذكر اسم هذا المراتب غفلاً بدون نسبة ومن العجب أيضاً أن تقال جمل كذه في كتابة مزبورة على الحجر لخالفها لسنة ولذلك لنا شبهة قوية في صحة وجود كتابة كهذه

العرب قد هدموها ، فلما رحع الاسبانيول جددوها .
وعلى ضفة نهر تاجه قريباً من هناك معمل السيوف ، وتاريخ إنشائه سنة ٧٨٨
ولكن لم تبق لسيوف طليطلة تلك الأهمية ، بعد أن بقيت قروناً مشهورة بهذه الصناعة
من زمن الرومان إلى زمن القوط ، إلى زمن العرب ، إلى زمن الأسيان ، لاسيما
القرن السادس عشر ، ومن النصبال الطليطلية أمودجات بديعة في متحف مجريط ،
و إلى الجنوب من باب المكاره ، قطعة من السور تنتهى بباب سان مرتين ، و إلى
الشمال من هذا الباب المسلخ الذى يقال انه كان فى مكانه قصر الملك لذريق ، الذى
منه انتزع العرب جزيرة الاندلس ، وهو الذى اقتض كريمة السكونت يلبان المسماة
فلورنדה^(٢) ، ولأجل ذلك حنق هذا السكونت حنقاً بلغ به أن دعا العرب لاجتياح
الاندلس ، ففتحوها ويقال من جملة الاساطير انه كان يوجد هناك كهف يقال له
كهف هرقل ، نظر فيه لذريق مرة فعثر على كتابة تؤذن بانتهاء ملك الاندلس .
وعلى الوادى يوجد جسر سان مرتين ، معقود فوقه الى الغرب من البلدة . وكان
بناؤه سنة ١٢١٢ ، ثم تجدد سنة ١٣٩٠ . وله خمسة أقواس ، الاوسط منها يرتفع
ثلاثين متراً ، وعليه برجان . والى اليمين منه تحت السور حمام يقال له حمام الكهف^(١)
حيث الملك لذريق شاهد فلورنדה كريمة السكونت يوليان تستحم ، وكان بعد
ذلك ما كان .

والى الجنوب من بيعة سان جوان الملوك كانت فى القديم حارة اليهود ، التى كان
يقال لها « الجديرة » ، وكان هؤلاء اليهود بنوا هناك حصناً حصيناً يضمون فيه أموالهم
وأما كنيسة مارية البيضاء فكانت فى الأصل كنيسة لليهود ، بنى فى القرن الثانى عشر ،
ثم تحول كنيسة للنصارى فى بداية القرن الخامس عشر ، ثم صارت محل خلوة
للمتنسكين ، ثم ثكنة عسكرية ، ثم مخزنا . وهى ذات بناء فخم على ثمان وعشرين

Florinda (١)

Bain de la Cave (٢)



الملك اندريو مع الأميرة فلوريندة ابنة بليان صاحب -بنة التي من أجل قصتها أغرى بليان العرب بغزو اسبانية

قوساً ، وقواعد أساطينها مزينة بالزليج ، والصنعة العربية . وأما الكنيس الشهير الذى يقدم الكلام عايه فيقال له كنيس^(١) الانتقال ، فقد بناه الملاحم « ماير عبدلى » على نفقة صموئيل لادى ، كما تقدم الكلام عليه . واتقن بناؤه إلى النهاية ، فلما طرد الملوك الكاثوليك يهود اسبانية حولوا هذا الكنيس إلى كنيسة باسم سان بنيتو ، وساقوه إلى فرسان قلعة رباح ، ثم تحول كنيسة باسم العذراء . وإلى الشرق من هذا الكنيس يوجد بيت المصور الشهير غريغو^(٢) الذى له آثار كثيرة فى كنائس طليطلة وأصله يونانى من جزيرة كريت وقد ساقته الأقدار من البندقية إلى طليطلة سنة ١٥٨٥ فسكن فى طليطلة فى قصر المركز « فيله »^(٣) والآن يوجد هناك متحف لآثار غريغو

ومن كنائس طليطلة كنيسة يقال لها سان جوان الندامة^(٤) بناها الكردينال شيميناس سنة ١٥١٤ ، وجعل معها دبراً ، وهى فى شرقى البلدة . ومن الكنائس المدودة كنيسة سانتو طومى^(٥) وكانت جامعاً فحولوه كنيسة ، وجددوا بناه . فى القرن الرابع عشر ، ولكن منارته لا تزال على أصلها . وفى هذه الكنيسة قبر الكونت أورغاز الذى جددها على نفقته . وإلى الجنوب من هذه الكنيسة قصر كان يقيم به الأباطور شالكان ، وفيه مانت امرأته ايزابلا البرتغالية ، وفى هذا القصر صناعات عربية وقوطية مختلطة

ومن كنائس طليطلة المدودة كنيسة سانت باقو الرضى بنيت لعهده الاذفونش السادس ، وهى على الهندسة العربية ومنارتها لا تزال منارة مسجد اسلامى . وأما

(١) أى انتقال مريم العذراء إلى السماء Sinagoga del transito

(٢) Greco

(٣) Villena

(٤) Penitencia

(٥) Santo Tomé

المدار الاسقفية التي يقيم بها برماط اسبانية ، وكان له ذلك الشأن العظيم حتى كان يجاذب الملك الحبل فهي قبالة الكنيسة الكبرى من الجهة الغربية

قال المسيو جوسّة صاحب جغرافية اسبانية والبرتغال المصورة : لو أردنا أن نتكلم عمّا في طليطلة من قصور كانت لنبلأء العرب والاشبيليين في تلك الشوارع الضيقة وعلى مفارق الطرق ، وذلك مثل قصر آل بركاش^(١) وآل ماكيدة^(٢) ومونارس^(٣) وغيرهم وقصر البقعة^(٤) ، وقصر الميزة^(٥) بقاعته العربية المدهشة لاستلزم ذلك كتاباً مستقلاً . وقاعة الميزة هذه ذات سقف نادر النظير في صنعة العربية . وطولها ٢٠ متراً ، وعرضها سبعة أمتار وعلوها ١٢ متر

ومن قنطرة طليطلة يسير الانسان صُمداً إلى الشمال الغربي فيمر بالسور العربي الذي كان للمدينة وبسور أحدث منه بُني لأجل حماية الحارة المسماة بالربض^(٦) .

(١) Vargas وهي عائلة معروفة مشهورة ربما كان منها بركاش المغرب الذين منهم والى رباط الفتح الحالى السيد عبد الرحمن بركاش ومن أراد أن يطلع على تاريخ هذه العائلة فعليه بكتاب و مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح ، للشيخ محمد أبى جندار .

(٢) Maqueda حتى الآن لم يظهر لنا حقيقة هذا الاسم

(٣) Munarriz

(٤) Vega

(٥) Mesa

(٦) Arrabal الاسبانيول يقولون للربض ، الربال ، بقلب الضاد لاما وهو بدون شك تحريف الا انه وجد لذلك أصل في اللغة العربية وقد نص على ذلك علماء اللغة ولما كنت في جبال الحجاز سمعت هذه اللفظة من ثقيف وهذيل في ناحية يقال لها الشفا فسمعتهم يقولون الليف ، باللام المنفخمة يريدون بها الصيف ، وصلاة الله في صلاة الظهر ، وقرية الليق ، في قرية الضيق ، وهم جرا . وقد ذكرت ذلك في كتابي الازتسامات اللطاف في خاطر الحاج الى اقدس مطاف ، وعقب عليه بقول : ولما كنت في الأندلس سمعتهم يقولون في كل بلدة الربال ، بمنون به ضاحية البلدة فاردت أن أعرف مأخذها فقرأت في كتبهم انها لفظة عربية محرقة عن الربض .

وبعد مسيرة خمس دقائق يصل إلى باب عربي البناء يقال له باب « السول »
 Puerta del Sol قيل إنه بنى سنة ألف ومائة مسيحية ، أى بعد استرداد
 الأسبانيول طليطلة ، ولكنه بنى على الطرز العربي ، وكان هذا الباب في القديم هو
 باب طليطلة الحقيقي . ولم يتفق المؤرخون في تاريخ هذا الباب : فقال بعضهم : إنه بنى
 لعهد الأذفونش السادس ، وقال بعضهم : أنه بنى في آخر زمان العرب ، وعلى مقربة
 من هذا الباب باب آخر يقال له باب « بيزغرة » Visagra وأصله باب شقره
 بناه الأسبانيول ، وعليه تمثال النسرة ، شعار الأباطور شارلكان ، ويوجد باب آخر
 يقال له « بيزاغرة أنتيكا »^(١) Visagra Antigia أى المتيقة لأنه من زمان العرب

ففكرت حينئذ في قلب الضاد لاما عند هذيل ومن جاورهم من ثقيف وقلت من يدري ؟
 فلعل أول من تلفظ بالربض هناك تلفظ بها باللام ، فقد كان في غزاة الاندلس كثير
 من هذيل وثقيف . انتهى . ولما كان كتابي هذا قد طبع بمطبعة المنار في القاهرة وتولى
 تصحيح مسوداته الأستاذ الاكبر فريد الاسلام السيد رشيد رضا رحمه الله فقد علق
 على عبارتي هذه في الحاشية ما يأتي : مخرج الضاد العربية الفصحى قريب من اللام
 المنخممة ، فهو بينها وبين مخرج الضاد ، فلهذا تشبه الضاد تارة بالطاء فنطقا كثير العرب
 الى عهدنا هذا وتارة باللام المنخممة فنطق هؤلاء الهذيليين والثقيفيين . ومثل هذا الاشتباه
 يكثر في النطق ، ولا سيما نطق الذي يجعل بالكلام فيتلقاء بعض السامعين محرراً فيصير
 التحريف اصلاً متبعاً . وذكروا علماء اللغة انه سمع ابدال اللام من الضاد فقالوا : الطمع ،
 أى اضطلع كمنكسه في قولهم رجل « جصد » أى « جلد » . وبعد كتابة ما تقدم
 راجعت مادة ضجع في التاج فاذا هو يقول : قال المازني : ان بعض العرب يكره الجمع
 بين حرفين مطبقين فيقول « الطمع » ويبدل مكان الضاد أقرب الحروف إليها وهى
 اللام . زاد في اللسان : وهو شاذ . وقال الأزهرى : وربما أبدلوا اللام ضادا كما أبدلوا
 الضاد لاما قال بعضهم « الطراد » وه اضطراد ، لطراد الخيل . انتهى . قلنا كلام السيد
 الامام هنا لفائده

(١) هذه اللفظة محرقة عن ييب شقرة إذ لا ينفى كون الأمانة الاندلسية جعلت

الباب بياً

وهو بناء يستحق النظر ومنه يسير الانسان على طريق عريض على جانبيه الأشجار إلى باب يقال له باب « قرون » Cambron وهناك بقايا قصر آل بركاش . ولا يجوز أن تنسى من آثار طليطلة التاريخية الكنيسة التي بقرب باب السول ، والتي يقال لها « سانتو كريستو دولالوز » Santo Cristo de la Luz أى النور وأصل هذه الكنيسة الصغيرة مسجد صغير بنى سنة ٩٢٢ مسيحية ، كما يستنتج من الكتابة العربية التي على بابه ^(١) ، وهو على ستة صفوف من الأعمدة ويقال إن أعمدته مأخوذة من كنيسة قوطية قديمة والله أعلم ، وتعلق خراطة بهذا المسجد المقلوب كنيسة والذي له ولأمثاله قال الشاعر العربي رانى طليطلة يوم استولى عليها النصارى :

مَسَاجِدُهَا كَنَائِسُ ! أَيُّ قَلْبٍ عَلَى هَذَا يَقْرَهُ وَلَا يَطِيرُ ؟ !

وهذه الخرافة ممانها انه لما دخل الاذفونش السادس إلى طليطلة ، وكان معه القمبيدور الملقب بالسيد سجد حصان السيد بزعمهم امام حائط هناك ، فهالهم سجد الحصان من نفسه فيحشوا فى الحائط ، فوجدوا فيه مصلوباً ، وبجانبه سراج يضىء زيته من زمن القوط .

(١) يقال لهذه الكنيسة الصغيرة كنيسة بيت مردوم أى الباب المردوم والبيت كما لا يخفى هو الباب بلفظ أهل الأندلس الذين كانوا يتكلمون بالامالة وكان على باب الجامع الذى تحمّل كنيسة كتابه تاريخها ٣٧٠ للهجرة كشفوها سنة ١٨٩٩ وتكلم عنها مارسه Marçais فى كتابه عن الفن الإسلامى . وكذلك ذكرها لامبار Lambert فى كتابه عن طليطلة وفى كتابة أخرى « فن البناء الإسلامى بقرطبة و طليطلة فى القرن العاشر . . وكان العالم الاسبانولى أما دوردولوس ربوس Amador de Los Rios قد حل هذه الكتابة بما يفيد أن الجامع بنى بمعرفة مهندس اسمه موسى بن على وشخص آخر اسمه سعادة وذلك فى المحرم سنة ٣٧٠ وفق ٩٨٠ قال لاوى بروفسال الذى نقلنا عنه هذه الرواية من كتابه « الكتابات العربية فى اسبانية » إنه هو فى سنة ١٩٢٥ لم يستطع قراءة هذه الكتابة ما عدا البسملة . فالعالم سنة ١٨٩٩ كانت لاتزال محفوظة وكانت قراتها لاتزال ممكنة .

وأشهر قصر في الأندلس هو قصر طليطلة المبنى على أعلى قمة من تلك البلدة ، فقد كان فيما يظهر مقر الامارة من قديم الدهر ، ففيه أقام الايبيريون ، ثم القوط ، ثم العرب ، ثم الاسبان ، وفيه نزل اذفونش السادس يوم دخل طليطلة . واقد تبذلت هيئته كثيراً بكثرة ما توالى عليه من الحريق . وكان كلما احترق جددت الملوك بناءه ولكن الذى لا يتغير فيه هو مسرح النظر الذى له ، والذى لا يضارعه منظر لقصر من قصور اسبانية كلها . وقد كان هذا القصر تارة حصناً وطوراً قصراً ، وتعاقت عليه أدوار مختلفة .

وأشهر ساحة في طليطلة ، وهى التى فيها أكثر حركة البلدة ، الساحة التى يقال لها ساحة البر^(١) أى ساحة القمح ، ومها يصعد الصاعد إلى القصر ، وبالأجمال لا يوجد بلدة أكثر من طليطلة قد حفظت الهيئته والبيئة العريبتين ، وكيف ما توجه السائح فيها يمشى على نقوش عربية ، وزليج ، وخشب محفور من آثار العرب ، وقد ذكر جوسه انه وجدت تيجان ذهب مخرمة في ضواحي طليطلة ، وتحقق انها من كنوز العرب المدفونه ، ومن قديم الدهر كان في طليطلة أبنية فخمة ، وللارشيبيرست يوليان بيريز Julian Pérez تاريخ أحصى فيه عدد الكنائس القوطية التى هدمها العرب أو حولوها الى جوامع ، مثل شان قرشتوبل Cristobal ، وسان لورنزوه ، وسان يشته Justo وسانتا مريه المجدلية ، وسان ايزيدور ، وسان انطولين والمقبرة التى كانت في كنيسة شنت ليقودية ، فقد زعم هذا القسيس ان العرب خربوا جميع هذه الكنائس ، وجعلوا عاليها سافلها ، وقال انه كانت في طليطلة اديار كثيرة من قبل ما أعلن الملك القوطى ريكايد إلغاء المذهب الاربوسى ، وأمر بأن تكون الكنائس هى المذهب السائد بدون منازع ، وذكر ان العرب تركوا بعض هذه الأديار للمسيحيين مثل سان سيلفانو Silvano

وأما ناربخ طليطلة فخلاصته انها كانت العاصمة الدينية والمدنية لاسبانية في زمن القوط ، وانه انعقد فيها ستة عشر مجعاً ، آخرها كان انعقاده سنة ٦٣٣ ، تحت رئاسة يزيدور مطران اشبيلية ، الذي كان عندهم قديماً ، وأكثر أسباب هذه المجمع الدينية كانت ناشئة عن الجدال بين الاربوسية والكثلكة . وكان مبدأ الاربوسية آراء قسيس شهير اسمه آربوس Arius ، ولد في برقة أو الاسكندرية سنة ٢٨٠ للمسيح ، ومات سنة ٣٣٦ . واشتهر بتجديد عقيدة سابتيوس وبولس الميرسائي ، وهي التي تقول بأن المسيح لم يكن هو ابن الله فلا ، وانما كان ابنه اسما ، والله هو الآب فقط ، واتبع عقيدة اربوس جم غفير فحكم مجمع الاسكندرية بكفره سنة ٣١٩ ولكن بقي له تبع كثير بحيث ان الامبراطور قسطنطين اضطر إلى عقد مجمع عام هو المجمع المسمى بالمجمع النيقى ، لأنه انعقد في نيقية بقرق القسطنطينية سنة ٣٢٥ ، فقرر المجمع المذكور بالأكثرية لا بالاتفاق ان الابن والآب طبيعة واحدة ، وأن المسيح هو الله مثل الآب ، وانه هو الابن ، وحرر دستوراً للإيمان على هذه القاعدة ولم يزل هذا الدستور هو قانون الدين المسيحي إلى يومنا هذا . وقد صدر أمر الامبراطور قسطنطين بنى اربوس مدة من الزمن ، إلى أن سكنت الطواغر ، ثم أذن له في العودة الى الاسكندرية ، ووربما كان قسطنطين في الباطن مانئلا إلى عقيدة اربوس ، ولكنه كان مضطراً إلى مجارة العامة ، ثم مات اربوس ولم تمت عقيدته وانقسم بها الرومانيون إلى قسمين ، فتمسك بها بعض قباصرتهم كقسطنس ، وحمل عليها الآخرون كتيودوسيوس . وأخيراً تلاشت في المملكة الرومانية ، إلا أنها عادت فظهرت بين البرابرة الذين جاؤا من الشمال مثل القوط ، والوندال ، والبرجونيين ، والوونبرديين ، ثم تغلبت عليها الكثلكة في القرن السابع ، ثم عادت فظهرت مرة ثالثة بعد الاصلاح البروتستانتي ، وعرف بها فئة يقال لهم السوسينيون ، نسبة إلى رجل لاهوتي من ايطالية اتصم هذه العقيدة ، بل أنكراً أكثر قواعد النصرانية وقد كان في طليطلة هذه عقد المجمع الذي حكم بتحريم مذهب اربوس .

ولما افتتحها العرب لم يحملوها عاصمتهم ، كما كانت في زمن القوط ، وآثروا عليها قرطبة لكونها أقرب إلى أفريقية ، فصارت طليطلة تعنى أمر قرطبة ، وتثور على بنى أمية ، ولكن عمرائها لم يتفاهس بالثورات ، لسكنتها ما كان بها من الصنائع ، مثل صناعة السيوف ^(١) وصناعة نسج ^(٢) الحرير والصوف ، ولأن بقعتها من

(١) يقال إن الرومانيين عند ما ملكوا طليطلة وجدوا فيها صناعة السيوف زاهرة ثم لما جاء العرب إليها وجدوها أيضاً كما وجدها الرومانيون وإنما زادوها إتقاناً بما كان لأهل دمشق من رسوخ القدم في هذه الصناعة . وبقيت طليطلة تصنع السيوف طول مدة العرب فيها ثم بعد أن رحلوا عنها مدة ستة قرون والناس تتنافس بالسيوف الطليطلية . ولكن عند ما جدت الأساحة الحديثة في أواخر القرن الثامن عشر قضت على سيوف طليطلة . وكان الطليطليون غير مقتصرين على صناعة السيوف بل كانوا يصنعون أيضاً ابر الفولاذ وكانوا يصنعون السروج وعدد الخيل والمهاميز وزرد الدروع . وكانت عندهم صناعة الخزف والصناعة المسماة في دمشق بالقاشاني

(٢) كانت طليطلة مركزاً لصناعة نسج الحرير والصوف والمخمل والأطلس بجميع أنواعها ولم تكن أشيلية ولا قرطبة تفوقها في هذا وكان النساجون في طليطلة وأرباضها خمسين ألف عامل . وفي القرن السادس عشر كانت فيها صناعة الطربوش فكان يعمل بها بضعة الآف عامل وكانوا يشحنون في ذلك الوقت إلى نحو من خمسة ملايين طربوش في السنة إلى أفريقية وإلى البلاد الشرقية . وكانوا يصنعون القلانس والكقم والطافات المزركشة بأنواعها

وما اشتهرت به طليطلة لذلك العهد صناعة الخبز التي كانت فيها المثل الأعلى وكانوا يصنعون نوعاً من الاقراص بالسمن والسكر واللوز لم يكن أحد يباريهم فيه وكانت للخبازين في طليطلة مكانة لا يستخف بها وأول كتاب في الطبخ طبع في إسبانية وكان طبعه سنة ١٥٢٥ في طليطلة . ولا يزال إلى هذا اليوم مع تقلص عمران طليطلة محفظاً بها بعض الشيء من ذلك الاتقان في الخبز وهم يصنعون مربيات كثيرة من الفواكه أما الصناعات الباقية إلى الآن في طليطلة بعد أن سقطت عن معاليها القديمة فهي نسج الحرير والقطن ونقش المعادن على طرز دمشق مما يسمى في أوربة بالاراباسك والادوات الكفائية والحفر والتزليل في الخشب وما أشبه ذلك . فطليطلة بعد أن نزل عدد سكانها من مائتي الف نسمة إلى عشرين ألفاً لا تزال تعد من المدن الصناعية

أخصب بقاع الأندلس فكانت تبقى السنين الطوال والخلفاء يحاولون إخضاعها ،
ويضادونها ويرأوحونها بالجيوش ، وهى مع ذلك عزيزة منيعة ، ثابتة راسخة ، أمنع
من عقاب الجو . وقد كان استرداد الأيبانبول لطليلة مبدأ تأخر العرب بدون
نزاع ، وفى ذلك يقول عبد الله بن فرج اليعصبى المشهور بابن السّال :

حُثُوا رَوَّاجِلَكُمْ يَا أَهْلَ أُنْدَلُسٍ فَمَا الْمُقَامُ بِهَا إِلَّا مِنَ الْقَلَطِ
الثَّوْبُ يُنْسَلُ مِنْ أَطْرَافِهِ وَأَرَى ثَوْبَ الْجَزِيرَةِ مَسْئُولًا مِنَ الْوَسْطِ
مَنْ جَاوَزَ الشَّرَّ لَا يَأْمَنُ عَوَاقِبُهُ كَيْفَ الْحَيَاةُ مَعَ الْجَبَيَاتِ فِي سَفَطِ؟

وقد أصاب هذا الشاعر فى قوله هذا ، لأنه لما استولى النصارى على طليطة
كانوا كأنهم دخلوا فى وسط بلاد الاسلام ، وجاءت الاسلام الضربة فى حافة
رأسه لأنه كان المسلمون فى ذلك الوقت لا يزالون فى سرقسطة ونواحيها . وكان
لا يزال لهم قواعد وحواضرهى إلى الشمال من طليطة . ثم إن موقع طليطة بمنتهى
الحارقة للمادة جعلت الأيبانبول منها فى حصن حصين لا يؤقى وعصمتهم فى حرز
حريز لا يؤخذ ، وهم أنفسهم لم يقدروا على طليطة فى حقيقة الأمر إلا بفساد أحوال
المسلمين ، والفتن التى كانت بينهم . وخلاصة الأمر أنه بمد أن نشبت الفتنة
الكبرى فى قرطبة بين العرب والبربر ، وانتشر السالك ، ونجمت الملوك الذين يقال
لهم ملوك الطوائف ، استبد بأمر طليطة بنو ذى النون ، كما سيأتى الكلام عليه ،
فوقعت المداوة بينهم وبين بنى هود الذين استقلوا بسرقسطة ، وتواتت الوقائع بين
الفرقيين ، وكل منهما يستظهر بالأيبانبول على الآخر

ولنأتك بمثال ننقله لك عن ابن عذارى المراكشى فى كتابه « المغرب فى أخبار
الأندلس والمغرب » وهو خير كتاب عرف بأخبار الأندلس . قال عند ذكره
سقوط طليطة : « وخرج فرديلند الطاغية أيضا المظاهر لسليمان بن هود ، وهو
فردلند بن شانجة ، أمير جليقية إلى ثغر طليطة فى خلق كثير . وجاءه ابن عم

ابن ذى النون ليدله على عورات البلاد ، وتهارب الناس أمامه من كل جهة إلى طليطلة حتى غصت بهم ، واضطربت أحوال أهلها . كل ذلك وأميرهم يحيى بن ذى النون غائب عنهم بجيشه في مدينة سالم ، مقيم بها لئلا يدخلها ابن هود فلما تبين بخروج هذا الأمين إلى عمله ، وضجت رعيته إليه ، جاء في جموعه ، فلم يصنع شيئاً ولا قدر على لقائه (أى على لقاء الطاغية) واضطربت أحوال الناس بطليطلة خلال ذلك ، فلما رأى ذلك أهل طليطلة أرسلوا إلى الطاغية فردلند المظاهر لابن هود ليعقدوا معه صلحاً على بلدهم طليطلة وما حولها على ما يؤدونه إليه ويرحل عنهم . فقال لهم : ما أجيبكم إلى سلم ، ولا أعفيكم من حرب ، حتى تفعلوا كذا وكذا . واشترط عليهم شروطاً لا يقدرون عليها . فقالوا : لو كنا نقدر على هذه الأشياء . وهذه الأموال لا نفقناها على البرابرة ، واستدعيناكم لكشف هذه المعضلة . فقال لهم فرلند : « أما قولكم لا تقدرتون على هذه الأموال فذلك محال ، فلو كسفت سقوف بيوتكم لبرقت ذهباً لكثرته ، وأما استدعاؤكم البرابرة فأمر تكثرون به علينا ، وتهددوننا به ، ولا تقدرتون عليه مع عداوتهم لكم ، ونحن قد صمدنا إليكم ، مانبالي من أنانا منكم ، فانما نطلب بلادنا التي غلبتمونا عليها قديماً في أول أمركم ، فقد سكتتموها ماقضى لكم ، وقد نصرنا الآن عليكم بردائتكم ، فارحلوا إلى عدوتكم ، واتركوا لنا بلادنا ، فلا خير لكم في سكتناكم معنا بعد اليوم ، ولن نرجع عنكم أو يحكم الله بيننا وبينكم » اهـ .

فلم يجد رسل أهل طليطلة عند فردلند وأصحابه النصارى قبولاً لما عرضوه عليهم من الصلح .

وكان أخو هذا الملج صاحب يحيى بن ذى النون مظاهراً له فخرج في هذه السنة إلى بلاد ابن هود فوطئها ، وأغلظ في أهلها ، وأخل بالشر الأعلى ، فلأخيه فردلند في نظر ابن ذى النون ، ودامت الفتنة بين هذين الأميرين ، ابن هود وابن ذى النون ، على هذه الحال من سنة خمس وثلاثين إلى آخر سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة واقطعت بموت سليمان بن هود في السنة المذكورة . ولما تنفس عنق ابن ذى النون

بعوت سليمان المذكور جعل يطلب جاره ابن الأفضس صاحب بطليوس فجرت له معه حروب كثيرة الخ

قلنا إن بيت القصيد في هذا التاريخ هو قول الطاغية : « وقد نُصِرنا عليكم بردائشكم » . جاء في نفع الطيب : ومن أول ما استرد الأفرنج من مدن الأندلس المظيمة مدينة طليطلة من يد ابن ذى النون سنة ٤٧٥ . وقال بعض المؤرخين : أخذ الأذفونش طليطلة من صاحبها القادر بالله ابن المأمون يحيى بن ذى النون بعد أن حاصرها سبع سنين ، وكان أخذه لها في منتصف محرم سنة ٤٧٨ هـ . وفيه بعض مخالفة لما قبله ، وسيأتي قريباً بعض ما يؤيده . قال : وهي مدينة حصينة قديمة أزلية ، من بناء المعلقة ، على ضفة النهر الكبير^(١) . ولها قسبة حصينة في غاية المنمة ولها قنطرة واحدة عجبية البنيان ، على قوس واحد ، والماء يدخل تحته بمنف وشدة جرى . ومع آخر النهر ناعورة ارتفاعها في الجو تسمون زراعاً ، وهي تصعد الماء إلى أعلى القنطرة ، ويجرى الماء على ظهرها فيدخل المدينة .

وطليطلة هذه دار مملكة الروم ، وبها كان البيت المعلق الذي كانوا يتحامون فتحه ، حتى فتحه لذريق فوجد فيه صورة العرب هـ .

وقد حكى ابن بدر بن شرح العبدونية أن المأمون يحيى بن ذى النون صاحب طليطلة بنى بها قصرًا تأتق في بنائه ، وأنفق فيه مالا كثيراً ، وصنع فيه بحيرة ، وبنى في وسطها قبة ، وسبق الماء إلى رأس القبة ، على تدير أحكمه المهندسون ، فكان الماء ينزل من أعلى القبة حولها ، محيطاً بها ، متصلاً بمضه ببعض ، فكانت القبة في غلالة من ماء سكب^(٢) لا يفتقر ، والمأمون ابن ذى النون قاعد فيها لا يمسه من الماء .

(١) المعلقة المعروفون في التاريخ لم يكونوا البانين لطليطلة ولكن العرب يطلقون لفظة معلقة على جميع الأقدمين الذين اشتهروا بالقوة والعظمة وأما قولهم النهر الكبير فان كان يريد به نهر تاجه فهو صحيح لانه من أكبر أنهار الأندلس ولكن جرت العادة بأن يسمى بالوادى الكبير نهر قرطبة النازل إلى اشيلية وهو غير تاجه كما لا يخفى (٢) إن طليطلة هي من الأقاليم المعتدلة في اسبانية ولكن الحر يشتد فيها جدا أيام

شئ ، ولو شاء أن يوقد فيها الشمع لفعل ، فيما هو فيها إذ سمع منشداً ينشد :
 أَنبِئِي بِنَاءِ الخَالِدِينَ وَإِنَّمَا بَقَاؤُكَ فِيهَا لَوْ عَلِمْتَ قَلِيلُ
 لَقَدْ كَانَ فِي ظِلِّ الأَرَاكِ كِمَنَابَةِ إِمْنِ كُلِّ يَوْمٍ يَعْتَرِيهِ رَجِيلُ
 فلم يلبث بعد هذا إلا يسيراً حتى قضى نحبه . ١٠١ .

وقال ابن خلكان : إن طليطلة أخذت يوم الثلاثاء مستهل صفر سنة ٤٧٨ بعد
 حصار شديد . وقال ابن علقمة : إن طليطلة أخذت يوم الاربعاء لمشرخلون من
 الحرم سنة ٤٧٨ ، وكانت وقعة الزلافة التي نشأت في السنة بعدها هـ .

وجاء في دليل بديكر أن الأذفونش السادس ملك قشتالة دخل طليطلة ومعه
 السيد^(١) في ٢٥ مايو ١٠٨٥ ونقل كرسى الملك من برغش إلى طليطلة عام ١٠٨٧
 وجعل مطران طليطلة هو أسقف اسبانية الأعظم ، وبدأوا ببناء الكنائس والأديار
 فأكثروا منها . واسكن المدينة العربية بقيت حافظة سيادتها في وجه الحملة المسيحية ،
 ربقى الناس في طليطلة بينون مدة قرون متطاولة على الطرز العربي (إلى أن قال)
 وكان أساقفة طليطلة مثل لودريقة وفونسيقة وتوروريو ومندوسة . وشيبيينيس
 وطلبييرة ولورنسانة هم أصحاب الأمر والنهي في البلدة ، وكان دخل الأسقفية السنوي
 ثلاثمائة الف دوكة ، وكان في دار الأسقفية ١٥٠ قسيماً هم حاشية برماط اسبانية ،
 وكانت لهم عناية بالعلوم والآداب^(٢) وكانوا أيضاً يوقون الجيوش إلى القتال

الصيف بما يلفحها من رياح افريقية حتى تبلغ درجة الحرارة فيها أربعين بيزان ستيفراد
 وهي تجمع الاضداد ففي الشتاء تنزل درجة الحرارة إلى ما تحت الصفر ولكن لا يطول
 فصل البرد الشديد أكثر من شهر واحد وفصل الربيع فيها لا يطول أيضاً بل يبدأ
 الحر فيها من شهر مايو . وأحسن فصولها هو الخريف

(١) Le Cid وهو القمبيذور الذي سبق ذكره عند ذكر مدينة برغش
 (٢) في دار الاسقفية خزانة كتب مفتوحة للزائرين ثلاث ساعات قبل الظهر ولكن
 خزانة كتب الكنيسة الكبرى هي أهم بكثير وفيها مخطوطات نفيسة وادفان من
 الطابع القديم . وليس اليوم في طليطلة معاهد علمية تستحق الذكر كما كان في الماضي فقد

فأسماءهم داخله في جميع الحوادث الكبيرة في عصرهم . ولقد كان الكردينال بطرور غونزاليس مندوزه هو الذي أغرى أكثر من الجميع بقتال مملكة غرناطة . ولنذكر الآن ما جاء في معجم البلدان عن طليطلة قال : طليطلة ، هكذا ضبطه الحميدى . بضم الطائين ، وفتح اللام ، وأكثر ما سمى من المغاربة بضم الأولى وفتح الثانية مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس ، يتصل عملها بعمل وادى الحجارة ، وهى غربى ثغر الروم ، وبين الجوف^(١) والشرق من قرطبة . وكانت قاعدة ملوك القوطيين ، وموضع قرارهم ، وهى على شاطئ نهر تاجه ، وعياه القنطرة التى يعجز الواصف عن وصفها . وقد ذكر قوم أنها مدينة دقيانوس صاحب أهل الكهف . قال : وبالقرى منها موضع يقال له جنان الورد ، فيه أجساد أهل الكهف لا تبلى إلى الآن ، والله أعلم . وقد قيل فيهم غير ذلك ، كما ذكر فى الرقيم ، وهى من أجل المدن قدراً ، وأعظمها خطراً . ومن خاصيتها أن الغلال تبقى فى مطاميرها سبعة سنه لا تتغير ، وزعفرانها هو الغاية فى الجودة . وبينها وبين قرطبة سبعة أيام للقارص وما زالت فى أيدي المسلمين منذ أيام الفتح إلى أن ملكها الافرنجى فى سنة ٤٧٧^(٢)

كان أمرها فى زمن العرب معلوماً وسيرى الفارىء من كثرة عدد من خرج منها من العلماء والادباء . درجة رقيها العلمى فى الدور العربى . ولما عاد الاسبانيول إليها وردوها عاصمة لهم لم تبلغ الدرجة التى كانت عليها لهد العرب لأن مدينة العرب كانت بلاجدال أرقى جداً من مدينة الاسبانيول . إلا أنه فى القرن الخامس عشر بنى الاسبانيول فيها مدرسة جامعة وظهرت فيها نهضة علمية وتحولت قصور عبد الله بن موسى أحد امراء طليطلة لهد العرب معاهد للتدريس ولكن انتقال الحكومة إلى مجريط رد طليطلة إلى الدرجة الثانية بل الثالثة من جهة العلم والتعليم

(١) يستعمل ياقوت الحموى هنا لفظه الجوف بمعنى الشمال على ندى المغاربة

(٢) روى بعضهم أن استيلاء الفرنج على طليطلة وقع فى سنة ٤٧٥ وروى آخرون أنه وقع سنة ٤٧٧ وروى آخرون أنه فى سنة ٤٧٨ وهى أصح الروايات وأما بالتاريخ المسيحى فدخل الاذفونش السادس إلى طليطلة فاتحاً كان فى ٢٥ مايو عام ١٠٨٥

وكان الذي سلمها اليهم يحيى بن يحيى بن ذى النون ، الملقب بالقادر بالله ، وهى الآن فى أيديهم (إلى أن قال) : ينسب إليها جماعة من العلماء ، منهم أبو عبد الله الطليلي روى كتاب مسلم بن الحجاج ، توفى يوم الأربعاء الثانى عشر من صفر سنة ٤٥٨ وعيسى بن دينار بن واقد النافق الطليلي ، سكن قرطبة ، ورحل ، وسمع من أبي القاسم ، وصحبه ، ووعول عليه ، وانصرف إلى الأندلس ، فكانت الفتيا تدور عليه ، لا يتقدمه فى وقته أحد . قال ابن الفرضى : قال يحيى بن مالك بن عائد : سمعت محمد بن عبد الملك بن أيمن يقول : كان عيسى بن دينار عالماً متفتناً ، وهو الذى علم المسائل أهل عصرنا .

وكان أفتاه من يحيى بن يحيى ، على جلالة قدر يحيى . وكان محمد بن عمر بن لبابة يقول : فقيه الأندلس عيسى بن دينار ، وعالمها عبد الملك بن حبيب ، وعاقلها يحيى ابن يحيى . وتوفى سنة ٢١٢ بطليطلة ، وقبره بها معروف . ومحمد بن عبد الله بن عيشون الطليلي أبو عبد الله ، كان فقيهاً ، وله مختصر فى الفقه ، وكتاب فى توجيه حديث الموطأ ، وسمع كثيراً من الحديث ، ورواه . وله إلى المشرق رحلة ، سمع فيها من جماعة ، وتوفى بطليطلة لتسع ليال خلون من صفر سنة ٣٤١ هـ كلام ياقوت

ولما تغلب الاسبانول على طليطلة اهتز لذلك الاسلام ، وأدرك العقلاء سوء المصير ، لأن ذهاب هذه القاعدة من أيدي المسلمين ، وهى فى وسط أسبانية ، كان مقدمة حوادث كبار توقموها ، ولم يخطئوا فى حسابهم لها . وقد كانت وقعة الزلاقة فى السنة التالية ، وهى التى أجاز فيها يوسف بن تاشفين إلى الأندلس اصراً لسليها هى نتيجة سقوط طليطلة فى أيدي النصارى . وبالرغم من كون ابن تاشفين أحرز فى وقعة الزلاقة نصراً عزيزاً ، وفتحاً مبيناً ، وخضد شوكة الاسبانول فى ذلك اليوم ، فإنه لم يتمكن من استرداد طليطلة ، وبقيت الملة فى محلها ، وإنما تأخر انحلال دولة الإسلام فى الأندلس بواسطة المرابطين ، ثم بواسطة الموحدون نحواً من ثلاثمائة سنة

ولذا ذكر هنا مرتبة قبيلت لدى سقوط طليطلة ، وحتى الآن لم نعرف اسم قائلها ، ونحن

ننقلها عن نفع الطيب كما هي . وهي هذه :

لِشُكْلِكَ كَيْفَ تَبَدَّيْمُ الثُّغُورُ سُرُورًا بَعْدَ مَا بَدَّيْتِ ثُغُورُ ؟ !
 أَمَا وَأَبِي مُصَابٍ هُدًى مِنْهُ تَبِيرُ الدِّينِ ، فَاتَّصَلَ الثُّجُورُ
 لَقَدْ قَصِمْتَ ظُهُورَ حِينٍ قَالُوا : أَمِيرُ الْكَافِرِينَ لَهُ ظُهُورُ
 تُرَى فِي الدَّهْرِ مَسْرُورًا بِعَيْشٍ ؟ مَضَى عَنَّا لِهَيْبَتِهِ الشُّرُورُ !
 أَلَيْسَ بِنَا أَبِي النَّفْسِ شَهْمٌ يُدِيرُ هَلَى الدَّوَابِرِ إِذْ تَدُورُ ؟ !
 لَقَدْ خَصَمْتَ رِقَابٌ كُنْ غَلْبًا وَزَالَ عُنُوتُهَا وَمَضَى الثُّغُورُ
 وَهَاتَ عَلَى عَزِيزِ الْقَوْمِ ذُلٌ وَسَامَحَ فِي الْحَرِيمِ قَتَى غُبُورُ
 طَلِيطَالَةُ أَبَاحِ الْكُفْرِ مِنْهَا حِمَاهَا ! إِنَّ ذَا نَبَأٍ كَبِيرُ !
 فَلَيْسَ مِثَالَهَا إِيَّوَانُ كِسْرَى وَلَا مِنْهَا الثُّخُورُ نَقُ وَالسُّدِيرُ
 مَحْصَنَةٌ مَحْصَنَةٌ بَعِيدٌ تَنَاوَلَهَا ، وَمَطْلَبُهَا عَسِيرُ
 أَلَمْ تَكُ مَعْقِلًا لِلدِّينِ صَعْبًا فَذَلَّلَهُ كَمَا شَاءَ الْقَدِيرُ
 وَأَخْرَجَ أَهْلَهَا مِنْهَا جَمِيعًا فَصَارُوا حَيْثُ شَاءَ بِهِمْ مَعِيرُ
 وَكَانَتْ دَارَ إِيمَانٍ وَعِلْمٍ مَمَالِيهَا الَّتِي طُمِسَتْ تَنْبِيرُ
 فَصَادَتْ دَارَ كُفْرٍ مُصْطَفَاةً قَدْ اضْطَرَبَتْ بِأَهْلِيهَا الْأُمُورُ
 مَسَاجِدُهَا كَثَائِسُ أَيُّ قَلْبٍ عَلَى هَذَا يَقْرُ وَلَا بَطِيرُ ؟ !
 فَيَا أَسْفَاهُ ! أَسْفَاهُ ! حُزْنَا يُكْرَرُ مَا تَكْرَرَتْ الدُّهُورُ
 وَيُنْشَرُ كُلُّ حُسْنٍ لَيْسَ يُطْوَى إِلَى يَوْمٍ يَكُونُ بِهِ النُّشُورُ
 أَدَيْتَ قَاصِرَاتِ الطَّرْفِ كَانَتْ مَصُونَاتٍ مَسَا كُنْهَا الْقُصُورُ
 وَأَدْرَكَهَا ثُغُورُ فِي انْتِظَارِ لِسِرْبٍ فِي لَوَاحِظِهِ ثُغُورُ

وَكَانَ بِنَاً وَبِالْفَيْنَاتِ أُولَى
 أَقْدَ سَخَنَتْ بِحَالَتَيْنِ عَيْنُ
 لَنْ غَبْنَا عَنِ الْإِخْوَانِ إِنَّا
 نَذُورُ كَانِ لِلْأَيَّامِ فِيهِمْ
 فَإِنْ قُلْنَا الْعُقُوبَةَ أَدْرَكَتْهُمْ
 فَإِنَّا مِثْلُهُمْ وَأَشَدُّ مِنْهُمْ
 أَنَا مَنْ أَنْ يَحْمِلَ بِنَاً انْتِقَامُ
 وَأَكْثَلُ لِلْحَرَامِ وَلَا اضْطِرَارُ
 وَلَكِنْ جِرَاءَةٌ فِي عَقْرِ دَارِ
 يَزُولُ السَّرُّ عَنْ قَوْمٍ إِذَا مَا
 يَطُولُ عَلَى لَيْلِي، رَبَّ خَطْبِ
 خُذُوا ثَارَ الدِّبَانَةِ وَاغْزُوهَا
 وَلَا تَهِنُوا وَسَاؤُوا كُلَّ عَضْبِ
 وَمُوتُوا كُلَّكُمْ فَالْمُوتُ أُولَى
 أَصَبْرًا بَعْدَ سَبِيٍّ وَامْتِحَانِ
 فَأَمُّ الصَّبْرِ مِذْكَارٌ وَوُلُودُ
 نَحُورُ إِذَا دُهِنَا بِالرِّزَايَا
 وَنَجِبُنُ لَيْسَ نَزَارُ، لَوْ شَجْنَا
 لَقَدْ صَاعَتْ بِنَا الْأَخْبَارُ حَتَّى
 أَنْتَنَا الْكُتُبُ فِيهَا كُلُّ شَرِّ
 وَقَيْسِلُ تَجَمُّوا لِفِرَاقِ شَمْلِي

لَرِ انضَمَّتْ عَلَى الْكَلِّ الْقُبُورُ
 وَكَيْفَ يَصْحُ مَغْلُوبٌ قَرِيرُ؟
 بِأَحْزَانٍ وَأَشْجَانٍ حُضُورُ
 بِمَلِكِهِمْ فَقَدْ وَقَتْ النُّذُورُ
 وَجَاءَهُمْ مِنْ اللَّهِ النَّكِيرُ
 نَجُورُ، وَكَيْفَ يَسْلَمُ مَنْ يَجُورُ؟
 وَفِينَا الْفَسْقُ أَجْمَعُ وَالْفَجُورُ؟
 إِلَيْهِ، فَيَسْهَلُ الْأَمْرُ الْمَسِيرُ
 كَذَلِكَ يَفْعَلُ الْكَلْبُ الْقَمُورُ
 عَلَى الْعِصْيَانِ أُرْحِيَتِ الشُّتُورُ
 يَطُولُ لِهَوْلِهِ اللَّيْلُ الْقَصِيرُ
 فَقَدْ حَامَتْ عَلَى الْقَتْلِ الدُّسُورُ!
 تَهَابُ مَضَارِبَا عَنْهُ النُّحُورُ
 بِكُمْ، مَنْ أَنْ تَجَاوَزُوا أَوْ تَجُورُوا
 يُلَامُ عَلَيْهِمَا الْقَلْبُ الصَّبُورُ!
 وَأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلَاتُ نَزُورُ
 وَلَيْسَ بِمَجْبِي بَقْرُ نَعُورُ
 وَلَمْ نَجِبُنْ لَكَانَ لَنَا زَبِيرُ
 أَمَاتَ الْخَبْرِينَ بِهَا الْخَبِيرُ
 وَبَشَرْنَا بِأَمْحِنَا الْبَشِيرُ
 طَلِيظَةٌ تَمْلِكُهَا الْكَفُورُ

قُلْ فِي خُطَّةٍ فِيهَا صَفَارٌ يَشِيبُ لِكُرْبِهَا الطَّغْلُ الصَّغِيرُ
 لَقَدْ صَمَّ السَّبْعُ فَلَمْ يُعْمَلْ عَلَى نَبَاهٍ كَمَا عَمِيَ الْبَصِيرُ
 تُجَادِبُنَا الْأَعَادِي بِاصْتِلَاحٍ فَيُنَجِدُ الْمُؤْمَلُ وَالْفَعِيرُ
 فَبَاقٍ فِي الدِّيَانَةِ نَحْتُ خِزْيِ تَتَّبِعُهُ الشُّوْبَةُ وَالْبَعِيرُ
 وَآخِرُ مَارِقٍ هَانَتْ عَلَيْهِ مَصَانِبُ دِينِهِ فَلَهُ السَّعِيرُ
 كَفَى حَزَنًا بَأَنَّ النَّاسَ قَالُوا إِلَى أَيْنَ التَّحَوُّلُ وَالْمَسِيرُ؟
 أَنْزَكَ دُورَنَا وَتَفَرَّ عَنْهَا؟ وَلَيْسَ لَنَا وَرَاءَ الْبَحْرِ دُورُ
 وَلَا نَمَّ الضِّيَاعُ تَرُوقُ حُسْنًا نُبَاكِرُهَا فَيُجَبِّنَا الْبُسُكُورُ
 وَظِلٌّ وَارِفٌ وَخَرِيرُ مَاهٍ فَلَا قُرٌّ هُنَاكَ وَلَا حَرُورُ
 وَيُبُوكُلُ مِنْ فَوَاكِهَهَا طَرِيٌّ وَيُشْرَبُ مِنْ جَدَائِلِهَا نَبِيرُ
 يُوَدِّي مُغْرَمٌ فِي كُلِّ شَهْرٍ وَيُؤْخَذُ كُلُّ صَاحِقَةٍ عُشُورُ
 فَهُمْ أَحْمَى لِعِوْزِنَا وَأَوْلَى بِنَا ، وَهُمْ الْمَوَالِي وَالْعَشِيرُ
 لَقَدْ ذَهَبَ الْيَقِينُ فَلَا يَمِينُ وَعَرَّ الْقَوْمَ بِاللَّهِ الْفَرُورُ
 فَلَا دِينَ وَلَا دُنْيَا وَلَكِنْ غُرُورٌ بِالْمَيْشَةِ مَاغُرُورُ
 رَضُوا بِالرَّقِ ، يَا اللَّهُ ! مَاذَا رَأَى وَمَا أَشَارَ بِهِ مُشِيرُ ؟
 مَضَى الْإِسْلَامُ فَابْكِ دَمًا عَلَيْهِ ! فَمَا يَنْفِي الْجَوْرَى الدَّمْعُ الْغَزِيرُ
 وَنَحْ وَانْدُبْ رِفَاقًا فِي فَلَاقِ حَيَارَى لَا تَحْطُ وَلَا تَسِيرُ
 وَلَا تَجْنَحْ إِلَى سَلْمٍ وَحَارِبٍ عَسَى أَنْ يَجْعَبَرَ الْعَظْمُ الْكَبِيرُ
 أَنْتَمَى عَنِ مَرَاثِدِنَا جِيمًا وَمَا إِنْ مِنْهُمْ إِلَّا بَصِيرُ ؟ !
 وَنَلْقَى وَاحِدًا وَبِفَرْجِ جَمْعٍ كَمَا عَنْ قَائِسٍ فَرَّتْ سَمِيرُ !
 وَلَوْ أَنَا تَبَيَّنَّا كَانَتْ خَيْرًا وَلَكِنْ مَالَنَا كَرَمٌ وَخَيْرُ

إذا ما لم يكن صَبْرٌ جَمِيلٌ فليسَ بِنافعٍ عِدَدٌ كَثِيرٌ
 أَلَا رَجُلٌ لَهُ زَأْيٌ أُصِيلٌ بِهِ مِمَّا نَحَاذِرُ نَسْجِيرًا !
 بَكَرٌ إِذَا السَّيْفُ تَنَاوَلَتْهُ وَأَيْنَ بَنَّا إِذَا وَانَتْ كُرُورُ؟
 وَطَنْنُ بِالْقَنَّا الْخَطَّارِ حَتَّى يَقُولُ الرَّمْحُ : مَا هَذَا الْخَطِيرُ؟
 عَظِيمٌ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ طُرًّا بَانْدُلُسَ : قَتِيلٌ ، أَوْ أُسَيْرٌ
 أَذْكَرُ بِالْقِرَاعِ الْآيْثَ حِرْصًا عَلَى أَنْ يَقْرَعَ الْبَيْضَ الذَّاكُورُ
 يِبَادِرُ خَرْقَهَا قَبْلَ اتِّسَاعِ لِخَطْبِ مِنْهُ تَخْصِيفِ الْبُدُورُ
 يُوسَعُ لِلَّذِي يَلْقَاهُ صَدْرًا فَقَدْ ضَاعَتْ بِمَا تَلْقَى صُدُورُ
 تَنْفَصَّتِ الْحَيَاةُ فَلَا حَيَاةَ وَوَدَعَ حَبْرَةٌ إِذْ لَا مُجْبِرُ
 قَلِيلٌ فِيهِ هَمٌّ مُسْتَسْكِنٌ وَيَوْمٌ فِيهِ شَرٌّ مُسْتَطِيرُ
 وَرَجُو أَنْ يُتِيحَ اللَّهُ نَصْرًا عَلَيْهِمْ ، إِنَّهُ نِعَمَ النَّصِيرُ !

ويقال في قضية أخذ الأسبانول (المابطة النكدة الآتية : كان الازفونش السادس

قد فر من وجه أخيه سانجه ، فالتجأ الى ابن ذى النون ملك طليطلة ، فسمح له بالاقامة عنده ، ولم يكن من عادة العرب أن يستنكفوا في وقت من الأوقات من إيواء الدخيل . وكان المسلمون أنفسهم اذا حارب الواحد منهم أمر يذهب زبلا عند أحد ملوك النصارى ، وهم التجأ فيما بعد مسلمون من غرناطة الى اشبيلية ، ونصارى من اشبيلية الى غرناطة فالأمون ابن ذى النون تلقى الازفونش أو انتد برأ وترحيباً ، واثانف الضيف والمضيف وكانا يذهبان معاً إلى الصيد ، وكانت أرض طليطلة شجراً ، أكثر جداً مما هي اليوم فبينما ذات يوم المأمون والازفونش في إحدى الجنان بجوار طليطلة ، أدركت القائلة الازفونش ، فاضطجع في ظل شجرة ، وجلس المأمون يتحدث إلى أصحابه على مقربة منه ، فبينما هم في الحديث ، عن لهم موضوع طليطلة وما هي عليه من النعمة الطبيعية ،

على شفير ذلك الوادى العميق . فأجمع من حضر من أهل النظر على أن طليطلة لا تؤخذ ولا ينال منها مرام . فانبرى أحد الذين كانوا فى ذلك المجلس ، وخالف رأى الجماعة ، وقال إنه يكفى لتذليل طليطلة ، أن يمد المدور إلى ضواحيها فيجتاحها ، ويقطع الميرة عن أهلها ، فيضطروا إلى التسليم . فان لم يكن أخذ طليطلة بالسيف فيمكن جداً أخذها بالجوع .

وكان الأذفونش بين النائم والواعى . فلما سمع الحديث عن أخذ طليطلة ، أصغى إليه ، وتنب له ، ووعى كل ماسمه . ولكنه أسرها فى نفسه ، ولم يشعر القوم بأنه سمع مما قبل شيئا . ثم إنه لما جلس على عرش قشتالة تذكر ذلك المجلس ، وعمل برأى من قال إن طليطلة قد تؤخذ بالحصر والجوع .

ويظهر من هنا أن الأذفونش لم يكن يجهد العربية ، لأن ابن ذى النون وجماعته إنما تكلموا فى تلك القائلة بالعربية ، لا بالاسبانية . فلو لم يكن الأذفونش عارفا بالعربية لما فهم الحديث

والخلاصة أنه حاصر طليطلة عدة سنوات وعاث فى نواحيها ، وقطع الميرة التى كانت تأتيها من ضواحيها ، وما زال يجمع أهلها حتى أخذها فى ٢٥ مايو سنة ١٠٨٥ كما تقدم

وقيل ، وهو الأرجح ، إنه استولى على تلك البلدة بدون عناء كبير ، بل باقناعه القادر بن المأمون بن ذى النون بأنه يكون خيرا له لو ذهب إلى بلنسية ، وملك فيها وهى فى مجبوحة من الاسلام ، وترك له طليطلة الواقعة دائما فى حلق المدور .

وقد أجمع المؤرخون على سوء تدبير القادر بن ذى النون ، وأنه لم يكن كفوفاً لمروس مثل طليطلة ، فكان وجوده فيها السبب فى ذهابها من يد الاسلام . وكان ذلك نبأ كبيراً ، كما جاء فى مرثية طليطلة ، لان القشتاليين أخذوا بعدها يخنق الاسلام وبركوا على قلبه فى جزيرة الأندلس ، وصار بعدها ثغرهُ مُعَوِّراً وأمرهُ مدبراً .

وأصل بنى ذى النون من البربر الذين كانوا فى خدمة الدولة العامرية . وروى

ابن عذارى أن اسم جدّهم لم يكن « ذا النون » ، وإنما كان « زنون » ، وهو اسم من أسماء البربر فتصحف بطول المدة ، وصار « ذا النون » بالذال .

قال : ولم يكن لهؤلاء القوم نباهة قديمة ، ولا ذكر إلا في دولة ابن أبي عامر ، فانهم تقدموا في دولته واشتهروا ، فكان منهم من يقود الجيوش ، ويلى الأعمال والبلاد . وكان منهم في آخر أمد الجماعة وال بكورة « شنت برية » ، فلما وقعت الفتنة بالأندلس كان الوالى بمدينة طليطلة وذواتها عبد الرحمن بن منبوه ، وأدركته منيته في خلال ذلك ، فورث نظره عبد الملك بن عبد الرحمن بن منبوه ، فأساء السيرة بالرعية . وكان أهل طليطلة على قديم الدهر أهل فتنة وقيام على الملوك ، فلم يرضوا سيرة هذا الفتى فخاموه ، وولوا على أنفسهم من ينظر في أمرهم . ثم إنهم تقموا عليه شيئاً فمزلوه وولوا غيره ، ثم خاموه . ثم رأوا أن يرسلوا إلى ابن ذى النون بشنت برية ، فوجه إليهم ابنه اسماعيل بن عبد الرحمن بن ذى النون . فاستولى هذا الفتى على ملك طليطلة و بلادها ، فأسس أهل مملكته السياسة الحسنة

وكان أكبر أهل طليطلة رجلاً يسمى أبا بكر بن الحديدى ، وكان شيخها ، والمنظور إليه بها من أهل العلم ، والعقل والدهاء ، وحن النظر في صلاح البلد . وكانت العامة تعضده ، وتقوم دونه ، فكان هذا الفتى اسماعيل بن ذى النون لا يقطع أمراً دونه ، ويشاوره في مهمات أموره ، فحده قوم من أهل طليطلة على منزلته عند أميرهم ، فناقشوه وعادوه ، وحضرت منية اسماعيل بن ذى النون ، فولى بده ابنه يحيى بن اسماعيل الملقب بالمأمون ، ولما ملك يحيى بن ذى النون طليطلة جرى على سيرة أبيه في استعمال قانون العدل ، وجرى مع بن الحديدى على سنن أبيه ، فاستقامت طاعته ، وضخم مملكته . انتهى . قلنا ولم يكن القادر بن المأمون على شيء مما كان عليه أبوه لذلك أضع تلك البلدة المذراء ، والخطبة الفراء ، وأى ملك أضعها وأى ثغر مكن منه عدو الاسلام ، فتمكن بقدر ما استطاع ؟ !

ولنذكر هنا ملخصاً ما قاله المستشرق لاوى بروغسسال في الانسيكلوبيديّة

الإسلامية قال : توأيدو ، وبالرعي طليطلة ، مدينة في إسبانية ، موقعها في وسط الجزيرة الإيبيرية على مسافة ٩١ كيلو متراً إلى الجنوب ، والجنوب الغربي من مجريط وارتفاعها عن سطح البحر ٥٦٨ متراً ، وهي على أكمة من الصخر ، يحيط بها نهر تاجه من الجهات الثلاث ، جاري في واد عميق ، يسقى حفافيه إلى الشمال الشرقي ، والشمال الغربي ، بقعة بديمة مريمة ، ومن بعدها ترى بسائط قشتالة الجرداء . وليس في طليطلة اليوم أكثر من ٢٥ ألف نسمة من السكان ، إلا أنها لا تزال مركز ولاية ، ولا يزال فيها كرمى الأسقف الأعظم برماط إسبانية . وأما موقعها فلا يضاهاه موقع في العظمة .

وقد ذكرها جغرافيو العرب فأطالوا ، وقصروا ، وجعلها الشريف الإدريسي من إقليم الشارات ، وفي زمانه كانت طليطلة انتقلت إلى أيدي الإسبانول ، وإنما نوه الإدريسي بمنعة موقعها ، وبمصانة أسوارها ، وبالتفاف جناحها التي تجري فيها قمي الماء الرفوع بالنواعير .

ومن أطرى طليطلة أبو الغداء الذي ذكر بسايتها ، وقال إنه يوجد فيها رمان ذو حجم غير معهود . وقال ياقوت الحموي : إن الخنطة التي تنبتها بقعة طليطلة تبقى سبعين سنة ولا تتعفن ، وإن زعفرانها هو بناية الجودة . وقد ذكر طليطلة المؤرخ الروماني تيتليف وصماها « توليته » وقال : إن الرومانيين استولوا عليها بصعوبة سنة ١٩٣ ق م . وذلك في زمن فولفيوس Fulvius ، وكانت مدينة زاهرة لهد الرومان وصار لها شأن عظيم بعد انتشار النصرانية . وفي سنة أربعمائة للمسيح انعقد فيها مجمع أساقفة حضره ١٩ أسقفاً ، وفي سنة ٤١٨ استولى عليها القوط ، وجعلوها حاضرة ملكهم . وفي سنة ٥٦٧ استقر بها « أتانا جلد » ملك القوط ، ولما تنصر ريكارد سنة ٥٨٧ عظم شأنها ، وصارت عاصمة الكتلانكة في إسبانية . وفي طليطلة كان لنذريق ملك إسبانية ، ويتحدثون أنه فيها شاهد فلورنדה أبن الكونت يوليان صاحب سبتة تنقل في الحمام ، الذي يقال له حمام الكهف ، فقام بها ، ولما فتح طليطلة طارق بن

زياد سنة ٩٢ للهجرة ، او ٧١٤ للميلاد ، كانت تقريباً خاوية على عروشها ، ولم يكن فيها غير نزر من اليهود ، ضمهم طارق إلى جيشه . ثم وافاه الجيش الذي كان سرحه لأخذ غرناطة ومرسية . وفي طليطلة جعل مؤرخو العرب مانق طارق مع موسى ابن نصير سيده ، ولكن موسى لم يترث في طليطلة ، بل ساق منها إلى الشمال قاصداً مرسقطة . وجميع من كتبوا من العرب عن الأندلس ينقلون الأخبار التي كانت شائعة ، والتي هي أشبه بالأساطير منها بالحقائق عن انكنوز والأموال التي وجدها العرب في طليطلة عند ما فتحوها ، وأشهر هذه الأخبار قصة « البيت المعلق في طليطلة » وقد بحث في هذا الموضوع بحثاً دقيقاً المسيو « ريني باسه » René Basset في رسالة ألفها سنة ١٨٩٨ .

ويدور ذكر طليطلة كثيراً في كتب العرب ، ولا سيما من بعد استقرار دولة بني أمية في قرطبة ، فان طليطلة لم تكن تطابع قرطبة ، وأصبحت مركز عصيان دائم على الدولة ، ومما لا شك فيه أن السواد الأعظم من أهلها بعد استيلاء الاسلام عليها لم يتركوا الديانة السكائولايكية برغم استعابهم ، وأهم كانوا لا يطبقون حكم المسلمين برغم شدة تسامح هؤلاء ، فكانوا لا يدعون فرصة تمر ، ولا غيرة تلوح ، حتى يظفروا ويتمردوا

وفي طليطلة وجدت الثورة البربرية التي وقعت سنة ١٢٢ للهجرة أعظم أنصارها وبجانب طليطلة كانت واقعة وادي السليط التي استأصل فيها جيش قرطبة دابر نور طليطلة .

ثم إلى طليطلة هذه انهزم يوسف النهري من وجه عبد الرحمن الداخل ، وبقى ممنعاً بها حتى قتل^(١) سنة ١٤٢ ، ومن زمن عبد الرحمن الداخل إلى زمن عبدالرحمن

(١) بعد أن تمت الغلبة لعبد الرحمن الداخل على يوسف الفهري في خبر سنأني على نصيفه في قسم التاريخ إن شاء الله ، فر يوسف إلى ه فريش ه ثم إلى ه فخص البلوط ، كما جاء في كتاب ه اخبار مجموعة ه أقدم تاريخ عربي للأندلس ، ثم واقع حجة طليطلة



ملاطاة موسى بن نصير مع طارق بن زياد بارض طليطلة

الناصر لم تفتّر طليطلة يوماً واحداً عن المقاومة ، وفي سنة ١٤٧٠ ثار فيها هشام بن عذرة فرماه عبد الرحمن باثنين من قواده : بدر وتمام بن علقمة اللذين حصرا المدينة (١) ،

يريد بن عروة ، ليأمن عنده ، وهو إلى طليطلة على عشرة أميال ، فر بعد الله بن عمر الانصارى . وهو بقرية من قرى طليطلة ، فقبل له : هذا يوسف :هزماً . فقال لأصحابه : ويحك ! اخرجوا بنا نقتله ، وزريح الدنيا منه ، وزريحه من الدنيا ، وزريح الناس من شره ، فقد صار رجلاً ناجساً للحرب . فخرج حتى لحقه ، وليس بينه وبين مدينة طليطلة إلا أربعة أميال ، وليس معه إلا سابق الفارسي ، هولى لبني تميم ، ومن يحمله يقول هولى يوسف . وبقية بسرقة ، ووصيف واحد فقط ، وقد ماتوا من شدة الركض . وليس معهم منعة ولا مدفع ، فقتل عبد الله يوسف الفهرى ، وقتل سابق ، وهرب الغلام حتى دخل طليطلة . ثم أقبل عبد الله بن عمر برأس يوسف ، فلما بلغ ابن معاوية (أى عبد الرحمن الداخل) إقبال عبد الله بن عمر برأس يوسف أمر بضرب عنق عبد الرحمن بن يوسف المكنى بأبي زيد ، وكان عليه حرماً لما صنع ببياله . ثم أخرج رأسه إلى رأس أبيه . اه قلنا ظاهر من هذا النص ، وصاحبه أدري بالحقيقة لأنه أقرب عهداً بالحوادث المذكورة ، ان يوسف الفهرى لم يكن دخل طليطلة ، وإنما كان قاصداً دخولها يوم قتله عبد الله بن عمر الانصارى

(١) الذى في أخبار مجموعة ، هو هشام بن عروة الفهرى ، لاهشام بن عذرة ؟ ولا نعلم هل النصيف في كلام أخبار مجموعة أو في كلام لاوى بروفسال ؟ وقال في أخبار مجموعة ، إنه كان مع هشام في الثورة حياة بن الوليد التجيبي والعمري من ولد عمر بن الخطاب رحمه الله فخرج إليه الامير عبد الرحمن إلى طليطلة فخاصره فيها فلما عضته الحرب ، وناله الحصار ، دعا إلى الصباح وأعطى ولده رهينة ، ورجع عنه الامير . فلما انصرف عنه خلع أيضاً ، وعاد إلى نفاقه ، فغزاه الامير السنة الثانية ، فنزل به وحاربه ودعاه إلى الرجوع ففصر ، فلما ينس منه أمر بابنه الرهينة ففصرت عنقه ، ثم جعل الرأس في المنجنيق ورى به إليه فسقط في المدينة ، ورجع عنه ذلك العام (إلى أن يقول) ثم رجع الامير ، وبعث بعد ذلك بدرأ مولاة ، وتمام بن علقمة إلى طليطلة فحاصر هشام بن عروة ، وقطع الامير البموث على الأجناد ، وجعلها بينهم دولا في كل ستة أشهر . فاذا انقضت دولة نذب أخرى ، حتى مل أهل المدينة الحصار ، واستنقوا الحرب ، وكانهم مع ذلك تمام وبدر ، فاسلموا هشاماً والعمري وحياة (إلى أن يقول) ثم أمر بهم الامير فقتلوا وصلبوا

والا تولى هشام الاول ونازعه أخوه سامان، ذهب هذا إلى طليطلة ، والتزم الامير هشام أن يذهب ويحاصر طليطلة ، وبعد حصار شهرين رجع عنها خائباً . وسنة ١٨١ تولى الحكم بن هشام فثارت عليه أيضاً طليطلة بقيادة رجل اسمه عبيدة بن حميد ، وكان أكثر من يفرى أهل طليطلة بالثورة شاعرهم غريب ، الذي كانوا يحبونه^(١) حباً جماً ، فولي الامير الحكم على طليطلة مولدأ أصله من وشقه ، اسمه عمروس ، وكان اتفق مع الامير أن يأخذ أهل طليطلة في شرك يوقمهم فيه ، وذلك انه دعاهم وقتلهم جميعاً ، في الواقعة المسماة بواقعة الحفرة^(٢) (سنة ١٩١) ولكن لم يمض أكثر من عشر سنوات

(١) قال في الفتح : وكانت في أيام الحكم حروب وفتن مع الثوار من أهل طليطلة
 (٢) يقول دوزي المستشرق العظيم ، أشهر أوربي كتب على الاندلس ، إن طليطلة كان فيها من الاسبانول المستعربة أكثر مما فيها من العرب والبربر الذين كانوا ينتشرن في قراها . فسبب ذلك ، وبسبب نفوذ كلمة القيسين والاساقفة ، كانت طليطلة مستعدة دائماً للانتقاض . وكان الاسبانول لا يزالون ينظرون إليها نظرم إلى عاصمة لهم في الدين والدنيا ، وأهل طليطلة بفطرتهم مترعون إلى الثورة لا يضاهيهم في ذلك قبيل ، وكان عندهم شاعر اسمه غريب من عائلة اسبانية مسلمة يفرهم بالانتقاض أبداً . وكان أمير الاندلس يحسب الحساب لغريب ، ولم يقدم على شيء بحق طليطلة ما دام غريب حياً ، ولكن بعد موت غريب استدعى الأمير اسبانوليا مسلما من وشقه اسمه عمروس وقال له : انه لا يوجد غيرك من يقدر أن يربحنى من أهل طليطلة الذين لا يرضون عليهم والياً عربياً ، فلذلك أنا اخترتك والياً عليهم لأنهم من جنسك . ثم أسر إليه رأيه في الاقتصاص منهم فوافقه عمروس عليه لما كان من شدة طمعه ورغبته في ارضاء الأمير ، ثم كتب الأمير إلى أهل طليطلة كتابا يقول لهم فيه إنه نزولا عند رغبتهم اختار لهم والياً من جنسهم

وما وصل عمروس الى طليطلة حتى بدأ بأعمال الحيلة حتى ينال ثقة الطليطليين الثامة ، وأخذ يظهر بالمصيبة للجنس الاسبانولي ، ويدي في الأحايين بغضاه لئني أمية وللعرب على الاطلاق ، ثم قال للطليطليين ان سبب العداوة بينكم وبين السلطان هو وضع الجنود في بيوتكم ، وتثقيلم عليكم باصناف المغارم فن هناك كانت تنشأ أسباب الخصام فاذا ساعدتموني في بناء حصن لا يواء هذه الجنود في طرف البلدة تكونون

على هذه الواقعة حتى ثارت طليطلة مرة أخرى ، وذلك سنة ١٩٩ فزحف إليها الأمير الحكم بنفسه ، ودخل البلدة ، وأحرق الجانب الأعلى منها ، ثم في سنة ٢١٤ وفق

كفيتم أنفسكم مؤونة هذه المشاجرات . ولما كان الطليطليون قد أرلوا عمروس مزيد فقتهم رضوا باقتراحه هذا بل آثروا أن يكون هذا الحصن في وسط البلدة بدلا من أن يكون على طرف منها . ولما انتهى بناء الحصن أعلم عمروس السلطان بأنه قد أتم بناء الحصن وانتقل إليه بجنوده . فأسرع السلطان بإعلام أحد القواد الذين يرابطون في الثغور بان يكتب اليه عن حركة بدت من جهة العدو ، وذلك حيلة منه حتى يتمكن من ارسال الجنود الى طليطلة . فلما وصل كتاب القائد أمر السلطان بزحف الجيوش على رأسها ثلاثة من وزرائه بعمية ابنه الأمير عبد الرحمن ، ولم يكن بلغ من العمر اكثر من ١٤ سنة ، فوصلت الجيوش الى ضواحي طليطلة فاشار عمروس الى أعيان الطليطلين بالسلام على الأمير فقبلوا وقابلهم الأمير بالحفاوة الزائدة ورجعوا مسرورين فقال لهم عمروس : تقتضى المصلحة ان ندعو الأمير ليقم بين أظهرنا عدة أيام ، فان هذا الأمير سيكون هو الملك في المستقبل ، وانه يحسن أن تكون علاقات الطليطلين به وثيقة فاستحسن القوم رأي عمروس ، وأقبلوا على الأمير يدعونه ليقم عندهم أياماً فأجاب دعوتهم بعد أن اعتذر ثم لما حصل المقصود أمر الأمير بدعوة أهالي طليطلة وضواحيها إلى طعام فكتبوا إلى جميع الأعيان والوجوه وأقبلوا زرافات في الميعاد المعين ، فلم يأذنوا لهم في الدخول إلا واحداً واحداً فكان الواحد يدخل من باب ويرسل فرسه مع تابعه لانتظاره أمام الباب الآخر . وكان عمروس أمر بحفر حفرة في دار الحصن أقام بجانبها عددا من الجلادين فمتدما يصل الواحد من أعيان طليطلة إلى جانب الحفرة يتلقونه بالسيوف ويلقونه فيها . ولم يعلم على تمام عدد الذين قتلوا في ذلك اليوم : فابن عذارى يقول سبحانه والنوري وابن القروطية يجملونهم خمسة الآف . ولما صار الوقت ضحى قال أحد أطباء طليطلة لجماعة كانوا أمام باب القصر : ماذا تراه حصل هؤلاء المدعويين ؟ فقيل له : لعلمهم خرجوا من الباب الآخر . فقال لهم : كنت عند الباب الآخر فلم أجد أحداً خرج . ثم نظر فرأى دخاناً يتصاعد فقال لهم : ليس هذا دخان الوليمة وإنما هو دخان أجساد قتلاكم . وبعد ذلك هدأت طليطلة مدة طويلة . اه وأما غريب الشاعر الطليطلي فقد قال عنه في « بغية المنتمس » ما يلي : غريب (بكسر أوله) الطليطلي شاعر قديم مشهور الطريقة في الفضل والخير وما يتداول الناس من شعره :

٨٢٩ ، ثارت طليطلة أيضاً بتحريض مولد ٤٣١ هاشم الغراب ، فاستمرت الفتنة سنتين إلى أن سكنت . وفي زمن عبد الرحمن الثاني ثارت أيضاً فأرسل إليها جيشاً بقيادة الأمير أمية ، وكان ذلك بعد الفتنة السابقة بخمس سنوات لاغير .

ثم في السنة التي بعدها حصر الأمير طليطلة حصاراً استمر عدة أشهر ، ثم أخذها عنوة في عام ٢٢٢ ولم يرجع عنها حتى أخذ منها رهائن بقيت في قرطبة إلى سنة ٢٣٨ ولكن في هذه السنة نفذها عند ولاية الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم رفعت طليطلة لواء العصيان ، وعزل أهلها الوالي العربي الذي عندهم وزحفوا بجيش هزم جيش الأمير محمد في اندوجر سنة ٢٣٩ ، ولما كانوا يتوقعون زحف الجيوش إليهم من قرطبة تحالفوا مع « أوردونوه » الأول ملك ليون الذي أمدم بجيش من عنده ، ولكن الجيش الأموي تطلب عليهم وقتل منهم عشرين ألفاً .

وسنة ٢٤٤ قوتب الأمير محمد تحت جسر طليطلة بينما كتائب الجند فوق القنطرة ، فوقت وهاكوا جميعا ، فاضطر الطليطليون إلى الخضوع ، ولكن على صورة دفع جزية سنوية ، وتمتعهم باستقلالهم الداخلي .

وبقيت الحال على هذا المنوال إلى زمن الخليفة الناصر ، فلما انتهى من إخضاع

يهددني بمخلوق ضعيف	يهاب من المنية ما أهاب
وليس إليه محيا ذى حياة	وليس إليه مهلك من يصاب
له أجل ، ولى أجل ، وكل	سيلغ حيث يباغى الكتاب
وما يدري ، لعل الموت منه	قريب أبنا قبل المصاب
لعمرك ما يرد الموت حصن	إذا اكتاب الملوك ولا حجاب
لعمرك إن محياى وهوى	إلى ملك تذل له الصعاب
إلى ملك يدوخ كل ملك	وتخضع من مهابة الرقاب

فظاهر من شعر غريب أنه شاعر نازح صعب المقادة لا يهرب الملوك ولا يعرف فرقا بين الملك والصلوك وهو يذكّر ما يذكّر من استواء الجميع أمام الموت تهوينا للموت على الناس صنع كل داع إلى ثورة

جميع الثائرين أرسل إلى طليطلة جماعة من الفقهاء ، ليبلغ أهلها بأن استقلالهم الداخلى غير مقبول . فنصح الفقهاء لهم ، فذهب نصحبهم بدون فائدة فزحف الخليفة إلى طليطلة بنفسه بجيش جرار ، وخيم على الجبل المقابل لاطليطلة ، وأصرّ وصمّم على أن لا يبرح مكانه حتى يفتحها .

ثم جعل يبنى فى الخيم بالحجر ، وأقام سوقاً ، وسمى الخيم مدينة الفتح . ودام الحصار إلى سنة ٣٢٠ ، وفق ٩٣٢ ، فاضطر الطايطيون إلى الاستسلام . وجعل فيها الناصر حامية أموية ، وصارت مركزاً للفر الأوسط .

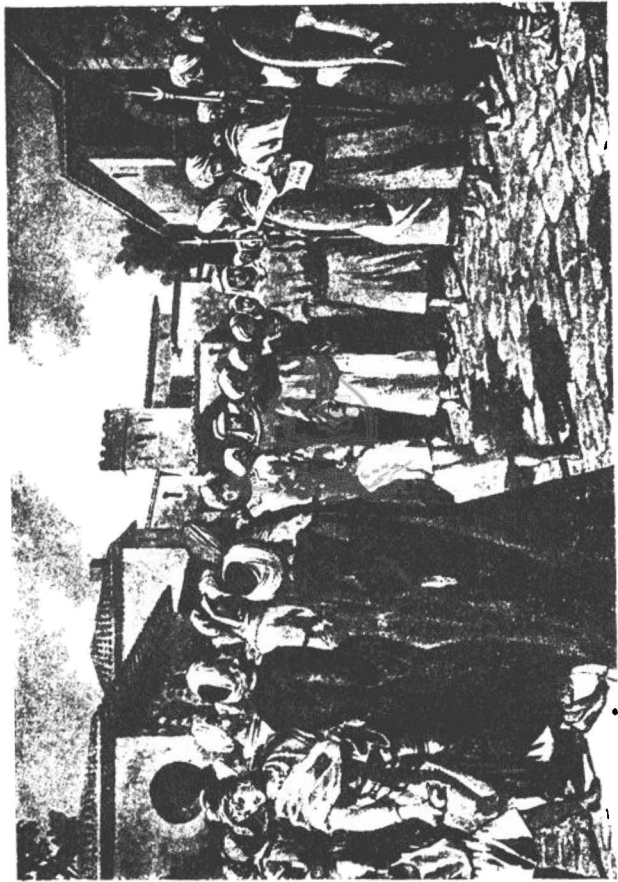
وكان والى طليطلة معدوداً من أكابر رجال الديوان ، فتولاها محمد بن عبد الله ابن حدير ، ثم القائد أحمد بن يلى .

وفى زمن الحكم المستنصر بن الناصر تولاها غالب بن عبد الرحمن الناصرى ، حو الحاجب المنصور بن أبى عامر

ولما نشبت فى قرطبة الفتن التى أفضت إلى سقوط دولة بنى أمية ، لم تستفد طليطلة من تلك الحوادث ، كما كانت تفعل قبل ذلك ، وكانت على مدة سنين مقرأ للقائد واضح ، وماجاً لمحمد بن هشام بن عبد الجبار ، ولكن لما انقسمت الأندلس إلى ممالك صغيرة صارت طليطلة مملكة مستقلة يلبها بنو ذى النون

وكان بنو ذى النون من زعماء البربر خدموا المنصور بن أبى عامر ، وكانوا فى شنته بريّة^(١) . فلما سقطت الخلافة فى قرطبة أرسل أهل طليطلة إلى عبد الرحمن ابن ذى النون يرضون عليه ولاية بلدهم ، فأرسل إليهم ابنه اسماعيل ، فتولى طليطلة وملحقاتها ، واعتمد على أحد أعيانها أبى بكر بن الحديدى . وذهب بعض مؤرخى العرب إلى أنه بعد سقوط الخلافة لم يكن ابن ذى النون أول أمير لاطليطلة ، بل سبقه ابن مسرة ، ومحمد بن يعيش الأسدى ، وولده أبو بكر يعيش . وذكروا أيضاً سميد

(١) Santaver وهى من مقاطعة فونكة



تسليم طليطلة لعبد الرحمن الثاني سنة ٨٣٨ م

ابن شنظير ، وولده أحمد وعبد الرحمن بن منيوه وولده عبدالمالك . على أن بداية حكم ابن ذى النون كانت سنة ٤٢٧ وفق ١٠٣٥ إلى ١٠٣٦ ، فتلقب ابن ذى النون بالظافر . وكانت وفاته سنة ٤٣٥ ، وخلفه ابنه يحيى ، وتلقب بالأمون . ولما مات يحيى سنة ٤٦٧ كانت المملكة الطليطية قد عظمت واتسعت ، فخلفه حفيده يحيى بن اسماعيل بن يحيى ، الذى تلقب بالقادر ، ولم يكن فى هذا شىء من حسن تدبير جده ولا من دهائه . فأخذت مملكة طليطلة بالأخطاط ، وفارقه جميع حلفاء جده من أمراء الاسلام ، فانفرد وأحسّ بالضعف ، والتزم أن يلجأ إلى الأذفونش السادس صاحب قشتالة وليون ، فرضى الأذفونش بأن يحميه لكن على شرط أن يودى إليه إتاوة سنوية كان الأذفونش يزيدا سنة عن سنة . فاضطر القادر إلى أن يزيد الضرائب على أهل مملكته ، فثاروا به فتقبض على كثير من أعيانهم ، وأوقع بهم ، ومن جاتهم وزيره ابن الحديدى ، فازداد بذلك غضب الطليطيين ، حتى فرّ القادر من طليطلة ، وباع أهلها المتوكل ابن الأفطس صاحب بطليوس الذى تولاها سنة ٤٧٢ .

فلما زحف إليها الأذفونش السادس بحجة أنه يريد حفظها لابن ذى النون كان ذلك خداعاً منه ، ودخلها فى ٢٧ محرم سنة ٤٧٨ ، وفق ٢٥ مايو سنة ١٠٨٥ وكان قد أجبر القادر على عقد معاهدة معه يتخلى له بها عن المملكة ، فكانت مرحلة شاسعة من مراحل استرداد المسيحيين للأندلس .

وحصل لأخذ طليطلة وقع عظيم فى النصرانية وعند المسلمين أيضاً . وكانت هذه الواقعة سبب غارة المرابطين فى السنة التالية . إلا أنه مع ظفر يوسف بن تاشفين ، والأيام التى أداها الله للموحدين بعد المرابطين فى جزيرة الأندلس ، لم يتمكن المسلمون من استرجاع طليطلة ، ولبشوا يحاصرونها حيناً بعد حين ، فقد حاصروها مرة فى زمن الأذفونش السادس نفسه ، ومرة أخرى فى زمن سلطان الموحدين أبى يوسف يعقوب المنصور ، وذلك سنة ٥٩٢ ، وفق ١١٩٥ ، وكان المنصور يعقوب استرجع فى هذه

الغزاة قلعة رباح ، ووادي الحجارة ، ومجريط ، على أثر واقعة الأرك^(١) ، التي كانت للمسلمين على النصارى^(٢) ، إلا أنه بعد واقعة نافاس طولوزه (السماعة عند العرب بالعقاب) في ١٦ يوليو سنة ١٢١٢ ، لم يبق أذى أمل للإسلام في استرجاع طليطلة . ولما رجعت طليطلة مسيحية ، وصارت عاصمة قشتالة ، بقيت حافظة مسحة إسلامية راسخة ، فإن قسما من أهلها لبثوا مسلمين ، فسكا أنها كانت مدينة الموزاراب

(١) يسمها احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة صاحب بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، واقعة الأركة فهو يقول ما يلي : وكان جواز عسكر الموحدين أعزم الله - يقول أعزم الله لانه هو كان في ذلك العصر - الى الجزيرة الخضراء في عام ثمة وثلاثين وخمسمائة وكان النصارى وقهم الله قد استجاش بهم ابن غانية ودخل بهم قرطبة وغلّبوا عليها وأدخلوا دوابهم في جامعها المعظم ومزقت أيدى الكفار به مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وجمع بعد جهد . ولما سمع النصارى وزعيمهم الانرطور بان عسكر الموحدين قد جاز الى الجزيرة خاف وخار وجمع الاعوان والانصار واستشار فاشاروا عليه بان يرجع الى بلاده وينظر في حمايتها فغذله الله وتوافق مع ابن غانية على أن يتركه بقرطبة وينصرف فتركها بها ثم خدعه وطلب منه بياسة فدفعها اليه مخافة أن يستقر بقرطبة . واستولى الأمر العالى أدامه الله بعد ذلك على جميع ما كان بأيدي المسلمين بالأندلس وارفعت المحن والفتن والجور والجزية واجتمعت الكلمة وجرت على الروم دمرهم الله هزاييم حمة آخرها هزيمة أذفونش بن شايجه فقصمه الله عند الأركة على مقربة من قلعة رباح في التاسع لشعبان المكرم عام احدى وتسعين وخمسمائة . وكان عسكره الذميم ينيف على خمسة وعشرين الف فارس وماتى الف راجل . وكان معه جماعات من تجار اليهود قد وصلوا لاشترى أسرى المسلمين واسلابهم واعدوا لذلك أموالا فهدمهم الله تعالى واستوعب القتل أكثرهم وحاز الموحدون جميع ما احتوت عليه محلتهم الذميمة وعابن اللعين الحمام ونجا برأس طمرة ولجام وكانت هزيمة شديعة على الشرك واهله لم يسمع بمثلها والحمد لله رب العالمين والعاقة للفتين .

(٢) الذين يعرفون تاريخ دولة الموحدين يهزمون بأنه لو طالت حياة يعقوب المنصور لاسترجع طليطلة وجميع ما كان خلا من الاسلام من بلاد الأندلس .

أى الأسبان المستعربين في دولة الاسلام ، كانت أيضاً مدينة المورسك أى المسلمين المدجنين في دولة النصارى . ومن الغريب أنه لم يبق آثار كثيرة في هذه البلدة للمسلمين عن إقامتهم الطويلة بها ، وكل مابقى هو آثار جامع صغير في بيب^(١) مردوم هو الذى تحول إلى كنيسة باسم كنيسة مسيح النور ، وكذلك وجد في طليطلة من بقايا الاسلام بعض أقسام من قصر « تورنيرياس »^(٢) ، ومن الباب القديم المسمى بيب شقره^(٣) . وإسكنه وجد كثير في الأرباض من قبور المسلمين التى عليها كتابات عربية^(٤)

(١) ذكرنا من قبل أنهم في الأندلس كانوا يلفظون بالامالة ويقولون للباب بيب ولا يزال في قرطبة وفي اشيلية وفي غرناطة أبواب كثيرة يقال للواحد منها بيب كذا وبيب كذا وهى إمالة يرجع عندهم أخذوها من الشام فقد سمعت بأذن بعض أهال ببلبك يقولون للباب بيب وإن كان الأكثر في الشام اليوم لا يلفظون الباب بالامالة . ولقد حررت رسالة في علاقة اللهجات العربية بالتاريخ القبتها في مؤتمر المنشرفين بليدن سنة ١٩٣١ ونشرتها في مجلة المتكاتف وربما أطبعها على حدة إن شاء الله .

(٢) Tornerias (٣) Visagra

(٤) وجدت سنة ١٨٧٨ في ديرسان برنلى في بقعة طليطلة كتابة هى الآن محفوظة في المتحف الأثرى الوطنى في مجرى هذا نصها بعد البسملة : يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الفرور . هذا قبر محمد بن أحمد بن محمد ابن مغيث كان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون توفى رحمه الله ليلة الاحد ثمان بقين من ربيع الآخر سنة سبع وأربعين وأربعمائة .

ذكر لاوى بروفسال : أن الغزال سفير المغرب زار سنة ١٧٦٦ طليطلة واطلع على هذه الكتابة وروى ذلك في رحلته فقال : « وركبت في الحال مع الحاكم للدواضع التى أرشدنا إليها فاذا بمقبرة المسلمين رحمهم الله سارية من الرخام مكتوب عليها بخط كوفى : يا أيها الناس الآية ، وهذا قبر الامام أحمد بن أحمد بن مغيث كان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق

وختم لاوى بروفسال هذا الفصل في الانسيكاو ييدية الاسلامية بقوله : برغم أن طليطلة كانت ثغراً ، وكان فيها عناصر عظيمة من النصرانية ، فقد كانت لآخر عهد بنى أمية ، وفي أيام المأمون بن ذى النون ، من القواعد الكبرى للثقافة الاسلامية في الاندلس ، وإن كثيراً من التراجم والسير لتتعلق بعلماء وحكام وفقهاء من مسلمى طليطلة . انتهى

ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون توفي رحمه الله عليه ليلة الأحد ثمان بقين من ربيع الثاني سنة تسع وأربعين وأربعمائة ثم سارية أخرى مكتوب في أولها ما في الأول من الآية الشريفة غير أن صاحب القبر لم يعرف من هو نحو المحل الذي هو مكتوب ولم يبق من الحروف إلا لفظ أربع وأربعين في محل التاريخ لا يقرأ ما قبله ولا ما بعده قال لاوى بروفسال : إن صاحب هذا القبر فيما يرجح هو ابن أبي عمر احمد بن محمد بن مغيث الصدفى المحدث الطليطلى الذى مات سنة ٤٥٩ هـ وترجه ابن بشكوال في الصلة وقال إن السفير المغربى لم يكن فيما يظهر ماهراً بقرأة الخط الكوفى

وقد وجدت أيضاً في تلك البقعة كتابة أخرى هي هذه : **بسملة . . .** هذا قبر أحمد بن فرج مولى محمد بن جمهور توفي رحمه الله يوم الأحد يوم خمس عشرة من شهر رمضان سنة اثنتين وستين وأربعمائة رحمه الله عليه ، وكتابة أخرى على قبر مجهول نصها : **بسملة . . .** هذا قبر محمد بن يوسف ابن العاسل توفي رحمه الله يوم الخميس لسة عشر خلون من المحرم سنة أربع وستين وأربعمائة فرحم الله من ترحم عليه ، ووجدت كتابة بخط نسخت تاريخها سنة ٦٦٠ للهجرة هذا نصها بعد البسملة والتصلة : **يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تنفركم الحياة الدنيا ولا يفرككم بالله الفرور هذا قبر زهرة بنت محمد بن محمد رحما الله توفيت وهي تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله في عام ستين وستائة .**

فهذه الكتابة هي بعد رجوع طليطلة للاسبانيول بنحو من ما تبنى سنة فقد بقي فيها عدد غير قليل من المسلمين المحافظين على جميع شائهم وقد بقي فيها مسلمون إلى ما بعد ذلك العهد بكثير ولكن بعد صدور الأوامر من ملوك الاسبان بتقصير جميع المسلمين قسراً أصبحوا لا يقدررون أن يعلدوا اسلامهم وبقى في تلك البلدة مسلمون مكرهون على النصرانية وقلوبهم مطمئنة بالايمان إلى ما بعد سنة الف للهجرة

وجاء في الانسيكلويدية الاسلامية تحت لفظة « أندلس » بقلم المستشرق سيبولد كلام قال فيه : إلى الآن لم يتيسر القيام بتحقيق علمي تام عن كيفية تأثير المدينة الاسبانية العربية بأوربة في القرون الوسطى ، وإلى أية درجة بلغ هذا التأثير . فهذا الأمر يتماق بالبحث عن دار الترجمة التي كانت بطليطلة ، وهي الواسطة التي قام بها أدباء اليهود بين الشرق والغرب ، وكان هؤلاء اليهود بأجمعهم منسويين إلى الثقافة العربية . انتهى

وجاء في صبح الأعشى للقلقشندي : أن موقع طليطلة في آخر الاقليم الخامس قال ابن سديد : حيث الطول خمس عشرة درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة وثمان عشرة دقيقة ، قال في تقويم البلدان : وهي من أمنع البلاد وأحصنها ، مبنية على جبل عال ، والأشجار محدقة بها من كل جهة ، ويصير بها الجبلنار بقدر الرمانة من غيرها ، ويكون بها شجر الزمان عدة أنواع ، ولها نهر يمر بأكثرها ، ينحدر من جبل الشارة ، من عند حصن هناك يقال له تاجه ، وبه يعرف نهر طليطلة . ومنها إلى نهاية الأندلس الشرقية ، عند الحاجز الذي هو جبل البرت ، نحو نصف شهر . وكذلك إلى البحر المحيط بمجهة شلب . ثم ذكر القلقشندي من مضافات طليطلة مدينة وليد^(١) ، ومدينة الفرج^(٢) ، ومدينة سالم^(٣) التي فيها قبر المنصور بن أبي عامر

بقي علينا أن نذكر قضية المائدة التي يقال إن طارق بن زياد وجدها في طليطلة عند فتحها ، وأطال مؤرخو العرب في وصفها ، وهاموا في أودية الخيال ، وقالوا ليس وراءه مقال ، وسموها مائدة سليمان ، وزعموا أنها كانت من دخائر أشبان ، ملك الروم لدى بني أشبيلية ، وأنه أخذها من بيت المقدس . وقالوا إن هذه المائدة قومت عند

(١) Valladolid

(٢) ويقال لها وادي الحجارة وبالاسبانيولي Guadalajara

(٣) والاسبانيول يقولون لها مدينة سالي بالترخيم Medinaceli

الوليد بن عبد الملك بمائة ألف دينار ، وقيل إنها كانت من زمرد أخضر . وقالوا إن طارقا وجد بطليطلة ذخائر عظيمة ، منها مائة وسبعون تاجاً من الدر والياقوت والأحجار النفيسة ، وإيوان ممتلىء من أواني الذهب والفضة ، وهو كبير ، حتى قيل إن الخليل نامب فيه فرسانها برماهم لوسمه . وذكروا أن أواني المائدة من الذهب ، ومصافها من البشم والجَزَع ، قال المقرئ في نفع الطيب بعد سرده هذه الأشياء : وذكروا فيها غير هذا مما لا يكاد بصدقه الناظر فيه

قلنا : هذه أخبار أشبه بالأساطير ، وحكايات العجائز منها بالتوار يخ ، وقد كان مؤرخونا رحمهم الله في غمى عن نقل كل ما تلوكة أسن العوام الذين يتكلمون بقدر عقولهم ، وكما بعد الزمان أو المكان ازدادت المبالغة في الخبر . ورحم الله ابن خلدون الذي عاب على المؤرخين تسوقهم من الأخبار كيفما اتفقت ، بدون تمحيص ولا تفكير وبدون عرض الأشياء على أصولها ، ولا قياسها بأشباهها ، وأطال في هذا الموضوع . وكان حجة للعرب في أمر التحقيق .

والحقيقة التي لا مفر منها أن من عادة مؤرخي العرب ، إلا من رحم ربك ، نقل الفث والسامين بدون أن يأذنوا لأنفسهم في الاعتراض على ما يكونون هم أنفسهم مرتابين في صحته ، وذلك تورعاً عن تكذيب من قبلهم ، وبجحة ان هذه الرويات قد تكون صحيحة ، وان هذا العالم هو عالم الامكان ، فليس ثمة شيء مستحيل ، وان قدرة الله تعالى لا يعجزها شيء ، وما أشبه ذلك من التعليقات .

والجواب : نعم ان قدرة الله تعالى لا يعجزها شيء ، وان هذه الرويات وأغرب منها بكثير غير خارج عن حيز الامكان ، واسكن هذا شيء والذي نحن فيه شيء آخر ، فعلم خروج الفرائب عن حيز الامكان لا يوجب أن يكون كل ما يروى منها صحيحاً ، اذا لم توجد له أسانيد لا يتطرق اليها الشك ، وحجج لا يمكن فيها النزاع . والحال انه في ما يروى عن هذه المائدة التي قيل ان العرب وجدوها في طليطلة ، لا توجد إثبات تحمل على الجزم بصحتها ، وقد يكون طارق وجد في عاصمة القوط هذه

بعض ذخائر ونفائس ، مما لا تخلو منه عوامم الملوك ، وربما وجد مائدة مرصعة بالدرر واليواقيت ، وهذا عند الملوك شئ معتاد ، وقد قيل : عن الملوك ولا تسل ، ولكن العوام جعلوا الواحد مئة ، وواصلوا المسألة إلى الحد الذي يتخيل فيه الانسان قصص ألف ليلة و ليلة .

وأما الافرنج فقد تكلموا عن هذه الروايات فحملوها على الخيالات ، وعدوها من الحالات ، وهذا أيضاً مردود لأن عاصمة كعاصمة اسبانية يجوز أن يجد فيها الفاتح من ذخائر ملك القوط حجارة كريمة ، وتيجاناً مرصعة ، ومائدة من الذهب والفضة ويجوز أيضاً أن يظا إيواناً واسعاً ، مموهة أطرافه بالذهب ، وإن كانت الفرسان لا تلمب فيه بأرماحها .

وأما طول قنطرة طليطلة وعرضها ، وإن الطول ثلاثمائة باع ، وإن العرض ثمانون باعاً ، فهو من المبالغات التي تتناقها العوام بدون روية ، ولعلها من خطأ النساخ الذين نقلوا نصح الطيب .

أما ابن حوقل في المسالك والممالك فيقول عن طليطلة : وهي مدينة كبيرة جلييلة مشهورة ذات سور منيع ، وهي على وادى تاجه ، وعليه قنطرة عظيمة ، ويقال ان طولها خمسون باعاً ، النخ ، فظهر من هنا اختلاف الرواية من ثلاثمائة إلى خمسين ، على ان المقرئ في النصح يروي أن هذه القنطرة قد خربت أيام الأمير محمد الأموى ، لما عصاه أهل طليطلة ، وقال فيها الحكيم عباس بن فرناس أول من اخترع آلة للطيران :

ما كان يُبقي الله قنطرةً نُصبت لحل كتائب الكفر

والأمير محمد قد توفى سنة ٢٧٣ ، وابن حوقل كتب كتابه هذا في الثلث الأول من القرن الرابع للهجرة ، أى بعد وفاة الأمير محمد الأموى بستين أو سبعين سنة ، فتكون القنطرة الشهيرة الموصوفة قد خربت ، وقام مقامها القنطرة الحديثة ، التي يقول ابن حوقل ان طولها خمسون باعاً فهل بين القنطرتين كل هذا الفرق ؟ وعلى كل حال

لا نجد القنطرة الحاضرة على تلك المظامة التي حدثوا عنها ، فهي قنطرة كبيرة بجانبها أخرى صغيرة أصلها من بناء العرب ، ثم تشعبت في زمن الازدفونش الملقب بالحكيم فأصلحها . ثم جردها تينور يوه رئيس الأساقفة .

وجاء في مروج الذهب المسعدي عن طليطلة قوله : قصبة الأندلس يشقها نهر عظيم يدعى تاجه : يخرج من بلاد الجلالة والوسقيد (Basque) وهي أمة عظيمة لهم ملوك وهم حرب لأهل الأندلس كالجلالة والافرنجة ، وبصب هذا النهر في البحر الرومي .

هذا تحريف من الناسخ أو هو سهو من المسعدي نفسه ، لأن نهر تاجه مصبه في البحر الاطالتيكي وهو موصوف بأنه من أنهار العالم ، وعليه على بعد من طليطلة قنطرة عظيمة تدعى قنطرة السيف ، بنتها الملوك السالفة .

ومدينة طليطلة ذات منعة ، وعليها أسوار منيعة ، وأهلها بعد أن فتحت وصارت لبني أمية قد كانوا عصوا على الأمويين ، فأقامت مدة سنين ممتعة ، لا سبيل للامويين إليها . فلما كان بعد الخمس عشرة وثلاثمائة فتحها عبدالرحمن بن محمد بن عبد الله ابن محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ابن مروان بن الحكم ، وعبد الرحمن هذا هو صاحب الأندلس في هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وقد كان غير كثيرأ من بنيان هذه المدينة حين افتتحها وصارت دار مملكة الأندلس قرطبة إلى هذا الوقت . . . (إلى أن يقول) : ولهم من المدن الموصوفة نحو من اربعين مدينة ، وتدعى بنو أمية الخلائف ، ولا يخاطبون بالخلفاء ، لأن الخلافة لا يستحقها عندهم إلا من كان مالكا للحرمين ، غير انه يخاطب بأمير المؤمنين اه .

قلت : ذكر هذا المسعدي في زمن عبد الرحمن الناصر ، ويظهر انه كتبه قبل أن علم أن الناصر رحمه الله تلقب في آخر الأمر بالخليفة ، وبأمير المؤمنين معاً . وذلك بعد أن توحدت الجزيرة الاندلسية تحت حكمه ، وامتد سلطانه إلى بر المدوة ، وكان قد بدأ الضعف في دولة بني العباس في بغداد .

وربما يكون الناصر لم يكن اشتهر تلقبه بالخلافة في سنة ٣٣٢ التي كتب
المسعودي فيها كتابته هذه فإن وفد قسطنطين بن ليون ملك القسطنطينية إلى الناصر ،
كان في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، على رواية ابن خلدون ، أوسنة ثمان وثلاثين
وثلاثمائة ، على رواية غيره ، وقد خاطب فيه صاحب القسطنطينية المذكور عبدالرحمن
الثالث الأموي الناصر لدين الله بقوله : « العظيم الاستحقاق للفخر ، الشريف النسب
عبد الرحمن الخليفة ، الحاكم على العرب بالاندلس ، أطال الله بقاءه » وفي الاحتفال
الذي جرى عند وصول سفراء ملك الروم وتكلم فيه القاضي الفوه المشهور ، منذر
ابن سعيد البلوطي ، كان من جملة كلامه في ذلك الجمع : فأصبحتم بنعمة الله إخواناً
وإلى أمير المؤمنين لشتمكم على أعدائه أعواناً ، حتى تواترت لديكم الفتوحات ، وفتح
الله عليكم بخلافته أبواب الخيرات والبركات . (إلى أن يقول) : فقد أصبحتم بين
خلافة أمير المؤمنين ، أيده الله بالمصمة والساد ، وألمه خالص التوفيق إلى سبيل
الرشاد ، أحسن الناس حالاً ، وأنعمهم بالآ ، وأعزهم قراراً ، وأمنهم داراً الخ .
فن هنا يظهر أن لقى الخليفة ، وأمير المؤمنين كانا في ذلك الوقت مستملين
بحق عبد الرحمن الناصر ، وإذا رجعنا إلى رواية النفع نجد أن الناصر تلقب بهما من
قبل ذلك ، فإنه يقول في صفحة ١٦٥ من الجزء الأول ، الطبعة المصرية الأولى ،
ما يلي : وهو أول من تسمى من بني أمية بالاندلس بأمير المؤمنين ، عند ما التفت
أمر الخلافة بالشرق ، واستبد موالى الترك على بني العباس ، وبلغه أن القنطرة قتله
مؤنس المظفر مولاه سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، فتلقب بألقاب الخلافة . انتهى .
وفي بنية المتمس لابن عميرة : ان موسى ابن نصير لما افتتح الاندلس ، مضى
على وجهه يفتح المداين ، حتى انتهى إلى مدينة طليطلة . وهي مدينة الملوك ، فوجد
فيها بيتاً يقال له بيت الملوك ، وجد فيه خمسة وعشرين تاجاً مكللة بالدر والياقوت ،
وهي على عدد الملوك الذين ملكوها ، كلما مات ملك جعل تاجه في ذلك البيت ،
وكتب على التاج اسم صاحبه ، وكل من أتى عليه من الدهر إلى يوم مات . انتهى .
هنا خمسة وعشرون تاجاً لا غير .

وأما في نفتح الطيب فقد ذكر في الجزء الأول في الصفحة ١٣٥ أنه وجد في طليطلة مائة وسبعون تاجاً من الذهب الأحمر، مرصعة بالدر وأصناف الحجارة الثينة، ووجد فيها الف سيف ملوكي، ووجد فيها من الدر والياقوت اكيال، ومن الذهب والفضة مالا يحيط به وصف. ومائدة سليمان، وكانت فيما يذكر، من زمردة خضراء وزعم بعض المعجم أنها لم تكن لسليمان^(١)، وإنما أصلها أن المعجم أيام ملكهم كان أهل الحسنة في دينهم، إذا مات أحد منهم، أوصى بمال للكنائس، فإذا اجتمع عندهم مال له قدر، صاغوا منه الآلة من الموائد العجيبة، والكراسي من الذهب والفضة، تحمل الشمامسة والقسوس، فوقها الأناجيل في أيام المناسك، ويضعونها في الأعياد للدهابة. فكانت تلك المائدة في طليطلة مما صنع في هذا السبيل، وتأنق الملوك في تحسينها، يزيد الآخر منهم فيها على الأول، حتى برزت على جميع ما اتخذ من تلك الآلات، وطار الذكر بها كل مطار. وكانت مصوغة من الذهب الخالص، مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزرجد. وقيل إنها من زبرجدة خضراء، حافظها وأرجلها منها، وكان لها ثلاثمائة وخمس وستون رجلا، وكانت توضع في كنيسة طليطلة، فأصابها طارق، اه.

قال المقرئ: وقد ذكرنا فيما مر عن ابن حيان ما فيه نظير هذا، وذكرنا فيما مضى من أمر المائدة وغيرها ما فيه بعض تخالف. وما ذلك إلا لأننا ننقل كلام المؤرخين، وإن خالف بعضهم بعضاً، ومرادنا تكثير الفائدة

وبالجملة فالمائدة جليلة المقدار، وإن حصل الخلاف في صفتها، وجنسها، وعدد أرجلها. وهي من أجل ماغنى بالأندلس، على كثرة ما حصل فيها من الفنائم

(تم الجزء الأول والمحمد لله)

فهرس الكتاب

المقدمة صفحة ٦ - ١٩

الأسباب التي حملت على تأليف هذه المعلة الأندلسية - علم التاريخ ضرورة من ضرورات البقاء فضلا عن الارتقاء - درس تاريخ السلف أحسن وسائل النشاط من المقال ليقال للناشئ: هكذا كان آباؤك فأين إباؤك؟ وهذا ما فعله أجدادك فأين جهادك؟ - الأسباب التي حملت العرب على فتح الأندلس، وما بذلوا في فتحها من دماء، حتى خيم الإسلام بعقرتها تخيم من أجمع الاعتمار، والأسباب التي عادت فأخرجتهم منها - مختصر تاريخ الأندلس الذي كتبناه من أربعين سنة - اختيارنا التقل عن المؤلفين لتكون هذه الموسوعة معرضاً لآراء جميع الذين كتبوا عن الأندلس، مع ذكر رأينا الخاص في ما نقله - بدايتنا بالجغرافية لأنها سابقة للتاريخ - إدخالنا في القسم الجغرافي ذكر من نبغ من العلماء، ولا سيما علماء العرب، في كل بلد من البلدان التي وصفناها - تويجنا الكتاب باسم الأمير عمر طوسون الذي وقف نفسه على خدمة الإسلام والشرق، وقد علمنا ذلك بنفسنا منذ خمس وعشرين سنة إلى اليوم.

صفحة ٢٤ - ٤٢

لمحة عامة عن شبه الجزيرة الأيبيرية من الجهة الجيولوجية، ومن جهة الأرقام الأولى الذين سبقوا إلى سكنى هذه الجزيرة - التقسيمات الطبيعية لهذه الجزيرة - اشتقاق اسم الجزيرة الأيبيرية واسم الأندلس - خطط هذه الجزيرة في أيام العرب، وعدد سكانها من قبل ومن بعد -

صفحة ٤٢ - ٥٤

أقوال العرب عن جغرافية الأندلس - قول ابن حوقل - رد ابن سعيد على ابن حوقل في مازعه بحق مسلمي الأندلس - المناقشة بين مسلمي الأندلس ومسلمي الشرق في من هو أولى بالملامة على خذلانه لقومه - كلام ابن حوقل عن الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي كان هو في عصره - بحث عن الصقالبة وخصيانهم - قرطبة كأحد جانبي بغداد - وصف ابن حوقل لقرطبة وللزهراء - مسالك الأندلس بحسب تعريف ابن حوقل -

صفحة ٥٤ — ٦٠

قول ياقوت الحموى فى معجم البلدان عن الأندلس — صنم فادس من بناء الفينيقين — لفظة الجوف الذى كان الأندلسيون والمغاربة اليوم يعنون بها الشمال والبحث عن سبب هذه التسمية —

صفحة ٦١ — ١٤٨

وصف الشريف الأدرىسى لجزيرة الأندلس — زعم الأولين أن الاسكندر هو الذى حرق بحر الزقاق وهذا من أساطير الأولين — كرون اتصال الانلاتيك بالبحر المتوسط هو من الحوادث الجيولوجية القرية بالنسبة إلى الجيولوجية — ذكر البلاد المغربية المقابلة للأندلس مثل طنجة وسبتة وتطوان وغيرها — تفسيات الأندلس بحسب قول الأدرىسى — سياحة المرحوم احمد زكى باشا المصرى إلى الأندلس سنة ١٨٩٣ — خبر كنيسة الفراب فى غربى الأندلس — قصة الاخوة المروربين الذين حاولوا الوصول إلى أميركا الحاضرة — قصة هذه المحاولة نفسها من ملك دمالى فى السودان الغربى على ما روى الفلقشندى فى صبح الأعشى — أسماء بلاد الأندلس كلها بالعربية وما يقابل ذلك بالاسبانية — خبر الشريف الأدرىسى واتصاله بخدمة روجار الثانى ملك صقلية — وصف الأدرىسى بالاطول لقرطبة ومسجدها الجامع ومقابلة ذلك بأقوال الجغرافيين الآخرين .

صفحة ١٤٨ — ١٥١

قول أبى محمد الحسن بن احمد الهمدانى عن الأندلس — أقوال بطليموس عن الاقاليم السبعة وتأثير الكواكب بزعمه فى طبائع سكانها

صفحة ١٥١ — ٢٦٢

ما قاله المقرئ صاحب نفع الطيب عن الأندلس — نفع الطيب على علاته واشتماله على مادب ودرج لا يزال أحسن مرجع لتاريخ الأندلس — رغبة المقرئ فى السجع — كلامنا عن نفع الطيب منذ أربعين سنة فى ذيل وآخر بنى سراج، وكلامنا عنه اليوم — أهل البلاد الجنوبية من اسبانية أجل خلقة من البلاد الشمالية لأن الدم العربى فيها أكثر — أكثر الاسم ما أثر فى الأندلس قبل مجى العرب العيينيون والقرطاجنيون ثم الرومان واليونانيين علاقة بكتلونية — كتاب رافائيل بالستر عن اسبانية هو من أحسن الكتب الحديثة عنها — بحث آخر عن استعمال الجوف بمعنى الشمال ، ملك الأندلس

قبل مجي العرب وما ورد في ذلك من أساطير ومن حقائق — ملوك القوط ومدة كل منهم — الحساب اليولياني والحساب الفريغورى وحساب الصفر الاسبانيولى — بحث عن المعادن بالاندلس وما نقله المقرئ وما قاله لاوى بروفسال المستشرق المعاصر — قول رافائيل بالستر إن اسبانية الاسلام كانت من أغنى البلاد الاوربية وأحصاها سكاناً ، في عصر الخلفاء ، كان فيها ست حواضر كبرى وثمانون مدينة معمورة جد العمران وثلثمائة مدينة من الدرجة الثانية — ملكة غرناطة آخر ممالك الاسلام بالاندلس كانت قبل سقوطها ثلاثين مصرأ وثمانين قسبة وعددها أربعة ملايين نسمة — المرية مرسى الاطول الاسلامى الاندلسى وفيها دار الصناعة — دور الصناعة في دانية والجزيرة الخضراء وشاب والفنت وقستلون والمنكب ومالقة وقصر أبى دانيس وطرطوشة وجزيرة بابسة — كان في المرية ألف لإثلاثين قنداقاً مقيدة في ديوان الخراج — طليطلة قاعدة ملك القوطيين — كلام أبى بحر صفوان بن ادريس عن الاندلس بشكل مفاخرة بين مدائنها — أهل شلب وفاحتهم بالمرية وأن الفلاح الذى خلف فدانه كان يقرض الدرهم — كتاب من إنشاء لسان الدين ابن الخطيب عن لسان سلطانه بترجيح الجهاد في الاندلس على الحج وصف سرقة و ذكر السمور المنسوب إليها — التين المالحى والزيب المنكبى والزيت الاشيدلى والمان السفرى الخ — أفاويه الاندلس المتنوعة — حيوانات الاندلس وطورها — مقاطع الرخام بالاندلس — صناعات الاندلس المتعددة الفائقة — قنطرة طليطلة وقنطرة السيف وقنطرة ماردة وملعب مريبط — رواية أن الخليفة عثمان بن عفان هو أول من أوصى بفتح الاندلس — كلمة للشيخ عبد العزيز الثعالبي عن هذه الرواية — خبر البيتين اللتين كانتا بطليطلة — منارة اشيلية التى من بناه يعقوب المنصور — دخل الدولة الاندلسية أيام الناصر عشرون مليون دينار ذهب وثلثمائة وأربعون مليون درهم من الفضة . ويقول لاوى بروفسال إنه تضاعف في زمن المستنصر إلى أربعين مليون دينار وهذا عظيم جداً بالنسبة إلى ذلك العصر — تعاقب الولاية المستمر بسرعة على القيروان وبالتالي على الاندلس كان السبب في وقوف الفتوحات العربية في أوربة لأن الثبات والاطراد هما من أهم شروط النجاح . وأما بعد أن صار الحكم إلى بنى أمية في قرطبة فقد زال التذبذب الذى كان في ولاية الاندلس — الجهاد العربى في أوربة صار مقصوراً على مسلمى الاندلس وحدهم وفي الأحايين من يأتيهم من المغرب وذلك بسبب

انفصال هذه البلدان عن الخلافة العباسية وشتان بين هذا المدد المحدود والمدد العام الذي كان ينظم بين الشرق والغرب — استقامة أحوال بني أمية في قرطبة إلى أن جاء هشام الثاني ابن المستنصر الذي كان ضعيفاً واستبد بالامر حاجبه المنصور بن أبي عامر وأولاده فقم عليهم ذلك بنو أمية وسائر البيوتات العربية فلجأ العامريون إلى إيقاد الفتنة بين العرب والبربر فوقع ما وقع بقرطبة من الحروب بين الفريقين ونجحت ملوك الطوائف وكان ذلك مبدأ انهيار الاسلام في الاندلس — أهل الاندلس أشد الناس تهاقاً على الثورة وغراماً بتغيير الدول — خطط الدولة في الاندلس من وزارة وكتابة وقضاء وشرطة وحسبة وغيرها — العلوم في الاندلس وما كان يرغب فيه أهلها منها ولا سيما علم العربية — كانت الاندلس على مذهب الاوزاعي فلما اشتهر مالك وجاء شبطون وغيره من علماء الاندلس وأخذوا عن مالك نشروا مذهبه في تلك البلاد برأى الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل — زى أهل الاندلس وتقليد النصارى في الحقب الأخيرة — بحث ان المغلوب مولع أبداً بتقليد الغالب مما أشار إليه بن خلدون وإيراد الشواهد عليه مما رأيناه من الدول الشرقية في عصرنا هذا

صفحة ٢٦٢ — ٢٦٦

ما قاله المسعودى في مروج الذهب عن الاندلس .

صفحة ٢٦٦ — ٢٦٧

ما قاله القلقشندي في صبح الأعشى .

صفحة ٢٦٧ — ٢٦٨

ما قاله ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب .

صفحة ٢٦٨ — ٢٧٩

قول المقدسى في كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» — بحث المقدسى في المذاهب عند أهل المغرب والاندلس .

صفحة ٢٧٩ — ٢٩١

وصف لسان الدين بن الخطيب لعرب غرناطة وهو ينطبق على جميع الاندلس نقلاً عن الإحاطة — شرحنا لجميع الأنساب العربية التي وردت في كلام لسان الدين بن الخطيب — عرب الاندلس كانوا يتكلمون بالأماله — سكان مملكة

غرناطة أكثرهم من العرب - بحث المجاهدين في الأندلس من أهل المغرب من
بربر وعرب

صفحة ٢٩٢ - ٣٠١

ما ذكره المقرئ في النصح عن أنساب عرب الأندلس

صفحة ٣٠١ - ٣٠٣

نظرة اجمالية نحو اسبانية والبرتغال -

صفحة ٣٠٤ - ٣١٤

العمران والفرن في اسبانية - ذكر أشهر كنائس اسبانية ومبانيها المذكورة
في الكتب - ذكر الآثار العربية فيها - ذكر أعظم المصورين والتحاتين

صفحة ٣١٥ - ٣١٦

كلام القاضي أبي القاسم صاعد الطليطلي عن الأندلس في كتابه ، طبقات الامم ،

صفحة ٣١٧ - ٣٣٤

التقسيمات الجغرافية الحاضرة - قشتالة القديمة وقشتالة الجديدة - الوادي الجوفي -
وادي إبره - قشتالة القديمة ست مقاطعات : برغش وآبله وسقوية وشورية
ولوكروني وشتند اندر - قشتالة الجديدة : مجريط وطليلة وسبودادريال وفونكة
ووادي الحجارة - ولاية ليون - أمة البشكونس وأصلها ولنتها وأخلاقها - الحدود
بين فرنسا واسبانية وتفصيل بلاد ليون وقشتالة

صفحة ٣٣٤ - ٣٣٨

مدينة برغش - خبر لندريق دويفار بطل الاسبانيول الذي كان يلقب بالسيد
والذي عظامه محفوظة في دار البلدية ببرغش

صفحة ٣٣٨ - ٣٤٣

بلد وليد وتوابها - ذكر آبله

صفحة ٣٤٣ - ٣٥٣

ذكر مجريط عاصمة اسبانية - من انتسب من علماء العرب إلى مجريط - عند
ما استردها الاسبانيول كان فيها أربعة جوامع - أسباب نقل فيليب الثاني عاصمة
اسبانية من طليطلة إلى مجريط - حروب الكارولوسيين - خزنة كتب مجريط واشتغالها
على - تمانه وخمسين الف مجلد منها ثلاثون الف مخطوط وفيها عشرون الف ورقة

من الوثائق وثلاثون الف صورة يدويه وثمانمائة طبعة من كتاب الدون كيشوط -
خزانة الآثار القومية فيها مئتا الف وثيقة - الآثار العربية التي فيها

صفحة ٣٥٣ - ٣٥٥

ذكر خزانة الاكاديمية التاريخية في مجربط والكتب العربية التي طالعتها فيها

صفحة ٣٥٥ - ٣٦٠

ذكر الاسكوريال - معارفنا مع المستشرق آسين بلايوس

صفحة ٣٦٠ - ٣٦٣

ذكر بلدة شقوية

صفحة ٣٦٣ - ٤٧١

ذكر طليطلة - قسم كبير من نصارى طليطلة كانوا قد استعربوا وصارت لغتهم
العربية وكانت جميع مكاباتهم بها حتى إن الكتابات المنقوشة على قبورهم كانت
بالعربية - اعمودجات من صكوك البيع والشراء العربية بين نصارى طليطلة
واختلاط الاسماء الاسلامية بالاسماء المسيحية - نقل ما قاله الوزير الفسافي
المتوفى سنة ١١١٩ للهجرة وذلك في رحلته إلى اسبانية عن مدينة طليطلة - بقاء
الاسلام سرأى طليطلة إلى القرن الحادى عشر للهجرة - نقل كلام ابن عبد الرفيح
الاندلسى المتوفى عام اثنين وخمسين والف - أمثال من أعمال ديوان التفتيش
الثقافة العربية في طليطلة تبقى فيها مدة - مائة سنة من بعد رجوعها إلى الاسبانول -
الطقس اللاتينى فى الكنائس والطقس الخاص بالمستعربين - صكوك متعلقة بأرقاء
المسلمين فى طليطلة - كيفية أخذ الاذفونش السادس لطليلة من القادرين ذى النون -
الجامع الأعظم يتحول كنيسة خلافاً لتهدي الاذفونش - كنائس طليطلة وأما كنها
المشهوره - صناعات طليطلة المتعدده - حروب بنى ذى النون مع بنى هود أصحاب
سرقطة وكيف كان ذلك أعظم سبب لسقوط طليطلة فى ايدي الاسبانول - رثاء
طليلة - ملخص ما قاله عن طليطلة المستشرق لاوى بروفنسال فى الانسيكلويدية
الاسلامية - بعض أقوال مؤرخى العرب عن طليطلة - ثورات طليطلة المتكررة
فى أيام العرب - مبلغ تأثير المدينة الاسبانية العربية باوربا فى القرون الوسطى ،
بواسطة دار الترجمة التي كانت بطليطلة

فهرس الاعلام

الواردة في الجزء الأول من كتاب

الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية

رتبها الفقير إليه تعالى عثمان خليل

احتوا ٢٥٥	(١)
ادريس بن عبد الله بن الحسن	ابراهيم بن اسحاق ٣٧١
المطوي ٢٤٨ ، ٢٩٢	ابراهيم بن خليل ٣٨٢
ادريس بن يحيى المطوي ٢٤٨	ابراهيم بن عبد الرحمن ٣٦٨
الادريسي (الشريف) ١٦ ، ٣٧	ابراهيم بن علي بن سعيد ٣٦٧
٤٠ ، ٦١ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٠	ابراهيم بن القاسم القروي (الرقيق) ١٨٣
١٦١ ، ١٧٠ ، ٣٥٤ ، ٤٥٣	ابراهيم بن وهب ٣١٧
الادريسية ٣٧٣	ابراهيم بن يحيى ٤٠٤
الاذنولش (الملك الحكيم) ٣٥٨	أبترقيس ١٦٨
٤٢١ ، ٤٢٣ ، ٤٦٩	أناجيلد (الملك) ٣٦٣ ، ٤٥٣
الاذنولش (السادس) ١٠٣ ،	أنا وبنوس ١٧٥
٣٠٨ ، ٣٤١ ، ٣٤٥ ، ٣٦٧	احمد بن الأمين الشنيطي ٣٤٣
٣٧٧ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠	احمد بلاتريج ٣٥٩
٤١٠ ، ٤١٣ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨	احمد بن سعيد بن شظير ٤٦٧
٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨	احمد بن علي الحداد ٤٠٨
٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٥٠ ، ٤٥١	احمد اللوق ٤٠٣
٤٦٣	احمد بن محمد ٣١٧ ، ٤٠٨
الاذنولش (الثامن) ٣٣٠	احمد بن محمد بن حجاج ٣٥٥
الارجيشث ٣٨٢	احمد بن محمد بن موسى الرازي ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٧٨
الارسيدي باقر ٣٦٦	احمد بن المهدي التزال القاسي ٣٥٤
أرنلد فرانسلك ٣٨٥	احمد بن يعلى ٥٤ ، ٤٦٠
آريوس (فيس) ٤٣٩	احمد بن يوسف الألساري ٣٦٨
الارد بن القوث ٣٩٥	احمد بن يوسف الرحوي الأحمري ٤٠٧
أسينوزه (مصور) ٣١٣	آم (الحكيم) ٣٥٥
آسين بلايوس (مستشرق)	
٣٩ ، ٣٥٩	
اسحاق بن سليمان ٣٥٥	
اسد بن ربيعة بن نزار ٣٩٤	
اسد بن عبد الله ٣٧٣	
اسكندر المقدوني ٩١ ، ١٧٠ ، ٦٣ ،	
١٨٤ ، ١٩١ ، ٢٠١ ، ٢٠٩	
اسماعيل (عليه السلام) ٣٩٤ ، ٣٩٥	
اسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي	
التون ٤٥٣ ، ٤٦٠	
الاسماعيلية ٣٧٣	
اشبان بن طيش ١٦٨	
أشبان بن لازرة ٣٧٦	
أشنانف مشتبار ٣٨٥	
أشنانف بليانس ٣٨٧	
أشجع بن ريث بن عطفان ٣٩٤	
أشناره القميراني ٣٨٤	
الأسطخري ٣٩	
أغسطس قيصر ٣٦١	
أغيلاز ٣٨	
أباردوسيكور ١٦	
آل بوربون ٣١٤ ، ٣٤٧	
ألبيرة (زوج فرتند) ٣٧١	
ألبيره البرسي ٣٩٢	
ألبيرغومس (مهندس) ٤٢٩	
الونزو بروغيث ٣١١	
الونزوكانو (مصور) ٣١٣	
الونزو (المطان) ٣٣٩	
آل هيبورج ٣١٣	
اليان بن سعيد ٣٦٨	

بیطرة قولو نييرامة ٣٧٤
 بيطرة بن بلان بن أبي الحسن
 ٣٨٩ ، ٣٨٦ ، ٣٨٣
 بيطرة بن يوسف بن مزون ٣٧٤
 بيطروه بن أشتان ٣٩٧
 بيطروه بن أندراش ٣٨٤
 بيطروه بن انغوش ٣٦٩
 بيطروه جليبرت ٣٨٤
 بيطروه ديس ٣٨٥
 بيطروه رويس ٣٩٨
 بيطروه بن مرتين بن يلول ٣٨٧
 بيطروه بن مرتين (مسترب) ٣٩٤
 بيطروه نقولا (البا) ٣٩٧
 بيطروه يوانش (الوزير) ٤٠٥
 بيطروشي بن غابلم ٣٨٦
 البيق ١٢٩

(ت)

تحيب (امراء آشوس) ٣٩٧
 تراجانوس ٣٦١
 تغلب بن وائل الاسدي ٣٩٤
 تلم بن علقمة ٤٥٦
 تميم بن مرة بن أد ٣٩٣
 تنوان (مصور) ٣١٢
 تودويو (أسقف طليطة) ٤٤٤ ،
 ٤٦٩
 توطة بنت لب ٣٩٦
 توكادا (كردنال) ٣٣٩
 توما دونوكادا ٣٣٣
 تيباهي (مصور) ٣٥٦
 تينليف (مؤرخ) ٣٦٣ ، ٤٥٣
 تيريزة (قديسة) ٣٣٩ ، ٣٤٣
 تينوريو (مطران) ٤٣١ ، ٤٣٣
 تيوموسوس (امبراطور) ٤٣٩
 تيوقيل غوتيه ٤٧٤

بالوينو (مصور) ٣١٤
 بامين (الافرنجي) ٣٧٤
 بترو (القائم) ٣٠٨
 بختصر ١٦٩
 بدر بن علقمة ٤٥٦
 بدر الدين النبي ٣٥٤
 بدرو (الدون) ٣٣٩
 برادبلا (مصور) ٣١٤
 برنار (رئيس الاساقفة) ٣٨٠
 بروكا (الكتور) ٣٣٦
 بريان (الملك) ١٦٩
 بسنت بن عبد العزيز ٣٨٩
 بصر بن عياض القشيري ٣٩٩
 بطرس بقرى (مهندس) ٤٣٨
 بطروه غونزاليس ٤٤٥
 بطليموس (القلاوي) ٣٦ ،
 ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١
 بكر بن هوازن ٢٩٣
 بكر بن وائل ٢٩٤
 بلاي (الملك) ٣١٧
 بلد البيرة (مهندس) ٣٠٩
 بلدوين قيليبار ٣٧٤
 بلج بن بصر ٣٩٤ ، ٣٩٩
 بلي بن عمرو ٣٩٨
 بليور (مصور) ٣١٤
 بولول بن عمر ٣٧٥
 بولول بن غالب ٣٨٧
 بولول بن مرتين بن بولول ٣٧٥
 بوان باطرس ٣٨٣
 بيانرو توريجاني ٣١١
 بيطره بن الهلول (البا) ٣٧٥
 بيطره تليقس ٣٧٤
 بيطرة (الخياط) ٣٧٤
 بيطرة بن سهل ٣٧٣
 بيطرة بن عبد العزيز بن عطاق
 ٣٧٥

الزبي وكلوس (جفراق) ٣٣٦
 أبية (الامير) ٤٥٩
 اتالين بن غلنازلقواس ٣٨٥
 انجل غوانزاليز ٣٦٦
 اندراش دحجاج ٣٨٤
 اندراش فرنوم ٣٨٦
 اندلس بن طوبال بن بافت بن
 نوح ١٥٧
 انريك دوايناس ٣٠٩
 انغار بن نزار بن ممد بن عدنان ٣٩٧
 اوسيني (الامبرطورة) ٣٣١
 اوردونوه (الاول) ٤٥٩
 اوردوتيو (الثاني) ٣٣٧
 اورغاز (السكونت) ٤٣٤
 اوزدوبو (مصور) ٣١٣
 أوسه بن مالك بن زيد ٣٩٦
 اوغست مولر ٣٧
 اولابيه بنف ديقه ٣٨٥
 إباد بن نزار ٢٩٤
 إيزابلا بنت هنري (الرابع) ٣٣٩ ،
 ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ،
 ٣٤١ ، ٣٤٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢ ،
 ٣٦٣ ، ٤٣٠
 إيزابلا البرتغالية (الملكة) ٤٣٤
 إيزابلانسن ٣٨٧
 إيزيدور الباسحي ١٦ ، ٣٥٠
 ايوب بن حبيب العنسي ٣٩٩

(ب)

بادس بن حبوس ١٦٩
 باديس ١٩٠
 باسه ٣٨
 باطره بن عمر بن غالب ٣٩١ ، ٤١١
 باطره بن عمر القلاص ٣٧٦ ، ٣٨٩
 باطروه جدولين ٣٩١
 باق بن عمر بن باق ٣٧٥

خير بن مورن ٢٧٧	الحاج الرناطى ٢٥٥	(ث)
خير بن يحيى ٢٧٠	الحازمي ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩	ثابت بن قرة ٢٥٥
خيل دوسلو ٣٠٦ ، ٣١١	جلد بن سمون (الطيب) ٢٢٩	ثعلبة بن سلامة الساطى ٢٩٩
(د)	الحطاري ١٥٩ ، ١٩٤ ، ٢٢١ ، ٢٢٩ ، ٢٥٤ ، ٢٦٧	ثوبان بن سلامة الهذلي ٢٩٩ ، ٣٢٧
دايمان (الجزائر) ٢٢١	حذيفة بن الاحوص القيسي ٢٩٩	ثور بن طير بن عدى ٢٩٧
دايمان فرمان ٢١١	الحمر بن عبد الرحمن الثقفي ٢٩٩ ، ٢٩٤	(ج)
داني (الشاعر) ٢٥٩ ، ٢٦٠	حسان بن سعيد ٢٧٢	المحافظ ٢٧٦
دارد الأحمر بن سليمان ٤٠٨	حسن بن جعفر ٢٨٢	جاشربولين ٢٢٤
دقيانوس (صاحب أمل الكوف)	الحسين بن علي ٢٩٢	جان فان ايك ٢١٢
٤٤٥	حضر موت بن قحطان ٢٩٩	الحياني ٢٧٦
دنة برتدة ٤١٢	حكم بن ثعلون ٢٧٥	حذيفة (الأبرش) ٢٢٠
دنة نفلوش ٢٨٧	الحكم المنصور ٤١ ، ٣٠٠ ، ٤٦٠	حريم بن كحلان ٢٦٥
دوسته أنطولين ٤٩٥	الحكم بن هشام ١٩٨ ، ٢٦٥ ، ٣٠٠ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨	جلبانش بطريس لغتا ٢٦٨
ديسفة بنت أبي الريح سليمان ٢٩٤	الحمدي ٤٤٥	جال الهين الجزائر ٢٥٤
ديسفة البربقي ٢٨٨	حيدر بن سبأ ٢٦٧	جبة بنت فرح ٢٦٧
ديسفة بشكوال ٢٩٦	حيدر بن بشجب ٢٩٥	جهينة بن أسود ٢٩٨
ديسفة يطروس الباسي ٢٨٧ ، ٢٩١	حنة (أخت نقيب الرابع) ٢٢٩	جولان ابن ايزابلا ٢٤١
ديسفة يطريس ٤١٢	حنين اليهودي ٢٤٠	جولان بويستا ٢٥٥
ديسفة بنت حصورة ٢٨٤	حيرس الصنهاجي ١٢٩	جولان خيل اوتانون ٢١٢
ديسفة بنت الريم ٢٨٦	(خ)	جولان (الهون) ٢٢٩
ديسفة سريان ٢٨٥	حتم بن أمار بن أراتي ٢٩٧	جولان ديتوس ٢٩٩
ديسفة سربطول نشفت ٢٧٦	خشتندش (ملك القوط) ١٧٥ ، ١٧٨	جولان رونيس ٢٦٨
ديسفة بن سليمان بن عيصن ٢٨٩	خفين بن تونخ ٢٩٨	جولان فواس (مهندس) ٤٢٩
ديسفة بنت شلبطور ٢٨٧	الحضر (عليه السلام) ١٧٦ ، ١٧٧	جولان فرناندس ٢٥٩
ديسفة بنت عبد الرحمن بن جابر	خلف بن جواد ٢٦٩	جولان كارينيو (مصور) ٢١٢
٢٩٥	خلف بن عبد الله ٢٦٨	جولان كرامو ٢١٥
ديسفة مرزاه ٢٨٢	خلف بن عمر ٢٧٢	جويرت (جبراني) ٢٧
ديسفة بن مغيال ٢٨٢	خولان بن عمر ٢٩٧	جوسه (جبراني) ١٦ ، ٤٢١ ، ٤٢٨ ، ٤٣٥
ديسفة نفره ٢٨٤	الحولاني ٢٤٢	جوقره (مهندس) ٢١٠
ديسفة بن يحيى ٢٧٢ ، ٢٧٥	خيران الصقلي ١٧٩	جوردانو (مصور) ٢١٢
دمفريواتش ٢٨٤	خير الدين بارباروس ٢٥٢	(ح)
دنيس (ملك البرنوط) ٤٠	خير بن ركوي ٢٦٩	حاتم (الحاني) ٢٢٠ ، ٢٥٩
دوريزي ٢٧		
دوزيبه يواكين ٢٥٩		
دوزي (المشرق) ١٦ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٢٨		

سلامة بن مقيال ٢٧٢	ريكاريد (الملك) ٣٢٨ ، ٣٦٢ ، ٤٢٨	دوسار فنتس (الأسقف) ٣١١
سلمة بن حسان ٢٧٥	ريسوند بلدى ٢٨٥	دوق أوشونة ٣٥٠
سلمة بن سعد ٢٧٢	رينه شاتوريران ١٢	دومارليس ١٦
سلمة بن يونس الأصارى ٣٧٨	رينو (المستشرق) ١٦	دوموراه (الكونت) ٤٢٢
سلول ٢٩٢ .	رينى ياب ٤٥٤	دونا (الحكيم) ٣٥٥
سليمان بن عمر ٣٧٨	(ز)	دون كيبوط ٣٥٠
سليمان (عليه السلام) ١٦٩ ، ٤٥٧ ، ٢٠١	زار سيلو ٣١١	دونة بنت عبد الله بن يحيى ٢٩٢
سليمان بن المدجاه ٣٧٨	الزغل ١٥٥	دومار ٢٧٨
سليمان بن هود ٤٤١ ، ٤٤٢	زكري بن عثمان ٣١٩	ديانغود وريانو ٣٠٩
سليم بن زكريا ٣٧٨	زوياران (المصور) ٣١٢	ديمنفوس الارحيسى ٢٧٠
سليم بن منصور ٢٩٢	زوكارو ٣٥٦	(ذ)
السمح بن ملك الخولان ٣٩٩	زيان بن مردنيش ٣٠٠	ذو اصبح بن مالك ٣٩٨
السموال بن عاديا ٢٢	زبدان (السلطان) ٣٥٨	ذورعين ٣٩٧
سنة (أم الملك تيودوريتى) ٣٢٨	زيد بن حارث ٤١٠	(ر)
سهل بن خلف بن علي ٢٧٢	زيغ بنت الحاج ٤٠٤	الرازي ٢٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٣٥٥
سوزة ٢٧	زين الهجين العيني ٣٥٤	رامير (الاول) ٣٠٤
سيول (مشرق) ٢٢ ، ٤٦٦ ، ٣٦	(س)	رى بو اسحاق اليهودى ٣١٧
سيزو (مصور) ٣١٢	سافيدار ٣٨	ريفة بن تزار ٢٩٤
سيف بن الزناد ٢٧٢	سان ابلدفونس ٤٢٣	ردريقة (القديس) ٣٧٨
سيف الحموة ٢٢٠ ، ٢٢٥	سان ليزيدور ٤٣٠	الرساق ٢١٨
سيلو (مهندس) ٢٠٩	سان جوان (قديس) ٤٣٠	رقانة بن يحيى ٢٨٢
سيبونة ١٦ ، ٢٨	سبا بن يشجب بن يرب ٣١٦	رهان بن طمر ٢٧٢
(ش)	سبت بن باث بن نوح ٢٣	الرندي ١٥٥
شاتوريران ١٥٢	سبروز (جفرالى) ٢٧	رودريش بوسالوس ٢٢٧
شارلكان ٣١١ ، ٢٤٦ ، ٢٥٢ ، ٢٥٢	سبريان بن بست ٣٨٩	رودريشة اوردوناز ٣٧٥
٢٥٩ ، ٢٥٨ ، ٢٥٦ ، ٢٥٢	سبريان بطرس لكنتش ٢٧٦	رودريشة بن بشكوال ٢٨٩
٢٦٢ ، ٤٦٦	ستافى لانيول ٢٧	رودريشة ديموقس ٢٨٥
شارلان ٣٢٢	سعدان بن عبد الله ٣٧١	رودريشة شلمتورس ٤١٧
شاذية مرتينوس ٤٠٠	سعد بن بكر بن موزان ٣٩٢	رودريشة شمانس ٣١٦ ، ٢٩٨
شذجة (الملك) ٤٠٠	سميد بن سالم الكثرى ٢٤٤	رودريشة الفونس (مهندس) ٤٢٩
شبيب بن عبد الرحمن (دون) ٣٨٢	سميد بن سالم الجبريطي ٢٤٥	رومان بن باطروز (وزير) ٢٩٥
شربند بن باطره ٣٨٤	سميد بن شطير ٤٦٠	ريارا (مهندس) ٣٠٩
شعب الرحوى للطيرش ٤٠٩	سفيان بن أبي القى ٣٧٢	وياره (مصور) ٣١٢
الشغندي ٤٨٨ ، ١٩٧ ، ٢١٤ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥	سلازار موندوسه ٤٢١	ريانك (مصور) ٢١٢
		ريكارودو القوطى ٤٠٣ ، ٤٢٥

عبد الملك بن هاول ٢٧٣	عاشة بنت معين (الحداد) ٤٠٨	شليطور بن سهل بن عبد الرحمن
عبد الملك بن حبيب النلسي ٢٩٢ ،	عامر بن تمام ٢٧٥	٢٧٦
٤٤٦	عامر بن يحيى بن بلاى ٢٨٧	شليطور بن عبد الملك بن عريب
عبد الملك بن عامر ٢٧٠	مالة القضاية ٢٩٦	٢٨٦
عبد الملك بن عبد الرحمن بن بنو ٤٦٢	عباد بن محمد بن عباد ٢٤٨	شادون بن علي بن وعيد ٢٨٣ ،
عبد الملك بن عبد الملك ٣٦٨	عباس بن فرناس ٢٠٢ ، ٤٦٨	٢٩١
عبد الملك بن قطن ٢٩٩ ، ٢٩٢	عبد بن معاوية ٢٦٥	شمس الدين محمد بن نور الدين ٢٥٤
عبد الملك بن الكردبوس ٢٥٤	عبد الرحمن بن ابراهيم ٢٧٥	شمسى بنت لب (الفخار) ٤٠٩
عبد الملك بن مرتين بن خير ٢٧١	عبد الرحمن بن احمد الفهرى ٣٧٧	شوق بك الشاعر ١٣
عبد الملك بن هارون ٤١١	عبد الرحمن الاوسط ١٨٥ ، ٢٠٠	شول بنت عمر بن هشام ٢٧٧
عبد الله ايتوال ٣٦٨	عبد الرحمن الثالث ٤٧٠	شبانة (امرأة القديبور) ٢٣٦
عبد الله بن ادريس ٦٧	عبد الرحمن الثاني ٤٥٩ ، ٤٦١	شبانيس (الكردتيال) ٤٣٠ ،
عبد الله بن جابر ٢٧٠	عبد الرحمن الفاضل ٢٦٧ ، ٢٩٢ ،	٤٤٤ ، ٤٢٤
عبد الله بن حسان ٢٧٢	٤٥٤ ، ٣٠٠ ، ٢٩٩	(ص)
عبد الله بن فارد ٢٧٥	عبد الرحمن بن ذي النون ٤٦٠	ساعد بن احمد ٢١٥
عبد الله بن سعيد الهريلى ٢٤٤	عبد الرحمن بن زكريا ٣١٨	ساعد الطليليل ١٦
عبد الله بن عبد العزيز ٢٨٩	عبد الرحمن بن زيدان ٢٥٨	صربت ٢٥٥
عبد الله بن عماد الهريلى ٢٩٩ ، ٢٤٤	عبد الرحمن بن عبد الرحمن ٢٧٢	صوتيل لوى ٤٢٤
عبد الله بن المص ٢٧٥	عبد الرحمن بن عبد الملك ٢٨٧	الصهاحى حيوس ١٩٠
عبد الله بن عثمان ٢٧٢	عبد الرحمن بن يحيى الهريلى ٢٤٤	(ض)
عبد الله بن عمر ٢٨٧ ، ٢٨٣	عبد الرحمن الناصر ٣٩ ، ٤١ ،	ضبة بن ادين طابحة ٢٩٢
عبد الله بن فرسان ٢٧٢	٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٥٠٠ ، ١٤١ ، ٢٠٢ ،	(ط)
عبد الله الفزاز ٤١٧	٢٩٩ ، ٢٤٤ ، ٢٦٥ ، ٢٠٠ ،	طارق بن زياد ٨١ ، ١٦٩ ، ٢٠٠ ،
عبد الله بن محمد ٢٠٠	٢٢٢ ، ٢٥١ ، ٢٧٧ ، ٤٥٤ ، ٤٥٦ ،	٢٠١ ، ٢٦٧ ، ٢٦٥ ، ٢٩٩ ، ٤٥٣ ،
هيدي الله بن قائم (مطران طليطك)	٤٥٩	٢٠١ ، ٤٦٧ ، ٤٦٦ ، ٤٥٥ ،
٢٧٧	عبد الرحمن بن بنو ٤٥٢ ، ٤٦٢ ،	طريف (البررى) ٣٦ ، ٢٠٠
عبد الله القوطي ٢٧٠	عبد الرحمن بن يحيى ٢٦٩ ، ٢٧٦ ،	طابيرة (اسقف طليطك) ٤٤٤
عبد بن اشد ٢٦٨	٢٨٦	طلوش بن بيطة ١٧٢
عبدة بن حيد ٤٥٧	عبد الرحمن بن يوسف بن	طوبار (الصور) ٢١٢
عبد بن وايد ٢٧٢	عبد المؤمن ٢١٠	طوبال بن يافت بن نوح ٢٢
عثمان بن ابي نسة ٢٩٧ ، ٢٩٩	عبد الرحمن بن غلمير ٢٧٠	(ع)
عثمان بن سلجان ٢٧٤	عبد العزيز بن غلمير ٢٧٠	عاشة بنت احمد الكونى ٤٠٨
عثمان بن عثمان ٢٧٢	عبد العزيز بن ابي الرجال ٢٧٢	عاشة بنت الهودرى ٢٩٨
عثمان بن عفان ١٤٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧	عبد العزيز بن خير ٣١٨	
عذرة بن سعد ٢٩٨	عبد العزيز بن سيد ٢٧٠	
عذرة بن عبد الله الفهرى ٢٩٩	عبد العزيز بن موسى بن نصير ٢٩٩	
عريظو (الصور) ٤٢٤	عبد العزيز (قيس) ٢٩٦	
	عبد المؤمن ٢٤٩ ، ٢٠٠	

فرناندس (مهندس) ٣٤٥	(غ)	عزود بن محمد المرق ٤٠٢
فرنندوه لبوس ٣٩٨	غافق بن عك المدنان ٣٩٦	عزير بن خطاب ٣٥٦
فرنسوا الأول ٣٣٨ ، ٣٤٦ ، ٣٥٢	قاب بن عبد الرحمن ٥٤ ، ٤٦٠	عريب (المؤرخ) ٣٥
فرنسيسكو ديزي (مصور) ٣١٢	قال بن خلدون ٣٩١	عريم بن زيد ٣٩٨
فرنسيسكو غويا (مصور) ٣١٤	قانيوس ٣٧	عقبة بن نافع النهري ٣٩٢
فرارة بن ذبيان ٣٩٤	غريب بن خلف الجربطي ٣٤٥	عل (بنا (أمير البحر) ٣٥٢
فطومة المناظفة ٤٠٠	غريب الشاعر ٤٥٧	عل بن سيد ٣٤٥
قطيعة بنت عمر ٤٠٤	غرسية رويس ٣٩٨	عل بن عياش ٣٧٥
فلاسكس (مصور) ٣١٢	غرسية القميراني ٣٨٥	عل بن عبد الرحمن الغزاري ٣٥٤
فلافبانوس ٣٦١	غريب بن سعد ٣٥٥	عل بن علي النهري ٤٠٤
فليث القيصري ١٧٥	غريوار التوري ٣٦	عل بن عيسى ٣٠٧
فلورنده بنت الكونت بليان ٤٣٣ ، ٤٣٢	علم طبل ٣٩٧	عل الأسمر (النا) ٣٩٩
فليس بن مروان ٣٧٣	غصالة الجزائر ٤٠٦	عل بن اليوشى ٣٦٧
الفض (أذنوتش) ٣٤٠	غصالب فرانس ٣٧٤	عل بن الحرير ٣٦٨
فورنوتي (مصور) ٣١٤	غصاليه بن الفونس ٣٩٩	عل بن محمد بن الوزير التجيبي ٣٥٤
فولفيوس (الملك) ٤٥٣	غصاليه (القاضي) ٣٩٩	عل بن يحيى ٤٠٨
الفونسو دومارخال ٣٤١	(ف)	عل بن يوسف بن تاشفين ٣٦٦ ، ٣٠٠
فولبيته (أمقت طلبيظة) ٤٤٤	قابر الميورق ٣٠٦	عل الرنقارة الصماري ٤٠٣
فجيل (الشاعر) ٣٥٨	قاروكوارزا (نحات) ٣٤١	عل ولد القليق ٣٦٤
فيدارن (البار) ٣٣٦	فاطمة بنت احمد الانصارى ٤٠٤	عمر بن أبي الفرج ٣٨٦ ، ٣٨٧
فليب الثالث ٣٣٨ ، ٣٥٢ ، ٣٥٩	الفاطمي ٣٨٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥	عمر بزاره ٤٠٣
فليب الثاني ٣١٠ ، ٣٣٨ ، ٣٤٦	فالييسكو (أمير الجيوش) ٣٣٧	عمر بن حفصون الحارثي ٤٧
٣٤٧ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥	فلسكو (دكتور) ٣٦٦	عمر بن سيد ٣٧٣
٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩	فرج بن عبد الله ٣٦٩	عمر طوسون (البرنس) ١٨ ، ١٩
فليب الخامس ٣٥٠ ، ٣٥٨ ، ٣٦٣	فرديناند الثالث ٣٣٥ ، ٣٣٨	عمر بن طبر ٣٧٠
فليب الرابع ٣٠٣ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩	٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٦ ، ٣٥٢ ، ٤٣٠	عمر بن عبد الله ٣٧١ ، ٣٧٦
٣٥٢ ، ٣٥٣	فرديناند الرابع ٣٤٦	عمرس (والي طليطلة) ٤٥٧
فليب فيكارني ٣٠٩	فرديناند السابع ٣٠٠ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤	عنبسة بن سحيم الكليبي ٣٩٩
فليز شنجس ٣٨٥	٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٦٢	عيسى بن مالك بن أدد ٣٦٦
فليس بن غلبام ٣٨٦	فرديناند السادس ٣٥٨	عيسى بن الحسن ٣٦٩
فيليز بن يحيى ٣٩٧	فرديلند بن شاحبة الطاقبه	عيسى بن دينار العايطل ٤٤٦
فيست (قديس) ٣٤٢	٤٤١ ، ٤٤٢	عيسى (المسبح عليه السلام)
ق	فرننده يوانش ٣٨٩	١٧٥ ، ١٩١ ، ٣١٣ ، ٣١٠
قاسم بن احمد ٤٠٤	فرنان غونزاليز ٣٣٧	عيشون بن يحيى ٣٦٩
قاسم بن محمد (البنا) ٤٠٠	فرناندس دولونا (قسيس) ٣١٠	

لويس الرابع عشر ٣٣٢، ٣٣٩، ٣٣٨
 لويس فيليب ٣٤٩
 ليونيل ٣٣٠
 ليوناردو (مضروب) ٣١٣
 (م)
 مانيو مورلز ٣٣٠
 مارتين بن باطروه ٣٩١
 مارتينس مورناس ٣١١
 ماردة بنت الملك هروسوس ٩٠، ٧٩
 مارية كريستيا ٣٤٩
 مارية لويز ٣٣٣
 مازارين (الكورديال) ٣٣٨
 ماسي (الحكيم) ٣٥٥
 مالك بن انس ٣٩٨، ٣٩٣، ٣٧٧، ٣٥٥
 مالك بن نويره ٣١٦
 المأمون القاسم بن حود ٣٠٠
 ماير تمام ٤١٣
 ماير ديمتري ٤٠٦
 ماير عبد العزيز (قيس) ٤١٤، ٤١٥
 ماير عبدلي ٤٣٤
 ميم بن نويره ٣١٦
 التالي ٣٥٦، ٣٣٠
 المتوكل بن هود ٣٠٠، ٣٩٧
 محانت بن عثمان بن خلف ٣٧٦
 محارب بن عمرو الاسدي ٣٩٤
 محمد بن ابراهيم النصاروني ٣٩٩
 د > ابي عامر ٦٤
 د > احمد الرازي ٤٠
 د > احمد بن سعيد ٣٧٧
 د > احمد بن غرغل ٤٠٤
 د > الاودي (الامير) ٣٠٩، ٤٦٨
 د > الثالث ٣٥١
 د > بن الحسن ٣٧٧
 د > السعدي (بناء) ٣٧٧
 د > سويد المجاشعي ٤٣٣
 د > القاضي النهري ٣٥٩

كيلان بن سبا ٣٩٥
 كوندي ١٦، ٣٧، ٣٨
 كونزاد الثاني ٣٥٨
 كونز تانزه ٣٨٠
 كولو (مصور) ٣١٣
 (ل)
 لازر بن علي ٣٨٤
 لارون (ملك ارمينية) ٣٤٦
 لافي بروفسال ١٦، ٣٢، ٣٩
 ٤٥٣، ٤٦٥
 لب اثنائس ٣٨٦
 لب بن تمام (قيس) ٣٩٦
 لب بن فرندس ٣٩٨، ٣٨٤
 لب بن نصر ٤٠٤
 لب بن يحيى ٣٩٤
 لحم بن عدي ٣٩٧
 ليريق بن خيل (البنا) ٣٧٣
 ليريق دويشار ٣٣٥، ٣٣٦
 ليريق (الملك) ١٧٨، ١٨٨، ٣١٧، ٤٠٣، ٤٤٣، ٤٣٣، ٣٩٩
 لسان الدين الحبيب ١٦، ١٥١
 ١٥٣، ١٥٧، ١٨٨، ١٨٩، ٣٢٤
 ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٩١، ٣٩٩
 ٣٦٠
 لوفريفة (اسقف طليطلة) ٤٤٤
 لورنزو (القديس) ٣٥٦
 لورناته (اسقف طليطلة) ٤٤٤
 لوزس بن ديمتري بن عمران ٣٩٤
 لوغديه بنت ييطرو ٣٨٩
 لوغادية بنت بيغاليل ٣٨٥
 لوغادية بنت يحيى الياسي ٣٨٩
 لوغادية بنت يوانس ٤١٦
 لوغادية (القديسة) ٤٣٥
 لويس بونابرت ٣٣٣
 لويس موطارو ٣٣٣

قسطان بن المبيح ٣٩٥
 قديره ٣٨، ٣٩، ٣٦٠
 القرامطة ٣٧٣
 قرشويل بن بليان ٣٩٤
 قرشينه بنت اندراش ٤١٦
 قسطنس (امبراطور) ٤٣٩
 قسطنطين (امبراطور) ٤٣٩
 قسطنطين بن ايون ٤٧٠
 قشير بن كعب ٣٩٣
 قضاعة بن مالك بن حمير ٣٩٨
 القلقندي ١٦، ٣٣، ٤٦، ٣٦٦
 ٣٧٧، ٤٦٦
 قلمية بنت فرند ٣٦٠
 قلوبطره (الملكة) ٦٠
 القندلس ٣٤
 قيس بن سعد بن عباد ٣٩٥
 قيس بن حبة بن هوازن ٣٩٤
 قيس بن عيلان ٣٩٣، ٣٩٤
 (ك)
 كارلوس الثالث ٣١١، ٣٤٧
 كارلوس الثاني ٣٣٣، ٣٥٩
 كارلوس الخامس ٣٤٨، ٣٤٩
 كارلوس الرابع ٣٦٤، ٣٤٧، ٣٤٨
 ٣٣٣
 كارلوس السابع ٣٤٩
 كاذري ٣٧، ٣٨
 كاسترو (مصور) ٣١٣
 كاييازو (مصور) ٣٥٦
 كلتري (حكيم) ٣٥٥
 الكركية ٣٧٣
 كريستوف كواومب ٣٣٨، ٣٥٣
 الكريكو (مصور) ٣١٣
 كسبار بسره ٣٦١
 كلاب بن ريبه ٣٩٣
 كلب بن ويرة ٣٩٨

محمد بن عباد (المتمد) ٢٠٠ ،	مرتيز شاهجس (هندس) ٤٢٩ ، ٤٠٠
٢٠٣ ، ٢٤٨	مرتيز غريبه ٣٩٩
محمد بن عبد الرحمن بن الحكم	مرتيز فرنسيس القرماني ٤٠٦
٤٥٩ ، ٣٤٣ ، ٣٠٠	مرتيز قالي ٣٨٦
محمد بن عبد الرحمن الصفار ٤٠٤	مرتيز بن يحيى بن عبد العزيز ٣٩٩
محمد بن عبد الرحمن بن محمد ٤٠٨	مرشكبطه ٣٨٥
محمد بن عبد الرابع ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢	مروان بن عبد الله بن عبد العزيز ٢١٧
محمد بن عبدالله ^{عليه السلام} ٢٢٤ ، ٢٢٤ ، ٢٩٠ ،	مروان بن غالب ٢٧٠
٤٢٣	مروية بنت تمام ٣٨٤
محمد بن عبدالله الأحمسي ٣٩٩ ، ٣٩٤	مروية بنت حسين بن فرون ٣٩٧
محمد بن عبد الله الاصاري ٣١٨	مريم (زوج عبد الله القزاز) ٤١٦
محمد بن عبد الله بن حدير ٤٦٠	مريم بنت محمد ٤٠٧
محمد بن عبد الله بن عيون ٤٤٦	المستظهر عبد الرحمن بن هشام ٣٠٠
محمد بن عبد الملك بن أين ٤٤٦	المستدين سليمان بن الحكم ٣٠٠
محمد بن عمر بن لبابة ٤٤٦	المستكني محمد بن عبدالرحمن ٣٠٠
محمد بن غلزي الاسكندى ٣٥٤	مستصر بن عبد المؤمن ٤١ ، ٢١٩
محمد بن مردنيش ٣٠٠	مسلم بن الحجاج ٤٤٦
محمد الماري ولد القنان ٤٠٢	مسلمة بن احمد المجريني (لفظي)
محمد المهدي الجبائي ١٩	٣٤٥
محمد (مهندس عرسى) ٣٠٩	مسعود زرقون ٣٩٩
محمد بن هاني (الشاعر) ٢٩٥	المسهودي ١٦ ، ٣٩ ، ٤١ ، ١٥٩ ،
محمد بن هشام بن عبد الجبار ٤٦٠	١٨٤ ، ٢٣٠ ، ٢٦٢ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ،
محمد بن بيش الاسدي ٤٦٠	مسعود بن يحيى ٣٧٢
محمد بن يوسف بن اسماعيل ٣٩١	مطرف (شاعر فرناطه) ٢٠٠
مدرارو (مصور) ٣١٤	المصافير بن يفر ٢٩٧
مراد بن مالك بن أدد ٣٩٦	المتمدد (الباسي) ٢٤٨
المراكبي ٣٦	المتمدد بن عباد (محمد) ٢٠٠ ،
مروة بن أدد ٣٩٦	٢٤٨ ، ٢٠٣
مروة بن صحنه ٣٩٣	المتمدد هشام بن محمد ٣٠٠
مرتيز الازجيد ياقن ٣٧١	مهد بن عدنان ٣٩٦
مرتيز بن أسنانف ٣٧٤	المغاسي (الشيخ) ٤٢٨
مرتيز باطروس ٣٧٦	المغزوين ٩٢
مرتيز بن حسن ٤١١	مفرج بن خير ٣٧٢
مرتيز الجباط ٣٧١	مفرج بن صبان ٣٩٩
مرتيز بن رمالش ٣٧٦	المقتدر ناه ٤٧٠
مرتيز سلمة بن ابي حجة ٣٧٦	المقدسى ١٦ ، ٤٠ ، ٣٦٨ ، ٣٧١ ،
الدقري (صاحب نفع الطيب) ١٦ ،	
٢٩ ، ١٥٤ ، ١٥٢ ، ١٥١ ، ١٥٤ ،	
١٥٥ ، ٢٢٧ ، ١٩٢ ، ٣٧٧ ، ٤٦٧ ،	
٤٦٨ ، ٤٧١	
مقبيل بن سليمان ٣٨٧	
مقبيل بن سيد (الوزير) ٣٩٣	
مقبيل بن علي بن عمر ٣٩٣	
مقبيل بن بوانس ٣٧٢	
ملون ٣٨ ، ٣٧	
ماندة الهليل ٣٨٧	
ماندة فرنسيس ٤١٨	
منبه بن معد العتيبة ٣٩٦	
مندوزا (مطران طلبقة) ٤٤٤ ، ٣٣٩	
منذر بن سيد البلوطي ٤٧٠	
منذر بن محمد ٣٠٠	
المنصور بن ابي طاهر ٢٠٧ ، ٢٥٤ ،	
٢٩٥ ، ٣٩٧ ، ٣٠٠ ، ٣٤٧ ، ٤٥٧ ،	
٤٦٠ ، ٤٦٦	
منسكة ٣٧	
المهدي محمد بن هشام ٣٠	
مهرة بن جيلان ٢٩٨	
مورلو ٣١٣	
موسى بن الصلحان الازبيل ٣٩٥	
موسى بن نصير ٦٣ ، ٨١ ، ١٦٩ ،	
١٩١ ، ٢٠٠ ، ٣٦٧ ، ٣٦٧ ، ٣٩٩ ،	
٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٧١	
مؤنس الظاهر ٤٧٠	
ميشال دوسر ٣٣٩	
ميقايل أرتند ٣٨٦	
ميقايل بن يحيى ٣٧١	
ميقايل بن سلمة ٣٨٤	
ميقايل بن شيب بن عبد الرحمن	
٣٨٢	
ميقايل ديباس ٣٧٥	
ميقايل بوانس ٣٨٤	
ميكال (ملك البرتغال) ٣٤٩	

٣٤٥ يحيى بن عبد الرحمن الجربطى	٤١٧ هند بنت جبران	٣٣٠ بكال لويس
٣٦٩ يحيى بن عبد السلام	٤٢٠ هند بنت عبد الرحمن	٣١٣ مبنوز (منصور)
٣٦٨ يحيى بن عبد الله الطائفي	٣٥٨ ، ٣٤٦ هنري الثالث	٣٧٥ مينو ادفولس (الفتد)
٣٥٤ يحيى بن عدي	٤٣٠ هنري دوايس (مهندس)	٤٠٤ ميهونة بنت يحيى
٣٨٩ يحيى بن علي المائقي	٣٦٢ ، ٣٥٢ ، ٣٤٦ هنري الرابع	(ن)
٣٧٢ يحيى بن علي بن يحيى	٣٩٨ موازن بن عرف	٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ نابزون الاول
٣٥٥ يحيى بن الدوام الاشيلي	٣٩٢ موازن بن منصور بن عكرة	٣٤٧ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨
٣٦٩ يحيى بن قريش	٣٧٤ مور الافرنجي	٣٠٠ الناصر علي بن محمد
٤٤٦ يحيى بن مالك بن هانئ	٣٩٤ هود (عليه السلام)	٣٥٨ الناصر السلاوي (مؤرخ)
٣٤٤ يحيى بن محمد الجربطى	٣٩٩ الميثم بن عبد الكلابي	٣٥٦ ناقرت اللكروني (منصور)
٤٢٠ يحيى بن محمد الاضاري	(و)	٣٧٢ ، ٣٧٣ نافع (شيخ القرا)
٣٧٠ يحيى بن سعيد	٤٦ واضح (القائد)	٣٤٩ نرسيزو بشكوال
٣٧٥ يحيى بن مرفج	٣٧٤ ودياك مونس	٤٠٨ نزهة بنت سيد الأوربوني
٣٨٦ يحيى بن وليد	الوطاي ١٥٥	٣٢٨ ، ٣١٤ نزهة بنت الفلامي
٤٤٦ يحيى بن يحيى القتيبي	٣٤٤ وهب بن عيسى	٣١٤ نزهة الزكويني
٤٣٩ يزيدور (مطران)	٣٤٤ وهب بن مسرة	الدهمان بن المنذر
٣٨٢ يفتة بنت مرتين	٣٧٢ وهب بن وهب	٣٨٥ نقلاش بطوريش
٣٦٨ يفت الحريري	الوليد بن عبد الملك ٣٠١ ، ٣٣٧ ، ٤٦٧	النمر بن قاسط الاسدي
٣٦٩ يفتش فليش بطره	(ي)	٣٩٢ نعيم بن عامر بن حصبة
٣٧١ يعقوب البرساتوني	١٧٨ ياجوج بن ياث بن نوح	(ا)
٣٧١ يعقوب منصور (ملك المغرب)	٣٦٢ يافت بن نوح	٣٤٤ ، ٣٤٣ هارون بن موسى الاديب
٤٦٢ ، ٤٤٠ ، ٤٩٦	٣٦٢ ياقوت الحموي ١٦ ، ٣٣ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٤ ، ١٠٠ ، ١٥٧ ، ٣٣٢ ، ٣٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٥٢	٤٥٩ هاشم الغراب
اليقوي ٣٩	٣٩٨ ياصب	٣٨ ، ٣٧ هاشم
بيش الحياط الرناظي ٣٠٢ ، ٣٠٤	٣١٦ يحيى بن اسماعيل	٣٦٩ حذيل بن حكم
٣٧٢ بيش بن قيبش	٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٦٠ ، ٤٦٧ ، ٤٦٥ يحيى بن ذي النون	٣٩٢ حذيل بن مدركة بن الياس
٣٧٦ بيش بن قريش	٣٧٢ يحيى بن خلف	٣٧٤ هربرت بنلك
٣٨٤ بيلان بن أبي الحسن	٣٧٢ يحيى بن خليل	١٥٨ هرقلس
٣٨٤ بيلان بن قريش	٣٧٢ يحيى بن مريز	٣٥٠ هريرة (البنا)
٣٥٥ يبنوشاد	٣٧٦ يحيى بن سيد	٣١٣ هريرة (منصور)
٣٦٨ يوان بن خلف	٣٩٩ يحيى بن سلمة الكلبى	٤٥٧ هشام الأول
٤٠٩ يوان رودميروس		٣٠٠ هشام بن الحكم
٣٧٥ يوان بن عامر		٣٠٠ هشام الرضى
٣٨٤ يوان بن عثمان		٣٦٨ ، ٣٦٥ هشام بن عبد الرحمن
٤٠٦ يوان فرتنس		٣٦٥ هشام بن عبد الملك بن مروان
٣٧٥ يوان الكراسقي		٤٥٦ هشام بن عذرة
٣٨٧ يوان (مسترب)		١٥١ ، ١٤٨ ، ٣٩ ، ١٤٨ ، ١٥١ الهذلي

ابن عذاري ١٦، ٤٤١، ٤٥٢	ابن جبر ٢١٢	بران بن بليان السفل ٢٦٩
ابن السال الشاعر ٤٤١	ابن جزري ١٩٠، ١٩٢، ٢١٥	بوانش بن تمام ٢٨٧
ابن علقمة ٤٤٤	ابن جبر ٣٠٠	بوانش بن عطف ٢٨٧
ابن العماد ٢٦٧	ابن حجاج ٢٢٦	بوانش بن مقابل بن عبد العزيز
ابن عمار ٢٢٢	ابن حزم ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٨، ٢٩٩	٢٦٢ ، ٢٦٩
ابن حميرة ١٦ ، ٤٧٠	٢٣٠	بوانش بن ملوك ٢٧٢
ابن غالب ٢٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،	ابن حوقل ١٦ ، ٤٢، ٢٩ ، ٥٤ ،	يوسف (عليه السلام) ١٩٧
٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٩٤ ،	٤٦٨، ٢٤٤، ١٥٧	يوسف بن ابي الحجاج ٢٩١
٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨	ابن حيان ١٦٠، ١٦١، ١٩٢، ٢٤٥،	يوسف بنونارت ٢٤٧
ابن فرحون (قيس) ٢٧٢	٤٧١، ٢٩٩، ٢٤٧	يوسف بن ناشقين ٤٦٢، ٤٤٦، ٣٠٠
ابن الفرضي ٢٤٤ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ ،	ابن خرداذبه ٢٧٦، ٢٦٨، ٢٩	يوسف بن عبد الرحمن النهري
٤٤٦	ابن خنقانة ٢٤٢، ٢٠٩	٢٩٩ ، ٢٤٥، ٢٤٤، ٣٠٠
ابن النصال ٢٥٥	ابن خلدون ١٦، ١٩، ١٨٦، ٤٦٧ ،	يوسف بن عبد المؤمن ١٩٥
ابن الفقيه ٢٧٦	٤٧٠	يوسف الصغرى ٤٠٤
ابن ابي اسد ٢٠٩	ابن خلصان ٤٤٤	يوسف النهري ٤٥٤، ٢٦٧
ابن اليسع ١٥٩، ٢٠٢، ٢٤٢	ابن الحارث ٢٣٨	يوسف بن محمد اشقيق ٤٠٧
ابن مالك ٢٨١	ابن ذي النون ٣٠٨، ٤٧٨	يوسف بن هارون الرمادي الشاعر
ابن مالك الرضوي ٢١٤	ابن رزين ١٠٤، ١٧٧	٢٦٧
ابن مسرة ٤٦٠	ابن رشد ٢٤٥	يوسف بن عيش اليهودي ٢٧١
ابن المطرف ٢٥٤	ابن رشيق ٢٤٨	يوليان بيديز ٤٢٨
ابن مفلح ٢٤١	ابن الربيعي ٣٠١	يوليان فيسون ٢٧٤
ابن مقانن الاشعري ٢٤٨	ابن زاكور ٢٥٢	يوليان بن يحيى ٢٧٤
ابن حلافة ٣٠٠	ابن الرزق ٢١٧	يوليوس قيصر ١٩٧
ابن هود ٢٤٩، ٢٥٦	ابن سعيد ١٥٧، ١٥٩، ١٦٠ ،	(ابن)
(بنو)	١٧٠، ١٨٤، ١٨٥، ١٩٢، ١٩٥ ،	ابن الابرار ١٦، ٣٥٤، ٣٦٠
بنو ابي عبد ٢٩٨	٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٨ ،	ابن الاثير ١٦
بنو الآخر ٢٩٥، ٣٠١	٢١٩، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١ ،	ابن ابي لمجد ٢٥٥
بنو اسد ١٩٤	٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٧ ،	ابن الاحمر ٢٥٦، ٢٥٠
بنو اضحي ٢٩٤	٢٣٨، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٥٩، ٢٦٧ ،	ابن ابي عامر ١٣٠
بنو ابيه ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ،	٢٦٢، ٢٦٩، ٢٦٦، ٢٦٧	ابن الافطس ٤٤٣
٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٩٥، ٢٩٩ ،	ابن سفر ١٩٧، ٢٤٢	ابن يدرون ٢٢٢، ٢٢٣، ٤٤٢
٣٠٠، ٤٤٠، ٤٤٤ ،	ابن سيده ٣٦١	ابن يسام ٢٥٤، ٢٧٧، ٤٢٨
٤٦٠، ٤٦٩، ٤٦٥، ٤٦٠	ابن شرف ١٩١	ابن يثقال ٤٦٦، ٤٦٧، ٢٣٥، ٢٣٦ ،
بنو الباسي ٢٩٧	ابن طورينو ٢٧٥	٢٤٤، ٢٤٢، ٢٦٠
بنو المجد ٢٩٢	ابن عباد ٣٠٠	ابن بطلان ٢٥٤
	ابن عبدون ٢٢٢	ابن بطرطه ١٩٢، ٢١٤، ٢١٥

	(أبو)	
أبو حفص بن عمر ٢٩٢	أبو اسحاق الطرسوني ٢١٨	أبو جود ٢٩٨
أبو حنيفة النعمان ٢٧٢	أبو اسحاق العمري ٢٧٢	أبو جودي ٢٩٢
أبو خالد بن اسطر ٢٦٩	أبو الأسيخ القاضي ٤٣٥	أبو حزم ٢٩٢
أبو الخطاب الكلابي ٢٩٩	أبو بكر بن الحديدي ٤٥٥ ، ٤٦٠	أبو حمديس ٢٩٤
أبو الحير الأشبيلي ٢٥٥	أبو بكر بن زهر ١٩٦	أبو حمود ٢٤٨ ، ٢٩٢ ، ٣٠٠
أبو زكريا يحيى ٣٠١	أبو بكر بن زيدون ٢٩٢	أبو ذي النون ٣٦٤ ، ٤٤١ ، ٤٤١
أبو زيد ٢١٣	أبو بكر بن سعادة ١٩٦	٤٦٠ ، ٤٥١
أبو سرور فرج ٤٠٥	أبو بكر بن سعيد ٢٢٧ ، ٢٢٨	أبو رشيق ٢٩٤
أبو صفوان بن ادريس ٢١٠	أبو بكر بن عبادة ٢٩٥	أبو زهرة ٢٩٢ ، ٢٩٤
أبو الطاهر (صاحب المقامات القرظية) ٢٩٢	أبو بكر بن عمار ٢٩٨	أبو سراج ٢٩٦
أبو الطيب حمدان ٢٧٢	أبو بكر بن القطرنة ١٩٦	أبو سعيد ٢٩٦
أبو الطيب المقرئ ٢٨٤	أبو بكر السبقي ٢١٥	أبو سماك ٢٩٦
أبو طاهر السلمي ١٥٨	أبو بكر الخزومي الشاعر ١٩٦ ، ٢١٥	أبو عباد ٢٤٨ ، ٢٩٢ ، ٢٩٧
أبو عبد الله الأحمر ١٥٥ ، ٢٤٨	٢١٧ ، ٢١٧	أبو العباس ٤٦٩ ، ٤٧٠
أبو عبد الله الحافظ الشاعر ٢٩٧	أبو بكر يعيش ٤٦٠	أبو عبد البر ٢٩٤
أبو عبد الله بن أبي الحصال ٢٩٦	أبو تغلب النضفري ٤٩	أبو عبد الغفار ٢٩٢
أبو عبد الله الطليلي ٤٤٦	أبو جعفر بن خاتمة ٢٠٣	أبو عبد السلام ٢٩٧
أبو عبد الله قاضي الجماعة ١٩٣	أبو جعفر بن صفدة ٢١٧	أبو عبد المؤمن ٢٢٧ ، ٢٣٥ ، ٢٤٢
أبو عبد الله بن عياش ٢١٨	أبو جعفر الكناني ٢٩٢	أبو عدرة ٢٩٨
أبو عبد الله الحنفي ٣٥١	أبو الحجاج البلوي ١٩٢	أبو عطية ٢٩٤
أبو عبد الله المنصفي ٢١٨	أبو الحسن بن حاتم ٤٠٩	أبو القاسم ٢٩٢
أبو عبد الله بن ميمون ٢٠٧	أبو الحسن بن حربق ٢١٨	أبو القيسمي ٢٩٥
أبو عبد الله الياكوري ٢٠٣	أبو الحسن بن ذكري ٣٦٩	أبو مازن ٢٩٥
أبو عبد البكري ١٥٨ ، ٢٩٤	أبو الحسن زبزة ٤٥٥	أبو محارب ٢٩٢
أبو عمر بن أبي سليمان ٢٩٩	أبو الحسن بن سراج ١٩٦	أبو مرديش ٢٩٧
أبو عمر بن إسرائيل ٢٩٩	أبو الحسن البشيري ٢٩٨	أبو مروان ٢٤٤ ، ٢٩٩
أبو عمر بن شهيد ١٩٧	أبو الحسن علي بن موسى ٢٠٠	أبو المنتصر ٢٩٦
أبو عمر شوشان ٢٩٠	أبو الحسن بن نزار ١٨٩	أبو المهلب ٢٩٥
أبو عمر بن الشيخ أبي سليمان ٤٠٥	أبو الحسن بن يادن ٤٠٦ ، ٤٠٧	أبو هاشم ٢٩٢
أبو عمر بن عبد البر ٢٩٤		أبو هود ٢٩٧ ، ٣٠٠ ، ٤٤١
		أبو واهد ٢٩٧

فهرس الأماكن والبلاد

الواردة في الجزء الأول من كتاب

الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية

رتبها الفقير إليه تعالى عثمان خليل

		(١)
٢١١٠٣١٠٠٣٠٩٠٣٠٦٣٠٠	أربل ٥٤	أباحو ٣٥٥
٣٥٠٠٣٢٧٠٣٦٩ ٣١٥٠٣١٢	أزبلا ٦٦	آبار الرتبة ١١٨
٤٥٠٠٤٣٩٠٣٨٢٠٣٨١٠٣٦٤	استجة ١٣٤، ١٣٣، ١٣٢، ٧٤، ٤٠	أبان ١٣٥، ١٣٤
٤٦٦	٢٢٤، ٢٠٥	أبنة ٣٠٩، ٢٠٥، ١٨٠، ١٣٨، ١١٦
الاستورياس ٣٣٠	الاستوامادر ٣٢٠، ٣١٨	آبنة ٣٤١، ٣٤٠، ٣١٩، ٣١٢، ٣٠٥
اشكونية ٢٢٢	استورقة ٣١١	٢٤٢
إشنة ٤١	استورية ٣٢	أبلش ٥٤، ٥٣
اشونة ٧٤، ٤٠	أسطية ٢٠٥	الابول ١٦٦، ١٦٣، ٦٠
أضهان ١٦٨	أسفى ٩٨	أخشبة ٣٦٨، ٥٢
الطرايزندة ٤٧	اسكندرية ٤٣٩، ٣٤٢، ١٤٨، ١١٩	أراغون ٢٤٩، ٢١٧، ٢١٢، ٢٢٢
أطرية ٤١	الاسكوربال ٣٥٥، ٣١١، ٣١٠	أرانجرز ٣١٢، ٣١٢
أغريطة ١٦٣	٣٥٩، ٣٥٨، ٣٥٦	أراندة ٣٣٣
إفراغة ٣٦٥، ٣٩٠، ٤١	أشبانيا ٧٢، ٦١، ٣٤	أراففون ٣٣٢
أفراغدة ١٦٦	الاشابونة ١٨٠	أربونة ٣١، ٥٦، ٥٨، ٦٠، ١٥٩
آقارية ٢٤	اشبونة ٣٦، ١٥٩، ٥٨، ٥٥، ٤٠	٣١٧، ٣٦٥، ١٦٠
آقرسيف ٦٩	٣٦٠، ٣٢٢، ٢٠٧، ١٩٢، ١٨١	أرجدونة ٤٧
أفشبونة ٤٠	٣٦٧	أرجونة ٣٦٩، ٣٦٨
أقليش ١٦٦، ١١٦، ٦٩	أشبيلية ٣١، ٤٥، ٤٠، ٣٣، ٣٠، ٢٧	أرجونة ٧٦، ٤٠
أدبية التاريخ ٣٥٣، ٣١١	٨٩، ٨٥، ٨٤، ٨٣، ٨٢، ٧٤	الأردن ٤٠
أكسرية ١٦٩	١٣٥، ١٣٤، ١٣٣، ١٣٠، ١١٧	أرشدونة ١٣٠، ٧٤
أكشبتانية ٤٠	١٨٠، ١٧١، ١٦٩، ١٦٨، ١٤٥	أرغانزون ٣٢٠
ألب ٥٢، ٤٥	١٦٨، ١٦٧، ١٦٦، ١٦٣، ١٨٧	أرمينية ٥١
ألب ٣٣٠، ٣٢٧، ٣٢٢، ٣٢١	٢٠٨، ٢٠٧، ٢٠١، ٢٠٠، ١٩٩	أرويدة ٤٠
ألس ١٤٥٠، ١١٢٠، ١١١ ٧٦، ٥٢، ٣١	٣٢٢، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢١، ٣١٩	أرنيط ٧٩
ألبانة ٣٠٠، ١٣٢، ١٣١	٣٥٠، ٣٤٨، ٣٤١، ٣٤٠، ٣٣٨	أريثالو ٣٤٢، ٣٤٠
ألموربيطة ٣٣١	٣٦٢، ٣٧١، ٣٦٨، ٣٦٤، ٣٦٠	
ألمجة ١٣٠	٣٦٩، ٣٦٨ ٣٦٧ ٣٦٦، ٣٦٤	
ألمدة ٢١٩		

برج الشياطين ٢٨٤	باب عبد الحيار ٢٢٤	اندرش ٢٠٥
برج لوجانس ٢٤٦	باب الطارس ٢٦٩	انزلان ٦٨
برجة ١٢٠٠٧٥، ١٢٩، ١٩١، ١٩٢	باب القباب ٢٠٢	انطاكيا ١٤٧
٢٢٢	باب قرورن ٤٣٧	انكور ٥٤
برديل ٥٩، ٥٦، ٠٦٠، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢	باب القنطرة ١٢٦، ٢٢٤، ٢٦٩	أويط ٤٠، ٤٨، ٢٢٦
١٦٦، ٢٢٢، ٢٦٦	باب لائيه ٢٤٦	أوردونية ٢٢٢
بررعة ٥١	باب الخاضه ٢٨٩	أوردولة ١١٧، ١١١، ١١٧، ٢٠٦، ٢٨٢
برشانه ٧٥	باب مردوم ١٦٤	أوسما ٢٢٤
برشلونه ٤١، ٢٦، ٣١، ٤١، ٥٨، ٨٠	باب المسخ ٤٢٢	أولية ٢٧٠
١٠٨، ١٤٧، ١٤٨، ١٦٠، ١٧١	باب المكاره ٤٣١، ٤٣٢	أوليدور ٢٤٢، ٢٤٣
١٨١، ٢١٦، ٢٠٠، ٢١٦، ٢١٧	باب المدي ١٩٧	وليش السكري ٣٩٠، ٢٠٢، ٤٠٤
برغش ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٩	باب وادي الحجاره ٢٤٦	أوبنه ٢٠٨، ٢٩٤، ٢٢٢
٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨	باب اليهود ١٩٧، ٢٦٩	أوندارهو ٢٢١
٢٢٩، ٢٢٩	نابل ١٤٩	إبار ٢٢١
برقة ٢٧٤، ٤٢٩	بائيكه ٢٢	أبرون ٢٢٩
بركه منسا ٢٢٠	باحه ٣٦٠، ٢٦٨	أيكجا ٢٧٥
برللانيه ٢٠٧	بادس ٤٣، ٦٨، ٦٩	إيليا ١٧٢
برسيو ٢٢١	باروشه ١٤٠، ٢٠٧	إيوان كسري ٤٤٧
بروكسل ٢٥٦	باشكوتيه ١٨١	(ب)
بريانه ١٦٦، ٢٦٩	باطقة ٢٤	باب الأبواب ٥١
بريضكا ٢٢٢	باغه ١٣٠، ١٨٩، ٢٢٢، ٢٢٢	باب أقلام ٦٧
بريلانيه ١٢٢	بافيه ٢٤٦، ٢٥٢	باب بيزغره ٤٣٦
بريلطه ٢٠٠	بالش ٧٥، ١١٢	باب الجعفرية ٢٥١
بسطة ١٢٦، ١٢٨، ١٧٦	بيشطر ٧٤	باب الحديد ٢٦٩
بشقايه ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٣٢	بحانه ٤٠، ٤١، ٤٦، ٥٤، ٥٥، ٥٥، ٧٥	باب البياغين ٢٢٩
بسكوتس ٤٢، ٤٥	١٢٤، ١٤٧، ١٨٠، ٢٤٢، ٣٦٨	باب ساحة التارنج ٢٠٦
البشارت ٤٥، ٧٥، ٧٦	٢٧١	باب ساتو دوينكو ٢٤٦
البشره ١٧٩	البيجانس ١٧٠	باب سان مرتين ٤٣٢، ٤٤٦
البحره (المغربيه) ٦٦	البحيره ٤٠	باب سراده ٢٤٦
بطرنة ١٢١، ١٨١، ٢١٨، ٢١٩	بنه ٧٩	باب السول ٤٣٦، ٤٣٧
بطروش ٧٧، ١٤٥	برباطانيه ٤٠	باب الشقره ٤٣٦، ٤٦٤
بطليوس ٣٩، ٤٠، ٥٢، ٥٣، ٧٨	بريشتر ٤١	باب الشمس ٢٤٨
٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩٩، ١٤٦، ١٤٧	البرنتك ٧٩، ٤٠	باب السول ٢٤٦
٢٠٧، ٢٢٢، ٢٦٠، ٢٧١، ٢٩٨	برعتان الكبير ١١٢	باب طلطه ٤٣٦
٤٤٢	برجان ١٧١	باب طمر ٢٦٩
بنداد ٤٨، ١٥٥، ٢٦٩	برج سرافوس ٧٢	

جبل اشلو ٣٢٩	بيجة ٤٠	بكة ٧٣
جبل البرانس ٣٠٢.١٨١	البيرة ٤٠. ١٢٩.٧٥.٤٦٠. ١٨٠	بكيران ١١١
جبل المرت ١٦٠. ١٦٦. ١٦٧. ٣٧٧	١٨١. ١٨٨. ١٩٠	البلاط ٤٠. ٧٨. ٧٧. ١٠٠
جبال بسقاية ٣١٧	بيغو ٣٦٨. ٢٧٠	بلاط مروان ٣٦٩. ٣٦٨
جبال البصيرات ٢٨	بيبة الشيرة ٣٩٧	بلاطة ٧٨
جبل البشكنس ١٦٣	بيوة ٣٢٤	بليار ٣٢٢. ٣٢١. ٣٢٤
جبل البصرة ٦٦	(ت)	بلد الوليد ١٣٩. ٣٠٦. ٣٠٩. ٣١١
جبل بطلس ٤٨		٣٢٠. ٣٢٨. ٣٢٤. ٣٢٢
جبل التلح ١٢٩. ٣٧	تافركنيت ٦٩	بلدوة ١٢٥
جبال جة ١٨١	ناكرونة ٤١	بلشانة ١٣٣
جبل سهيل ٣٠٤	نامرت ٣٦٨. ٣٧١	بلش ٦-٢
جبال الشارة ٣٧٧	تدير ٤٠. ٧٦. ١١٤. ١٦٤. ١٨٠	بلسكوتة ٣٠٥. ٣٧٠
جبل شحران ١٨٠	٣٨١. ٤٠٤. ٣١٢. ٣٧١. ٣٩٣	بلنسبة ٣٦١. ٣٦٠. ٤٥٠. ٤٥٣. ٥٨١
جبل الشرف ١٩٨	ترجيلة ٥٣. ١٠٠	٣٧٢. ٣٧٣. ٣٧٤. ٣٧٥. ٣٧٦. ٣٧٧. ٣٧٨. ٣٧٩. ٣٨٠. ٣٨١. ٣٨٢. ٣٨٣. ٣٨٤. ٣٨٥. ٣٨٦. ٣٨٧. ٣٨٨. ٣٨٩. ٣٩٠. ٣٩١. ٣٩٢. ٣٩٣. ٣٩٤. ٣٩٥. ٣٩٦. ٣٩٧. ٣٩٨. ٣٩٩. ٤٠٠
جبال طابطة ٣٩	تشمش ٦٥. ٦٦	
جبل طاور ١٤٦	طوان ٣٥	
جبل العروس ١٣٦	نظيلة ٢٨. ٤٠. ٤١. ٤٩. ٧٩. ١٠٦. ٢٠٧	
جبل الميا ٣٢٩	٣٧١. ٣٧٤. ٣٧٥. ٣٧٦. ٣٧٢	
جبل القور ٥٥	نلسان ٦٩	٤٥١. ٣٥٠
جبل فارة ١٢٩	تدريط ٢٠٧	بليانة ٢٠٧
جبل قامون ١١٠. ٥٦	تس ١٤٧	بليسانة ١٧١
جبال قشانة ٣٦	توركانة ٣٣٣	بليونش ٦٣
جبال قطبرية ٣١٨. ٣١٨. ٣٧١	تورو ٣٢٤	ببغام ١٠٣
جبال الكواكب ٦٨	تونس ٥٤. ٢٢٩. ٢٤٢. ٢٤٤. ٣٦٨	بيلونة ٣٢٧. ٣٢٦. ٣٢٢. ٣٢٤
جبال كور ١٢٧	٣٧٥. ٣٥٢. ٣٥٣	بنك بليار ٣٣٣
جبل لامم ١١٩	نيطل ٢١٩	بنى عبودس ١٢٤
جبل مند ليون ١٣٩. ٨٤	(ث)	بنى وزار ٦٣. ٧٠
جبل المية ٦٤	التغر الاعلى ٢٠٩	بولسدام ٣٦٣
جبل موسي ٦٣	(ج)	بورقة ٤١
جبال نفاذة ٣٩		بوربانة ١٠٨. ١٠٩
جبال يابنة ١١٠		بوزكور ٦٦. ٦٨
جرار ٦٩	جبانة ٧٢. ٣٩	بياسة ١١٦. ١٢٨. ٢٠٥. ٣٦٨. ٣٧١
جرف ٤٠	جبال الاحراف ٦٩	٣٠٩. ٣١٠
الجزائر ٣٥٣	جبال استوريلس ٣١٧. ٣١٨	بيانة ٧٤. ١٣١. ٣٠٥
جزيرة أبلناسة ١٢٣	جبال الاغن ١٦٣	بوفلز جبل طارق ٣٢٧. ٣٠٠
جزيرة احيال ١٧١	الجبال الايرية ٣١٨	بيت المقدس ١٠١. ٤٦٦

الحرشة ٧٠	جزيرة قبرص ١٤٩	جزيرة إرشقول ٦٩
حصن أبال ١٤٧	جزيرة فرنييرة ١١٤	جزيرة أفور ٦٠
حصن ابن هارون ٧٧	جزيرة الفشار ٦٩	جزيرة أم حكيم ٨١
حصن أرجولة ٥٢٠	جزيرة الفتيير ٨٠	الجزيرة الأندلسية ٣١ ، ٣٢ ، ٣٦
حصن أركش ٧٣	جزيرة كريت ٤٢٤	٤٠ ، ٤٥ ، ٦١ ، ٧٠ ، ١٦٠ ، ٢٠٤
حصن أرنداء ٩٩	جزائر مزغناي ٥٤	٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٦١ ، ٢٦٦
حصن أسلان ٧٠	جزيرة بيرقة ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٤٧	٤٢٢ ، ٤٥١ ، ٤٦٣ ، ٤٦٩
حصن أشر ١٣٠	١٦٠ ، ١٦٣ ، ٢٠٩ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧	الجزيرة الاييرة ٢٢٧ ، ٢٢٦ ، ٢٤٤ ، ٢٢٧
حصن أسونه ١٣٣	٣٣٣	٢٨ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤١ ، ٤١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣
حصن إفراد ١١٧	جزيرة مينورقة ٥٦ ، ١٤٨ ، ١٦٠	٢١٧ ، ٢٣٦ ، ٤٥٣
حصن آفله ١١٣	١٦٣ ، ٩ ، ٢٧ ، ٢٦٧	جزيرة بريطانيا الكبيرة ١٦١ ،
حصن أندا ٢١٩	جزيرة النساء ١٧١	١٦٦ ، ١٧١ ، ٢٠٨ ، ٢٢٩
حصن اندوجر ١١٦	جزيرة بابسة ٢٠٩ ، ١٤٧	جزيرة تولى ١٧١
حصن برغش ٣٢٤	جزيرة بنشالة ٨٣	جزيرة جبل طارق ٣٦٨ ، ٥٥
حصن بكيران ١١١	خمس سان مارتين ٤٣٣	جزيرة الجبل ٣٣٨
حصن بطروش ١٤٥ ، ١٤٦	جسر قرطبة ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٠٤	الجزائر الخالدات ٢٠٧
حصن البلاط ١٠٠	جسر طابطة ٤٢٤	الجزيرة الخضراء ٢٥٠ ، ٢٢٢ ، ٥٥٦
حصن بلاي ١٣٢	جلنكش ٣٦٧	٦٢ ، ٧٣ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ١٢٠
حصن باكونا ٣٦٨	جلباية ٥٢	١٧٠ ، ٢٠٠ ، ٢٣٨ ، ٢٧١ ، ٢٩٧
حصن بندر ١٤٦	جلبقية ٤٥ ، ١٦٦ ، ٤٤١	٢٩٨ ، ٣٨١
حصن بنشكفة ١٠٨	جنان الورد ٤٤٥	جزيرة سردانية ١٤٨
حصن بونرون ٣٣٧	جنة الحنشي ٤١٣	جزائر السمادات ٢٠٨
حصن البوات ١٨٠	جنة النبات ٣٥٠	جزيرة شفر ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٥
حصن بيانة ١٣١	جنجاله ٧١ ، ١١٤ ، ١١٥	٢٠٦ ، ٢٢٣
حصن بيرة ١١٣ ، ١١٨	جنوة ٣٠٩	جزيرة شلش ٥٨ ، ٧٤ ، ٨٥ ، ٨٦
حصن تابجريت ٦٩	الجوف ٥٨ ، ١٦٣ ، ٤٤٥	٨٩ ، ٢٠٨
حصن تاجه ٤٦٦	الجويار ٣٣١	جزيرة صفلية ٤٥ ، ١٧١ ، ٢٥٩
حصن تشكر ٧٦	جيان ٤٠ ، ٤٥ ، ٧٥ ، ١٣٧ ، ١٢٨	٢٦٨
حصن فطاون ٦٨	٢٠٥ ، ٢٠٠ ، ٢٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠	جزيرة طريف ٣٥ ، ٥٦ ، ٥٨ ،
حصن تفاس ٦٨	٣٤٥ ، ٣٨١ ، ٣٨٧	٦٣ ، ٧٣ ، ٨٠ ، ١٧٠ ، ١٨٤
حصن الجرف ١١٧ ، ١٣٥	جيرونة ٤٢	٢٠٠
حصن جلباية ١٩٠	جيروندة ٣١	جزيرة العرب ٣١ ، ٦٠
حصن حيرة ١٠٦	(ح)	جزيرة الذم ٩٧ ، ٧٠
حصن الحنشي ١٤٦ ، ١٤٧	الحامة ٢٠٦	جزيرة الفيغان ١١٣
حصن الحمة ١١٧ ، ١٢٤	حجر ابن خالد ٦٧ ، ٧٩	جزيرة قاس ٥٨ ، ٧٣ ، ٨٦
حصن دلر ١٢٥	حديقة النبات (في بلنسية) ٣٥٠	١٢٤ ، ١٥٩ ، ٢٠٧ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤
		٣٦٦

حصن المدور ١١٧ ، ١٢٥ ، ١٣٦.	حصن الرباحين ١٠٩
٢٩٢.٢٢٨	حصن الزهر ٨٣
حصن مراد ٣٩٦.١٢٥	حصن سان سرفندي ٤٢٣
حصن مرية بلش ١٢٣	حصن شقورى ١١٤
حصن مسكاه ٦٨	حصن شفت افراج ١٩٨
حصن المدمن ٩٢	حصن شفت باله ١٩٢
حصن منت ميور ١٨٠.٩٢	حصن شنش ٢٠٤
حصن منترك ١٢٣	حصن شوفر ١٢٨
حصن مندوجر ١٢٥.١٢٤	حصن ساحله ١٢٣
حصن المنكب ٥٦	حصن مشكرو ١٢٧
حصن مورة ٣٧٢ ، ٣٧٥	حصن مشكرو ٨٠
حصن موله ١١٧	حصن مطويه ١٢٨
حصن ولبه ٨٧	حصن طالق ١٤٦
حصن موت ٢٩٨	حصن فربره ١٢٥
حلب ٢٤٥.٢٤٢	حصن فريش ١٣٥
حلق الزاوية ٨٧	حصن قبايه ١٢٥
حلقو بالشر ١١٢	حصن قبره ١٣١
حام ٢٤٢	حصن قبايق ١٣١
حام بلباو ٣٣٢	حصن القمبر ١٢٥
حام الكوف ٤٥٣.٤٣٢	حصن قفيره ٥٨
الحه ١٣٣.٩٤	حصن قسطله ٨٦
حه عشر ١٢٥	حصن قطيئه الحديده ١٣٥
حه وشين ١٢٥	حصن قصرس ١٠٠
الحراء ٧١٤.٧١٤.٣٠٨.٤٣٠	حصن القصر ٧٤
حصن ٤٠.٤٠.١٩٢.١٩٨.٢١٠	حصن قطيانه ١١٧.١٣٤
خصل ١٢٥	حصن قليه ١١٠.١١٥
حوز الرجمانه ٥٨	حصن قيشاطه ١٢٨
حوز المورة ٥٨	حصن القبله ١١٧.١٣٤
(خ)	حصن كاسيليو ٣٣٥
خراسان ٢٧١	حصن كركال ٦٨
خزانه الانار القويه ٣٥١	حصن كركوى ٩٩
خزانه الاسكوريال ٣٥٨	حصن ابراه ١١٧
خزانه دير لورنزر ٣٥٨	حصن تورقه ١١٨
خزانه الكتب الوطنيه ٣٥٠	حصن لوره ١١٧.١٣٤
خشنابه ٣٧١	حصن مارنله ٨٦.٨٧.٨٩.٩٩
الحضره ١٨٤.٢٠٧	حصن مادلين ١٠٠
خليج اشبونه ٢٩	
خليج مرديل ٣١	
الخليج الرومى ٤٥	
خليج قانس ٢٩	
الحنادق ١٣٥	
خندق آش ١٣٦	
خندق قبر ١٢٥	
الخورنق ١٩٤.٤٤٧	
(د)	
دار البقر ١٤٥	
دار البلديه ٣٠٩	
دار الطيخ ٨٩.٩٠	
دار الخازن ٤٦٢	
دار المؤتمر ٣٤٩	
السلاموس ٨٩	
دائيه ٥٦.٥٨.٧٦.١١٠.١١١.	
١١٥.٢٠٦.٤٤٧	
دوب الموزين ٩٤	
دروقه ١٠٥.١٠٦.١٠٦.٣٥١	
دشقه ١٣٦	
الذقال ٧٠	
دلابه ١٣٠.١٣٩.١٧٩	
دشلق ١٥١.١٥٢.١٨٨.١٩٨.	
٢١٥.٢٤٢.٣٧٥	
دنهاده ٦٦	
الدولاميس ٣٠٨	
دورفتو ٣٣١	
دوبره ٤١	
دويناس ٣٣٣	
دير الاسكوريال ٣٤٣	
دير البدال ٣٠٦	
دير ببادره ٣١٧	
دير راهبات برغش ٣٣٧	
ديرسان بابلو ٣٠٥	
ديرسان بادروه ٣٠	
ديرسان توماس ٣٤١	
ديرسان سلفادور ٣٣٣	

سجلنامه ٣٦٨،٣٧١
 سرته ١١٧،٧٧
 مرقطه ٢٨، ٤٠، ٤٠، ٤٠، ٧٩، ٨٤،
 ١٧١، ١٦٤، ١١٤، ١٠٩، ١٠٦
 ٣٠٠، ٢٢٨، ٢٠٦، ٢٠١، ١٩١
 ٣٥١، ٢٤٧، ٢٢٢، ٢١١، ٢٠٨
 ٤٥٤، ٤٤١
 سرفوسه ١٧١
 -قوب ٢٤٦، ٣١٠، ٣١٢، ٣١١، ٣١٢، ٣١٤
 ٣٧٤
 سلا ٢٢٢، ٢٠٨، ٥٦
 سموره ٢٦٥، ٤٥
 سمور ٤٨
 سبساط ٣١٢
 سنا كرسي ٣٠٦
 السبه ٢٠٦
 سهيل ٢٠٤
 السواني ١٢٥
 سور ، مدينة آبه ٢٤٢
 السوس ٢٣٧، ٢٧١، ٢٦٨
 سول ٢٢٥
 -سيتكاس ٤١
 سينون ٢٢٥
 سيودادريال ٢٢٥
 (ش)
 شارات آبه ٢٤١
 شارات استراليا ٢٩
 شارات سان برناردو ٤٢١
 شارات غانا ٢٩
 شارات غريغوس ٤٢١
 شارات ففريا ٣٦١
 شارات مالاغون ٢٤١
 شارات مورنيا ٢٠
 شارات وورينا ٢١٩، ٢١٨
 شارات وادي الرمل ٢٤٢، ٢١٩، ٢٩
 الشارات ٧٨، ٤٥

(ز)

الزاهرة ٢٠٠، ٢٩٩، ١٩٧
 زجان ٦٨
 الزراده ١١٧
 الزقاق ٨٠، ٦٦، ٦٣، ٦٢
 زبوره ٢٢٤، ٢٢٠، ٢١١، ٤١
 الزهره ١٤٤، ٧٤، ٥٠، ٤٩، ٤٨
 ٢٥١، ٣٠٠، ٢٩٩، ١٩٧
 الزوله ٢٣١
 زومراته ٢٣٠
 زورينه ٤٠
 زوميه ٢٣٠
 زواغه ١٤٦
 زبرد الجماله ٨٤
 الزيتون ٧٩ ، ٤٠

(س)

ساحة الرباط ٤٢٨
 ساحة السوقه ٣٦٢
 ساحة المشرق ٢٥٢، ٢٥٠
 ساقية آتش ٧٧
 سانت أندر ٢٢٢
 سان ايلد فونسو ٣٦٢
 سان نابلو ٢٠٦
 سانتو كريستو ٢٠٨
 سانت ياقو ٢٠٩
 سان دورازوانزو ٣٦١
 سان سيباستيان ٢٢٩
 سان غريغوريو ٢٠٦
 سان كنتين ٢٥٥
 سان مرقس ٣٦١
 سان ميلان ٣٦١
 سبأ ١٤٩، ١٤٨
 سبه ٢٥، ٢٣، ٥٦، ٦٣، ٦٤،
 ٦٧، ٦٨، ٨١، ١٠٧، ١٨٤،
 ١٨٥، ٢٠٠، ٢١٨، ٢١٩، ٢٤٢،
 ٤٥٢
 مبريزوس ٢٤٢

دير سيلوس ٢٢٨

دير شنت بانرو ٢٦١
 دير شنت فلانت ٢٢٩، ٢٣٠، ١٠٠٠
 ٤٠٧، ٤٠٥، ٤٠٤
 دير القديس اغناطرس ٢٣٠
 دير كاردينه ٢٢٨، ٢٢٦
 دير بيلونه ٢١٠
 دينا (مرسى بحري) ٢٣٠
 ديوان القنيتش ٢١٤

(ذ)

القدراة ١٢٥

(ر)

رابطة كسطان ١١٨، ١٠٨
 رأس روكه ٣٦
 رأس فندان ٣٦
 رأس كريبوس ٣٦
 رأس المجاز ٦٥
 رأس مراكنش ٣٦
 رأس نان ٣٠
 واقويل ٤٠
 الرزان ٥١
 روض التباين ١٢٤
 روض فنتاله ١٢٤
 الرتبة ١٢٦، ١٢٥، ٨٤
 الرصانة ٢١٨، ٢١٧، ٤٩
 الرصيف ١١٤
 رنده ٢٠٧، ٢١٩، ٧٥، ٤١، ٣٣
 روطه ٨٢
 رومه ٢٤، ١٠٢، ١٨٦، ١٩١، ٢٠١
 ٢٥٦
 رومية الكبرى ٢٣٥، ٢٢٤، ١٧١، ٥٥
 رومية بوليس ١٩٨
 الرية ٢٥٥
 ريو ٤٧
 ريه ١٢٩، ٧٤، ٤١، ٤٠

طرسونه ٢٠٧	شنت رمدان ٢٨٤	شارع جريشو ٢٤٨
طرش ١٢٢	شنت طاكش ٢٤٠	د القامة ٢٤٨
طرطوش ٢٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٥٥ ، ٥٥	شنت فليش ٢٨٤	شارمارتين ٢٤٢
٧٩ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٠٤ ، ٨٦ ، ٧٧	شنت مازيه ٧٧ ، ٨٦ ، ١٠٤ ، ١١٦ ، ١١٧	شاط ١٢٢
٢١٠ ، ٢٦٨ ، ٢٦٦	٢٠٧	شامبه ٧٦ ، ١١٠ ، ١١١ ، ٢٠٢ ، ٢٢٢
طرف الاغر ٢٣١ ، ٥٨	شنتريه ١٦٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧	الشامة البيضاء ١١٤
طرف نخلل ٦٩	شنت ياقوب ٧١	شجانه ١١٣
طرف جايقيه ٢٢٤	د ياقور ٢٦٦	شفوة ٤٠ ، ٧٢ ، ١٢٢ ، ١٨٠ ، ١٨٢
طرف العرف ٥٨	د ياقور ٢٢٢	٢٧١ ، ٢٦٨
طرف القبدال ١١٢	د ياقور ١٦١	شروان شاه ٥١
طرف الناظور ١١٢	التنيد: ٢٦٨ ، ٢٧٠	شرف اشييه ١٩٩ ، ١٩٨
طركونه ٣٦ ، ٤٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٧٩ ، ١٠٧	التنشين ٨٧	الشرف ٨٥ ، ٢١٠ ، ٢٤٠ ، ٢٤١
١٠٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ٢٦٦	شودر ٢٦٩ ، ٢٦٨	شربشه ٩٩ ، ٧٨
٢٠١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦	شوربه ٢١٩	شربش ٧٢ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ٢٠٧
طربانه ٢١٩	شوشيل ١٢٥	٢٢١ ، ٢٢٨ ، ٢٠٩
طريف ٢٢	(ص)	ششله ٢٩٧
طريق الزنجبار ١٢٤	صاح ٦٩	شطور ٨٨
طريق لوره ١٢٤	سالمه ٢٩٥	شمر القواربر ٥٤
طريق الوادي ١٢٤	سان استيان ٢٢٢	شقرش ٧٧
طشان ٧٢	صدف ١٢٤ ، ١٢٥	شقر ٧٦
طليبه: ٥٢ ، ٧٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٤	الصنانيان ٢٧١	شقه ٢٧١
٢٩٢	الصفيحه ١٢	شقه ٢٢٤
طلنكه ٢٠٥ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢٢٠	صقلبه ٢٥ ، ١٨٥ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥	شقره ٧٦ ، ١١٧ ، ١١٧ ، ٢٩٦
٢٢٠	سناه ٢٤٢	شلبونه ١٢٢
طلوزه ٢٠٥ ، ٢٢٠	سمن جياقيه ١٥٩	شلب ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٧٧ ، ٨٧ ، ٨٧
طلطم ٢٢٢	سمن قانس ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٢ ، ١٦٥	٨٨ ، ٢٠٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٦٠
طليلقه ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٤	٢٠٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥	٢١٢ ، ٤٦٦
٧٠ ، ٧٢ ، ٧٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٢	سور ١٨٥ ، ٢١٦	شلطيش ٨٦ ، ٢٩٤
١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٤ ، ١٠٤ ، ١٠٤ ، ١٠٤ ، ١٠٤	الصيرة ١٢٢	شلمر الثلج ٢٥
١٨٧ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٨ ، ١٨٨ ، ١٨٨	(ط)	شنت اردم ٢١٩
١٨٧ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٨ ، ١٨٨ ، ١٨٨	طالمة ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٩٨ ، ٢١٥	شنتريه: ٤٠ ، ٤٥ ، ٤٦
١٨٧ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٨ ، ١٨٨ ، ١٨٨	طبرشانه ١١٧	شنت بيطر ٨٢
١٨٧ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٨ ، ١٨٨ ، ١٨٨	طبرقه ٥٤	شنترين ٤٠ ، ٤٦ ، ٤٦ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٥٨
١٨٧ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٨ ، ١٨٨ ، ١٨٨	طبير: ٥٨ ، ٨٦ ، ٢٠٠	٧٨ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٨٢
١٨٧ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٨ ، ١٨٨ ، ١٨٨	طرجاله ٧٥	١٩٢ ، ٢٠١ ، ٢١١ ، ٢٦٨
١٨٧ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٨ ، ١٨٨ ، ١٨٨		شنترة ٤٥ ، ٥٤ ، ٧٨ ، ٢٠٢

كنيسة طلمنكة ٣١٧	كنيسة سان جيوان الندامة ٤٣٤	قرته ٣٢٠
طليطه ٤٧٥ ، ٤٢٩	سان سرتين ٣٠٥	قوبرة ٤٠
الغراب ٥٨ ، ٧٠ ، ٨٧ ، ٨٨	سان سفونديو ٣٤٢	الغبروان ١٢٥ ، ١٧١
غراناه ٤٣٠	كنيسة سان سافادور ٣٤١	(ك)
لورنزو ٣٥٥	سان سليفانو ٤٣٨	كارانزا ٣٣٣
مارده ١٦٩	سافطوطومي ٤٣٤	الكابو ٣٣٤
ماريا اليضا ٤٣٢	سنت فليس ٣٧٥	كلونية ٣٠ ، ٣١ ، ٣٠٦ ، ٣١٢
ماتفا ٣٠٩	سان فيبيت ٣٤٢	٣١٤ ، ٣٢٩
مريه ٣١٠	سان قرشوبل ٤٣٨	كنده ٨٠ ، ١٠٩
مسيح التور ٤٦٤	سانتو كريستو ٤٣٧	كرتش ١٨١
كنيس اليهود بطليطه ٤٢٠	سان لورنزه ٤٣٨	كرط ٦٩
كهف مرقل ٤٣٢	سانتا ماريه نارنكو ٣٠٥ ،	كركويه ٥٣
كورنيه ٣٠٥	٣٣٩ ، ٣٠٩	كرت ٢٥
كوغولودو ٣١٠	سانتا مريه المدليه ٤٣٨ ، ٤٣٩	كستيلو ٣٣٠
كوننكه ٧٦ ، ١١٥ ، ١١٦	سان ميكال ٣٦٢	كشال ٨٠
كوكو ٣٤٢	سان نيغولا ٣٣٥	كش ٣٧١
كيتانا بالا ٣٣٢	سانت ياقو ٣٠٥ ، ٣٠٦ ،	كنيسة آبه ٣٠٦ ، ٣٥١
(ل)	٣٣٤ ، ٣٣٤	كنيسة استورقه ٣٠٦
لاورد ٣٣٧ ، ٣٣٥	سان يشنه ٤٣٨	كنيسة اشيليه ٣٠٦ ، ٤٢٩
لارده ٤٥٠ ، ٤٢٠ ، ٤١٠ ، ٣٩٠ ، ١٠٦ ،	سرقسطه ٣١٠	كنيسة امثوم شتوروم ٤٢٠
٣٠٥ ، ٣٦٥ ، ٣٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٨	السيدة العذرا ٣٤٦	كنيس الانتقال لليهود ٤٣٤
لاغرجه ٣٦٢	سيدة للمدينه ٣٥٣	كنيسة باليسيو ٣١١
لايفو ٤١	سنت افرج ٤٣٠	كنيسة برشلونه ٣٠٦ ، ٣١٢
لبه ٤١٠ ، ٤٥٠ ، ٧٤٠ ، ٨٥٠ ، ٨٦ ،	سنت زوال ٣٩٦	كنيسة برعش ٣٠٥ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥
٤١١ ، ٣٦٩ ، ٣٠٨ ، ٢٠٧ ، ١١٨	سنته قديمه ٣٨٩	كنيسة بلد الوليد ٣٣٨
لبيره ٣٧١	سانت لوقاديه ٣٧٠ ، ٤١٢ ،	كنيسة ببلونه ٣٠٦
لشونه ٥٧ ، ٧٨ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١٠٤ ،	٤٣٨ ، ٤٣١ ، ٤١٩ ، ٤١٦	كنيسة حيان ٣٠٩
١١٢ ، ١١١	سنت مارزين ٤٠٦ ، ٤١٢	كنيسة سان اشتيان ٣٥٣
لورقه ٣١ ، ٧٤ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ١١٧ ،	سنت مريه ٣٨٦ ، ٣٩٢ ،	سان انطون ٤٣٨
١١٨ ، ١١٣ ، ١٠٦ ، ٢٠٩ ،	٣٩٨ ، ٤٠٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٢ ،	سان ايزيدور ٣٠٥ ، ٤٣٨
٤٠٨	٤٠١ ، ٤٠٥ ، ٤٠٩ ، ٤١٢ ،	سان بابلو ٣٣٩
لوره ١٣٤ ، ١٣٥	٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤٢٥	سان بدر ٣٤١
لوزان ٤٣٤	سنت ياقوب ٧٠	سان بطرو ٣٣١
لوشا ١٢٩ ، ١٢٩ ، ٣٠٠ ،	سانت يناس ٣٩٦	سانت نيبت ٣٠٦ ، ٣٤٤
لوكروني ٣١٩	سنت يوانس ٣٨٩ ، ٤١٧ ،	سان جيوان الملوك ٤٣٠ ،
	٣١٠ ، ٣١١	٤٣١ ، ٤٣٢

١٣٩، ١٣٥، ١٣٤، ١٣٠، ١١٩،	مدرسة سان غريغوريو ٣٣٩	ليبط ٣٥٢
١٩١، ١٨١، ١٧٩، ١٤٧، ١٤٥،	مدلين ٥٢، ٧٨	ايسكنداد ٧٤
٢٣٢، ٢٠٥، ٢٠٤، ٢٠٣، ٢٠٢	المدور ١١٧، ٢٠٥	ليكينو ٣٣٠
٢٠١، ٢٣٨، ٢٣٨، ٢٣٣	مدينة ابن الساجم ٧٣، ٨٤	ليون ٣٢، ٤٥، ٤٨، ١٨١، ٣٠٥
٣١٦، ٣٨٤	المدينة البيضاء ١٠٦	٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٧
مرية بلينش ١٢٣	مدينة سالو ٤٠، ٥٤، ١٠٢، ١٠٤	٣٢٧، ٣٢٧، ٣٢٧، ٣٥١
المرية ٦٣، ٦٩، ١٤٧	٢٠٧، ٣٧١، ٤٤٢، ٤٦٦	(م)
المساجد ٨٣، ١١٧	مدينة غالب ٥٤	الماتة ٣١٨
مسجد أنبلش ١٩٨	مدينة الفتح ٤٦٠	مارتش ٣٦٨، ٣٧٠
المسجد الأنصي ٣٠٦	مدينة الفرج ٤٦، ٤٦٦	مارتله ٧٧
مسجد ابن طولون ٣٠٦	مدينة التلة ٣٠٩	ماردة ٤٥، ٤١، ٤٧، ٥٢، ٧٨، ٨٩
المسجد الحرام ٣٠٧	مدينة وليد ٤٦٦	٩٩، ٩٠، ١٠٠، ١٤٧، ١٣٢
مسجد الزاهره ١٩٧	مراد ٥١	١٧٨، ١٨٧، ١٩٨، ٢٠٧، ٢٠٩
مسجد طابله ٣٠٨	مراكش ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢٢	٣٠٤
مسجد قرطبة ١٩٣، ٢٠٧، ٢٠٤	٣٤٢، ٣٠٠	الموازن ٣٢٤
مستقام ٦٣	مرباطر ٤٠، ٧٦، ١٠٩، ٣٠١	مانة ٦٧
مصر ٤٥، ٤٦، ٥٦، ١٠٣	مربله ٧٤، ٧٥، ١٣٥، ١٣٠	مالطه ١٨٥
١٨٨، ١٨٢، ١٤٨، ١٢٣	مرقعات دجنه ٣٩	مالقة ٣٠، ٣١، ٣٣، ٤٠، ٤١، ٤٥
١٩٧، ٤١٩، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٧٢	مرسية ٣١، ٣٦، ٤٥، ٤٦	٥٥، ٥٦، ٧٤، ٨٢، ١٢٠، ١٢٣
٣٧٤، ٣٠٧	٥٣، ٥٥، ٥٦، ١١٠، ١١٢	١٢٤، ١٢٩، ١٣٩، ١٤٥، ١٤٧
المدن ٥٢	١١٤، ١١٦، ١١٨، ١٧١	١٨٠، ١٩٢، ١٩٣، ٤٠٤، ٣٠٥
مغام ٥٤	٢٠٤، ٢٠٦، ٢١٢، ٢١٢، ٢٢٣، ٢٥٦	٢٠٦، ٢١٢، ٢١٦، ٢٢٢، ٢٢٣
مقبرة اللوك ٣٥٧	٣٦٨، ٣٩٦، ٣٩٨، ٣١٦	٣٣٨، ٣٥٠، ٣٦٠، ٣٦٨، ٣٧١
مكتبة جربط ٣٥٢	٣١٨، ٣٤٥، ٣٥٤	٣٦٥، ٣٦٦، ٣٠٩، ٣٦٥
المكتبة الوطني ٣١١	مرسى البيرة ١٢١	متحف البرادو ٣٥٠
مكاسة ٥٣، ٧٩، ١٠٠، ١٠٧	مرسى الشجرة ٨٢	جربط ٧٩، ١٠٣، ٣١١، ٣١٢
ملاعب التيران ٣١٤	مرسى طبرشانه ٨٣	٣٣٦، ٣٣٨، ٣٣٥، ٣٢٢، ٣٢٢
ملمب مريبطر ٣٢٤	مرسى الفروج ١٢١	٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨
ملقون ٥٣	مرسى قاندر ٣٦	٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٥
مليقة ٦٣، ٦٩	مرسى القنت ٧٩	٣٥٦، ٣٥٦، ٣٦٠، ٣٨٢
منار الاسكندرية ٩٠	مرشانه ٤٠٤	٣٥٤، ٤٠٤
منارة اشيلية ٣٠٨	مرطبة ٣٧١	مخاضة البلاط ٥٣، ١٠٠، ١٠٤
منزه رليمو ٨٠	مرمرية ٤٠، ٨٠	المدائن ٨٤
منزه طراكونه ٨٣	مرد ١٤٩	مة سانا كروز ٣٠٩، ٣٣٩
منزه النخل ٧٣	المرية ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٥٣، ٥٦	
منقبه ٣٦٨، ٣٧٠	٧٠، ٧٤، ٧٥، ١١٤، ١١٧، ١١٨	

نهر زانارس ٢١٩	نهر أريسيه ٣٦١	النسك ٧٥ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ٢٠٥
➤ الملاحة ١٢٣	➤ أمبيلة ٢٦٠،٥٨	المصف ٢١٨
➤ مليال ١٣٥ ، ١٣٦	➤ الأودر ٢٢	منية ابن أبي طمر ٢١٧
➤ مأوية ٧٠	➤ أوروله ٢٣٠	النية ٦٤
➤ منديق ٩٢	➤ أررية ٢٣٠	موتريكو ٢٢١
➤ ميل ١٢٢	➤ برباط ٨٤،٨٢	مورون ٤٠ ، ٤١
➤ سينو ٢٨	➤ بسبورق ٢٢٨،٢١٩	موزاراب ٢٦٤ ، ٢٦٦
➤ وادي الأبار ٣٠	➤ بكة ٨٢	موسير ٢١٧
➤ ياند ٢٨، ٨٦، ٨٨، ٨٩، ٩٩، ١١٩	➤ بلون ١٢٨	مولا ٧٦
نيسابور ٢٢٢	➤ يداسيو ٢٢٨	ميراندة ٢٣٠
(ه)	➤ تاجه ٢٨، ٢٩، ٩٢، ١٠١، ١٠٣، ١٠٤	المريتا الأجرية ٣٠
هارو ٤١	➤ ٢٠١، ٢٦٢، ٢٦٩، ٢٦٧، ٢٦٨	ميندا كا ٢٢١
حصاب غريديس ٢٩	➤ ٢٧٢، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٩	مينطه ٢١٩
حصاب وادي لب ٢٩	➤ ٤٢٦، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤	مبورقة ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢١٢
هنداي ٢٢٨	٤٤٥، ٤٦٦، ٤٦٨، ٤٦٩	(ن)
حنين ٦٣ ، ٦٩ ، ١٤٧	➤ الجوق ٢١٨	نارحة ٢١٥ ، ٢١٦
ميطال ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧١	➤ حدر ١٢٩، ٢١٥	ناشرة ١٨٠
ميكال الزهرة ٦٠، ٧٠، ٧٠، ٢١٦	➤ جلق ١٨١	ناصرح ١٣٦
ميكال المريح ٣٠٤	➤ دورو ٢٨	ناقس طولوز ٤٦٣
(و)	نيرترزورده ٢٣٠	ناكرونه ٤٠
وادي ابره ٤١، ١٦٣، ٢١٨	نيرترقيون ٢٢٢، ٢٢١	نبار ٢٧ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٢١
➤ آس ٣١، ٥٤، ٧٥، ١٢٦، ١٢٧	➤ الزينون ١٠٦	٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥
➤ ١٢٨، ١٢٩، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٠، ٢٠٠	➤ سفدر ٦٦، ٦٥	٢٢٧ ، ٢٢٩
٢٩٤	➤ شقر ٣٠، ١٠٩، ١١١، ٢١٩	نجدة ١١٦
➤ أبرش ٢٤٢	➤ شقورينه ٣٠	ندرومة ٦٩
➤ يداسو ٢٢٩	➤ شيل ١٢٩، ١٣٣، ١٨٨، ١٨٩	نربونة ١٦٦
➤ بلقيسه ٣٠	➤ طيلظه ٩٢	لشتاله ٢٢٢
➤ بيره ١١٢	➤ السل ٨١	لشوز شووية ٢٩
➤ تاجه ٥٤	➤ الفيستول ٢٢	نغزة ٤٠ ، ٤٧
➤ الحجارة ٤٠ ، ٤٦، ٤٨، ٥٤	➤ قرطبة ٨٥ ، ١١٦، ١٢٨، ١٣٠	نسكور ٦٣
➤ ٧٩، ١٠٢، ١٠٤، ٢٠٠، ٢٧١	١٩٩	نهر أبرة ٢٧ ، ٣٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨
➤ ٢٠٩، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٤٤	➤ لارده ١٨١	٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢
٤٦٣، ٢٤٥	➤ لكس ٦٦	النهر الأبيض ١١١، ١١٤، ١١٦، ١١٧
➤ دورو ٢٢٢	➤ مارده ٨٦	نهرائه ١٤٦
➤ الهوره ٢٩	➤ مرسية ١١١، ١١٧	➤ أركلسون ٢٢٤
	➤ المرية ٣٠	

رهران ٢٥٢،٢٥١،٧٠،٦٣	وينة ٤٠٤	الرمان ١٣٦ ، ٢٧٠
(ى)	ولبي ١١٦	الرمل ٢٥٩،٢٤٣
يايرة ٢٠٧،٧٨،٥٢	ود ١٢٦	زنلفطو ١٦٠
باية ٢٧١	الوردانية ٦٩	شمنورية ٣١
بانة ١٠٨،٩٩	وربوالة ١١١	طبرش ٢٠٤
بيرة ١٨١	وسكا ٤٥	عبد الله ٢٧٠،٢٦٨
بيورة ٨٨	وشقة ٤٢،٤١،٤٠ ، ٣٩ ، ١٠٦	عفرا، ١٩١
يسانه ٧٤	٤٥٧،٣٠٥،٢٠٧	الراى الكبير ٥١،٢٩
يلاق ٢٧١	ولبة ٨٦،٨٥	واى مالقة ٣٠
يليش ٩٩	ولجة ٧٧	النسا ٨٠
	ولدين سربى ٣٧٥	واى بانة ٥٨،٢٩

تم فهرس الأماكن والبلاد والحمد لله



رابطه بديلي
lisanerab.com



أ. علاء الدين شوقى

www.lisanarb.com